

رقم

التسلسل

23

الجزء الرابع

الأعمال الأدبية الكاملة

للكاتبة السورية

ليلى مقدسي

دار تجمع المعرفيين الأحرار للنشر الإلكتروني



- اسم العمل: "الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي" الجزء الرابع
- اسم المؤلفة: ليلى مقدسي
- نوع العمل: أعمال أدبية
- رقم التسلسل: 23
- الطبعة: الطبعة الإلكترونية الأولى-27-تموز-2017م
- تصميم الغلاف: رير هبون
- الناشر: دار تجمع المعرفيين الأحرار للنشر الإلكتروني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة

- حقوق نشر الكتاب محفوظة للمؤلفة والنسخة الإلكترونية ملك لتجمع المعرفيين الأحرار

[/https://reberhebun.wordpress.com](https://reberhebun.wordpress.com)

لنشر أعمالكم يرجى الاتصال ب:

reber.hebun@gmail.com

مقدمة لأعمال الكاتبة والشاعرة السورية ليلي مقدسي

تعلمت من الحياة أن لا شئ يسمى بالمستحيل، قد نتعثر ونحن نخطو للأمام. وقد تقع فإذا لم تكسرنا تلك العثرات فهذا يعني بأنها سوف تجعلنا أصلب .

ربما تكون ابتسامة صغيرة وكلمة حلوة منحتمها لسيدة القلوب ليلي مقدسي التي "توزع الفرح والأمل للآخرين .

جلساتها الراقية ..تجعلني أشعر بأنني أجالس إحدى سيدات البلاط الملكي في العصور الوسطى !!!...
كلماتها لا تنبض حروفاً، وإنما تنبض أخلاقيات سامية .

الشاعرة والادبية ليلي مقدسي، من مواليد الساحل السوري صافيتا ولدت عام 1946 مقيمة في حلب عملت في مجال التدريس لأكثر من من ثماني وعشرين عاما" اول أعمالها "ثالوث الحب " صدر لها أكثر من خمس وأربعين كتابا" وهي ما بين شعر ونثر ولها العديد من المخطوطات من مقولاتها المحببة : " يارب لا تعلمني الحكمة بل علمني المحبة " من مؤلفاتها : غمامة ورد ، عرس قانا ، وردة أخيرة للشعر ، لغة الجمر ، أغصان الهوى ، تراتيل الهيام ، ابجدية الوصال ، بعض الشوق لرواء ..من رواياتها لأننا لم نفترق ، ذاك...رة البحر ، ويبقى الغيم الأخضر يتما" .. الجوائز التي نالتها :

جائزة الباسل للإنتاج الفكري في حلب عام 2000

تكريم من قبل نادي التمثيل العربي للآداب والفنون عام 2009 برئاسة العلامة المرحوم محمود فاخوري

تكريم من قبل إدارة الدليل عام 2006 برئاسة د. مأمون حلاق

جائزة اجليك باشا في لبنان -بيروت مؤسسة ناجي نعمان الأدبية عن كتاب

"ثلاث وثلاثون وردة " من شهيد لأمه عام 2008 ومعها درع تقدير

إلى اليوم ومازال مدادها يوضح بالعسل ..رغم كل الظروف الصعبة التي تعانيتها ما تزال تنبض بحروف من أجزاء

جسدها، لتقدمها منارة لكل متذوق .. ما تزال تكتب وآخر واحب الاماني لقلبيها..
أن تدفن بأوراق كتبها ...

ليلى مقدسي قصة عشق يطول شرحها ..

تقول: ترعرعت بين أحضان الطبيعة في صافيتا.. حيث البحر والشجر والريف بشكل عام جذبني بهدوئه وجماله
البكر كانت طفولتي جميلة جداً

دخلت مرحلة الدراسة، عملت في التدريس عند الراهبات وعمري 14 عاماً بعد عمل طويل لسنتين عديدة استقلت
لأسباب صحية بعد اصابتي في عيني اليسرى التي فقدت البصر بها منذ صغري عشقت المطالعة ولأنتي وحيدة من
بين أربع اخوة ذكور كنت منعزلة مع كتيبي .

أكتب بصمت خواطري شجعتني عمي وكان ادبياً ونشر لي بعض الصحف وكذلك مدرس اللغة العربية نشر لي
موضوعاً عن الأمومة في كتاب من تأليفه وكنت على مقاعد الدراسة سجلت في الجامعة قسم اللغة العربية ولكن لم
أستطع ان اتابع واجمع بين التدريس والمطالعة والجامعة بسبب ظرف عيني المؤلم لي كان الألم وكان معي القلم تحديث
الطب وتابعت كتاباتي ... شعر نثر قصة رواية ودراسة عن الصوفية وعمل للأطفال وبدأت أنشر كتيبي وحققت
اجمل طموح لي لان الإبداع والمطالعة منحتني القوة والعطاء في أكثر من عشر مخطوطات للنشر واتابع ولن أتوقف
الا حين يتوقف نبض الحياة لي عدة لقاءات تلفزيونية اخرها عن كتابي محجة شعر لفيروز نشرت في العديد من
الصحف والمجلات .. أخيراً أتمنى ان يغطي قبوري بأوراق كتيبي رسالتي الأدبية المحبة الإنسانية والتسامح ونبد التعصب
والحقد والشر من هذا العالم .. شكراً لكم جميعاً
أشعر بسعادة بالغة وانا أخط. بضعة حروف .. بضعة كلمات ... وهذه الكلمات ستلتصق بأعمالك التي سيكون لي
شرف نشرها لجميع المتذوقين.

لقد تشرفت بالاحتفاظ بجزء كبير من مؤلفاتك التي أهديتني إياها ...

أعدك أن اكون مرآة تعكس حروفك الراقية، فقط لأنك راقية !!

أخيراً محبتي وشكري لكل ما قدمته للأجيال ...

* بقلمها ماريا كبابة

حلب 17/7/2017

جرح رغيب

قصص

ليلی مقدسي

من غرض الإهداء

الذات بحر لا وزن ولا قياس له.
هي جسد الأحلام العاري
تمشي في جميع الطرق .. وتطوي
ذاتها

وسكينة الوحدة مرآة تعكس
صورة واضحة لذواتنا العارية ...
ما أجمل أن نترك الروح هي التي
تحرك شفاهنا وتدير لساننا
ليلي

طفلة

1

تلوّح طفلتي أخاف منها ، أشعر بالعجز أمامها ، إنها المسؤولة ،
والحمل الوديع الذي أتحدى به دروب القهر . شيء ما ينفجر في رأسي
. أحاول مسح لهب الأفكار . ، وأبقى مشدودة إلى خيط مبهم من الحسرة
والضعف في لحظات الغضب والانفعال ..
صوت سهيل يتحلل في عتمة ذاتي .

- ستجدين نفسك يوم ترين الأشياء على حقيقتها ، يوم تبقين
وحيدة عزلاء ، أما الآن أنت فاشلة لأنك تعيشين نكران ذاتك
أمام تدفق تضحياتك لكل من أحببت من البشر .. أقرء ..
أصدقاء أهل .. أسرة .. أين أنت ؟ ..

دائماً يحدثني بصرامته المعروفة ، وجاذبيته تلاحقني وتثير حنيني
إلى رجل يشعرنني بالأمان . ولكن رغم هذه المشاعر سأتحاشي اللقاء به
أسرع إلى عملي ، أنغمس به ، لن أفكر بشيء ، أهوي بنظراتي على
الأوراق المكدسة على مكثبي ، وبرأسي ضجيج الأسئلة :

- هل أحب سهيلاً ؟ .. أم أبحث عن أعمدة أمان ؟ .. لا من
جواب منطقي على كل أسئلتي ... أزيح سهيلاً عن ذاكرتي
المرهقة ، لأنه مصدر ضعفي . أريد أن أبقى غيمة دفء
على الأسرة أحتضن الأخوة الصغار . يكفي أن أرى ابتسامة
أمي المريضة الداعية لي . وأعجبتني شخصية الشاب التي
أحس بها وأنا أساند والدي في محنته ، بعد أن خسر كل

أملكه ، ودفعه اليأس إلى موائد القمار أملاً بضربة حظ
تتقذه .

في أمسية شقية ومشؤومة عاد مترنحاً من ألم سكره ، احتدّ النقاش
بيننا كأننا أصدقاء :

- هل أبقى أمامكم ذليلاً عاجزاً عن فعل أي شيء ؟
لقد قررت أن أجعل من إحدى الغرف مقراً للأصدقاء ولعب
الميسر فيها ... والريح لي جزء منه .

صرخت به : سمعة المنزل ، ألسنة الجيران ، بماذا يفسر دخول
عدة رجال في الليل إلى منزل الأسرة أسبوعياً ؟ أرجوك أنت تقترف جريمة
إنسانية ...

تمرد صوت الخمرة الراض لكل توسلاتي ، وصفعته الكاوية
تدمي وجهي ، وطفائف شعري المبعثرة تختلط بمطر يغسل وجهي .
أركض .. أركض مذعورة ، الشوارع تلاحقني ، الليل يرعيني وصوت أمي
المريضة يمزق رأسي بالنحيب . أهرب من وجه المرعب الغاضب ،
ويترامى حولي في لحظة الضعف هذه وجه سهيل ، سأحتمي به من
صفعة والدي ، بيتسم سهيل ساخراً بعنفوانه الهادئ قائلاً :

- أرايت الأشياء على حقيقتها ؟
صراحتة ترعيني ، أنظر إليه بغضب ، أغلق الباب وأمضي ... لن
أستسلم وأنا في قمة قلق يآسي ...

" فالحب سلاح في يد الذي نحب ، يعطيه المقدرة على أن يجرحنا "

خطوات أبي تسترخي بهدوء على عتبة غرفتي ، تهالك قرب
سريري وجهه الحزين معتذراً بصمت ، وشعرت أن كيانه الإنساني يتشنج
ويعصف بأعصابه . مضى مخلفاً في أعماقي جرحاً مفتوحاً. لماذا لا
أسوي الأشياء ؟..

أحزان مبهمة تنمو في هدوء صمتي ، سأواجه قدرتي .. عيناها
تراءتا لي فسحة رحبة من الفهم والمشاركة ، هل نتزوج ؟.. وعيناها لم تتركنا
أي خيار في لحظة غضب يائسة .. ولم أكن أدرك أنني انتقم من
والدي أم أنني انتقم من ذاتي المقهورة ؟..

ثلاثة أعوام وأنا أتيه معه على مروج اخضرار. منعشة ، ثم انطفأ
كل شيء ، بعد أن زرعت واحة فرح حول منزلنا الصغير. حين أنت طفلتنا
.. سأزرعها نجمة مشعة في حياتي ، وهي الوحيدة المساهمة في بقائي
معك .. لأنك استهلكت أفنعة الحب ..

لماذا تخونني وتتلذذ بفعل الخيانة وتفاخر بأنك صادق وكأنه حقا
الطبيعي. في الحياة ونقول :

إنك تختلف عن الرجال لأنك صادق معي وهل يفيد صدقك
الجرح الواقع ؟ كنت أتمنى أن لا تدفعني كي أعري بقسوتي الرجال من
أمثالك وأنزع عنهم قناع الزيف من الأنا القابضة في أعماقهم ، والتي
تمنحهم الحق في تحديد نوعية المرأة بفعل التغيير ، بينما تقبع الزوجة
مستسلمة تنتظر أوامر الرجل وتعليماته المقررة وجرح كرامتها يذبح ..

ضمّها إليك أكثر .. لن أقاومك لأن قوتي تكمن في صمتي
المدفون بعناد كرامة الكبرياء .. وليس في الحياة ما يستحق رد فعل
صاقد .. ماذا أستطيع أن أغيّر فيك ؟ وأنت تستسلم إلى صفعات الجسد
معها ، ولن أضايقك بكلمة عتاب لأنك لا تستحقها ، لأنني بمفهوميك بلهاء
فالطبيب الإنساني يُفسّر ضعفاً ، أهوي في مقر وحدتي من أجل طفلتنا ،
لأنني زوجة وأم ، وأمام المجتمع مخلصمة ومثالية وفي المنزل تمثال متجمد
في صقيع الجدران ..
ها أنا أحمل جسدي المنهك ، والظلمة تبتلع أفكارني ، وأصغي
لصوت المطر لأنني جائعة إلى لحظة صادقة .. لحظة سلام .. لحظة
حنان دافئة ...

* * *

الحريّة

2

أحرق نفسيها في سبيل أفكارها المتحررة والمؤمنة بها . فالفنان
لا يقيد ولا تكون له زوجة تقليدية ، ستبحر. بعيداً معه وستكون أكثر تغلغلاً
في رحاب الإبداع والفكر . غرد عصفور شارد أجنحته المحلقة ترتمي
جح رغيب

منها حروف تحدّق فيها تلتقطها .. < ح..ر..ي..ة > بين أصابعي
افترت الكلمة المشعّة التي سعى الجميع للوصول إليها ، لكنها بقيت عند
البعض محاصرة في زلزلة الفكر لا تطبق على الواقع الفعلي ، تحسّ أنها
قريبة من حدود الانهيار النفسي تكوّمت في منزلها .. لاطفتها في البداية
ظناً منها أنها صديقة واعية مثقفة ولكن نفّس فحيح سمومها الملونة. إنها
أفعى من نوع غريب ، تنمرد على كل القيم باسم الحرية ، وتتسلّق الجدران
بقناع الثقافة . حين تعلّقت عيناه بها ، مسّته حشيرة همسها المتقطع ،
سرى زعفران السم إلى دمه تصدعت جدران المنزل الهرم ، وشحن بالتوتر
والضجيج ، وارتبك الزمن ليحدد معنى حريتها المباحة والمتفرعة أشواكاً
في حياتها ... التقت في أرجاء بيتها خائفة ، تتلمس كل شيء فيه ، كل
شيء صنّعه بيديها ، لكنها وحيدة ، وهما معاً ، وحيدة دوت الصرخة
كُتبت في دفترها : - نظرت في وجهه ، وجه غريب لا أعرفه ، وجه فقد
كلّ خصائصه الإنسانية، واصفرت على أعشاب الزمن الطويل بيننا كل
الحقوق الزوجية وتيبست .

حين انتبعت إلى انسلالها خلفه حذرت بهدوء :

إنها انتهازية ، الأنا عندها تتصاعد ، وتريد أن تتكئ على إفريز كلماتك
وسطوح أفكارك لتصعد إلى الأعلى ، لتخلق منها كاتبة ، وتصبح حزن
الأمان لها .. رفض أن يصغي إليها .. أن يتراجع ، عناده عنيف ،
صوته الغاضب يصرخ في وجهها الصامت :

- إنها حريتي كمبدع .. حريتي الشخصية .

جح رغب

- حريتك تمارس خارج حدود المنزل الزوجي .
- إنه مملكتي .. صنعته بجهودي ، ويحق لي أن أمارس ما يحلو لي ..

كتبت - لا جدوى .. لا جدوى حين يتشبث بشيء ما لا يتراجع مهما كان الثمن ، إنني أعرفه جيداً ، وأعرف مدى إصراره الحاد على الأشياء التي يرغب بملكيتها ..

دفعت الصفحات الغضبي ، انسلت حروفها تربت بحنان :

" أتموت جميع الأحاسيس الإنسانية ، وتتزوي القيم ، وتقتحم حرمة البيوت ، إذن بنس الحرية المشوّهة .. حريتهما ترسم لساعات الشر إلى حدّ القهر ، حدّ التجريح ، حد الإهانة ، والطعنات تتوالى ، والإيذاء النفسي يمتد ويفتت الذات الشفافة والحساسة ."

لكنه يحتاج إليها ، إنها ستاره الاجتماعي ، ويدعي أنها صديقه ، ولكنه يسقط معها في عزلة عن المجتمع . ينفر من البشر ، يبعد الأهل .. يحس بالخوف من مجابهة الجميع ، من النظرات المستفسرة وهو يحاط يوماً بعد يوم بستائر ضلالها دون أن يحاول أن يتماسك أو يلقي نظرة صفاء من ضميره إلى الخلف ، حين بدأ معاً رحلة الكفاح والمعاناة .. كتبت والحروف تصغي إلى شكواها :

" أينسى إني رفيقة معاناته ، وصديقة سنواته ، وزوجته المطواعة سنين طويلة .. وينسى أهم شيء أني أم ؟ .. "

نسي في عيد الأم أن يحترم عواطف أمومتها ، أحست بدفء دموعها ، ستكون أكثر حكمة ، أكثر هدوءاً وتماسكاً ، ستبقى تحتل حتى ينفث كل رغباته المجنونة ، ستحميه من الألسنة الثرثارة ، ستحميه حتى من مواقف أخوتها ، ستحاول مرة أخرى محاورته :

- احذر تشعب ألوانها ، إنها تتكئ عليك وتمارس أهواءها ..
- ومن يخون كلامه فهو خائن في كل شيء ..
- إنها حريتي كمبدع .. سأعيش لذاتي المستقلة .
- خنت أقدس المبادئ .. الثقة ، الإخلاص ، الصدق ..
- سأصنع معها كوناً آخر ، وأنت لا ينقصك شيء . في منزلك آمنة مطمئنة .
- هل هذا يكفي لاستمرار العيش ؟ وأحاسيسي ، وكرامتي كإنسانة ..
- هذه مفاهيم متخلفة ، لا تكوني امرأة من منابت الجهل والتخلف .

كتبت هذا في دفثري عن العبث واللامعنى :

أليس من العبث الاستمرار في حوارية اللاجدوى مع الذي تلبدت أحاسيسه الإنسانية ، إنه وحده يستطيع اضطهادي وتسليط الحقد علي لأنه يملك الحق بقسيمة مطرزة بختم الزواج .

نظرت إليه بحزن عميق ، إنه يستحق الرثاء والشفقة ، لقد أصبح
مسلوباً وانصاع إلى التسلل والتخفي ، متعلقاً بدوران تناقضها . وتزداد
غروراً وعجرفة ، وتتلوى في أحضان دلاله وبذله لها .

نظرت إليهما معاً ، ربما لأنهما مريضان لا يستحقان إلا العطف
منها . والعطف أرقى منابت الحب كتبت في دفترها :

أيهما أكثر فاعلية الثقة أم الحب !؟

لا أدري لأنني فقدتهما معاً . وأصبح الكون بما رحب أصغر
من أن تحويه عيناى

يا له من زمن .. رغم ما عانت معه ومنه ، وتركها تواجه القهر

المدفون في مقبرة النفس،وعبث النسيان . وكتبت حروفاً لن تمحوها :

" سأنسى الجميع ، جميع من أحببت ، سأبحث عن نفسي ، لن

أستسلم ولن أبقى صنوبرة وجع صامته في أمسياتي المهجورة. "

الأنثى الأفعى تزداد تكوراً في كل ممرات حياته، أصبح لها الحق

في كل شيء ، في إبداء الرأي بالشؤون الخاصة والعامة ، في اقتناء

ملابسه وضيافته الدائمة على مائدة الطعام ، وحين ينفرد بها يملي عليها

أفكاره أخيلته وتتطبع به، حتى اضمحل شيئاً فشيئاً وأصبحت شخصاً

واحداً، إنها حريتهما. رمقت < سارتر > بعتب ، مزقت عبثية < كامو

> ، وسريالية < بريتون > ، والأفكار. المستوردة التي نتمسك بقشورها فقط

، ولا نفوس بمعناها الحقيقي ، نتلوى على صدر المجتمع . يقال عنها -

ضعيفة - يقال طيبة حكيمة، أصوات .. هواجس تتعالى بغضب .

جح رغب

اطردتها .. دافعي عن كيائك ، عن منزلك ..
يتمطى الانفعال على وجهها ، طردتها عدة مرات وتسلسل خفية،
وتتمادى في جرأتها إلى حد الوقاحة .

- متى ترحلين معه ؟
- الزمن يقرر ذلك ، أنا لست مرتبطة به ، أعيش معه وقتما
أشاء ، إنه صديق فكري .. وهذه حريتي ، ولا أسمح بأي
تدخل في شؤوني معه . التمتع في عينيها بريق يفجر التحدي
الوحد ، ويقتلع جذور أصالتها . وشعرت أن الإنسانية تهان
وهي تغلفها بالخداع والانتهازية.
هذه نزوة من نزوات تغيير ألوانها . وحين تجد إنساناً آخر تسخر
منه كما فعلت بسواه وسواه وتمضي هازئة منتصرة .

يرد ببساطة وببرود متعمد:
- كل ما يقال عنها ثرثرات نفوس حاقدة ..
- لماذا عنها فقط، وهناك الكثيرات .. لا نار بلا دخان ..

كتبت في دفترها :

كم أحزن لحرية المرأة الشرقية التي باسمها تمارس كل
الحماقات وتدوس كل القيم السامية. أليست الحرية فعلاً
ومسؤولية ؟

أغب من حزني ، وأدفن دموعي في الوسادة. ماذا أستطيع أن
أفعل ، وهو يهددني تجاه أي موقف بسهولة ورقة زواجه منها ..

جح رغب

أكره نفسي لأنني امرأة ولأن القرار يملكه الرجل فقط .
فتتظر. إليّ بهدوء . تهرب من نبرات صوته الصارم والقاسي .
لقد أصبح رجلاً متحجراً قاسياً . فالسمّ سرى وقتله وتغشّى في إنسانيته
وطيبه.. إحساسها العميق بأنها امرأة ممزقة جسدياً وروحياً ونفسياً بدأ
ينبض ، يتحرك . تمسك الخيط الأخير من حروفها ، تبحث عنه في
ضمير. لياليها المهجورة وتكتب :

لن أهزم في بقية الحياة ، سأحيا لا ... ما أبدع
الاستسلام.. ما أبدع أن أكون هاربة .. وقد يُقال :
> التقت بدروب الهروب منهما . كان المفروض أن
تصمد كقديسة وأم .. ولكن هذه المرّة حريتها هي <

* * *

طوفان الزمن

3

تنزوي بين شحوب الزمن الذي يسدل اصفراره، وتتساوى عندها الأيام والشهور ، والسنون . ترزح تحت ثقل أوجاعها التي تمنعها من مغادرة المنزل . هكذا هي عاجزة منذ خمس سنوات خلت..

> يارا < ابنتها المدللة سافرت إلى بيتها الزوجي في أبعاد الغربية لتبدأ حياتها الجديدة ، سنتان ولم تأتِ - يارا - وصوتها على الهاتف قد يبعث الدفء في أرجاء وحدتها . الحياة جامدة حولها . لا تشعر بدهشة الفرح ، ترتمي على السرير مخدرة بسموم الأدوية ، وظلال الدمع تراقص خيوط الذكريات تمسحها عن وجهها المغضن:

- فراس لِمَ تأخرت .؟
- زحمة المواصلات يا أمي !
- الطعام على المائدة ، هيا - يارا -

المشاركة ممتعة ، والأناثية شريان العالم ، يظل ذكراهما ، صوتهما صورة لحلم عتيق باهت في نخيلة امرأة وحيدة مثلها، تبكي في مرارة ، تتجاوب الجدران مع أحزانها ، لم يعد يشاركها أحد في هذه الأيام ، حتى خبزها . ترى المنزل صومعة مهجورة تسبح في الفراغ الرمادي .

بالأمس البعيد - فراس - سافر بعثة إلى الخارج ، تأتي يارا لتطبع قبلة على الوجه المحروق من تعب العمر . تأخرت يارا. يارا لن تعود . يوقظها صوت قاسٍ من خيالها السارح ، كيف نسيت أن يارا مع زوجها. وقد سكنت غربتها . يتمدد الخيال ترقص الصور أمامها ، تضم - فراساً - الصغير. إلى صدرها ، جسدها الحار يعلو ويهبط يفيض بعذوبة طفولته ، - يارا - تركض أيضاً إلى حضنها ، يدها على وجهها تربت عليه بحنان ، تنهض متناقلة من السرير وقرع جرس الباب يوقظها من أحلام يقظتها تعبر أمام رؤاها ، تطل أختها الطيبة ومنابع الحنان تجري بين نبض لهفتها ترى آثار الدمع على خديها المحروقتين :

- إلى متى يستمر. عذابك هذا ؟ ..

تفقد القدرة على التركيز ، تنظر إلى وجه أختها الوحيدة ..

- داري التي كانت تغور بالحركة والحيوية والمرح ، تنبت فيها الآن تشعبات الظلمة وتطمر بالصمت ، ويقع لسع البرد في أرجائها ..

- إلى متى ستبقين وحيدة ؟ لم ترفضين العيش معنا ؟

- لن أغانر بيتي ، لا أستطيع إنه الجزء المتبقي من حياة
جميلة عشتها .. تصمت أختها لأنها تدرك معنى تمسكها
بمنزلها ، ومدى عنادها في مواقفها تثرثر معها لتدخل بعض
البهجة إلى روحها القلقة . ثم تعود إلى أسرتها .. تستلقي
على السرير . يضم جسدها المنتفض المحموم ، وتعاودها
الذكريات كالقطيع الشارد على الأرصفة وتتمشى في زوايا
الغرفة ، وترسم على الجدران الأشباح حولها .. وتطل صورة
زوجها. تبتسم :

- لماذا لم تبقَ معي يا فادي ؟..

أنت الوحيد الذي تستطيع أن تحميني من خوفي واغترابي أن
تحميني من نفسي ، لو لم تذهب أنت لكنت أكثر اطمئناناً
لأنني أجد الأمان في صدرك العريض . هذيانها يتكوم على
وجهه . إنه واقف أمامها ، تعاتبه لأنه تركها وحيدة ينظر في
وجهها ، يسألها بشوق الغائب عن الأولاد تتفرج أساريرها :

- تبقى معي الليلة ؟..

تهطل دمعة جافة ، يضحك صباها الذي أثقلته السنون بابتسامة
ساخرة تضغط على رأسها بقسوة، تشعل النور في الغرفة ، تريد أن تهرب
إلى صدر - فادي - كم تغتقده ..

- هل أحضر لك الطعام ؟..

ترسل تهيدة حزينة ، فادي لا يجيب ، لم تسطع في وجهه
ملامحه المألوفة وتشتعل نيران ترابه حولها .. وتبدأ غيبوبتها فتموت
وتحيا بين تنهدات الليل الطويل ، وتفكيرها يشدها إلى - فادي - والأيام
تمتص ما بقي من شيخوختها. ، تتلمس ساقها تشعر بتعب ألم المفاصل
..

كان لي قامة رائعة ، وصباي الآن جفّ على جدران الزمان . لذا
فادي لم يعد يحبني ، والأولاد رحلوا ، والمنزل يضيق ويشيخ معي ..
فادي .. هل ضجر الأولاد مني ؟. تأخرت رسائلهم . مشتاقة لك ..
مشتاقة لهم ..

تهرب وتعود إلى أفكارها المرعبة ، وترتسم في ذاكرتها وجوه
الأحبة - رحمك الله يا فادي ، سامح هذياني المحموم .. صورة الأحبة
محفورة لا تمحى . تمسح دمعة على حافتي الوجه وهي تسمع ههددة
جارتها لطفلتها الصغيرة ، أغنيتها تتسرب إليها كل مساء . كم غنت هي
- ليارا .. وترندحت بصوتها لفراس .. - هذه الأغاني البريئة ثقيلة
بحزنها هذه الليلة .. ما الذي يشدها إلى مرايا طفولة أولادها ؟.. وما الذي
يغمس أصابعها في تراب فادي ؟.. المرض يشتد ، والأسابيع تركض ،
والأخيلة تتابع ، وترتجف الرسائل فهما بين يديها ، تهوي قريبا على
السريير تتأملها أختها برعب ، والأحبة تأخروا في الحضور ، هي أبرقت
لهم وسوف يأتون . تشدها أختها إلى صدرها تحاول أن تحميها من
حشرة الاحتضار . تلمس وجهها الذابل وصفرة شرر الموت تتطاير. ،

جح رغب

الرعب يضج بالصراخ . ويتجمد الجسد في صقيع برودته . يحشد المنزل
بالجيران، والأولاد لم يأتوا بعد .. وتدفن كل الأشياء في مركبة الموت
معها .. تأخروا ورحلت بلا وداع .. طوفان الزمن أخفاها في واديه وحيدة
.. ورائحة التراب تجدد في مدار الكون والقسوة تنتطير. مع اصفرار
الأوراق الباقية ..

* * *

أرض الجمر

4

تفترسه هذه القرية الممزقة ، يحس كأنه اقتلع من جذورها ، يجرّ قدميه في الشارع الضيق ، يخرج من بيت أخيه ، السيارات تركض حوله بسرعة مجنونة ، صوت ابنة أخيه - ريان - ما زال صداه يرن في أذنيه

..

- عماه .. عد أنت متعب .. وسافر. غداً ..

الأمطار. تعوم حوله وتغسله ، اختنق الكلام في نرف الحنجرة، هل رابطة الدم قد تشوّهت ، هل امتصها الجشع وعلقتها المادة؟ .. يحاور نفسه في ليل القرية الحالك التي زارها بعد سنين مريرة قضاها في الغربية صوت - ريان - الحنون البريء يشله ، وصوت أخيه الجارح يدحرجه على أحجار الشارع ، يحمل سنواته السبعين على كاهله ، ويصمّ أذنيه عن صوت ابنة أخيه ويمضي هارباً منها .. سيارة تكاد تصدمه ، رجل يشتمه ، ساقاه تركضان وحدهما في الشارع ، يركض كجريح طريد .. غادر القرية ، وصل إلى مدينة الغربية بعد سفر شاق ، حيث أسرته وغرق في شموخ الصمت رافضاً التحدث معهم .. عينا أخيه تلاحقانه والكلمات تنتثر شرراً ، أيمن أن يكون هذا أخي؟ ..

لقد فقد القدرة على مواجهة أسرته ، وأولاده ، بعد أن فقد القدرة

على الحصول على أرضه وحقه ، لا بد أن يرفع قضية ، هذا حل معقول .. ولكنه عاجز عن ممارسته فكيف يكون أخوه خصماً له؟ .. ينظر.

إلى وجهه القابع أمامه على السرير ، إنها كارثة أيضاً لو تخلّيت له عن أرضي ، لأنني سأنتخلى عن حقيقتي . عن حق أولادي، عن أصالتي ، عن جنوري لا بدّ من حكم العدالة بيننا ..

- محكمة .. أنت متهم بعملية تزوير ، واحتكار أرض أخيك ، أرضه الوحيدة التي يملكها في القرية ..
 - لقد تنازل عن حقه وهذا توقيعه .
 - التوقيع مزوّر .. هذا توقيعي الحقيقي ..
 - افتراء .. إن ذاكرته تتمخض بوهن الشيوخة .
- ضجت في ذاته محكمة العدالة ، وأصدر قراره الخاص بالصمت عن حقه ، وأخوه يغتصب الأرض بقسوة ، وصدى ضحكته الساخرة تهتر لها جدران غرفته . ولكن قرار عاطفته كان الأقوى والأكثر عدالة ..

" متى نحب ، يجب أن نتخلى عن كل شيء من أجل الحب "

صوت ولده يوقظه من كوابيس يقظته المرعبة ، والعرق يتصبب من جبينه الغاضب : - هل تشعر بألم ما يا والدي ؟.. لماذا كنت تصرخ ؟.. - لا شيء .. أحس بإنهاك شديد في جسمي ، وألم حاد في فقرات الظهر الأخيرة ينخر عظامي ، يسحقني ..

يعاوده الطبيب :

- يلزمه راحة شهر .. مع المواظبة على الأدوية .

إنه لا يستطيع الركود في مستنقع المرض ، لن يستسلم ، ينهض بصعوبة يساعده ولده ، يطمئن الجميع أنه بخير ، أنه يتحسن ، يشعرون به ، ويشعر أنه يتآمر مع ذاته على ذاته ..

- إنني أختنق .. وعاطفتي نحو هذا الأخ أقوى من كراهيتي أقوى من حقدتي ، أقوى من عدالة القانون والحياة والتي تصرخ بوجهي - لماذا حرمت أولادك ؟ .. اعمل شيئاً لهم .. فالأرض حقهم الطبيعي .. لا أستطيع أن أعمل شيئاً ، محكمتي الذاتية أصدرت حكمها مع وقف التنفيذ لأنه أخي ..

- هذا ليس حكماً .. هذا ضعف ..

الصراع يدور والقتال شرس مع العاطفة والمنطق ، ويستسلم لمرارة العجز وعويل الألم يستحيل إلى صراخ إنسان معذب .. يشهق لأنه لم يستطيع أن يقطع هذا الخيط مع ذوي القربى ، إنه يزيده اقتراباً .. وحباً ، وعدواناً ..

الطبيب بقربه ينظر بعيني إنسانيته المعتادة ، والمخدر يسري في عروقه يحتج ، يغضب ، يقاوم لن يستسلم سيقاوم ويرجع أرضه وحقه . بعد أيام يحاول النهوض ، قدماه لم تحملاه ، يشعر أن قوّته تتزعزع يربعه الغامض ويشلّه أكثر الآتي .. وحين فقد آخر نبض من قوّته ، استعداد إنسانية عذابه في راحة ضميره ، قرر. أن يفضي إلى ابنه بالحقيقة .. ويد ابنه على جبينه المرتعش:

جح رغب

- اسمع يا ولدي .. لقد غدر بي عمك وزور توقيعي واغتصب
أرضي . هاهي الذاكرة تفيض بكل الشوائب والمنغصات
التي حدثت معه .

العم بين المشيعين وهو يتوارى في حفرة العدم ، يمسح العم
دموعه ويقدم لابنه مبلغاً للمساهمة في جنازته ، يرمقه الابن بذهول .
- كان ثمنك رخيصاً يا عماء .. لقد ارتكبت أفسى الخطايا
بحقّه .. ألا يكفيك ما تملك ؟ أرغمته على الانتحار بطريقة
صامته . ارحل .. وخذ نقودك . عد إلى الأرض المدفونة في
بركان الغضب عد إلى الأرض الحارقة والمحترقة ودع
ضحيتك ترقد بسلام ولكن سياج الأرض هو تحدي الزمن
بيننا .

* * *

وجوه راحلة

5

1) وجه لميس

من خلف النافذة الزجاجية ، يستيقظ في رأسي المتعب غضب
الذكريات ، وترسم السنوات التائهة في مدارات الزمن . أربعة عشر عاماً
وأنا مشدودة إلى غرفة قفصها يخنقني ، يجعلني أحلم بالتشرد في
اللامكان واللازمان ...

لماذا تهاجمني وجوه الأحبة وقد سحقت قوتي ، يا لهذه الوجوه
التي أحببتها وكرهتها . ماذا تمثلين الآن ؟ .. كنت من بعضي ومني ،
وحصارك أفقدي حرية أن أحيا أفتح صرير أبواب الزمن الصدئة ، يطل
وجه لميس الطفلة ، التي احترق وجهها البريء باليتم بعد أن توفي أبي ثم
أمي خلال أعوام متتالية ، ووجدت نفسي وحيدة مع لميس الصغيرة
والبؤس يتقطر من أعوامها الخمسة . سأكون لها أمّاً ، وأجرجر يتمها إلى
أحضانني ، وأنفاس حناني تغمرها ، تكبر لميس وأسرق لها من ذاتي كتل
أمومة لم أذقها بعد ..

أسرع إلى مدرستي ووجهي يتألق حيوية ، ويشعّ أملاً . وأرى في
وجوه طالباتي وجه لميس البريء المشرق . أنهى عملي . تنتظرني لميس
أخذها معي ، نركض معاً ، نتسلى بقطع الشوكولا والساكر . وتتشدني
أغنيات الفرح . نسرع إلى المنزل تسبقنا ضحكاتنا . أنهمك في شؤون
المنزل ، وتتهمك لميس في دروسها . ويأتي بقية الأخوة من مدارسهم .
ومشاغبات لميس تشعرها أنها منتصرة بدلالها على الأخوة . ومساءً أغني
لها بصوت مبوح باللوعة ، وأطبع على جبينها قبلة النوم . تغفو لميس
وأنا بين زحمة كراسات الطالبات ، أصحها ، أسطر ملاحظاتي على

أوراقها . وحين يمتصني التعب والسهر أغفو قربها ويغرق البيت في أحضان الصمت ، وجدران ترسم آهاتي وخطوط مسؤوليتي، لماذا يا أمي تركت جسدي المتعب والمهدود بين أعوامه العشرين موزعاً بين لميس والأخوة والعمل والمنزل ، حتى أحسّ أنني عجوز هرمة . مرات كثيرة كأني فتاة من عمري ، أبحث عن وجه الأنثى في المرأة، فأرى انعكاس الرجولة والأنوثة معاً فمن أنا ؟.. ما زلت أحلم برائحة لفاقة تبغ رجل بيت دخانها في وجهي ، مثيراً جسدي الذابل المنهك ، إنه إنسان ما يرسم الشهوة في ملامح وجهه المتلهفة ، يلاحقني ، يداعب خصلات شعري وأنا في عتمة غرفتي ونوافذها مغلقة ، أسمع ضحكته ، وشوشته من أين يتسرّب إليّ ؟.. أشدّ على يده ، يصفعني اللحم فأصحو. ويد لميس تشدّ على يدي ، ويزحف وجه الحبيب متوارياً ، وجه لا أعرفه ينبهني أنني أنثى ، وضباب يتكاثف ويرسم دوائر ، ودوائر حلمي الزائر أرجاء ظمتي المتوحدة بها .. تزورني إحدى الطالبات ، والتي أصبحت صديقة دائمة لي ، أحسّ معها بالطمأنينة ربما لأن ظروفها تماثل ظروفي ، فامتدّ خيط ودي بيننا ، ورغم ظروفها. العائلية والصحية تحرق ذاتها لتبقى متفوّقة في مادتي التي أدرّسها (مادة اللغة العربية) . وأغذيها بالكتب ، وأقرأ لها خواطرها ومنثوراتها . فأصبحت رحاب مألوفة في منزلنا وصديقة لميس ، تنزهها تساعدها في دروسها ، تخفف عني وحدتي . ونغوص في الحوارات ونقرأ الأشعار .. في إحدى زياراتها .. شربنا قهوتنا تحدثنا ، ونحن ننتظر مجيء لميس

التي كبرت ، وربيعها المشرق تنفزع أزهاره عن أربعة عشر عاماً - تأخرت
لميس يا رحاب - ..؟

وانبثق الخوف من عيني ، واستعر القلق حول عقارب الساعة
التي تنمطي عن ساعة من التأخير ، ورحاب تنزع قلقي بأحاديثها. الناعمة
، ولكن في أعماقها تخفي قلقاً مثلي . وأحسست بانقباض يشدّ على
صدري والساعة تقفز متجاوزة ساعة أخرى ، وتتشب أطافرها. في وجهي
فأقفز. ملتاعة :

- لميس .. رحاب هيا بنا إلى مدرستها .
لم أتم بقية كلماتي ، وصراخ جرس الباب مزمجراً يرن في طنين أذني .
أفتح الباب ، أتبع الصوت ، أخرج .. فقدت المقدرة على النطق، في شارع
مبهم ألحق خطوات الرجل ، فقدت وجهي وانهارت قواي ، أستند إلى
رحاب ، وجوه تتراكض ، تولول أصوات وتصرخ مشيرة إلى كومة من "
بالات القطن " ، هوت من شاحنة على بعض الفتيات والمارة على
رصيف الشارع . عذاب الاحتضار تفشى في شرايبيني . أفتح عيني
بصعوبة .. لميس .. لميس ، وبقع الدم رسم عضاتها على الأرض
المتشربة حزني . أنهض من غيبوبتي ، ويد الطبيب تربت على وجهي ،
ويحاول بكل مشاعر إنسانية أن يقول شيئاً ، وفي عينيه نظرات تعزية
مفجعة .

يبكي المطر ، تبكي رحاب ، ولميس الصغيرة على أجنحة
البياض ، والآلهة ، والأبالسة ، والعرس مأتّم حزن و فجيعة .. مراسم الدفن

، وجهي المعفر بترابها . أسقط ، أمشي ، وأرى كل الوجوه حولي غريبة لا أعرفها ، وأنهار في هوة صمت وحزن ليالي طوالاً ورحاب معي ، وهدوئي المرعب جعلني صنماً خاشعاً أمام وجه لميس وبقي وجه لميس حياً ينبض في صدري . يحدثني بصوته الناعم :

- أنا لم أتركك .. إنما اشتقت إلى أمي ..

ويتوارى طيف لميس خلف عذاب كل ليلة ، وأنا قابعة بين جدران ترعبني .. حاولت أن أستحضر صورة الحبيب ، والموشى بأحلامي ، يغادرني وجهه .. أحرق في مرآة الوجوه التي أحببتها ، إنها عارية إلا من وجهي الحقيقي الذي شوّهه الزمن والأحداث ، أنظر في المرآة .. أنا نور .. نور التي خططت تاريخ سنواتها العجاف ، نور فتاة الثامنة والعشرين ، الثلاثين ، الأربعين الأرقام تحتل عمري ، وصوت أمي حنوناً يتنامى إليّ :

- لا تخافي .. لميس معي ..

علميني يا أمي النسيان ، يهبّ غبار كثيف في وجهي ، ويرسم على معالمه حزناً عميقاً صامتاً . لمَ كان وجهي حقيقياً ؟ ..

* * *

(2) وجه آخر

وجه آخر ابتسم في حياتي . وجه لا أعرفه ، وحين عرفته ..
فقدته .

وجه زميل لي في المدرسة ، يقترب من وجهي بحنان غريب .
أشدّ على يده الطيّبة بيد واهنة نهشها التعب والإرهاق . قرع خفيف على
بابي ، أسرع ودهشة فرحي مخنوقة بحزني الخفي ، يشع دفء لذيذ ،
صوته يناديني :

- نور .. سألوّن الحياة اخضراراً حولك .. وأنسى بقية الكلام ،
أهرب إلى المطبخ ، أحمل صينية القهوة ، نرشها معاً ، ويد
رامز تغرق في شلال شعري ، أتطلّع إلى عينيه طفلة
متسائلة وتضيع الغمغمات بين شفّتيه ، والجدران تنضح
بالهذيان حولي ، فالجميع رفضوا الإنصات لي " الحب -
الأخوة - الصداقة - الزواج " وقد عجزت عن نسج خيط
يشدني إلى إنسان ما . لذا أواجه نفسي المنعزلة المقهورة

والحروف التي أسطرها لكم هي الوحيدة الباقية لأنها تحتل

هذياني ، حقدي ، غضبي . رامز تحدث ببطء ..

- نور إلى متى تبقى الوحدة تحتك ؟ .. سنوات خمس وأنا

أنتظر قرار مصيرنا منك وهذا ليس معناه تخلياً عن مسؤولية

أخوتك ، لقد غدوا شباباً ، وبإمكانهم الاعتماد على أنفسهم ،

وتكونين مشرفة على شؤونهم ..

أحملك في وجوه الأحبة الثلاثة : - مستحيل .. وخدر الحنان

يشدني إليهم ، هذا معناه أنني تخليت عنهم ، وعاهدت نفسي أن أبقى أمماً

وأباً لهم ..

رأس رامز يسقط بين يديه وإحساسه بالأشياء دقيق ..

- نور .. غداً يختارون حياتهم ، وتحسين بوحدة الندم

المشدودة إلى وجودك ..

أنظر إليه ، أرفض عرضه للزواج ، وقسوة الواقع تصرخ في

وجهي تبعدي عنه ، ورامز يرفض السكن في منزلي الصغير. مع أخوتي

، وهذا حقه الطبيعي في الاستقلالية . وأنا أرفض الانتقال معه إلى منزله

.. والحب لحظة اختيار صعبة . وحين فقدته لم يسمع صوت ندائي

البائس - أنت اخترت مصيرك - وكما توقع رامز ، تفرق الأخوة بعد أن

تعب الزمن ، أحدهم غادر إلى بلد شقيق والآخر سافر. في بعثة دراسية

إلى دولة أخرى .. والثالث لحق بأخيه ليتخصص في دراسته .. وكل

شيء في الغرفة مازال مكانه ، أما الوجوه المحببة فقد تلاشت حولي ،

جح رغب

وجوه طالباتي ، أتأملها ، حين تفتح الحلم مت أنا ، أبحث عن رامز عن ذاتي التي فقدتها ، يطوى الزمن مرة أخرى ، ويأسر يفتح نافذة السيارة .
دفع لذيد من نسمة عابرة. يحدثني عن موت زوجته ، وقد اختارني لأكون شريكة حياته، تحدث ، وتحدث وأنا شاردة ، أوقف سيارته أمام بنايته الضخمة. عبر الممر وعلى جنباته تتكسر أهداب الزهور العطرة ،
تبتسم ريم تعانقني ، بمرح رامز يقول :

- أحضرت لك صديقتك يا ريم ..
- نور دائماً غابة منغية مشحونة بالألم ، وسوف تنسى معنا ما عانت ..

وكانت ريم ساحرة واستطاعت إقناعي بأخيها . وزرعت بدار رامز وبدأت الحديقة تكبر ، وعشت زوجة أرستقراطية وأماً لطفلة ، وكيف لم أعرف رامز على حقيقته . أدور في شوارع لبنان الغربية، أتمنى الالتصاق بأي شيء .. بأي إنسان يحميني ، وأعود لأن صوت ابنتي يحميني ، وأعود لأن صوت ابنتي يناديني وفيها بعض من لميس وعذوبة شفيتها . أركن مع ابنتي منزوية . وتسقط في قاعة الاستقبال الفخمة الأنوار الباهتة ، وعبق روائح الخمرة وضباب دخان السيجار. - المستورد ومائدة القمار تضج بالخسارة والريح .. هكذا كل ليلة أشهد مسرحاً لامعقولاً ، أحنّ إلى منزلي ، أبحث عن هدوء لحظة بين الضحكات والقهقهات والغمز واللمز . يفتح الستار على مشهد آخر ، هذه السيدة في ثوبها الضيق ، والأخرى في ثوبها المخملي ، وأخرى تتمايل مترنحة سكرأ

في وحشية الأحمر الفاقع ، وهو يتنقل مختالاً ، وعلى أن أرى كل يوم
أفعى تتلوى بأثواب منوعة ، وأساليب منمقة بإغرائها ، والشهوة الشرهة
تنفر من عروقه ، تتناوب السهرات وكل يوم أنثى جديدة ومضخة الخمرة
تصعقه . الآن اكتشفت سبب موت زوجته ، وحين تتسلّ خيوط الفجر
الأولى يلهث بشخيره وينام .. وفي فترات الراحة، وحين لا يجد أفعى
تناسبه يأتي إليّ ، ينهرني ، يجد في جسدي لذة مؤقتة وضرورية لواجبه
الزوجي .. أي عدل يجعلني أنقاد إليه كالشاة المذبوحة . أي عدل
يرغمني أن أحميا مع لياليه الحمراء وبقايا الولايم تثير الاشمئزاز. ولا بدّ أن
أقوم بدور الزوجة المشرفة على شؤون الخدم والترتيبات . الأعوام يبتلعها
الزمن . وانغمست منقاداً إلى عوالمه لأبقى مع ابنتي التي تزيد في عذابي
 . أزداد احتراقاً ، أشتعل غضباً يردد ساخراً : " أنتِ امرأة بسيطة ، لم
تعتادي الحياة الراقية ، رضعت الفقر فكيف لا تعيشين راضية في
القصور؟ .. انتشلتكِ من بيتك .. و .. وسيل كلامه يزداد شراسة.
ونزعت خنجر حقه المسموم ، والسيارة تعبر بي وهدات الدروب الطويلة
 . وأنفاس - لمى ابنتي - تشدني إلى يقظة ممزقة .. ويزداد ضيقي
ونظرات ياسر اللامبالية تلاحقني وتغرس الذل في آلامي .. لن أستسلم
 .. أستجمع بقايا الثقة وأسافر إلى مدينتي ، أسكن بمعهد الراهبات وأعود
للعمل أعوام ثلاثة وأنا أعمل بالدير وأعيش مع لمى التي تنمو وتكبر
بلمسات حناني . يوم تزوجتك تركت عملي ، هجرت مدينتي ، ولم يخطر
ببالي أني سأصبح رخيصة لديك . أنا فقيرة يا سيدي ياسر ، ولكني لا

جح رغب

أتنازل عن كرامتي وكبريائي رغم أنك كنت تتلذذ بإهانتني ، وكنت أحتمل
كونك تخطئ وأعطيك فرصة للتراجع من أجل ابنتنا . تحملت حتى يدك
القاسية التي صفعنتني ، ومازال وعدك الحاسم بتغيير. كل شيء يمر عبر
سكون انعزالي مع ابنتي . ويطغى صوتك على ضحكات لى الفرحة بك
أو ربما لرجوعك نادماً ، وتهتر غرفتنا فرحاً . وأطبق عيني بسلام طفل ما
دام فجر جديد سيبدأ في حياتنا . وعدنا معك ، وعلى شرفة قصرك عدت
خائفة وضائعة. فبعد فترة وجيزة عدت متخاذلاً عن وعدك . وعادت
غربتي وضج صخب ضيوفك ولياليك الحمراء ، أتحمس لى ، ذلك
الكائن الطيب البريء وأتأملك غانية تداعبك ، وأخرى تغمز لك وترفع
كأسها ، وأنا في قاعة السأم مع ابنتي . لماذا تحاليت بخبتك وأرجعتني
من المعهد ومن المدينة ، ثلاثة أعوام أمضغ الوحدة والصمت بهدوء بارد.
لمى تضمّني بعنف تتشنج ، تدوس بساط دمعتي بقدميك وتنتزعها مني
وتسافر بها إلى بلد أجنبي لتتم لها تعليمها العالي .. أعدتني لتكبر لى
وتغتصب أمومتي من أعماقي ، هويت على المقعد ، أتوسل بكل لغات
الرحمة أن تتركني في قصرك ريثما تعود - لى - ولكن أصابع ظلمه
رغفت القسوة وهو يطردني كحشرة بعد أن جرّدي من أمومتي وإنسانيتي
بورقة طلاق ، وتركني أتخبط في بلد غريب ..

* * *

3) وجوه أخرى

تسخر مني الشوارع والوجوه تحمق بي ، أطلّ على مدينتي ،
أبحث عن أخوتي بعد عودتهم إلى الوطن . كآلة أصفح أخي وأنا أبتلع
دموعي . أبتسم ، أغني ، أصرخ ، ألعن ، أكفر ، يخنقني الغثيان . أرتعد ،
أهذي . رعب الأخوة ، غضب زوجاتهم ، مشهدي البائس ، أعصابي
المنهارة . انتشرت رعباً في وجودهم . أتقيأ الغضب ، لم أحتمل أكثر ،
أهرب إلى الشوارع من وجوههم القاسية ، أتحدث كالعجائز ، أهتف ،
أستجدي الرحمة ، وأحمل بجواز مرور مزورّ إلى مستشفى الأمراض
العقلية . لقد اغتالوا لحظة ضعفي ، ورفضوا مساعدتي ..

أستسلم للحقن المهدئة ، أغيب وأصحو ، والأيدي القاسية تنغرس
في جسدي ، وتتهش أعصابي ، بعد أعوام يطل وجه طبيب إنساني يصرخ
في وجه القتلة لأنه عرفني ، يحقق بذهول الابن الحنون . لقد كان تلميذاً
في مدرستي ، وبدأ يبذل أقصى جهوده لينقذني من الأصابع القاسية التي
هشمت بقية أعصابي . يسألني : كيف احتملت كل ما فعلوا بك ؟ .. يفهم
من صمتي ويمسح بحنانه آثار الجروح من شراييني .. يفرد لي غرفة في
المشفى . يزوّدني بكتب كثيرة ، يزورني يحاورني والرضى يقطر من
عينيه لأن الروح الميتة بدأت تنتعش ببطء . فأرسم شبح ابتساماة على
وجهي لأشعره أنني مطمئنة وقد وجدت معنى الإنسانية في وجهي

الحقيقي.. وحين تنتهي زيارته يعود زحف الوجوه إلى غرفتي ، وحشد من الصور والأرق تنظن في رأسي وعشرات المشاهد تتراءى على جدران فارغة حولي ، ويفور حقدني على وجه ياسر الذي شردني واختار لي هذا المصير. المفجع .. أرتعد منه خائفة .. أربعة عشر عاماً في الغرفة المنفردة ، وخطّ المشيب رأسي ، تطلّ وجوه ، تخنقني وجوه أخرى .
ووجهان حبيبان قريبان نائيان هما وجها الحب - لميس ، ولمي - معي تحت وسادتي . مأساة مروعة أن يقتلنا اللاحب ، يقتلنا أن لا أحد يفهمنا ، في فترات متباعدة ، صوت أخي يؤلمني لأن فيه شبه اعتذار حنون ، أنظر إليه من زجاج غرفتي ، يحمل لي بيضاً وخبزاً وفواكه ، لأنني رفضت بإصرار طعام المشفى. أهدق فيه بلهفة، ألمح الضعف في مقلتيه ، صوته الخافت :

- إنها جريمتنا جميعاً .. نفوسنا الضعيفة ، وجوهنا القاسية ..
وجهك بقي ناصعاً بتحمل الكبرياء والعذاب ..
أقطع الصمت بيننا ، أرسم ابتسامة باهتة صوته يتوسل ويبرر :
سبب النفور الرعب في وجهك ، والهديان في كلامك .. وصراخ القهر على شفاهك

- ماذا تريد يا أخي .. لا تأسف لي .. ما زلت أرتعد كلما
لاحت في مخيلتي الوجوه الصلبة التي لم تفهم معنى ضعفي
وانهيارى ..

صوت صديق قديم يتسرب للإقناع، حقيقياً عارياً ، صوت مفعم
بالنفحة الإنسانية . إنه يعرف حكايتي وتعرف أكثر من شرح طبيبي ،
وفهم أكثر من الجميع لماذا كان لي الحق أن أهرب من الوجوه التي
أحببتها ..

مدّ لي يده بثقة وبمساعدة الطبيب ، ابتدعا معنى البدء لحياتي
من جديد فانتشلت من قفص غرفتي ، وبجهود جبارة استطاعا إقناع أخوتي
بالتوقيع على ورقة الإفراج عني بعد أربعة عشر عاماً ..

للم هذا الصديق الحبيب المخاوف والرعب من عمري الممزق ،
كأن أنيساً مخلصاً وهو يبذل لإنقاذي . ربما لأن وجهه أقل حباً من كل
الوجوه التي أحببتها بعمق وتقانٍ ، لأنه غريب ، أودعني في دير للراهبات
منعزل وبعيد عن المدينة ، حملت أمتعة كتبي ، وورقة حرיתי .. ووعدت
الطبيب أن أكتب حكاية العزلة بكل أبعادها: (النفسية والجسدية والعقلية).
وأرسل ذلك الصديق رسالة إلى ابنتي بعد أن استدلت على عنوانها ، أنوء
بتقل القلق ، أمضي الشهور والأيام تركض مسرعة وأنتظر الرد، ويقتلني
في شيخوختي قلق اللاحب ، واللافهم الذي نفى معنى الإنسانية والانتماء
.. هذيان الأرق في هذا المكان الهادئ تبكيني وتضحكني عزلته ، أمحكوم
عليّ أن أنفى دائماً بين الخفق اللاهث لزمن انتظاري المستمر .. فهل
من جدوى لحياتي ؟..

* * *

لوحة للحب

6

تبتسم من نوافذ غير مرئية ، تنتهك جدران المرسم – بترف الفرح
كلبها الأبيض الصغير. يقفز وذنبه يهتز ، كنت أنتظرها أن تأتي من
حجب الغيب ، سأغمس ريشتي بين ورود الألوان لتتشرب من ملامح
وجهها الملائكي الوديع ، ستنهمر ريشتي في منابت شلال شعرها الذي
ينادينني بشوق متلهف .. أسير في أرجاء غرفة الرسم ، أتعثر كطفل ،
أضطرب كمحب ، المعبد مهجور إلا من صوتها الذائب المبتل بعطر
الحنان .. وردتها تتحسر. خمرة العبق بين أمواج لهفتي . أتظل بقزحية
الشفق من ألوان عينيك يا ماريا .. والجدران الآن بخيلة حتى بالصدى ..
وعويل الذكريات يرمد سنابل الحب المهجورة لماذا اختطفتك الرياح
الغمامية الكثيفة ، أشدك إلى صدري لن أفقدك لأي سبب كان في العالم
.. سأصنع منك لوحة تخلدك كما خلدت لوحة (الجوكاندا) .. عنادك كان
غريباً وردّ فعلك قاسياً .. والكآبة تبكي في عينيك ، وروحك الشفافة تنفجر
بين حزن الكبرياء ورتل الفراق يعزف أناته الجنائزية في خطوات أقدامك
الصغيرة على أرض مرسمي .. ويهمس صوتك الحزين المؤلف :

- سأبقى لوحة .. لوحة – ذهول الفرح –

وجهك كان حزيناً مبتسماً غائماً ، وفي رفة جفنيك تتضح دموع خفية .. كلما نظرت الآن إلى اللوحة تتشابك ألوانها بمعنى آخر مغايراً لكل المعاني التي جسدها ملامحك ، أما أناملك تعرش في عناق خفي وديع بين أصابعي في نشوة نظراتنا .. أغرز أصابعي المرتعشة ليس في وحشية الألوان إنما في فجوات الحروف ، لأصنع إطاراً من حروفي ، من أثلام حزني المنثور على غبار السنوات ، يتطاير. الفرحة العجوز ، ويصمت عتاب الوجد الأخرس كنت أراك يوماً جالسة وراء منضدة خشبية مغطاة بورق ملون مبعثر فوقها - الكبريت - والعلكة - وقطع حلوى - وسجائر .

جذبي وجهك الذي استباح البراءة وهصر الجمال على الخدود الموردة وتراءت من عينيك المهجورتين أطلال حزينة ، كنت أشتري منك سجائر. وكبريتاً وأمضي .. أشهر طويلة والروح تسترخي. على ضفاف القطرات ، والوجه الذابل يرسم حولي مدارات حب خفي كبرعم يتفتح خجولاً فاض الكلام على شفاهك ، وتفتح ثغرك بابتسامة ، ويدك تقدم لي وردة تضمها أصابعي بحنان - أتمنى أن أزورك في - المرسم .
تتشابك الأحاسيس ، ويتجمد الانتظار. مكتوماً في حضن زمني القلق، كلبك الأبيض الصغير. يسبقك ، أرقب قامتك برعب الذهول وتختنق الكلمات - لم أنت خائف .. أنا مسخ يا سيدي .. كنت تراني جالسة بثوبي الفضفاض .. فأنا أمامك حقيقة عارية .

دخان سجائري يزفر أنفاسه ، وحديتك فيه رنة نحيب مكتوم يروي
تفاصيل التفاصيل. أنتظرك كل يوم وأرسم وجهك بين غمامات الألوان
الوردية الذي صنعته آلهة الجمال السرية ، وأنسى وقع خطواتك المترددة ،
وحفيف ثوبك على جنبات الأرض . أقف مذهولاً وصعقة الدهشة تجمدني
حين عدت أبحث عنك . صوت العجوز التي تعرفني منذ أزمنتي معك ،
صوتها بتوتر لاذع – عتق تراب الحديقة ببقع دم ماريا .. انظر صوتها
المرتجف المخنوق بالدمع يرجع زحف السنين المتثاقلة من حسيس
مساحات الزمن والمكان فأقبض على الماضي ، وتعمم الروح القلقة في
بحر بيروت المغسول بالزرقة الفضفاضة ، فأشم رائحتك من رائحة الموج
المنسكب في وديان مهجورة. ماريا .. ماريا .. والزبد الأبيض يرسم
فقاعاته الحمراء أرجواناً يتفجر مع نشيج المياه المهاجرة ، ويبتسم كل فجر
حزين لبقايا نظراتنا ، لحديث الهمس الخافت لابتسامة الشفق من شفقتك
، وعروق بيروت المغتصبة ، المقتولة تجزع للوجع المذبوح الذي طاش
من قناصة .. ويهدد صوت ماريا أبخرة قهر مازالت آثارها على جدران
غرفتي يروي حكايتها على إيقاع الغربة التي عانت منها كثيراً. أنا أنتمي
يا سيدي لأسرة فرنسية الأصل ، صغيرة كنت أرشف حزني كلما رأيت
قائمة مشوقة، أو أقداماً طويلة تطأ الأرض بخطوات واثقة ، أهرع ملسوعة
، أنزوي وأزيز القهر في عروقي المنتفضة يصرخ :

– لِمَ لا تطول قامتي مثلهم ؟..

أحدق في المرأة ، وجهي يرسم وداعة بنفسجة جميلة مسحها
طيف حزن صامت . يربعني النظر إلى نصفي الثاني ، أترجع خائفة ،
يقولون أنها - مسخ - مسكينة ... ويلهث كالشرار هذا التشويه في
جسدي ، أكبر .. وغيوم الرعب تنقلب ذعراً وتشتدّ عتمتها حولي ، أحسّ
إني ذرة مهملة في فلك فضاء . صوت أمي يربعني - ستوضع في دار
خاصة بالمشوهين - يتناثر جسدي قطعاً . أتلّس وجهي - تتعجر
مواقد الغضب تحدياً . وكم قرأت بلغتي الفرنسية - جبران - وحلمت ببلاد
الشرق الأسطورية وبخورها المعتق عاطفة وكرماً .. يجب أن أرحل في
مراكب المرافئ المنفية .. وصلت بيروت أنا الهاربة التائهة في شوارعها
الأليفة . صوت رجل مسن أنقذني استوقفني . أرتعد ، أنكمش ، ويد
صاحب الفندق المتواضع تمسك بيدي ويكتشف مجاهيل حكايتي ،
يضمني بثوب رعايته وعطفه ، أجلس على رصيف الشرود وأمامي
منضدتي الصغيرة ، أبيع بضاعتي أمام الفندق الذي أسكنني في إحدى
غرفه المتواضعة ، ووجهي يغطي العالم بالقلق والغربة ، وفي ليلة شتوية
خرج ثلاثة رجال ومشادة عنيفة بينهم أمام الفندق . وصفع أحدهم بقسوة
ورمي على الأرض ، هربوا ، نهض متناقلاً تبعهم ، وبقيت محفظة نقوده
على الأرض ، التقطتها وأخفيت تحت ثوبي . مرّ زمن آخر ، وعاد
الرجل إلى الفندق . استوقفته .

- يا سيد .. انتبه إلى صوتي .. لا أريد أن أشتري شيئاً يا
ابنتي .

- يا سيد .. معذرة اسمعني .. اقترب ، قدمت له المحفظة
بهدوء .

دُهِلَ من المفاجأة ، وذكرته بالحادثة ، فتحها وقدم لي رزمة من
الأوراق النقدية . رفضت بإصرار ، حلق بوجهي يعيش اللحظة بحدوثها
الخاطف وفي عينيه نظرة غريبة سارحاً بأفكاره ..

- هل تقبلين العيش مع ابنتي لتلقينها الدروس باللغة الفرنسية
وهي وحيدتي اليتيمة .

الزمن يتمرغ على شواطئ بحر بيروت ، يعب الصفاء الجميل .
تظللني أغصان الياسمين أنا والطفلة - ديما - في شرفة منزله المطلّة
على الزرقة المسترخية بين الموج ..

- ماريا - رسمتك بألف شكل للوحات الجمال المشعة من
وجهك وعينيك وخلقت أسطورتني معك ومنك . صورك تسبح
على جدران صالة المعرض الخاص بلوحاتك ، ويتواكب
الجمهور . أعلن .. سأفتتح المعرض حين تأتي ماريا .
تتركز النظرات ، يطحنك خوف الارتباك . أشد يدك بثقة
القوة والاعتزاز ، وتنبثق كلماتي شلال إنسانية يفيض فرحاً
من شفتي ، تمس أحاسيس الجمهور المندهب للمفاجأة
وعيناك الواكفتان بالدمع تتأملاني بشكر عميق ..

خمس سنوات والروح تنتعش لمراك . والجسد ملطخ بالتعب ويتشبث
عنادك الراض .. لم أكن لك .. سوى لوحة .. تعدو سيارتي مسرعة

أنتزع اللوحة الأخيرة ، وترحف الأمواج الغاضبة لتلتهم البقايا ..
وأغادر بيروت إلى دمشق مدينة الطفولة المغسولة بنقاء بردي ،
وتتوارى ماريا ، وصوتها يغني إيقاع البحر الغاضب ..

- لقد علمتني الشجاعة في مواجهة المواقف ، وزرعتني بين
أنفاس زهر الليمون ، وخذتني لوحة لذهول فرح الحب الذي
لا يذبل على شاطئ بحر سرمدي .. عبق الروح يحترق في
طهره ، والألوان تطفأ على شفاه بجع حزين ..

انتظرتك طويلاً ودائماً يا ماريا .. وحين عدت إليك كنت قد
أغمضت عينيك ، وتركت بقعة من دمك المتجمد على التراب وفتات
الشظية الغادرة .. لتصنع لوحة أخرى لنجمة حمراء تشتعل شظايا للوهج
على بوابة الحب الخالدة .. تتطاير. أمامي فراشات الألوان ، يتفجر اللون
الأحمر على جدران حارقاً لهب ذاتي .. ثم يسترخي على خد الغروب
حين تطبع الشمس آخر قبلاتها. على تراب الرحيل .

الفهرس

الصفحة

1

من غرض الإهداء

2

1- طفلة

جح رغب

6	الحرية	-2
12	طوفان الزمن	-3
17	أرض الجمر	-4
21	وجوه راحلة	-5
21	وجه لميس (1	
26	وجه آخر (2	
31	وجوه أخرى (3	
35	لوحة للحب	-6

حالات

قصص

ليلی مقدسي

حالة ..

إن النصر الوحيد الذي يدوم ولا يترك
وراءه ما يتوجب الأسف هو - **انتصار
المرء على نفسه** - نابليون

عروق الكتابة

حزمة أوراقى حنونة كساقية تحتملنى وأنا
متكئة على ضفافها. لكن تكرر أشيائى
اليومية يفقدھا دهشتھا، ويحسسنى أنى
كصخرة مهجورة تسقيھا أصابع البحر،
يتموج المساء ككل مساء بعناقيد النجوم،
وشهب الأحلام وريشة القلم تقطع دالية
الوقت تثمر براعم وجعى، ثم تتساقط
فوق فوضى أوراقى. يحاول الخيال أن
يلملم صور الفوضى من أرجائى.
نم أيها القلق بجوار سهري، انكسارات
الغسق تنتشر مشهد الغروب، والامى
سادرة فى منفى الفصول، وزهرة كابتى
عطرھا الجريح يغمس مناديل صبرى
لتمندل مع مشاعرى ثم تكتبنى.
قال لى: - أنت تعيشين لفنك...
- وهل الفن أداء منفرد؟..
- الفن يكون وحيداً منفياً
- المبدع متفرد بفنه، ولكن ألا يتعذب
حينما يبقى وحيداً؟ وهل تستطيع أن
تحتمل تجربتى؟..

كم نتطرف فى أفكارنا لتكون متطابقة مع
رغباتنا، وأحسست أن ظلمة قلبى كأشجار

السرو تشبه اللهب الأخضر، والعالم حولي
راحل إلى انطفاءات متكورة في العدم،
الفن يسحرنا بانخطافه المشرق، ولكن
حين تتمزق الذات، وتصلب حية مجردة
من كل رغباتها، وآمالها، هل تستطيع أن
تغدق العطاء الإبداعي والإنساني؟ أتسکر
لغتي من معاناة الروح؟ الفن هو المدخل
الحقيقي لمعرفة الإنسان، لأن الأدب لا
يصف الواقع بتفاصيله، بل يحاول أن يرفع
الواقع إلى مستواه. ولا يحس بالألم
الإنساني إلا المبدع الخلاق لأنه يستطيع أن
يغوص في أعماق العمق وهذا الغوص
أخطر من الامتداد على الأفق، ويبقى
الفنان ذاك الطير الطليق في سماء الخلق
و الإبداع والمعاناة، وجناحاه العقل والروح
ومغامرته مع المجهول، وتبقى الكلمة هي
الهاجس المصيري وهي الإنسان..
متى يستطيع الآخر أن يقرأنا بنظرة هادئة،
ومشاركة موضوعية؟..
ألهاة الفن تخترق جدار منفاي، وتجعلني
أحترق في عروق الكتابة، ورمادي يتطاير
حروفا في فراغات القارئ، لأن ومضات
الفرح تنبع من الجوهر.

2 - مع الآخر

قال أحد الفلاسفة:

- تكمن قرارة الروح حيث يتلامس العالم الداخلي والخارجي - هل الإنسان يعرف نفسه؟ سُمِيَ إنساناً لأنه من النسيان وحين يعرف الإنسان الآخرين يعني أنه ذكي. أما حين يعرف نفسه فهو متنور، ومن يستطيع أن يقهر نفسه يملك القوة ومتى ملك ما يكفيه يعني أنه غني. والذي يتبع طريقاً ترافقه فيه الروح يصل إلى مبتغاه، فالعقل يستدل به من حسن الأفعال أو قبحها. والعقل يدرك القيمة الخلقية للأفعال.

ومعرفة الإنسان بدوافع غيره من الناس تحمله على التسامح ورحابة الصدر، وحين جهل الإنسان دوافعه الخاصة وهي مصدر متاعبه ومشاكله وأزماته النفسية يعني أنه لا يعرف ما يريد، ويقاسي الشقاء والضياع والفشل.

سألني احدهم: محور كتابتك عن الحب فقط؟..

ابتسمت - ألا يحتاج المبدع إلى آلهة لفنه؟
- أجل ولكن كيف يكن الحب ملهماً؟

- الحب قيمة رابعة أضيفت إلى قيم الحق والخير والجمال وللحب في كتاباتي لغات ملونة.. لغة شعرية، لغة صوفية، لغة إنسانية، لغة أخلاقية. وبالحب نكتشف بذور الخير، والعطاء. والتضحية وقد قال الشاعر الفرنسي: بيكي
- لا تحاول أن تذهب إلى الله وحدك. ربما سألك:

أين أخوتك في الإنسانية -؟..
فلا القوة، ولا المال، إنما الحب وحده هو:
" الخير المطلق للإنسانية "
وكم يحتاج الإنسان إلى كتب ليبنى نفسه،
كما يحتاجها المجتمع ليبنى حضارته
وتطوره..

فالجهل والبغض يؤدي إلى التأخر،
والانكماش على الذات وبالمحبة يتكلم
الإنسان بعقله لا بلسانه، ويتصرف بفعل لا
برد فعل، وبهذا يعمق ثقته وإيمانه بالحياة.
كنت أملك قوة الحب، لذلك وثقت
بالآخرين، رغم أن النور ينطفئ والجمال
يذبل، والشكل يخلب اللب، والوسيلة
تنقلب إلى غاية، وتبقى الفكرة الإنسانية
بعيدة عن جوهر الإنسان، وهل يستطيع
الجزء أن يرى الكل؟

كنت أحترق دائماً بالحب وأثر رماده في
العيون التي لا تعرف معنى الحب. وما
هذه الصفحات إلا نافذة أطلق منها روحي،
وأنظر إلى الحلم من أجل الإنسان الذي
أبحث عنه، وأحتفظ بالخيال لأنه سر
الشباب الخالد والسر الذي يقربني من
مملكة المدهش.

أحياناً خوفي يتعدد أو يتنوع لأنني أنتمي
إلى العالم الذي نشأت فيه منطلقة على
العالم الذي صنعه.

قد يقف العدو أمامي وأعرفه، لكن
الصديق كالماء لا أعرف أين يقف؟.. لهذا
أترك جدولاً صغيراً على شاطئ لي وحين
أكون وحيدة أخوض فيه ببطء. ولكن لم
أكوام الحشائش في البحر لا تنتهي؟..

3 _ مرآة الذات..

تمطرني الوحدة بغيوم التأمل، وأصابع
الصمت تنقر بوابة هدوئي. قد أنتفض لأقل
حركة لأن ضجيج الوهم يؤرقني، وتخرج
الذات من حرائق الذات ودخان الأيام
يطوقني ويقبض على تكبير الذكريات
والتي تنهار كالجليد.. لن أتمسك بشيء،
وأترك اللا شيء بعدم الجدوى لكل ما

غصت به في حياتي، صرت بلا خارطة
تحدد اتجاهاتي، والوطن يغفو صامتاً
يحتضنني... بقي هو الوحيد الذي يضمني
بقوة.. هل يستطيع الإنسان تجاوز
الخطأ؟..

ربما لا يستطيع حين يقف الماضي
كالصخر أمامه، هل يمكن هدمه بسهولة؟
غشاوة تضلل لرؤى الضائعة، تسرقني من
السماء الياسمية وهي تبت عطر المطر
للأرض العطشي للحنان مثلي..
ربما أحس أحياناً أنني لم أكن صالحة لأن
أكون زوجة وأماً. أمومتي لم تشبع لأنني لم
أعيش في أسرة متفهمة آمنة مستقرة.
وكما يقال - **فاقد الشيء لا يعطيه** -

ولكن أحس بموضعية مع ذاتي لأنني
أعطيت كل الأشياء التي حُرمتُ منها،
والتي رغبت في تحقيقها ولم أصل إليها
بعد.. لذا وجدت في ابنتي أختاً حرمتها
وصديقة صادقة لم أعثر عليها.. أنا لست
متأكدة من شيء ولكن لماذا يكاشفني
أحد بالذي لا أعرفه؟..
ذاكرتي براعم حنان، وقد حققت لها كل
رغبة تتمناها..

وهل المحبة لغة براءة أم فعل محبة دائم
الخصب للذي نحب؟
ربما حدثت فجوات كثيرة، وأواجه الأشياء
بقوة ولكن لا أستطيع تفسيرها الآن.
مضطرة أن لا أدخل في الأسباب
والمسببات والتفاصيل. رغم أن قوتي في
الاحتمال لكل صدمة مررت بها مذهشة.
ومع ذلك دائماً يرافقني الشعور بالغرابة
مع كل من عشت معهم وأحببتهم أكثر من
نفسي.. وكانت نفسي بعيدة عني تراقبني
بصمت مقهور..

أليست مقدمات الأشياء أفضل من
الغوص في التفاصيل لأنها فقدت أهميتها
الآن.. ولن نعرف ذواتنا إلا عندما نقيسها
بما تسببه من آلام وعذابات للآخرين، وكم
من الزمن يلزمني لأقيس عذاباتهم لي؟..
يقول ابن عربي - العيب فيك وليس

في المرأة -

تورق أصابعي على الورق، وشريان
الحرف ينتفض على جدران الليالي
المكتظة بوحدي، ترمقني صور الأحبة أو
تجاهلني فتحدثني لغة الجدران أو ربما أنا
التي أحدثها..

هل التناقض يقسم الكائن البشري إلى
قسمين؟..
لذا يقف المنطق عاجزاً حين يختل ميزان
الذات ولا تتوازن الأشياء؟ فنحمل هذا
الكائن كل الأخطاء، ولا يشعر أحدنا. إنه
يحمل أخطاء أكثر منه، وهكذا تتراكم
التشوهات النفسية المؤلمة وتستعصي
لأننا لا نحاول أن نكشفها ونتلافها
بمحاسبة الذات للذات، وبعكس تجربة
الآخر على ذاتنا فهل نحتملها أو نحس بها؟
صحيح أن وجع الجسد ينخر الإنسان
بقسوة وربما يجد له علاجاً.
ولكن من يستطيع أن يتسرب إلى مسام
الروح ويهدئ وجعها؟ أحياناً يتلذذ الآخر
بتعذيبك دون أن يمنح روحك فسحة راحة
أو يصغي إليك بهدوء. لأننا في الشرق
اعتدنا أن نهتم بصحة الجسد، وتزيين
الجسد، ونظافته. ولكن هل فكر أحد
بالنفس وما تحمله من نواقص عقد وبحث
لها عن علاج للتغلب عليها أو شفائها؟
هواجسي تغور في جحافل العتمة، وبراقع
الدمع تغطي صفحات العتمة فتتلاً
كقطرات الندى، أحس بحاجة ملحّة إلى
إنسان طبيعي، يستطيع أن يتحرر من

أصولية الفكر المطلق، إنسان فقط ذكر
أو أنثى يفهمني كما أنا.. ببساطتي
وعفويتي فالبساطة وحدها تستطيع أن
تكبح رغبات الناس وحين تكبح يعم الهدوء.
ويستقر الإنسان من تلقاء نفسه. لأن
أعظم ما يميز العظمة في شخص ما هي
الفطرة المدركة لا المنطق وفي كل وجود
إنساني حين لا يعرف الإنسان ذاته هو
بائس ويتذمر من عصره، أتذمر حين أحس
أن هذا العصر الشقي تجرد من العاطفة،
وأفكاره مشوشة ومصطنعة.
هل أستطيع أن أتخلص من هذه النفس
التي تعذبني لأغيرها؟
لا يمكن ذلك إلا إذا حصلت على خارطة
لنفسي..

وكم تتبعنا القيود والمفاهيم الخاطئة،
ولكن أيضاً مفهوم الحرية يجب أن لا
يختلط مع الفردية الفوضوية، فالالتزام
والحرية لا يتناقضان، بل يستلزم كل منهما
الآخر بالضرورة.

ربما أنا أعيش فقط لا أحيأ، لأن الحياة
فعل الحيوية وأتكئ على حجر ذاتي، وحين
أحتاج أن أتكى على صدر الآخر لأرمي
بعض ثقل همومي قد يتذمر مني، أو ربما

يخلق الأساليب للهروب من ثقلي، وتصيح
الشكوى ليست ذات أهمية لأن الآخر
يتظاهر بأنه يرأف بي، وحين تطوف أشباح
ذاتي المبعثرة حوله لا يصغي إليّ، وأصابع
الريح تطير غبار همومي حوله.. ماذا
أنتظر من الحياة؟..
نتوءات أوجاعي تسألني - أليست الرحمة
أعلى مرتبة من العدل؟..

4- نسيت لون الفرح:

تتسرب صورة الحب إلى روحي، أغرق
في صمت نشوتي المقدسة لأنني حين
أحببت استسلمت استسلاماً كلياً، وكان
لهذا الأثر انعكاس سلبي، وأثر مؤلم في
الشعور.
الصور تصحو وتغفو وأحياناً تموت في
الخيال، وأحياناً تتجسد هذه الصور الحية
في كل حياتي، وضباب الأفكار الكثيف
يلتف حول مشجب وقتي وما يزال الليل
يستدير حزيناً حولي.
أحاول سد رياح الذكريات حين تبدأ بنفث
سحب القنوط والسواد. أهرب منها ولكن
موجة القلب الرقيقة تتصدى للصخور
الصماء.

أمشي في الشوارع، أتابع انبثاق الفرح
على الوجوه..
ربما نسيت لون الفرح.. الكل يسرع
ليودع عاماً ويشعل شمعة للعام الذي
ينتظر..
وحدي في شرك المنفى، لا أحد يشعل لي
شمعتي ولا أحد يطفئها، ضجيج القهر
يخشيش أوراقى هكذا يصبح الإنسان
وحيداً في خريف العمر؟..
أتابع صدى ذاتي، أفتح بوابة أحلامي أنفذ
إلى مملكة اللا شعور الخفية لأحلم..
أليس لحلم ضرورة للإنسان؟
ربما يحافظ على حياتنا النفسية حية حتى
لا تتحرف تحت ثقل الهموم. وضغوط
الصددمات. وما زال خط الحياة يحفز عمق
بين أظفيري المتعرجة، ولكن عودت الألم
أن يقودني إلى الأفضل، ويزيدني عمقاً
وقوة..

وقد قيل - النابغة هو الذي يحترق

شوقاً إلى التعبير الذاتي -

حول حياتي صلصال الطين نقطة البداية
التي رقصت حول دوائرها الحلزونية،
فتصدع الجسد من لطحها الأسود، أما

الروح بقيت تهوم عل أجنحة رفرافة بين
تقاطع السواد والبياض، بين ملامح
الظلمة والنور.
نسغ حروفي كانت أغصان ذاتي، وأفكاري
تدحرج من شرفات غير مرئية متوغلة في
حلم الآتي..
أثوي إلى صومعتي صامته كما تثوي
الشمس للمغيب.
ويبقى الحلم القاع العميق في الروح
الهائمة.. وربما هو مصدر الإلهام وأنا
أراقب نور النهار بين أهداب الفجر
الناعس، فتصفو الصور، وتنفصل صور،
وتبتعد، وتقترب، وترصع بخيوط البرق..
أحس أن اللاشعور يتراجع أحياناً أو يتعب
حين لا يستطيع أن يعبر عن نفسه لأنه
يختلط بالماضي. والحاضر والمستقبل.
وتعودت أن أتغلب على الأشياء الكائنة
حتى أتوحد مع الأشياء التي يمكن أن
تكون.
البعض يقول أن الحلم الحقيقي يولد
كائنات مشوهة. لذلك رفض **ريلكه**
التحليل النفسي حتى لا يشفى من الشعر

**وكافكا ظل حبيساً في عالم ضيق من
كوابيسه.**

5- شروق

" لقد أسرفت في حبك حتى أفنيت الحب
وكرهني كل شيء حتى نفسي "

ذلك الإباء نسجت منه خيوط النفس، وقد
ضم لحمته وسداه في القلب أما رأسي
ضجيج تعب، والجسد الفاتر قد نفذ منه
آخر الرمق.

أصحو الآن من حلم ذاهل، توقظه صفة
الخيبة، ووخز الحزن، فأحمل ضمم
الذكرى وقد أثقل عليها حكم الأيام.

شروق.. أنت أظلم مخلوقة عرفتها في
حياتي، حتى كاد حبك يقتلني، ونفسي
تنزف جروح الكبرياء وأنا منزو في
مشكاتي الصامته، لقد رضت النفس
بسحرك ومسستني بلحظة غامضة كحلول
صوفي تغلغل في كياني..

ما بك راجح؟.. أتتورط وتلتف بثوب الأنثى
وألوانه المزركشة بقهرك؟.. ألسنت أنت
الحكيم المفكر؟..

كم عادت نفسك أن تحررها من شغب
الأنثى، وتبقى متوغلاً في البروق
الإشراقية للمعرفة والأدب؟

لقد انبعث الشعر من جنية أسطورية،
وحروفه المنتشية تترقرق على ثغرها
الظامئ، الكل ينظر إليها بنهم، وتلهف ؟ ،
وكأنه هو المعني بقصائدها الغزلية، وحدي
كنت أتأملهما كلوحة شرقية وعلى شعرها
الفاحم أصابع القصب والقلب يسري
هامساً ويتبع إيقاع الشعر النابض بالحب.
انتهت الأمسية والهوى المشبوب بيننا
يرعش كياني..

اقتربت منها، وغمغت بمخارج حروف
اسمها.. ش.. رو.. ق وتتعبير لحظاتها
بجنون الصمت، وأهة اللهفة تدق السكون
الغامر حولي، وتسافر شروق من بعد
الأمسية. ونلتقي عبر الهاتف، ورجفات
الأسلاك توصل إشارة الروح للروح،
والنبض للنبض، والكلمة للكلمة..
لقد صنعتك يا شروق.. وشطبت، وغيرت
وتعبت حتى ارتوت موهبتك وأصبحت
شاعرة معروفة.

هنيئاً لك ولكن هل ستتايرين؟
وحين يندحر الصبر، ويندلق الحزن أحس
إنك محتاجة إليّ ومحتاجة إلى محرقة
بخورك، أتكور في السيارة التي تقلني إلى
مدينتك، وكنت أحرق في وجوه الركاب

وفي كل وجه ارسم خاطرة لك، وحلماً
يطويك وطيفك الماكر يغيب وما ينفك
يعاودني، ويعصر مقلتي شوقاً..
راجح.. أنت واهن مكدود، وبدأت تتغيب
عن تميمات الفن وحرائر الشعر، ومناهل
الثقافة ولكني زرعتها هي وستكون في
أرضي شجرة مورقة. ثم ماذا صنعت كل
هذه الفنون أمام قلب محب مثل قلبي؟..
وشهرزادي جنية نورها يضيئني ويحرقني
في الليالي المعتمة، وشمس إفريقيا
السمراء تلهب دمي.
نشور الفتنة يعب ونظراتنا تتلاقى متلهفة،
أمسك يد شروق، أضغطها برفق، ألامسها
بلطف، وتمتمات همساتي تتهدل على
مساكب وجهها الناعم، وكأننا في سبق مع
الخيال والحلم والواقع..
شروق.. هل قلت لك أنك فاتنة عمري؟
شروق.. هل قلت لك أنك طهرتني من
الأدران العالقة بي من ماض كان الجسد
فيه حثالة والسبب في عذاب الإنسان.
شروق أنا أتعطر الآن بماء روحك
المقدس، وما يربطني بالحياة هو.. الشعر
وأنت..

الشمس ذات صباح تومض بالفرح، وتمزق
انتظاري اللاهف بالشوق إليك، حين أتيت
إلى مدينتي، وانهمر قرح الشعر متهدلاً
وأنت تحيين أمسية في المركز الثقافي،
والوقت يضمني بالبهجة، والاعتزاز بك
والتصفيق يعلو.. ويعلو.. وكنت أراقب
النظرات التي تسرقك مني.. مستحيل
شروق.. لي.. أنا بجوارك في المقصف
الذي دعيت إليه لتكريمك بسهرة.
رجفة التواصل تسري في أوصالي
كارتجاف الورقة على الغصن فجأة. نرفت
غيمة شاردة وتهاطل حزنها. والأمل
الوردي يشهق دماً، وأنت تتسللين من
جواري وتجلسين بين زميلين..
ويكثر الغمز والهمس، وضجيج المرح
الماجن يدق رأسي، هذه ليست شروق..
شروق أخرى أمامي.. وكما تختبئ الطيور
الجريجة عندما تتشعر بالموت، انزويت
متدثراً بصمتي المقهور، وأنت تتوارين في
درب الضياع.
ودعنتي معذرة لأن سيارتهما ستوصلك
إلى مدينتك، وأنا لا أملك سوى دهشتي...
بعد أسبوع سافرت إليك، معاتباً صمتك،
انقطاعك. قلت ببساطة.. الحب منحة، لا

يستطيع أحد قسري عليها. ثم أنا ما عدت
أبحث عن الحب.. أبحث عن الشهرة..
وستبقى صديقاً فقط..
غرغر في جوفي حسيس منغوم لألسنة
لهب يتهدر.. ويتهدر. والحديث يتشعب،
ويتطور، والوعد يموت حياً..
دفنته في تلك الليلة الباردة، والمطر
يصطك على زجاج النافذة عنيفاً غضوباً،
وسحابات الفتور والملل تتمطى على
وجهك، وتحولت إلى أنثى عنيفة، عنيدة،
وقتل كل الأشياء الجميلة.. كل السنين
المزهرة..

وصلت غرفتي الحالكة، وقهري يمتزج
بظلام السفر، والليل يطبق على صدري،
وفي رأسي قلق يزار، وصوتك يتخالج على
جدرانني.. - أنت صديق.. صديق فقط -
الحب يقسو دائماً. ورغماً عنا يخفق كزبد
بحر لا يهدأ. لقد وجدت فيك كل الأشياء
التي أحببتها... وفجأة افتقدتها. لكن متى
كان الحب يتحول إلى صداقة، وهل يقبل
التغيير والتحول والتبدل؟..

أحاول أن أنسل من شرك الأوهام
الجميلة، وشروق تحتضر في ذاتي، الوهن
يهدد قواي، الأفكار تدور وصرير السرير

يدق في رأسي وأنا أتهاوى فوقه وأغيب..
شروق.. شروق.. أنت هنا؟
أسند ظهرها إلى وسائد السرير، أقرب
منها.

ألمس جبينها، حرارتها مرتفعة، أتحدث
إليها ذاهلة تحمق في وجهي، أحاول أن
أسقيها ماء..

الكأس يغرف دمعها، تدير وجهها، تنزلق
الكأس وصوت ارتطامها يفجر المخنوق
في صوتها:

لم يجبني أحد منهم.. لم يحقق لي أي
شيء..

نفاق.. نفاق.. ووعود براءة.

ندت مني شهقة، وشروق تغيب. تختفي..
تتوارى..

خلف ستر من الظلمة الكثيفة..

فتحت عيني، ويد والدتي تضع الدواء في
فمي، وبابتسامتها الشاحبة دمدمت - أنت
بخير؟..

أنظر إليها.. أين شروقي؟..

ستائر غرفتي تداعبها أصابع الريح، وتعبث
على النافذة كما عبثت شروقي بي
ومضت..

- لم تنبئني بهذا الحب؟..

- أمي، هل ينضج الحب إلا في مناخ دافئ
ونقي؟..
هذا وهم.. وهم.. وشروق صانعة هذا
الوهم وهي الآن هائمة مع زقزقة
العصافير التي تغني لها.
- وحين تنساها العصافير؟..
- لقد جفت شجرة القلب وقد سقطها بجرح
الكرامة الذي سوف ينز طويلاً..
أسدلي الستائر، لا أحب أن أرى الشمس
تشوي إلى المغيب.

6- طير الحكمة

أتأمل الليل والنهار، كلاهما يمزق ذاته من
أجل الآخر. متى يتعلم الإنسان منهما
معنى الوفاء الأبدي؟
تغيب أفكارى بين خرافات لا حدود لها،
وتقفز الكلمات على مقعد قديم في
الحديقة، حيث كنا نجلس، ونتحاور،
نغضب، نفترق، نلتقي.. تتغير الفصول في
الحديقة ولكنها تبقى وفيه لكل فصل،
وترتدي ألوانه وتبادل شجونه وأفراحه،
وعلى هذا المقعد العتيق كحينا، كنا نلتقي
لأننا لا نملكُ ثمناً للجلوس في مكان آخر،
وهي لا تملُّ، وتغدق حولنا أغصان محبتها،

وحفيف أملنا الوردى أغنية لرياحها
المسافرة..
شخصيته الهادئة، حديثه الجذاب، ثقافته
الفكرية، خطفني كدوار بحر، وأنا
الممسوسة بلسعة الفن والأدب.
رسمنا الحياة بلون العشب، وأحلامنا تكبر
كزرقة تنمو وتشبخ على عتبات الأزل..
حرائر الشعر تطوف حولنا وطيور الحكمة
تغرد على أشجارنا، وحملتنا أحلامنا
الطموحة إلى أوربا، وعادت بنا إلى
الشرق، ونحن لا نملك قرشاً واحداً
لمغامرتنا، ولكننا بإرادة قوية وضعنا
الخطوة الأولى لمشاريعنا، ولم أكن أعرف
أن الزواج مقبرة للحلم والحب والطموح،
أو ربما كان الوعي المعرفي، والخبرة لم
تجعلني أكتشف أن العقل والقلب،
والغريزة ملكات ثلاث منفصلة إحداهن
عن الأخرى، وكل ملكة تسيطر على عالم
مختلف كل الاختلاف عن الأخرى، وقد
تداخل الملكات، قد تغيب، وتظهر،
وتختفي، لأن كل منا يحمل في داخله
مجموعة من تناقضات هذه الملكات،
ويسخر ما يرغبه وما يريد من أناه..

فما يراه اليوم جميلاً ينظر إليه بمنظار
قبيح غداً، وما يحمله من ود وتفان وعطاء،
قد ينقلب إلى كره، وغضب وجحود، وما
ينسقه من أفكار عظيمة قد تتلاشى مع
الفعل. لذلك غلبته أناه. كان يشعر
بالضياع. والشقاء، كارهاً نفسه، وفشله
في التحكم بالأشياء التي تصطرع في
أعماقه، موزع النفس، يفهم الضعف
الإنساني، ولكن لا يقترب من القوة
الإنسانية، يفكر أكثر من أن يعمل، لا
يستمتع ولا يُمتع، كنت أطالبه فقط
بالابتسامة الراضية واللطف، ربما جوعه
الروحي جعله يحس دائماً بالقلق والوهم،
ويرتاب حتى بالوجود ذاته، وقيدته رغباته
في سجن نفسه، وبدأ الحب يموت ببطء،
والنزوة تنخر جسده إلى أن استسلم
لحصار الأنثى، فأطفأ آخر نور كان يمكن
أن يضيء به تاريخنا الطويل.
لماذا نخاف النظر إلى داخل أحاسيسنا؟..
أليس نور الفهم لذواتنا يجعلنا نستطيع أن
نطوف فوق كل أخطائنا. لماذا لا نصلح
عكر أرواحنا، ونهتم فقط بأشكالنا
الخارجية ونعتني بها بأناقة ونظافة؟

أحياناً أحس أن التعبير الذاتي مستحيل مع الآخر.

حين تتمدد الشروخ النفسية، لذلك نتواصل مع الآخر بالذات العاطفية حتى نستطيع فهمه.. بينما تبقى طيور المنطق مغردة فقط حول أحلامنا. ولكن هل نستطيع أن نحرر الإنسان بالحب؟

نستطيع إذا كان الحب مفعماً بالمعرفة للآخر، وعدم تذكر السقطات الماضية، لأنه لا تنشأ مودة حقيقية دون معرفة الذات الأخرى، فالمعرفة تخلق المودة، والمودة تخلق الفهم، والفهم يخلق الحب، والحب يقهر العزلة، وأحياناً يساق المحب إلى المحكمة على جريمة حبه، لأن الحب يمرض، أو يموت، أو يحاكم بسبب الأخطاء، والخيانات، والجراح والحرية لها أصابع شريرة عنيفة أحياناً. كنت مؤمنة أن المبدع يجب ألا يقيدته شيئاً. وحرية تكمن بأن لا يؤذي نفسه، ولا يسبب الضرر لغيره. ربما نسيت أن الإنسان يظل مشروعاً لكل الاحتمالات، والإنسان موقف فإذا تخلق عنه فهو ليس إنساناً.. وربما أدركت بعد فوات الأوان أن

الحرية لها سياج ليحمي الحب، لذلك لم
أعرض على رغباته أو نزواته، فكان التوتر
بيننا يزداد، لا هدف له.. ولا موضوع حتى
أصبحت الأمور في نهايتها، ووقعت في
قائمة المعاقبين.

حزينة لأن المفكر العظيم يجب أن يمثل
قيمه بالفعل، وأفكاره تطبق على الواقع
المعاش.. وهكذا أحرقت نفسي في سبيل
أفكاري المؤمنة بها، وبقي الرماد حولي..
وما هذه الحروف إلا مرآة صغيرة ليست
في حجم ما حدث..

7- مرآة الحزن

عيناى معلقتان بأقصى نجمة مع رحيل هذا
العام، وأفكاري تصغر وتكبر، تضج وتهداً،
ثم تعسعس على الجدران، وهل تستطيع
أي دمة أن ترطب جمر التوهج على حجر
الغياب؟..

طائر الحزن يحوم حولي ويغرز جناحيه
في صدري، أتدثر بخمار الحزن الذي
استطال على قامتي، الحديقة صديقة
قديمة كل صباح تنتظرني وأنتظرها
كعاشقة - كلبى الصغير رفيق أليف..

ما زالت عيون الصباح ناعسة تفرك بقايا
التعب، والريح العابثة تغتصب عذرية
التراب ثم تبكي أو وجه الزمن يبكي معنا..
أنا الآن بعيدة عن نفسي، وأنت بعيدة
عني، ووجهك يتجلى كحلم بنفسي
حزين، أشتاقك كشوق بحار مغامر، لأنك
الشيء الوحيد الذي بقي يشدني إلى
الحياة، وغيابك ما زال يتلوى على صدر
الوطن، والساعات تطول في مداري غير
عابئة بزمني الهارب مني، والذكريات
قابعة تترصدني أو تشمت في ضياعي،
كثيراً ما كنت ترافقيني إلى الحديقة،
ونجلس في المقعد الهادئ، نتأمل
الخضرة، والزهور والبطات تسامرنا
ورققة المياه موسيقاها هادئة تروي لنا
حكاياها. حين كنا نأكل الفول، ونشرب
القهوة، ساطفاً تفاصيل كثيرة لأن الحياة
حولي مهددة بالفراغ لولا وجهك المألوف.
ورهبة غيابك تشوش المخيلة، فكيف
أسكن الوجد في قلبي؟..

وجدت عاشقين على مقعد مجاور،
وابتسامات الحب تلامس خصل الغمامة
الوردية التي تظللها، وكل منهما يغرل
للآخر عالماً منسوجاً من خيوط الأحلام،

كنت فرحة بهما، وبدأ الدمع يطفأ
ابتسامتي، فقبل ثلاثين عاماً كنت هنا
التقي معه.

ما زالت المروج تتبع صدى خطواتنا، ولعبق
الصنوبر فواح أمالنا قال - حين نكبر سوف
أعكز ونجلس هنا نستعيد ذكرياتنا، ها أنا
أجتاز السنين متراجعة إلى الورااء.. وجعي
الوحيد ينسل خيوطه المتشابكة من زحمة
السنوات، وجروح الشفق تتشظى كدمعي
الفائر في متاهات الشروود، يوقظني - نباح
كلمي - وهو يقفز فرحاً فوق العشب،
يتمرغ، يركض، يعود إليّ مبتهجاً، أحسده
لأن سعادته تكمن في داخله حيث تؤمن له
كل حاجاته، أما الإنسان كلما رأى أكثر
وكلما تعمق أكثر، يحس أن سعادته برقاً
سريعاً وينطفئ، ما زالت الحديقة تتابع
صلاة صمتها السرية، والنور يتشاءب عل
سرائر الأغصان..

أنه كالحب نبتة أسطورية في تكوين
الإنسان والطبيعة.

تشدني الذكرى إليك، وأفق اغترابنا يزداد
توغلاً في البعد، إلى متى تبقى الحياة
مهدة بفراغ من نخب؟

أتابع انبثاق الفرح على شفاه العاشقين،
وخشخشة الأوراق تتهامس بحديثها
السري مع البحيرة، ووجهك البريء
يرتسم تموجات براقه فوق صفحة المياه
كحورية تفرد جدائلها، وصوتك ينساب
كبحه نافورة المياه وتسالين ببراءة
معرفتكَ الأولى بالرجل:

- التقيته.. ذاك الساحر الجذاب.. إنه يشبه
- بودلير - والدماء الأرجوانية تحرق خديك..
أحبته.. إنه مفكر.. مثقف، حلم.. حلم مثير
- الحب الذي يولد بسرعة يموت بسرعة..
- أليس الحب انجذاب أحدهنا للآخر؟..
- الحب معرفة الآخر بالوعي، والوضوح
وفهمه من الجوهر..
- أريد أن يحبني إنسان ما.. أن أكون
محبوبة..

وإنفجر تمردك، واقتربت منك أكثر..
فأكثر.. ناقشتك طويلاً، اختلفنا وغضبنا،
وعشت مغامرتك القصيرة لتشعرين بأنك
أنثى، وأنا أبتلع أحزاني أنظر في البعيد
القريب.. وكنت أنتظر النهاية التي خمنتها،
ولكنك بررت تجربتك، وربما التبرير
صحيحاً ولكن..

قلت.. تعرفين أني كنت خلال أعوام
طويلة محاصرة بالكتب والدراسة، ولا
شيء غير الجامعة والكتب، والذي كان
شديد الحرص على تفوقي، وتحصيلي
الثقافي، وسد حولي كل المنافذ لمراحل
تكويني، وليحميني من زلات المجتمع
ونفاقه.
كل ذلك وهو يخطط لي مستقبلاً آمناً، أو
ليحقق في كل ما حرمه هو، منحني كل
شيء، وتغلغل إلى شخصيتي..
كنت أفكر بأفكاره. وأعيش وفق رغباته.
ونسى أهم الأشياء أن لي روحاً ومشاعراً
يجب أن تنمو في مناخها الطبيعي..
بكت مراهقتي على وجهي، واختنق صباي
بين جدران غرفتي مبتعدة عن المجتمع..
عن مخالطة الناس، وفهمت الحياة من
خلاله بطريق مثالية وجدية، وحين حملت
له شهادتي الجامعية بتفوق، كنت فرحة
لأنني حققت له ما يرغب، ولكن في قرارة
نفسي، كنت مهزوزة داخلياً، خجولة،
متردة، منعزلة، بحثت عن ذاتي
الحقيقية، ناديتها نفرت مني وكاننا غرباء،
حاولت أن أقربها مني، أن نتوحد لكنها
تركتني.. حيث التقيت.. غيثاً.. عقدنا حبال

الحب السريع، وحكيت له تفاصيل حياتي
ليعرفني كما أنا، وربما ينقذني من فراغي
الداخلي، أو يمحو عن وجهي صورة الكتب
ورائحة الحروف العالقة بأهدابي، كنت
بحاجة أن يعتصرني دفء رجل، لأفجر ما
بداخلي من مخزون الحب، وتدفقت هذه
الطاقة الكامنة وطغيانها أفقدني الوعي،
والمناطق، وانقلبت إلى طير محلق فوق
غابات هيامه، ونوارس البحر تغني لقلبينا..
كان فيه الكثير من والدي، صنع تاريخه
الخاص. وتحرر من الموروث الجامد،
وغرف من بحور المعرفة والفكر..
لقد أحببت الحياة كجزء منه، ولمست فيه
الإنسان الحقيقي الذي جسد كل الصور
لعالم الرجل.
قلت لك يومها:
- كما اجتاح حياتك كالنار، كالنار سوف
ينطفئ..

أجبت - عندما يولد الحب في لحظة
خاطفة لا بد أن يكون موجود في أي مكان
خفي، لأن الوقوع فيه يعني أن لدينا صور
متخيلة عنه، ثم ينزاح من الذات الخيالية
إلى شخص واقعي.

- صديقتك غررت بك وصورت لك الحب
بغير الصور الحقيقية وأدخلتك دوامة
الفوضى الحلمية.

- ألا تذكرين خوفاً كطفلة حين رافقني
أحد زملائي في الجامعة سيراً إلى البيت،
وكنت أر والدي في كل وجه وأنه
سيعاقبني، كنت أحبه.. أشابهه، أخافه..
وأرضخ بطواعية مطلقة لأسلوبه الساحر
بالإقناع، ولكن تمردت عليه حين - رفض
علاقتي بغيث - وشعرت أنني أحقق
استقلاليتي ولكن.. بدأت الشروخ تتوضح
بين الأفكار التي سحرني بها غيث، وبين
السلوك اليومي، وغرقت في البداية في
كل شيء فيه.

- لا تكررني خطأ تجربتي، لأن الإنسان مهما
تغير مع الإطلاع والثقافة، يبقى مرتبطاً
بكل شيء في حياته ولذلك يحدث
التناقض أو ازدواجية الشخصية.
- أليس الحب حالة تفترض أن نحب الآخر
كما هو؟

ضجّت صرخة احتجاجي، وأنت تسردين
لي تفاصيل، وتفاصيل ونفسك مقيدة له
وكانه جدولاً قد فسد ماؤه أو تعفن..

وحين صحوت من تخدير وهم الحب،
رجعت خائبة، ورنين أوجاعك ما زال يحفر
دمي، واعترفت بفشلك..
ومزقت الأيام دماً، وندماً، وعصية وأنت
غير مصدقة ما حدث.. وبدأت روحك
تتحرر، تتجدد، ولكن هل يندمل جرح الحب
الأول؟.. وهل كل علاقة تسمى حبا؟..
مجرد الشك في الحب أكبر دليل على
عدم الثقة، لأن خيوط الصدأ تنبت،
والدهشة تخبو، والحب الهش ينهار..
الحياة مهزلة مؤلمة في بعض الأحيان،
والعقل الرصين يضعف، ويتخاذل أمام
جرف العاطفة، وحين أتعرق في النفس
البشرية أشفق على هذا الشقاء الإنساني.
لأن النفس المعطوبة من الداخل قد تؤذي
الأحاسيس الناعمة والصادقة.
حين هجرني نرف البحر من قامته جروح
سنواتي، وطمرت آخر حفنة من تراب
الحب في حريق الفصول وفهمت معنى
اللغة المنصبة على الرجل من جاذبية
المرأة لأن المرأة كالشجرة.. وكل شجرة
تمثل عالماً منفصلاً عن الآخر، والمتعة
الموقته تزول..

بدأت الشحوبات المسائية ترمي غلالاتها
على ملامحي الحزينة وأنا أقلب أوراق
الذاكرة، وأوجاعي تنبت الحروف، وما
زلت ألمم الأشواك التي تمزق أيامي وأنا
على حواف وديان الفراغ..
مقعدينا في الحديقة ما زال ينتظر وعدك،
وعكازة الشيخوخة المنحنية بلا مساند..
وما زلت بعيداً وكأنك تسافر من ذاتي
المجرحة..
أليس في الحياة أشياء مضحكة أكثر مما
تتصور؟..

وفي مغامرة الحياة والحب تعلمت أن
أكون قوية.. ولكن متى يعرف المحب كم
تتعذب المرأة التي لا تنتظر شيئاً أو تنتظر
حبيباً..

بدأت: أنساه.. كما نسيت غيث في ذات
يوم
- إنني أرتجف لكوني نسيت ذلك الحب كله
-

8- رحيل..

البحر قيثاره الزرقاء ونبض البياض إيقاعه،
وخرير الموج يناغمنا، أيعزف ألحانه لأجلنا،

لأجل الحب، لأجل الغمام العاشق
والشمس تسدل خمارها الذهبي على
لحظاتنا حين تعمشق لباب لوصل بين
قلبين، وابتسم العمر لحظة اللقاء..
جنية عبرت كهوف القلب، فانتفضت من
سحرك، وتعالى بخورك، وضممني إليك،
أصبحت الأيام تنتشي من الخمر
والزهور، التي يصنعها حلمنا الضبابي،
وأنت تلوحين للحظات ثم يطبق الشرود
الغائب عليك، وعذارى الفجر تسألني كل
صباح عنك، جروحي الشفقية تتشظى
ودمعها يحترق في لهيب الفراغ..
كيف أتيت إلى مدينتي الساحلية، أكانت
لحظة خارجة عن إرادة الزمن، وأنا
التقيتك في الجامعة، وكل ورقة من كتبي
فيها صورتك، نبرات صوتك، وأنا وأنت
تتأرجح ما بين أغصان اللقاء والفراق،
نغيب في بياض الأمنيات. ونخرج إلى
شرفات العتمة، ونغسل النجوم الساهرة
معنا بصنعاء روحينا ونترك البجع يتموج
عاشقاً لا زورد المياه.. وأتمتم بكل
صلوات الحب لو تبقين معي.. أنت ضالتي
المنشودة..

صمت الأجوبة ينهرني.. لا تفكر في الغد..
للغد همومه..
نظرت إليك كنت كبحر غاف يناجي زرقته
الأزلية..
قلت: - تعرف أنني مرتبطة بطموحي.. لا
بد من البعثة..
سأسافر... إن رغبت انتظرنني..
الحزن يضح في كياني وكأنه يعتصر قلبي
كمنديل مبلل..
واحتدمت بيننا معركة العقل والقلب،
واقترحت الدموع جدار أعماقنا، وكان
الدموع تركت قلبي نظيفاً، رقيقاً مجرداً
من أنانيته ورغبته، ومنعه أن يكون حائلاً
أمام طموحك.
انحنت الشمس حزينة منطفئة كزهور
يابسة، والنبض يدق بوابة القهر وبهذي.
وطوفان السؤال يعلو مع طوفان الموج.
وخفق قلبي يسأل: هل سأراك ثانية؟..
لاح في جوابك صوت السنونو الذي يتأبط
أجنحة رحيله.
قلت.. ربما.. ولا بد أن أحصل على
الانفراد الذي يمكنني من النظر إلى
أعماق نفسي وتجربتي وطموحي..

قد أعود.. قد لا أعود.. لن أعدك الآن
بشيء.. بحر وضاء من الإدراك الروحي
وأموج الأفكار تنهال من كل جانب
وتصفعني، وابتسامة شاحبة ترافقنا إلى
مكتب شركة الطيران. وحين وجدت
البطاقة التي تحدد موعد سفرك، صعقت،
وتصلبت الدهشة على وجهي، وقرع
الخوف من حالة فقدان تجعل قلبي
متمرداً على هدوئي..
التقت نظراتنا، والابتسامة الحزينة تنتزع
أنفاسها من وجهينا، والكلمات تتفرغ من
المعاني كقطرات ندى على وريقة
خضراء، ورغبتنا المشتعلة لهاث ينهار..
ويتأرجح تحت ثقل نظراتنا الراجفة.
همست لك - سنلتقي بعد ساعة، ريثما
تنهين أمورك من الجامعة، لديّ عمل هام
وسأعود..
افترقنا بصمت ونظرتك المرتابة تلاحقني
وكانك قرأت أفكار المشوشة، مشيت
وهواجسي تسابق الريح.
أليس هذا العالم مكان تعذيب وعقاب
لنا؟.. كانت اللحظات غير مألوفة مطلقاً،
وهي تنفصل عن بعضها مسرعة مثلنا.

تاركة حولنا فراغاً قد يظن الإنسان نفسه
فيه هادئاً ساكناً.

وجهك المسافر يهزني من شدة الالهفة،
أسير في الطرقات.. أرتعد، أنتحب من
شدة القلق، سأعود إليك، سألحق بك إلى
آخر الأرض.. لن تسافرين.. لن..
كورنيش البحر مكاننا المألوف، بطاقة
سفرك، خبط الأمواج، كل شيء يصرخ..
بعصف.. مسافرة.. مسافرة..
أركض هارباً من الصوت كالمسوع..
متاهات لا أعرفها صوتك المحرك في
الطائرة.. بطاقة السفر.. قسوة الوداع..
لا.. لا.. لن أحتمل.. وضاع احتجاجي بين
المسافات..

زقزق عصفور قرب نافذتي، انتفضت من
سريري، والعرق يتصبب من جسدي، لا لن
ترحلي..

رحلت بلا وداع.. سامحيني.. تركتك على
حافة الانتظار وكنت أراك وعيونك تبحث
عني.. آخر ورقة تركتها لك عند صديقة
لنا..

- لم أقل وداعاً لك.. لأنك حاضرة معي
كما البحر في مدينتي.. وربما نلتقي..

غضبت طيور البحر.. ولم ترجعي.. اهتزت
أوراق الشجر وأنا أحصي فصول غيابك
الطويل.. تعرت كل غايات الحلم..
وما زالت موجة الحب تنزف آخر رمق
على وسائد الانتظار.

9- أمسية شعرية

قد يمحو الحلم القوانين العقلانية
والمنطقية، لهذا ننظر إلى الحلم أكثر مما
نظر إلى الوعي، والِنفس تتمدد بحرية
أكثر فسحة وانطلاقاً وتسلم الإنسان إلى
كون خاص من الصور، والأخيلة في المد
اللاشعوري فيصبح الإنسان لعبة بين حالة
حلمه القريبة من اللاوعي الشعوري.
أو يسترسل أحياناً مع أحلام يقظته، أو
يغرق هواجس النهار على وسائد الليل
المسترخية وما أكثرها..
بدعوة من أحد النوادي الثقافية حدد موعد
أمسية لألقي محاضرة وربما مواجهة
الجمهور تخلق هزة كيانية في الذات،
وتكثر التوترات اللاشعورية، وهذا على ما
أعتقد يحدث مع الفنان في أغلب الأحيان
وهو الذي يولد النشوة المطابقة لنشوة
التجربة الإبداعية.

بدأت أسقي الأوراق رحيق لغتي خاصة
وأن الموضوع - عن الحب - وتدرجه عبر
العصور وهذا العنوان يجذب المتلقي
ويسافر به إلى مواطن أحاسيسه
وذكرياته، وربما يبعث في داخله متعة ما..
فرح ما.. حزن ما.. لأن الحب يفتح أبواب
العالم إلى ما وراء الواقع، ويتجاوز أشكال
الوجود فهو معرفة كلية، به تتحرر
الأعراف وتتجاوز المألوف والعادات ومن
خلاله نصل إلى جوهر الإنسان وقد قال
بريتون - لا حل خارج الحب -

وتدرجت السطور بمعنى الحب، صوره،
أشعاره، قصصه. واستجوبت - الفلاسفة،
وعلماء النفس، والشعراء، والمتصوفة
وصحوت من سكر الكتابة وفاعليتها
السحرية، وحملت شطحات أوراقى إلى
قاعة المحاضرات قبل الموعد بنصف
ساعة لألتقي بالأصدقاء وأخفف بعض
التوترات النفسية..

ورغم أن نيسان يحتضن الربيع، وتنتشي
الطبيعة بسحره. إنما كان يومها المطر
الغزير يرقص نشواناً على إيقاع الرياح،
وتوقعت أن لا يكون الحضور مكثفاً، ومع
ذلك غصت القاعة بالوافدين، فجأة

تذكرت أنني نسيت الأوراق عل مكتبي
بالمنزل، اعتذرت من المسؤول الثقافي،
وغادرت القاعة مسرعة لأحضرها..
وطلبت من السائق في طريق العودة أن
يسرع رغم غزارة المطر، وزحمة السير
مساءً. ولم يبق لموعد المحاضرة سوى
عشر دقائق فقط. فجأة شعرت أن
السيارة اهتزت بقوة ونهني صوت
السائق الغاضب وهو يقذف الشتائم
واحتدمت معركة مع السيارة الخلفية التي
صدمته.. هبطت من السيارة مسرعة
وعقارب الساعة تلاحقني وأنا أتضرع إليها
أن تقف قليلاً ولكنها تمعن في عنادها
وتدور وتدور، ورأسي المتوتر يدور، كأن
سيارات المدينة انقطعت، والشوارع خلت
إلا من رقص أنوار المصابيح في العتمة..
وأخيلتي تنتشعب، والصور ترتسم على
جدران الشوارع وجموع كثيرة من
العشاق بملابس زاهية اللون
تركض، وتركض، ثم تقفز إلى زورق جميل
وسط بحيرة زاهية ساجية تتناثر الزهور
الملونة فوق الزورق ونغمات الموسيقى
تتناغم مع المياه، وأنا أركض وخواطري
تسبقني، ورقص القلق يناوش وقتي

والمطر يبللني، وأخبئ الأوراق تحت
معطفي ووجهي مسحات حزن ودمع
كفتاة مات في قلبها الحلم الجميل وما
زال الليل يستحم بالمطر، وطائر الوجد
ينخر أعصابي.. لقد تأخرت.. لن يصدق
أحد ما حدث معك.. ارجعي.. ربما
انصرفوا.. طال الانتظار..
الطريق طويل، وأنا أقفل راجعة، فجأة
تعالى صوت منبه الساعة، ويد الصبح
تربت على خدي، قفزت من السرير
مضطربة.. وساعتي تبتسم ساخرة مني..
- ما زال لموعد المحاضرة ساعات
طويلة... حتى يأتي المساء.

10- رواية

أليس الواقع الإنساني ليس فقط لتأمله،
ونتخيله، بل لنعيشه ونغيره. وهذه مهمة
الثقافة عبر العصور. فالإنسان المبدع
خزان لا نهائي من الإمكانيات، ولكن أحياناً
نجد الكثير من الأمور التي لا تفهم
بسهولة، لأن القشرة التي تغلف السلوك
قد تخفي أموراً بمنتهى الغرابة، وكلما
اكتشفنا حقيقة فيه دمرنا بها أوهامنا
الجميلة، قطعت - جود - تداعيات أفكاري

وهي تتابع حديثها معي - ما أشد غرابة
الروح وهي بقرب من تحب - جود - يبدو
أن الثقافة أصبت لديك مرضاً تبعذك عن
الحب - الثقافة أصبحت لي كشفاً لمعرفة
الآخر بدقة بعيداً عن العاطفة وهذه
المعرفة وضحت لي نوازعه الحقيقية
بالصدفة والصدفة قد تغير مصائر البشر.
ماذا حدث لك يا جود.. أنت فيلسوفة
بارعة..

كنا في أمسية أدبية، وبدأت الحوارات
وتبادل الآراء - وفجأة انقلب صوته هديرًا
غاضباً، وبدأ يتقاذف كلمات التقرير
والوعيد مع الأديب المحاضر، وتحولت
الأمسية إلى معركة كلامية حادة، وأنا شبه
مذهولة أنحن في حرمة الأدب أم ماذا؟..
وبدأت سحبات القنوط تغشي وجهي،
وخرجنا إلى الشارع، وما زال لغو الكلام
بينهما وبدأ الفكر يتدحرج على الأرضفة،
واشتبكت الأيدي، والتهبت الألسن...
ركبت أول سيارة وهذيان الأفكار ينتحب
على جدرانني، أهكذا يتعثر ويعود إلى
موروث ضعفه؟ ألم يتخلص من هذا
النقص الانفعالي رغم ثقافته ، أليس

الجنون والعقل مرتبطين ببعضهما ولا أحد
يعرف أين ينتهي هذا، لبدأ ذلك ..
في اليوم التالي جاءني معذراً، ورمى
سبب انفعاله على قوى نفسية يعجز عن
التحكم بها فاستغربت تبريره الخاطئ
وأجبت بهدوء.. قال أحد الحكماء.. البوم
يشبه الإنسان كثيراً، مخالفه فجأة تحت
ريشه، تذر الإنسان بشره المخبأ تحت
قناع تهذيبه الثقافي والاجتماعي، فهو
انعكاس لصورتنا في مرآة الحياة
الحيوانية، وفي مرآة الطبيعة، لذا نكرهه
ونحبه بأن واحد.. والبوم يملك أكثر العيون
جاذبية وعموضاً وإثارة في العالم -
نظراتي إليه يخالطها أسفي وحزني
العميقين. وهذا التوتر الانفعالي دفع
الأمر بيننا إلى نهايتها، خاصة وأن توتره
الأحمق بلا هدف ولا موضوع. والشيء
الجوهري بيننا لم يعد على توافق تام. ولا
انسجام تام..
بعد عام التقينا، وتدثرت أغصان اللقاء
برعشة نرف الماضي، وحدثني عن روايته
الجديدة، وجسدني بطلته، وبعد أن أنهيت
قراءة الرواية دهشت كيف استطاع أن
يدس تخيلاته، وما يخفيه من رغبات

جسدية مبتذلة بصور لا تمت إلى حقيقة
علاقتنا بصلة..
حين اعترضت على بعض الأحداث التي لم
أعشها معه، ولو كان فعلاً واقعياً من حقه
أن يكتبها على الورق.
أجابني ببرود مفتعل:
- هذا خيال كاتب:
شعرت بالدماء تفور في عروقي، ونفر
الدمع الغاضب:
- كيف تشهر بي باللغة البراقة؟
- يحق للكاتب ما لا يحق لغيره.
- هذه تهيوأت وهمية خاصة بك.
- ولكنها حرיתי في الكتابة..
وهل أصبحت حرية الكتابة مجرد أداة
للأذى والضرر؟..
وهكذا تتطاير شرر الحقد من سطور
روايته، وكان سلاح انتقامه ضعيفاً لأن
ذرات من تشوبهه النفسي بقيت على
الورق - جود - رغم ما حصل، لقد تحررت
من الوهم الجميل الذي كان سيعذبك حين
يتوضح في زمن ما..
- صحيح، إنما بقيت سحابة القلق تطوف
حول عالم الرجل فالأشياء الحقيقية لا

توجد في الأشياء ذاتها بل في ذات
الإنسان.
لكن هذه الأوهام لا بد أن تعاود الظهور
متجاهلة كل معرفة قدمتها التجربة،
والإنسان لا يرغب في حمل مسؤولية
فشله.
قدرة المرأة غير قدرة الرجل، فالمرأة
تتعلم في يوم ما يستطيعه الرجل في
سنين، وهي تدفع ثمن ما تتعلمه، أما
الرجل يؤجل الدفع، أو يوافق أن يدفع عنه
الآخرون.
وهكذا يا صديقي تبقى الحقيقة نائية،
وتختبئ في أعماق الهاوية.

11- حب..

شهد تحاول أن تنسى ما حدث، ولكن ذاتها
المقهورة ترتج وتحاكمها كيف يا شهد
استطاع أن يخترق عالمك، ويستحوذ على
كيانك؟
وأنت المؤمنة أن الحب يبدأ حيث تنتهي
الرغبة بالأخذ -
بقي عنيداً وأصر أن يجتاز حدود عالمها
المغلق، وفتحه بأصابع الحب السحرية،
وأنت يا شهد انجذبت إليه!

كانت نظراته تنقلني إلى عالم من
التأملات، وغموضه يدفعني إلى معرفته،
والتغلغل إلى جوهره.

كم كنت تهين من شيء ما يقف بين
أحاسيسك وعقلك فكيف اندفعت إلى
سحر إغرائه.

عملت بقول أحد المفكرين - في
**مواجهة التفوق الكبير للآخر ما من
دواء إلا الحب..**

وهكذا تكررت اللقاءات، وبدأ يرسم لها
أحلام الحب والسفر بألف لون، وكان
يروى عن همومه مع المرأة وكيف رسم
من خلالها لوحاته الضبابية لأنه خُدِعَ بها
أكثر من مرة، لذلك فقد القدرة على
الحب، فأحسبت بصدق كلماته الدافئة،
وستحاول أن تعيد الثقة بالمرأة، وتنفي
مقولته بأن المرأة لديه أصبحت حلاً
وفكرة وسراً لن يعرفه، بدأت تسترخي
شرائق الكبرياء المحصنة بها.. وهي تلقي
طموحها وثقل أيامها على صدره الواسع
ووجدت معه كل الأجوبة لكل الأسئلة التي
أثارت فضولها في عالم الرجل.

وسافرت معه إلى بلد أجنبي وهناك
سيحقق لها أحلامها الفنية. صوت أخيها
يوقظها بين الحين والآخر.
- لا تغامري إنه فقد القدرة على الحب.
والمرأة لديه لحظات آنية، ويستبدلها
بسواها، الحب لديه لوحة وممتعة.. إنه فقد
ثقته بالمرأة وهي قادرة أن تعوضه، أن
تعيد إليه ما حرم منه من عالم المرأة
النقي، أليس الحب عطاء، ستعطيه كل
شيء. صوت أخيها طنين في رأسها:
قضيتك فاشلة معه.. إنه يستغلك لأنك
أكبر سناً منه؟
- مستحيل أن يتكلم أخي بهذا المنطق،
وهل للحب من سن معينة؟
ثم ألا يحب الرجل الأصغر منه ويتزوجها،
فلماذا لا تمتلك المرأة هذا الحق؟.. أليس
الحب شباب القلب الدائم؟..
- أتمنى أن لا تفرطي بكل ثروتك معه..
نظرت إليه والشرر يطفح من عيني..
- لماذا الرجل في الشرق يبقى هو
المسؤول عن الأمان الاقتصادي فقط؟..
- المشاركة ضرورية في بناء الأسرة..
ولكن أنت تتنازلين له عن كل شيء..
الحب يلغي الحدود المادية..

ظل الابتسامة الشاحبة على وجهها
والطائرة تهبط، وصوت أخيها يعبر بوابات
اليأس ويهز غربتها..
قضيتك فاشلة.. لا تفرطي بثروتك.
تخرج من دوامة أفكارها، وهي ترى تراب
الوطن وتشتعل لحظات الفرح بسواقي
الدمع، ويضمها أخيها إلى صدره مهناً
بعودتها بعد غياب سنوات..
حاولت أن تتحدث وتلغثمت و.. نظر
إليها أخيها وكأنه اخترق أفكارها..
- المهم أنت بخير.. التجارب معرفة..
أغرقت جوابها بابتسامة حزينة ونسيت
بقية الكلام..

كتبت في صفحتها الأخيرة..
لقد بدأت ذاكرتي تمحو لوحاته الباردة
الألوان لأن أنانيته المفرطة لم تعلمه كيف
يمنح..

الحب لديه وسيلة، ولدي حياة أعيشها بكل
انفعالاتها. لقد خرجت من عالمه.. لأنني
سأبدأ بقوة أكبر ومن دماء الماضي
ستشعل الحاضر بطموحها. لأن العالم
ينبوع لا ينفذ من الحياة المتحددة أبداً.
والزمن نقطة انطلاق، فلن أضيع نقطة

الانطلاق لأن الإنسان قادر أن يصنع
تاريخه، والأفكار وحده لا تصنعه..

13- بذل

تقول الأسطورة: ايكاروس ذاك الطائر
بجناحين ملتصقين بالشمع. ولما
ذاب الشمع تحت أشعة الشمس
سقط في البحر.

قد نري بشراً جائعين، وبشراً مرضى،
وبشراً مقهورين أو مضطهدين وهكذا
سلسلة الآلام البشرية تطوق الحياة،
وتتشعب والإنسان أحياناً يقف عاجزاً لأنه
لا يستطيع أن ينقذ العالم من البؤس.
حدقت في وجه - بذل - ذاك الوجه الهادئ
الموشح بالألم وسؤالها القلق عن هذا
العالم يختلط مع أبخرة المشاي وصوت
فيروز الناعم..

- بذل - أنت مثقلة بشحنات من الألم
الإنساني والنفسي. رمقتني بأهداب
تختزل الحزن الصامت، ولجلجة صوتها
تقول:

- إني أعيش حالة صراع مع ذاتي، مع الحياة. وأبحث في كل ما أراه عن العدالة الإنسانية.

- هل أصبحت فيلسوفة يا بذل؟..

- وهل حققت شيئاً كل نظريات الفلاسفة؟

أتغير العالم، وأنعم على البشر بالعدالة، هل كفكفت دمة طفل، أو جوع فقير، وأهة مريض، وظلم الإنسان للإنسان؟..
تحنطت طيور الحزن، وارتبك الحزن في جدران غرفتي وبذل تحاول أن تمسح دمعها وتتابع حديثها..

كنت أعيش لحظة خارجة عن الوعي، لحظة وضعت فيها الحياة أمامي منحة كادت أن تغير ظروف أسرتي أو تنقذ والدتي التي كانت تصارع المرض ولا نملك ثمن عملية جراحية لقلبها المعتل، الأفكار السوداء تزاحمني، وتشل حالة العقلانية في الوعي المنطقي. ورسمت أحلى الصور وترشدني كيف أقف لبعض الوقت ريح العذاب الذي أعانيه. وأنا المسؤولة عن أسرة ولا معيل سواي. وتفاعلي مع المسؤولية جعلني أتحمل الكؤوس المرة، وصوت أمي الموجه يهز وجداني ذات ليلة

كانت فترة عملي بالمشفى ليلاً، والظلام
مخيم إلا من بعض الأنوار الخافتة في
الممرات، وكنت مسرعة لأحضر صندوق
الأدوية. توقفت فجأة وشهقة الدهشة
على شفتي وخطواتي تتعثر وتنحرف عن
خط مسيرها، وتحرك في أعماقي شعوراً
غامضاً مختلطاً برغبة جارفة، ورزمة من
الأوراق المالية مرمية على زاوية باب
غرفة المحاسبة. بدأ قلبي يقفز وأناملي
المرتعشة تقلب الأوراق مبهورة بها..
سحقا للجوع والضنى، الحياة وضعت
أمامي هبة لتنقذني من أشواك الفقر
والعوز، سأسدد ديوني، وأجري لوالدتي
العملية، وأشتري لأختي اللعبة التي تحلم
بها، ودار رأسي بالصور والمشاريع
القادمة، وتغلغل الشرف في نفسي يتمطى
كالثعبان، وبدأت أرتعد وأركض والمبلغ
أضمه إلى صدري فرحة به، ألا تموت
الخطيئة معنا؟..

هذه نقطة الانطلاق لمصيري، أحسست
بصفع الضمير على رأسي أنا لم أسرق،
ربما لو تركتها يأخذها أحد غيري.. إذن هي
من حقي، وهذه الفرصة أسوء اللصوص
لأنها سلبتني إرادتي، تطاولت الأفكار،

وتشعبت، وترنحت كالملسوعة وصوت
التردد يصرخ.. بذل.. الضمير هو السيد
المطلق وهو الذي يرحم، ويرضى، ولا
يؤذي أحداً..

خرجت طيور الحزن تخفق بأجنحتها
السوداء وأنا أجتار الممر الطويل
للمشفى، والريح اللعوب تعبت بصمتي
وتقرع رأسي، واستدار بي الوقت، وإذا أنا
أمام مدير المشفى، وصوته كسهم سري
وهو ينظر إليّ مستغرباً وأنا أقدم له
المبلغ..

صافحني شاكراً أمانتي وخرجت ممثلة
بالغبطة من دائرة الأفكار المرعبة. في
اليوم التالي استدعاني المدير، وأصابني
النحيلة تقبض على مكافأة مالية تقديراً
لأمناتي...

أحسست أنني أفيض بأشياء خارجة عن
نبض القلب، كم كان مظلماً وقاسياً ثوب
الشر الذي التف حولي. لأن الشر يعيش
مع الخير، والإنسان الحقيقي هو الذي
يميز بينهما..

ولا بد للإنسان أن يلقي الجزاء الحقيقي.
ربت على كتف صديقتي الطيبة، ومسحت
أثار الدمع عن وجهها.

- أهنتك يا بذل.. كلما تعرض الإنسان
لتجربة ازداد عمقاً في فهم الحياة،
والأجمل أنك الآن تصفين آلامك بهدوء.
وكل شيء قابل للتغيير في الحياة.

13- تجربة

يتساوى الليل والنهار، والزمن يكرر
دورته، تطول الساعات وتمدد والشمس
تطوف سخية على الجميع، وهي تلقي
نظرة شاحبة من فسحة الفضاء عل
زنزانتة، وخياله مجرح بألف ذكرى..
والصور تطن في رأسه، لقد أحرق نفسه
في سبيل مبادئه ولكن دسيسة هشة من
أحد المبغضين أوقعت به في قائمة
المعاقبين، لن يتعجب من شيء. لأن
للحقيقة وجهان ولناس أيضاً؟.. ولكن بمن
يظن؟.. سوء الظن بالآخرين يجرح، لا
سيما إذا كان من مصدر لا يتوقع منه إلا
خير والثقة ليته فهم الأسباب الحقيقية
لتي زجت به في هذا المصير، صوت مؤذن
يذكره برحمه الله. وهو بريء.. والحق
يشهد دائماً وينتصر. ثمة نداءات توقظه
وهو في لجة الاختناق مبحراً في أفكاره
إلى منزله الذي لا يبعد عن السجن إلا

بضعة أمتار يحن إلى داره الواسعة، إلى
ضوءاء أهله.. كان مستلقياً قبل أشهر
قليلة على فراشه في غرفته الباردة
وأكداس الكتب حوله، حين اهتز كتاب
سقراط بين يديه..
كان يقرأ - الحكيم هو الذي يملك قدرة
التمييز الروحي، وهو الذي يعمل غير
مدفوع بشهرة أو طمع، هو في فوزه
وفشله على السواء، هو الذي تجردت
أعماله من حب الذات، وانصب قلبه على
المعرفة والتأمل بعمق..
صوت قرقعة أقدام.. وأمه توقظه من
شروده، والرشاشات مصوبة نحوه، بوغت
وحاول الاستفسار لكن الشرطي نهره،
نظر إلى والدته، والدمع يتحجر في
مقلتيهما - لا تخف.. السجن للرجال..
صوتها ناقوس زنارته يمدّه بالصبر
والقوة...

ترى لم لم تزره والدته؟
صديقه الذي يعاوده بين فترة وأخرى،
جفف سوائل عينيه الساخنتين وأجاب: لن
تزورك.. حتى لا تضعف أحس بقسوتها،
واللحظات تشع بحقده الأبيض، ولكن لن
يستغرب موقفها، إنها الأنثى الوحيدة بين

ثمانية ذكور أخوتها حين أفرج عنه، ومدير
السجن يعتذر بلطف عن الموقف الذي
كان، أحس بانكسار خفي في داخله،
أهكذا يكون ضحية اشتباهاً غير
موثوقة؟.. ويصبح الآخر حكماً عليه؟
استقبلته أمه ووجهها يطفح بالقوة
والاعتزاز.

- أهلاً عائداً.. كنت واثقة من براءتك، ولكن
ما جدوى التمرد على الوضاعة التي تحكم
بعض النفوس؟
نظر إليها معاتباً..

أيهما أكثر حكمة العقل أم العاطفة؟..
ابتسمت وفهمت مغزى سؤاله:

- هما في صراع دائم.. والنفوس الممتازة
تئن في الأغلال والمبادئ التي تحملها هي
التجربة الحية لتي تسري في دمك -
يحملق فيها أكثر.. تثير الجرح في داخله..
هل هذه المخلوقة تعرف عاطفة الأمومة؟
وكانها قرأت أفكاره:

يا ولدي لن أسمح لأي ضعف أن يبدد
هامتك القوية، ضمته إلى صدرها بقوة
حنانها، وعيناه معلقتان بأقصى نجمة تتابع
رحيلها..

14- الرقم /30/ :

عندما قرأت رسالة من صديقه لي، هذه الرسالة الصغيرة طوت تجربة صادقة، وبأسلوبها الفني جعلت منها قيمة أدبية لدي لأنني وجدت فيها التآلف الذي أثار العاطفة، والمعاناة، وراء كل معنى، وكان حروفها شيء نابض حي فاجأني وأدهشني فالأفكار كتبت بلغة الحياة، وكان أيامها التي عاشتها هي التعبير الأروع عن ما أرادت أن تكون، وأحسست معها أنه كلما انقضى يوم تزايدت رغبتني في الخلق. أو ربما بدأت في اليوم الأخير من العمر..
كتبت...

ربما البشر في تجاذبهم واندفاعهم يخضعون لقوانين لا تقل في دقتها وصدامتتها عن تلك التي تخضع لها الكواكب في أفلاكها، ولهذه القوانين جذور قد تتغير وفق إيقاع الزمن المتحول دائماً. صديقتي.. محتاجة أن يسمعني أحد ما.. أنت التي شهدت حياتي: نار المدفأة توحى إلى أن تلك الشرارات أرواح سجينه كما سجنت روعي في الخطب، وربما شرارات الكتابة تطلقها من ذاتي، فلا

يحرر النار غير النار، ولا يحرر الروح غير
الروح، والإنسان بحاجة إلى صديق يفهمه.
ما زال المطر يستحم بالعتمة، ثم ينساب
متكسراً على نوافذ غرفتي وصت طائر
الليل يصرخ صرخاته الموجهة، ربما يغني
لي في وحدتي، تمنيت أن تكوني قريبة
مني، وأنا أترنح وسط لهب الأفكار
وصمتي المقبل يتناثر ضجيجاً في الفراغ..
طيف قديم مألوف لدي يتوارى بين
السكون، أتخطى الحاضر مهرولة إلى
الخلف البعيد، إلى موطن الحب القديم،
ويتدحرج خفوتاً في ذاكرة أوراقي، وصوته
الرخيم يحفر جدرانتي..
- أنت أنبل مخلوقة.. احتملتني واحتويتني
عندما كنت وحيداً، ولا أملك شيئاً.. أنت
كل نساء الأرض.
الريح تبلل كلماته يرذاذ الدمع الحارق،
ونغبر السنين العاتية والطويلة ونحطم كل
الصعوبات..
يضج صوته غاضباً - لم تكوني امرأة -
شخصيتك تعادل أكثر من رجل - نظرت
في وجهه غير مصدقة هذا الاتهام، وفيه
جرح لأنوثتي، وكلماته تنهال كالسوط على
أعصابي تجريحاً وتقريعاً..

هل اللغة أصبحت كائنات حية وقوتها هائلة
في التدمير النفسي والزمني؟ .. أو ربما
اللغة هي ذات الإنسان تتلون وتتبدل مثله،
كانت لغة إشراقية النبرة، والمعن والوعد
والحب، ثم انفجرت بركاناً من الانفعال،
والغضب والتهديد والرعب، هكذا ذبل
الحب يا صديقة ..

فانفرزت اللغة في الذات لترمي كل
التناقضات، وتتقلب مع تقلب القلب،
وانعطافات العاطفة، وتواترات الانفعال ..
أحبته .. هل احتملت إخفاء هذا كل هذه
السنوات الطويلة؟

أم أنت الآن تراني بعيون مستعارة؟
أم هل نسيت أنوثتي؟ وما عدت تهتم
بالجوهر. ربما لوسيلة تغلب الغاية؟ ..
تتداخل الأفكار، وأنسى التفاصيل أو
أتنساها، تغيب وتظهر، وأرقام السنين
التي عاشها معي تسبح في فلق بعيد،
وصدى الوعد موشوم كالصرح التاريخي
في ذاكرتي.

- ستكونين أبدية وجودي
- ما هي الضمانة لهذا الوعد؟
- كل أموال العالم لا تكفي .. ضمانتي
الوحيدة ضميري ..

وسقطت كل الأشياء الواهية أمام عظمة
الضمير الإنساني من إنسان مميز،
ومثقف، وصادق، ونبيل، مثله..
تعرفين لم يكن زواجنا عادياً مألوفاً،
حطمتنا كل القواعد البالية، وتمردنا على
المتعارف عليه، وأما أن الدين هو - دين
الحب - ويجب أن نرسخ علاقتنا النموذجية
بالقوة والثبات..

وطبيعتي الإنسانية حررتني من مفاهيم
المرأة التقليدية، والمالكة لحقوقها في
عقد الزواج، وعشت كصديقة معه دون أن
أتطفل على حياته كفنان، لأنني لست
وصية على رغباته، وأفكاره ونزواته،
ويجب أن تروى الذات المتعطشة حتى
يمحي كل أثر كل نقص، خاصة وأن
الممنوع مرغوب.

مطرقم السنين شفثيه شامتاً بي، وخرج
الرقم /30/ من دائرة تطويقي وقفز
الصغر أمامه ينطط ويدور حولي هازئاً -
كنت غبية.. لأنه استغل أفكارك النبيلة
والمثالية حتى أصبحت حرته أداة حادة
قطع بها حقوقك. وتاريخك معه.
سألته: ألا تستطيع الاستمرار معها وتتابع
لعبها الأنثوي دون ادعاءات واتهامات

تبريرية لسلوكك، خاصة وإني تقدمت في
العمر الآن..

- إني أعيش معها حالة ثقافية.
- وهل كل مبدع يلغي أسرته، ويترك عمله
ليتفرغ للثقافة ولصديقه المثقفة، وهل
الثقافة تدمير؟

ثم هل أصبحت جاهلة بمنظارك الحالي..
- لا أسمح لك بمقارنتي بأحد.. أنا أعظم
مثقف..

- وهي أيضاً أعظم مثقفة..
لقد استنفدتني كآثى وإنسانة، فلا تخلق
التبريرات لفعلك هذا، ووهمك الرجولي
جعلك تختارها صغيرة ظناً منك أنها ستعيد
إليك حيوية الشباب..

حملقت في وجهه كالمذهولة، وأفكاره
المتضخمة تملأ كيانه، كيف استطاعت أن
تنفخ فيه شراسة هذه الأفكار ولم يكن إلا
كتلة من النظريات والأوهام-
انهارت جميعها أمام الفعل الذي اختاره
وهو يدور ويدور حول محور ذاته..

غادرني وأصابعي تلملم شظايا الرقم
ثلاثين مذبحاً على عتبات السنين وقد أن
يتوارى في تراب الزمن. لوح لي قائلاً..

- أنت المسؤولة.. ونسيت ذاتك، وتوقع
في ذاته.
الذي يمنح كثيراً يفقد كل شيء..
يا صديقتي..

لم يدفعني الحزن وحده بل قسوة
الفقدان أيضاً وأنا أحملق ببصري بعيداً
بأن الإنسان قد يختنق فيما لو حكم عليه
أن يبقى وحيداً منفياً. قلبي كارض هامة،
ولكن فكري بدأ يتفتح والعالم يدور ويدور
وهذا ربما يؤدي إلى تغيير عميق في
الأشياء قد أبدو بأئسة..

15 - لكن الكتابة وأنت.. صدر حنون

لي..

نعبّر الجسر من المدينة والشوارع تنظر
إلينا من الأسفل، وصافرة القطار تصدح
ممطوطة، والعجلات تهدر على الأرض
بقسوة، الصبح بدأ يخلع نقاب العتمة على
أجنحة النور، والشمس تفرد خصلها
الذهبية على وجه الشفق متعطرة برائحة
الربيع، فتولد في النفس شعوراً غامضاً
هو مزيج من الفرح والحزن، أراقب
عقارب الساعة وأتمنى أن يسرع الزمن
لأصل إلى مدينة - اللاذقية. وكل أمالي

تسترخي على الحقول والدروب التي
نعبرها متوهجة لعناق البحر والأفكار تقفز
وتمرح وتتعشب منزلة من الماضي إلى
الحاضر إلى المستقبل - ومخطوط كتابي
الأول - ينظر مبتسماً لي، لقد أفرج عنه
وخرج من حصار الزمن والأدراج، وسوف
يرى الحياة بعد مخاض طويل ومربح،
سيسلم إلى دار النشر ويطبع، ولم أنس
دموع مخطوطاتي المنتظرة أن تولد هي
الأخرى وقد ودعتها وعللتها بالانتظار
القريب، بما لم تصدقني وقد طال
حصارها / 25 عاماً رغم احتجاجها
وصراخها وتمردها، بقيت في منفى دائرتها
المغلقة، وبقيت أهدهدا وأعللها بالآمال..
ربما ذاكرتي ما زالت تحتفظ بملامح مدينة
اللاذقية رغم البعد عنها خاصة وأنها من
تشعبات موطني الأصلي على الساحل -
صافيتا - لقد تشعب الزمن وشاخ وكبر وأنا
في زحمة العمل والمسؤولية لم أسافر
منذ أمد بعيد.. صديقتي تنتظرنني في
المحطة، وسترافقني إلى دار النشر،
والساعات تطول بي، والخضرة المترامية
تلون أفكاري وخصل الشمس تدس
أصابعها بين الخطوط البنية، والرمادية

والخضراء وترسم على التراب لوحات
رائعة، والراعي يترنم مع ربابته وقطيعه
السارح يتبعه.
أفقت من شرودي وصوت مرافق
القطار.. يعتذر لصخب مفاجئ في
المركبة وسوف يتم تصوير لقطات من
مسلسل تلفزيوني..
ارتسمت علامات الدهشة على الوجوه،
وحركة الممثلين وصوت المخرج
والمصور، وهاجت المركبة وماجت،
واللقطات تعاد مرة أخرى وأكثر، القطار
ما زال يلهث مخترقاً الجبال ويلتفت
كالحية الرقطاء عبر المنعطفات متجاوزاً
الجسور العالية، ويدخل الأنفاق برشاقة،
يزداد الدوي في الأنفاق وتغلق العتمة
سدرتها وكأن العالم فقد توازنه واستولى
الغموض المرعب، وتتوتر الأفكار ماذا لو
خرج القطار عن خط سيره؟.. ربما نهوي
إلى قاع الوادي السحيق طالما أننا
سنموت في النهاية لماذا هذا القلق
النفسي؟.. ولكن لم لا نموت موتاً مريحاً
وفي مكان آمن؟ وتذكرت دعاء أمي:
يا رب - لا تمتنا في الطريق ولا في
الحريق.

طالما الموت هو نهاية كل الأشياء لماذا لا
تتبع طريق الخير والمحبة ؟ .
أليست الحياة مسرحية كبيرة، وكل منا
سينهي دوره ثم تسدل الستارة؟
صحت من أفكاري، والقطار يقف متناقلاً
على جسر عال، ويزأر ضجيج المحركات،
فانتفضت مذعورة، وإذا بالمخرج
والمصور والممثلين يهبطون إلى أقصى
الوادي لالتقاط مشاهد جميلة، بين
الغابات، والسهول، والأحراش، وفوق كل
جسر نعبه يقف القطار ويتكرر مشهد
التصوير.
بدأ صوت لركاب بالاحتجاج والغضب،
والرحلة تطول..
صرخ أحدهم: أنا مضطر للعودة بعد الظهر
آخر: لدي موعد هام..
... : لدي محاضرات في الجامعة.
المخرج والمرافق يحاولان تهدئة زوبعة
الركاب، وصرخ أحدهم:
كان المفروض أن تعلمونا بهذا. أو
تخصصوا رحلة خاصة للتصوير.
شهق الزمن بوجهي، وتذكرت قلق
صديقتي المنتظرة.. ودار النشر وو..

وتنفسست الصعداء حين بدأ القطار يعبر
مدخل المدينة.
اعتذر المخرج وهو يودعني ودعاني لغداء
سمك على البحر..
نظرت صديقتي وعلى وجهها علامات
القلق وفي الطريق شرحت لي كيف
اتصلت بدار النشر، واتصلوا بمنزلي في
مدينتي..
وحين صافحت مدير الدار معذرة عن
التأخر..
- هل هناك عطل بالقطار؟
- بل كنا نمثل مسلسلًا تلفزيونياً في
القطار.
نظر في وجهي ظناً منه أنني أمازحه..
قلت له.. ما حصل حصل فعلاً، وهكذا تمر
بنا أشياء مضحكة أكثر مما نتصور..

16 - حكمة النقد

هل يضعف الحرف ويتخاذل أما رأي حر
الآخر؟

ثقة المبدع بذاته لا تززع عندما لا
يستطيع الآخر أن يتوصل إلى درجات
أعلى في نضارة الرؤيا، أو التعامل مع
النص بموضوعية ربما لأن الرأي الآخر لا

يتذوق نبض الأشياء، والتفاعل مع النص
بدقة حتى يكون صلة التواصل مع القارئ..
بالأمس تركتها سارحة مع توهجات
أحلامهما، وجهها ناعم كالفرح صوتها يبدأ
همسا، يترنم، يتقطع وهي تحدثني عن
كتابتها الأولى وخطوتها الأولى نحو
طموحها بعد أن تصدت للصخور الصماء
التي تنفث رياح القنوط حولها، وكسحابة
سوداء خيمت مدة /20/ عاما وهي تسعى
لطبع مخطوتاتها، وكم مرة انهدمت
رغباتها، ورزحت تحت أنياب القهر،
ومحطات الانتظار.
ثم تمردت وقررت أن تملك ذاتها، وتختار
بإرادة حرة ودحرت كل الصعوبات
وصممت على هدفها..
ثم تابعت.. قلبي كطفل يهرب مني إلى
أخمص أعماقي، ويقفز مضطرباً وموجات
الخوف والقلق والفرح وانحنى الدمع
مدراراً، يغسل تعب السنين وكتابي الأول
المطبوع احتضنه بالدمع والتذكار ويرتجف
بين أصابعي كورقة غصن مثمرة.. وتفتح
ربيع الحلم الأول على وجودي، والذات
تبتعد عن مشجب أحزانها وبدأت أمحو
تعب الليالي المهجورة لتي كنت أغزل

الحب فيها على مغزل القمر الفضي
وترانيم الحروف تشدو على صفحاتي،
ناجيت طاغور، وناقشت سقراط وحلمت
مع أراغون بعيون - اليزا - وأحبت جبران
ونافست مي وتوحدت مع الحلاج - وبكيت
لوردة الشبلي. وهكذا انطلاقات أفكار
تسكب على الأوراق، وطلبت من الناشر
أن يضع صورتي على غلاف الكتاب الأول
لأوحي للقارئ أن النصوص المكتوبة ترجع
إلى زمن بعيد ولم تنشر في زمنها..
و حين زرت إحدى المؤسسات الثقافية قدمني
أحد الأصدقاء إلى ناقد مشهور كان قد قرأ
كتابي دون أن يعرفني، فنظر إلي وقال:
- صورتك على الكتاب..
لم أجعله يتابع، فابتسمت بهدوء:
هل تهملك صورتي أم نصوصي التي
قرأتها؟

رفرف حزن عميق في ذاتي، وخرجت
منكسرة من دهشة ما حصل. هل الشكل
هو الذي يعني الناقد ويخلب لبه فقط؟..
لماذا لم يعدلني عن النص؟..
ماذا قرأ في وجهي إلا ذبول بنفسجات
الحروف وهي تتحدى الزمن ولا تموت..
الذهول ينسل وجعه، والأفكار تعصف بي

متى يحس الناقد أن في المبدع قوى
إنسانية تدفعه إلى الخلق والإبداع، ولكل
تجربته ومعاناته وهمومه الخاصة التي لا
يستطيع البوح بها، ومتى يتعامل مع النقد
كفن، فالتعامل مع النص خلق حالة إبداع
أخرى للقارئ وليس النقد استحساناً ولا
استهجاناً. ويبقى القارئ هو الناقد العادل.
وهل يقاس العمر بالسنين التي تحملها أم
بعظمة العطاء الإنساني وأثره في الحياة..
تذكرت الشاعر الصيني - (انون) والذي
وجد في اليوم رمزاً للحكمة والمعرفة،
وقد صك اليونان صورة اليوم على عملتهم
مقروناً بأثينا ربة الحكمة وقد قال هذا
الشاعر الحكيم:

جلس اليوم فوق سندية:
رأى كثيراً.. فتحدث قليلاً
كلما رأى أكثر.. كلما صمت أكثر
وكلما صمت أكثر.. كلما سمع أكثر
لماذا لا نكون كهذا الطائر الحكيم؟

...

أيها الموقد الذي ينطفئ وقت
البرد والباب الذي لا يقي
صاحبه نفح الرياح والحذاء
الضيقة الذي يقرص رجل
صاحبه
ألن أشرب نفس الكأس لو
أصبحنا حبيبين ؟

جلجامش

ذاكرة البحر
تقرأ
نصوص العزلة

ليلى مقدسي

ورقة العزلة

تكتب

" إن العزلة جبل عالٍ

تريني الناس صغاراً "

كلمة

هكذا مكان الحكماء . ينظرون إلى الصورة الحية
من بعيد ... فتبدو لهم واضحة دون أن يجرفهم تيارها
هؤلاء .. هم اللامنتمون الذين استطاعوا أن يقدموا شيئاً
للفكر الموضوعي ..

الدكتور . بدر الدين زيتوني .

لغة الليل

كيفما تلتفت أراك
 الكون تجلى في سناك
 للغة الليل أريج الروح
 أوقد حجر حرفي ..
 انتظار. لرؤاك

أرتمي كصنوبرة و ثماري اليابسة تتساقط فوق كوكبي ، أنظر إلى
 حروفي المتساقطة على الصفحات نظرة أم إلى أطفالها النائمين و المساء
 يغمض عينيه بينما النجمة تساهرنني ، و تفرك بقايا التعب عن شحوب
 الفجر و تنفض عنه أحلام الليل المتعبة ليستيقظ ..
 لمحني كلمح محفوف بالكلام ، اقترب مني ، مسح عن وجهي قال :
 - أنا عراف الحب . قلت أنا ابنة الحب المقهور ، لم مزقت قشور
 صمتي ؟ .. الريح تهرهر ؟ الحبيب يهجر ، الولد يسافر ، الأصدقاء في
 تبدل ، أزحت الفكرة ، و الذكرى ، و الشكوى ، كضريرة أتلمس فراغات
 الضجر ، طفولة قلبي تجفل ، و أكفي النخيلة تتزاحم في لطف عطاياها ،
 و حروفي ترتسم على جلباب الليالي أحرس الجروح و أرسم ابتسامة الوجع
 على شفتي . و طفل الروح يبكي من العري و الجوع بعد أن نهشت المادة
 كل الأشياء . و خربت صفاء الوجود نظر إلي العراف و رققة دمعي تضل

جوابي قال لي : اعزفي من دن الطبيعة و كطيها الأعتق تجدي ،
فالطبيعة تعكس الحزن و الفرح كشمعة تبيكي و تضحك معاً ، و الخير
الأعظم هو الحب، لان الحب هو المرآة التي تعكس صورة العالم و هل
يضل المحب مهما أظلمت الحياة حوله ؟.. أجبت : أنا مواجع طيور
مهاجرة، أعصر مناديل حزني ، سوف أرثي نفسي ذات يوم بغناء البجع
ففي صوته صلوات للمياه ... أخرجني من كوخ عزلتي ... و قفت معه
على تله أنظر إلى العالم ..
و أنا أبتسم

جواب السهر

-2

في صمتك المرعب
جواب لسهرني
قلق ما تبقى من الحب
يقسو على قلبي ..
ككل ليلة أنوي إلى صومعة الأفكار.
و من الماضي يتوسد مرايا أحلامي

على أي نقطة من نقاط ملفات ذاتي اكتب قبل أن تهمد شهوتي
النهمة للكتابة؟ أحياناً تخذلني الحروف و تتراجع إلى الخلف ، و أحياناً
تسبقني و تجلس فوق الصفحات ، و كي أتخلص من الماضي أعطي
لنفسي ماضياً جديداً هو الذي أخلقه على الورق ، و أستبدل بعض جمالية
طفولة الكلمة بحروف تتغنى بالشعر ، و بحبر الروح ، و حزن الأحاسيس
و بذلك أقود حياتي للنسيان ، و أتجاوزها بالكتابة رغم أن الذاكرة مغبرة
بتعب الحاضر .. هل كنت كائنة وهمية أم شخصية ابتدعها والذي في
لحظة نرجسية؟ .. أتمس كياني لأتأكد من أني حقيقة، و ما كان بداخلي
شخصية أخرى مختلفة عني سجنتها في ذاتي و بقي القلب كطفل الحب
يلهو ويمرح

و فق اختياراتهم تكونت ، وفق سلطتهم و صراعاتهم نشأت ،
وصغرني في ممرات صعبة ، وكأني آلة مطواعة تعمل وفق مشيئتهم ،
وجسراً لاستمرارية حياتهم ، هذه الصعوبات جعلت ذاتي تتفصل عن ذاتي

و ما كان لفتاة صغيرة مثلي أن ترفض رغباتهم و قراراتهم ، لذلك كنت أحس أنني خرافة وهمية ، الآن نسبة الوعي تبلورت و استقرت بعد التوتر ، لأنني اختبرت تجارياً مؤلماً ، و تخبطت في هيولي الجهل دون أن أعارض ، أو أرفض ، و هل كان يحق لي الرفض ؟ بدأت مأساتي بعد أن أخرجوني من رحم معتم ، لم استشر . سألت والدتي : لم خلقت ؟ أجابت : إنها الطبيعة لاستمرار النسل . إذن هي غير مسؤولة عن فعل الخلق ، علموها أن تكون تربة عطاء حين تسقى برحيق الرجل ، لذا لم اختر وجودي ، لم اختر أمي ، و لا هي اختارتني ، ندخل في موروثات الأشياء .. و يقرر مصيرنا .

جدي .. أنت المبادئ و أنا الضحية
أبي .. أنت الفاعل و أنا مخلوقة منك
زوجي .. أنت الأقوى و قرارك الذكوري حدد مصيري بالهجر

منفردة

3- طيوف الصدى

أصب خوف وحدتي

في أقداح السكون
لمداد دفاتري ...
محبرة قلق الشجون
تمضي الماسي ... مهجورة ... أحلامي
أغسل بدمعي طيوف الصدى
على كتف المدى ...

لو وجه لي سؤالاً بعد أن عشت ، هل كنت أرغب بالمجيء إلى الحياة ؟ لكان الجواب المنطقي . لا . لأنه يختصر . معاني الطويلة . حين دعيت معنى كينونتي ، بدأت أحس أنني مقتولة منذ زمن بعيد . لأنهم دفعوني إلى تغيرات و مواقف و اختيارات لم اكن أرغب بها .
هل صبية تنتزع من مقاعد الدراسة بعد أن حصلت على الكفاءة بتفوق و قبل أن أبلغ السن القانونية تقاعد إلى مدرسة خاصة للراهبات لتعمل معلمة لأجل راتب ضئيل ؟ .. صوت الراهبة يعاتب والذي :
- إنها صغيرة و تتأمل شرائط صفائري ، و صغر و نحل حجمي .. !
- بيتسم : جريبها لفترة و احكمي ! ..
- لن تسجل في السجلات الرسمية للمدرسة .
و أثبت مع الزمن أنني على قدر المسؤولية ، و حزت إعجاب راهبتي و أصبحت الأم الروحية لرعايتي و احتضاني و مساعدتي في

الصعاب ، و كنت أبقى معها خارج دوام المدرسة، هاربة من ضجيج المنزل .

و اغتتم الوقت لأدرس الثانوية العامة في أوقات الفراغ، و أغذي روحي بالمطالعة أيضاً هل كان ضرورياً أن أقدم أعز التضحيات لأقف إلى جانب والدي في محنته بعد أن ضاعت ثروته ، و أملاكه ، و أراضيه، في ظروف عائلية لن أدخل في تفاصيلها ، و وجد نفسه لا يملك إلا راتبه التقاعدي و أعباء الأسرة كثيرة ، و هل كنت حمامة سلام لأشهد كل ليلة صراعه مع والدتي وهما على طرفي نقيض و حالة التفاهم الودية مستحيلة ، كل منهما على حق . و كل منهما ليس على حق و لا مجال للتقييم مع .. أو هند – إنما لا بد من بذل كل محاولات الحوار اللامجدية لأعيد للمنزل بعض الهدوء النسبي...

هل كان مفروضاً أن أفقد الرؤية بالعين اليسرى اثر عملية خاطئة و من ثم يهمل علاجي لظروف مادية و يرافقني الألم الناخر طيلة عمري . لأي عامل مؤثر ، إضافة إلى إحساسي بالنقص ، هذه العوامل و غيرها جعلتني أنزوي على نفسي منطوية خجولة تؤنسي تأملاتي الروحية من جو الراهبات، و كتبي الدراسية و مطالعاتي الدائمة ، و كتابة خواطري و أحاسيسي ، و ربما أدماني على المطالعة في سن مبكرة و انعزالي مع الراهبات زاد من قوتي ، و معرفتي و علمتني راهبتي الروحية أن أحب الناس أكثر من نفسي ، و أن التسامح أسمى مراتب القوة ، و العطاء بدل الذات في محبة البشر و الإنسانية. و إطاعة الأهل و رضاهم و لو كانوا

على خطأ , فكان لهذا أهمية في اجتيازي صعوبات قاسية ، و جعلتني
مفصولة عن العالم الخارجي و كأني أعيش (في دير خاص بي) و صوت
عذابي لا يسمعه إلا جدران غرفتي . و دفاتري . و راهبتي .
و حولي نخبة من الأصدقاء أنسى كل شيء معهم من الشعراء و
الأدباء و الروايات فأنا محاطة بالكتب و أنس في وحدتي إليهم . و تعلمت
الصمت و الإصغاء أكثر من الكلام . و الخضوع و المسالمة دون
اعتراض أو مناقشة غير مجدية

4- اغتراب

"نامي أيتها البريئة الجميلة التي حم قضاؤك , و التي تقاسين ما لم
تجنه يدك " .

إحساسي بالاغتراب عن كل من حولي , إحساس نفسي و معنوي
و كياني مسلوبة من كل شيء حتى من رغباتي , من أهدافي , علي أن
أعمل فقط يتقاسمون راتبي . الدروس الخصوصية . و ما ينقص علي أن
أستدينه وادفعه على أقساط , و كم تعرضت لإهانة الدائنين و همومهم

علي بالضرب إن تأخرت ، و البعض هدد بالمحكمة .. و لا أحد يحميني
وحيدة أقاوم و أدافع عن ذاتي ، و أحاول انتقص من حق أحد و القل من
المال الذي أوفره لنفسي اقتني به كتاباً ، أو استأجره من المكتبة ، و هكذا
ابتعدت عن جوهرى الحقيقي و طموحي ، و تضحياتي الصامته تساهم في
سعادتهم ، و كنت جسراً لعبور أخوتي إلى مستقبلهم ، كنت الأم الصغرى
للمسؤولية الكبرى . و أنا الأنثى الوحيدة بين الذكور ، أحس أن سيزيف
الإنساني يدفعني على صخرة الحياة فأزحف على خطوات شائكة ترخيهم و
لا ترضيني ، فأصبحت الصلاة ملاذي الوحيد ، و الزهد ذاتي، و قررت أن
أصبح راهبة و أهرب من كل هذا الجو المرهق . كوني وحيدة منعت ، و
ماذا تستطيع فتاة مثلي منذ أكثر من نصف قرن أن تفعل ؟ المجتمع كان
مغلقاً ، و الجهل متفشياً و التقاليد والعرف هي المحاكمة، وسلطة الأهل
حكم قضائي غير قابل للاستئناف . . كم تعمق حرمانني لأنني لم أذق طعم
الحنان أو قبلة الحنان من أبوي . أعيش بإحساس فظيع إنني رجل قوي
صارم و لم يتغلغل أحد إلى جوعي للحنان و النعومة و المداعبة كأنثى
وحيدة و حالة الحرمان لازمتني طيلة عمري، كنت أبكي حين أجد طفلة في
حضن أمها أو أبيها و أصغي إلى كلمات و كلمات لم اسمعها أبداً و أغبط
كل طفلة تعيش طبيعية مع أسرتها وهم مسؤولون عنها ، لا العكس .

5- ومضة حب

يمشي المساء وحيداً معي

أنفاق الدهول

نكتب نصوص عزلتي

تغدو .. تروح

مراكب الأفكار

وجع الأرض فضفاض على جسدي

كم غسلني زمنك

بماء الحب
مازال يتهاكل زحه على تربة مكونة
بتقاهة الخلق

كنت دائماً أرسـم خارطة جديدة لأي كائن أعرفه و استأنس به,
ومن خلال ما أرسـمه أخلق نوعاً من الألفة و الود معه , و لكن اكتشف أنه
ليس هو كما كان , أو كما أردت أن أكون ... فتغمر. الكآبة تطلعتاتي , و
تهرب مني لحظات الفرح , فتكرس لديّ حالةٍ إنـي منذورة لله .. لذلك لن
أجد الرجل المدهش الذي يهزمني بعنف و يحتل كياني , و فكرة الخطيئة
المسيحية تشعبت في ذاكراتي و كانت نبراساً في حياتي و تقول : الخطيئة
بالقول .. والفكر .. والفعل لذلك كان اهتمامي في بتولية الروح و الابتعاد
عن دنس الجد , أو ربما حساسيتي المرهفة و تعمقي بالإيمان رسم حولي
خارطة بنمط معين حول الآخر فأضع له الخطوط و المعالم التي اختارها
و أرغبها فيه . حالماً .. شهماً .. رومانسياً .. كريماً .. شاعراً , بعيداً عن
عالم الجد و ربما كنت متأثرة بقصص . الحب القدري . و شغوفه بأبطال
روايته ... و لكن الواقع المرّ غير الحالة الذهنية المثالية, و عشت أجمل
حالة حب على مقاعد الدراسة الابتدائية و أنا صغيرة و استمرت حتى نهاية
المرحلة الإعدادية , و كانت قصة رومانسية واقعية عذبة و بريئة , و
اختتمت بالفراق و أنا مرغمة عليه و كانت قصة (عنوه) تجسد هذه
المرحلة و القصة ثم دخلت عالم الرجل مرة ثانية بصورة أكثر واقعية و

جدية حين تزوجت . ومن مفارقات القدر بعد /30/ عاماً يعود الحبيب
الأول . و سأكتب مجرى الأحداث المثيرة و المحزنة في نص آخر , حتى
أبقى في حالة التسلسل للنصوص هذه ...

6 - آثار التعب

أكفي مغضنة بالتعب
تكتب نصوصي
أغنية .. للريح .. للعصافير.. .. للغيوم
جرحت زرقتها بدمعي..
تألفت جدراني.. مع حروفي..وقلمي
أوقع حزني على أوراق
أوقع خرافة ما سميته هدوء صبري
و اكتب على صخر الحياة.. لغتي

.....

بدأت أتألف مع وحدتي بعد أن قرر زوجي هجري مع الأخرى..
لا أجد أحداً معي , و لا أنتظر أحداً , و لا أحد ينتظرنني , في
ليالي عزلتي أتأمل عذاب الإنسانية , و يحزنني العذاب الذي عشته , و لم
أسطع أن أكون الإنسانية التي أرتها , لان ما أرته أتى متأخراً جداً و أنا في
خريف العمر , أحاول أن أمحو آثار التعب و العذاب و الحرمان و أطرد
الصور التي تقسو على ذاكرتي, و ترتسم في فراغات أيامي , و أحاول قدر
المستطاع التجانس مع أفكاري لأخلق من جديد أفعالي المؤمنة بها أن
جعلتني الهجوم , و اختبرت الحياة , و اكتشفت أن كل سعادة , و كل
تضحية قدمتها للغير جلبت لي الألم , فهل كانت آلامي تجلب لي سعادة
الغير ؟.. أكون الألم فوق الألم , و أقفل دوائر التشويش النفسي , و كنت
مرغمة على العيش بوجهين مختلفين متناقضين , لان الأكثرية تتفاهم
بالمصلحة المشتركة . و الأنانية المفرطة , و حين انتهى بي المصير إلى
مثل هذا , تأكدت أن هناك شيئاً خفياً على حياتنا و يسيرها دون أن يكون
لإرادتنا دورنا فيها .. يراودني دائما الشعور بعدم الأمان و بوجود الآخر
أحس بالاختناق , أني في حضوره ينبغي أن أرقب ذاتي جيداً , و لا
أستطيع أن أكون أنا الطبيعية في حضوره . و علي أن أخفي التعبير عن
ذاتي , و حين أحاول التعبير قد يتجاهل أولاً يتوصل إلى ما أقوله وما
أحسه و كأنني أتحدث بلغة أخرى و بذلك أخفض من قيمتي , و إذا ما

يؤدي إلى فقدان شخصيتي الحقيقية العفوية , الطبيعية , الواضحة, و باعتقادي أن الإنسان العفوي و الواضح مع ذاته و مع الآخر هو الذي ينسجم مع الحياة لأنه يتفهم الواقع ببساطة , و يمارس المتعارف عليه برضى , و إحساسه البريء بالعيش ببساطة ينعكس على مبادئه وإيمانه , فيتمسك بروابط الأسرة , و يمارس رغباته بحرية و تلقائية من خلال هذه الرابطة الثابتة و قد يرفض الصح , لأنه يدافع بإحساس الدم عن أخيه أو قريبه و لو كان مجرماً أو شريعراً .

7 - تغريد الأحلام

تمر بي صور الأعبة
طوافة في دوائر الزمان
تغرد الأحلام على كتف الغيوم
أريق عتمة المكان
بضحكات براعم النور
يزغرد الفرح على أشجار طفولتي
أ أصبحت أشياءي المحببة وهماً؟
على أرق أرضي
أحصد وجع غصني

أضفر من أشواكه همومه

لو عد قتيل

على تراب حبي

تعودت أن أغزل الأحلام على مغزل الخيال , و ألقيتها على الواقع
لأغطي الحقائق المؤلمة حتى أستمر في العيش , كم توهمت الصديق , و
تفانيت للحبيب و أخلصت للزوج , و خضعت للأب , و منحت الأم , و
وقفت مع الأخ كنت أتوهم أهميتي بالنسبة لهم , و اكتشفت الآن أن أحداً لم
يهتم بي بالطريقة التي بذلت بها , و توهمت أنهم معي كما كنت معهم
دائماً في كل المواقف و التغيرات و الأزمات , و كانوا معي في حدود
المصلحة فقط , فهل الذي توهمته و عشته و بذلته قيمة في زمن ضاعت
منه القيم , أنا ناقد معانيها الخلاقة في هذا الزمن الضال ؟!..
هل أمزق حجب الحقائق الغاضبة , و الحقيقة بطيئة تتعثر و من
الصعوبة أن أواجه بها , و أعري الآخرين , لان الحق يأتي متأخراً جداً ..
أو يموت بالنقاوم .. و هكذا ماتت الحقيقة وغلفوني بالأضاليل.وفق
منطقهم ومبرراتهم، واللامبالاة هي أهم دافع لنكران كل الأشياء .. والوجود
في حق أهم الأشياء .

قال سارتر : - الآخرون هم الجحيم -

بحث فرويد : - من النفس إلى العالم .

الوجودية – بحثت عن الوجود إلى النفس ، وقررت أهم حقيقة

بشأن الإنسان هي – قابليته على تغيير نفسه –

ومنذ اقدم العصور وضع الفلاسفة نظريات متنوعة ، وآراء مختلفة

ولكن هل تغير الإنسان ؟ ...

نيتشه يقول : لا يتغير الإنسان إن لم تكن لديه افرادة في التغيير

أو قوة الإرادة في تغيير ممارسته ونوازه عملياً .

فالشر والخير والقلق والضياح والعبث قدر الإنسان المعاصر ..

وهل هناك اختياراً حقيقيً، أو حرية حقيقية ؟...

لا بد أن نملك الوعي المعكّر في لنرى كل ما حولنا دون قناع أو

حواجز ، لأننا في كثير من الأحيان لا تملك الوعي الدقيق والمنطقي ، إنما

نتصرف وفق انفعالاتنا وعواطفنا، لذا يتعذر علينا فهم الآخر ومعرفة

الآخر ، ويتعدى عليه فهمنا، لأن كلاً منا لا يعيش بذاته الحقيقية ، بل

يعيش بمنظار الآخرين... وفق الأنا العليا .

لذلك عشت غربتي الذاتية، لأنني نبذت كل الموروثات، وعشت

وفق ذاتي الحقيقية ..

8 - زهرة الحرف

تغرغر جروحي أم تغرد
حول مناهل الأوجاع ؟
وهج فرحي يترمد ...
في محاجر القلق ...
صرت في برارٍ ... لاتعرفني
فهل تعرفني أنت ؟
أستطيع الغامض فيك
اسكب نبيذ حروفي على كبد وحدتي
أفكاري تلاحق أفكاري

لاهثة ... تشتت قلبي

أيام الزهور تصنعها لي أحلامي الضبابية، أحياناً بين أبخرة البياض والسواد، قلبي يتلمس الفراغ يرضع الكلمة من باطن زهرة الحرف. وبهذا استطعت أن أحول وهم الزمن إلي معنى ..

نعم أيها البياض لأن بقع السواد تلتخ طرقاتي، انهض من حفر الهم لأنني لن أضل طريقي أبداً، لكل شيء حدود ولكن هذه العزيمة لا حدود لها البتة، أغمض عيوني لا تذكر وفيضان الأشياء في ذاتي يجعلني أحس أن بعض الوجوه مهما تألقت ينقش لونها المبهر، وتشحب كخريف لأنها عديمة الإحساس في متاهة جشعها وأفكارها وأنانيتها، بطاقة الدعوة إلى السفر - فرنسا - تنتظرني، صوت زوجي يستفسر : ألم ترسل لك ابنتك ثمن بطاقة السفر ؟ ... أحملق فيه بدهشة الاستغراب وهل ابنتي تملك مالاً ؟

- ظننت أنكما دبرتما الأمر معاً -
 - أما وعدتني أنت بالسفر رحمة بأعصابي المنهارة ؟
 - دبري أمور سفرك . أنا لا أملك مالاً ؟ ...
- أتسلبني معها الوفر الأخير من حقوقي، من أين لي المال، كأنك لا تحس أنك قذفتني إلى مرمى الحاجة بين أيامي الذابلة ...

أغلقت الباب مع زوجتك للمشاورة، وتقرر كل شيء بينكما، وهي التي نهبت كل شيء وفرقت جراب دمعي متألمة بابتسامتها. الشامتة أم الساخرة :

- لا بد من رهن إسوارتك الذهبية حتى تدبر المبلغ لك .

مهرجان صخب عصف بي في انبهار الموقف وألم عاصف كريح الجنون. تمثيلية أخرى من مقولها، موعد الطائرة بعد غدٍ، لا بد من السفر لأجل ابنتي وإلحاحها الشديد ، كان القرار حازماً لا يتطلب قوة التفكير ، رميت ما أملك من أساور في أيدي زوجي بنظرة استهجان مؤلمة، وشعرت أن كل أنماط القسوة تجترح كياني، وطنين الأنانية يقتل وقار العطاء الإنساني، والالتزام الزوجي بزوجة عتيقة مرمية في الهجر، وهكذا أصبحت عمياء وقد استلبت مني شمس حياتي؟ ألا تحس معه أن كل شيء في هذا العالم زائل؟ .. ألا تشكو من لسعة الضمير.؟ استكثرت هذه الأساور لوقت الضيق محتفظة بها، مذعورة كنت ولكن لست خائفة لأنني أحس .. وأرى .. وأقاوم بعنفوان .. رغم أن حياتي وعالمي مظلماً .. ليس لدي إلا طنين الأفكار. وأنا هنا بعد وصولي إلى فرنسا في هذه العزلة وشذا ما مر يتداعى في أوراقي الفتية، ويومئ إلي القلم أن نضحك معاً، فلن تنبها في ذراعي الأبدية، لقد وجهتما. في أكثر من ضربة مؤلمة وقاسية، وما زال صوت قوتي يخرج خفق الريح، وسوف تقر بهزيمتك يوماً على سواعد الحياة، إن الأشياء ألان لا تتحرك ولكنها تغب كل شيء .. ودوماً لدي الدمعة الخفية التي ترطب كل الأشياء ...

صوت ابنتي يوقظني .. انسي كل شيء عن هناك ..
وهل نسيان القهر أمر سهل ؟ ... من الصعب أن تحمل لي
الهدوء لأنني افتقدت الأمان بكل أشكاله، ورغم أنني خلفت كل شيء ورائي،
أمضي من أرض الحب الضائع، من فظاعة انهيار أسرة بسبب نزوة
طائشة ذكورية وخبث أنثوي سوف يرقد قلبي يا ابنتي في كآبة الشاطئ
الآخر من عمري، والكلمات توافيني ولكن أغنية الفرح لن أغنيها أبداً تبقى
خلف دموعي .. من يعلم في أي ساعة من الميل أنا الآن ؟ ... الأوراق
تذبل، موجات نهر - الكارون - تجثو مع آلامي .. أسرع يا قلبي ..
بدد نفسك في نفسك قبل أن يسقط الفجر من أفواف زهوره للنهار ..

خبز الطفولة

-9

هادئة طفولة قلبي
ينتشي زمردها الأخضر.
من خمرة الأزهار
قمر المساء ، كأقحوان غافٍ
يرتشف معي
همسة الأمنيات
من عناقيد اللبلاب ..
والعرائش دمعها ينساب

" ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان .. بل بالحب .. "

الحب سبق معرفتي ، والوعي المنطقي تعب كثيراً وأنا أفرزه عن القلب وقبل أن تزهر أشجار اللوز ، وتظللني براعم التين في كروم الطفولة قطعوا جذور شجرتي، ووصفوا قلبها البريء في حقل آخر بعيد حزنت حتى حريف عمري، وما زالت شجرة الطفولة تسقينني فأحيا لا شيء أكثر نعومة، وأكثر ضعفاً من الماء ، من أجل الهجوم على ما هو قاسٍ، وقوي لا شيء شبيه بالماء ، أليس القوي الناعم بإسلوبه المبطن يغلب الضعيف ؟ .. واللين يغلب الشديد، وتبدو الحقيقة مثل ضدها .. ولا شيء أجمل من الطفولة، ومن يريد معرفة الإنسان ليذهب إلى موطن طفولته، كما يعرف الشاعر من موطن شعره ..

تعاودني سنوات طفولتي الساحرة، بعض الصور تتراعى على بساط ذاكرتي متفرقة مضطربة، مشوشة. الليل يقاوم مثلي ويزيح البعض منها مشفقاً على عذابي كنت سنبله قمح أنضج في بيدر ريفي بين ثنيات الوداعة والهدوء، حين نضجت حبات قمحي أنقلتني الحياة فانحنيت على الأرض وكان بدء الحصاد، لأن لكل شيء أذانه، فثمة أذان للصمت، وآخر للكلام، وآخر للقهر، ويبدو أن الشيخوخة يلائمها التأمل والاعترافات، ولا جدوى في الفرار ارج الواقع المعاش ، وربما نعمة الكتابة يتيح لي التعرف على نفسي أكثر، وعلى هذا العالم المتخم بالعنف، والفوضى ، والأمل ، والعبث والضياع ، والأنانية والجشع فالواقع الإنساني

ليس ما نحسه ونتأمله بل ما نعيشه ونغيره، ولا بد من الإيقاع الغريب لنحس بنبضات الأشياء حتى نشعر أننا نعيش، فالعالم يدور حول الإنسان والزمن لا يتوقف، وهذا يؤدي إلى تغيير عميق في الأشياء، وفي الإنسان أيضاً.

الصور الذهبية تترامح ذاكرتي وأنا أمر على مملكة طفولتي قبل أن يغادرني القرح في ريف جميل كان الجد متربعاً على عريشه ، هو سيد العشيرة، وشيخ للقرية وعرابها عزيز النفس، كريم ، شجاع، طيب ، متآلف مع عالم الجان والسحر ، مفتوناً بالشعر. والزلزل والمساجلات في مضافته الواسعة مختالاً بصولجان العز والشموخ، بإشارة من يده يغير مصير قريته ورعيته وجدتي سيدة قوية الشخصية تتجلى باستقالته ومكانة مرموقة في قرتها وهي مستشارته وساعده الأيمن مما أثار ضغينة أهله ضدها وحقدهم عليها ودبروا لها أكثر من مكيدة وفشلوا ، وأرسلوا من يقتل ابنها الوحيد وأنقذ بأعجوبة، سنوات طفولتي الأولى تأسيسه لمعالم شخصيتي كانت معها أنا المعبودة الوحيدة، وطفلة العائلة البكر، ولا أتصور طفلة عاشت مثلي في مراجيح الدلال والعز وكأن تلك السنوات من سحر ليالي ألف ليلة وليلة ..

كنت حديقة صغيرة للأشجار ، والكروم ، والجبال، والحيوانات، وحديقة المنزل الكبير مثنوى الهوى مع الأزهار المنوعة ونافورة المياه وحاكورة الدار الجميلة .

الجسر المعتم يتقرى غدر الزمن، وأوراقى تشكو غضب الذات
وهي تنتبش تراب الماضي أتفعل ، أبكي ، أرى ، ألعن ، لأنني انفصلت
عن هذه الجنة مرغمة، وعدت بقرار من الأهل إلى المدينة، وأحسست بعدم
انتمائي لهم، وهذه الحالة كان لها انعكاسها المستمر. في شخصيتي خاصة
وأنتهم لم يشبعوني تعويضاً عنهم بالجنان والرعاية بل بالعمل والمسؤولية
الأكبر من قامتي، لذلك كنت أحس بغربة عنهم، وحنين جارح إلى جدي
وجدتي، فاختلت موازين الأشياء، وتكوم في النفس حزنٌ خفيٌّ صامتٌ دون
أن يسمع احتجاجي، وكأن خروجي من القرية سبب كارثة، حصلت زوبعة
هزت أركان العائلة من جذورها ودمرت كل شيء، حين انصاع جدي
لأخوته الحاقدين وباعهم أملاكه وأراضيه وهجر القرية. كيف حدث هذا ؟
... اشتباك الأحداث لغز محير والحقيقة ضريرة، والغموض يكتنف
التفاصيل، فانتقلت بهجرته اللعنة على أسرته، فنتشردت وتبعثرت، وحلت
اللعنة على أولاده، ثم أحفاده وخروا كل مكانه مرموقة. وكل حصانة مادية.
وكنت الملعونة بفعل غيري وكبلت بمسؤولية وصعاب أكثر من طاقتي
وكأني المسؤولة عن أخطاء هذا التاريخ المفني وأنا إحدى ضحاياه، وما
حملنا الأهل من الأخطاء والنزوات التي عاشوها .
أحس أن الغرفة خانقة تغتصب وحدتي، وصور الماضي تتفجر
على جدرانها الموحشة والأحداث الصعبة لها هيمنة لأنها تسجننا في وديان
مرعبة، كيف انهار هذا الجد، رجل الإجلال والقوة والجبروت ؟ كيف
انصاع في هجرته إلى امرأة ملكت كل شيء وحرمت عليه العودة ونرفضت

بناته أن يعيش معه.. غاص في مدينة الهجرة البعيدة، ونفى الجميع في
ظلمة الحياة، وقتل كل معاني الإلفة بهدم هذا الهرم الكبير، فتفرقت السرة
وتمرمرات ضمن انفلاتات تتطاير شظاياها. وضحاياها، بعد أن اقتلعت من
جذورها وأصالتها، وهوى كل ترتيب العائلات المتكررة من ذريته، وبدأ نخر
العذاب فيها كعود أصفر في ديدان تابوت الحياة، واللعنة الظالمة حلت
على كل الأبرياء .

الوقائع كثيرة ولا بد أن إجتاز تفاصيلها لأنني لا أريد أن أظلم أحداً
وليس لدي كل الإثباتات الصحيحة، إنما هذا الجبل من التاريخ العريق قد
انهار بفعل بركاني دمر كل شيء وتبعثرت كل الثروات الضخمة ...
ربما الله منحني أعصاباً فولاذية وأنا امتص شرابين الألم وأحولها
إلى إبداع كتابي مهما كان حكم التقييم لمستواه أو نوعه.. وقد ورثت قوة
الفتاة الريفية التي تتصدى لعنف العواصف ، وتقهرها على مر الزمن بقسوة
وهي تخطو على ثلج العمر ، نور خجل بدأ يتسرب من مشقوق نافذة
الغرفة، وإحساس بالضيق يعتريني والظلمة تتعمق حولي ، والإرهاق
ينهكني وكأني عائدة من مكان غاية في البعد. والدموع تتحجر وهي
تمتص الحروف وتجمعها كنبض حجري مشتعل وأنا أرى نفسي أرمى من
هودج الدلال إلى حافة المعاناة مرة واحدة دون توقف ..

أحاول أن أغلق ثقب الأفكار ، فالأجوبة الحقيقية تهرب من دائرة
الأسئلة الغامضة ومن الصعب ترتيب الأشياء بدقة ولا بد من إغلاق الدائرة

المستعصية الحل وأخرج من دهاليزها المغلقة، وبذلك أستطيع محاكمة حياتي وتفصيلها بالتعقل والهدوء .. وأنا ادخل نقطة المنطق والحكمة ..

10- العود الأبدي

أهيم على وجه السراب
أذري خواطري نتف الحرف
مرمر الخيال
تذبل جروح الذكرى
على إيقاع صلاة الوقت
أشعل الجمل ...
أوقد المنديل النحيف
موقداً للروح
يعبق المكان برائحة الحب
فأعطي للحياة المتعبة
أنفاس الكلمة...

أتيت من عروق الخرافة , نرف الصخر جعلني لقمة سائغة على
مواقف مصيري تكرر التاريخ , و أنا أكبر وأترعرع على عود أبدي , و كي
نعيش علينا أن نصدق الخرافة - العود الأبدي - فكرة يكتنفها الغموض و

بها أربك نيتشه الكثيرين من الفلاسفة , أن تتصور كل شيء سيتكرر.
ذات يوم كما عشناه في السابق و أن هذا التكرار بالذات سيتكرر بلا نهاية
,ماذا تعني هذه الخرافة المجنونة , تؤكد خرافة العود الأبدي أن الحياة
تختفي نهائياً و هي أشبه بظل , فالحياة التي ماتت في تاريخ -
جدي- دون أن يوازن النتائج وكل حركة تحمل ثقل مسؤولية لا تطاق , هذا
العود حمل ثقلاً متشابهاً. و ظهر على قماشة تاريخي صورة للاكمال
الحيوي في كل شيء , أراه في زوجي مع المرأة التي هربت به .. و لم يكن
يعرف ماذا عليه أن يفعل و هو يمضي في اتجاهها الأعوج . في ضوء
أفكاري الأولى رأيت جدي و أراه بوضوح مع مصيري في المرة الثانية . و
مصير. عذاب أمي .. وأخوتها .. هذا العود الأبدي هو الأكثر غموضاً
والتباساً بين كل المتناقضات

و في هذا العالم كل شيء مغتفر سلفاً للرجل وكل شيء تُدان به
المرأة لذا كان الحمل ثقيلاً .. و صرت واقعية أكثر عند غيابهما من حياتي
. و صرت أكثر خفة في التعبير , و أنا أحدد قطبي التناقض التاريخي في
حياتي كان لنحيبي الأول طعم الرفض و أنا حافية على الأرض الواقع
,أتعزز على شوك الجفاء , كضرب يتحدى الظلام , كينونة الضجيج
تعديبي و الوعي كان أصغر من عمري , وادراكي كان غائباً ..
في هذا المعترك الضبابي لحقت ايقار ذاك الطائر الأسطوري
الذي طار بأجنحة الشمع , و طرت أنا بأجنحة المحبة .. اقترب من الشمس

وسقط في البحر , اقتربت من الأرض البذل والعمار والحب المتفاني
سقطت في غموض العود التاريخي ..
والآن أجمع اشتاتي المبعثرة و أنفض تراب السنين عن كياني
لأستمر. في الحياة...

11- صفحة امرأة

أرشف خمرة الحزن ..
من رعرش أمسياتي
وجهك فصول منقلبة
على أرصفة تشردي
يحرق أصابعي ..
دم الاغتراب
تجفل رموش العتمة
لاني أحاول أن أنسى
أنك تغادرنى
رغم أننا حين نحب
تزداد الحياة متعة
ونزداد .. قوة

((القلب المحب أكثر إحساساً بالعذاب))

لماذا خلقت أنثى؟ ..

هو هي لعنة أخرى خارجة من التاريخ ، أو هي نقطة بداية تاريخي

..؟

الأنتى كائن ضعيف ، ومحاط بالقيود و العرف والقوانين ضمن مفاهيم الرجل وهل تبدأ حرية المرأة إلا إذا تحرر الرجل ذاته من أصولية المجتمع و من أصولية أفكاره ؟.. أليست هذه حواجز ظالمة لا تتصف المرأة؟.. رغم أنها بدأت تنتزع برقع الجهل ،وتتنفس خارج بوتقة التخلف ، وتحاول أن تثبت أنها إنسانة لها أفكارها. و شخصيتها ، وحريتها ، وطموحها ، وليست فقط سريراً للجسد و لغواية الرجل ، ولكنها مازالت مشتتة بين الممكن والمستحيل بين أل يجب و اللا يجب ، قائمة من المحظورات و الممنوعات . و تابعة و متبوعة لأحكام الرجل وقراراته و رغباته ، وكم من المآسي الأنتوية لا تشيخ ولو طمرت في ذاكرة الإنسانية و كل فرد له عتبة بين شعوره و لا شعوره يكفي أن يعبرها كي يرى واقعاً أخراً أكثر غنى واتساعاً (مشاعر - أهواء - رغبات لا تحصى) ينوء تحتها الشعور الذي تحده فاعلية الرجل و تحاصره في المرأة فتكون لذاتها صوراً داخلية ومداً في ذاكرتها و أحاسيسها التي تحاول أن تخفيها مرغمة لتستمر. في العيش بأمان و داخلها مقهور لان المعرفة الحقيقية معرفة الذات من الداخل ، وإلغاء المسافة بينه وبين المعارف . و المستغرب أن مضامين اللغة العربية من الكلمات البغيضة مؤنثة مثل ضريبة ، مصيبة ، خيانة ، فتنة ، علة . الخ ومضامين الشيء العظيم مذكرة مثل وجود ،عالم ، بحر ، وطن ، كتاب ، اله الخ حين دعا موسى سلامة إلى إلغاء نون

النسوة رد عليه أحدهم : إنها حكمة إلهية في عدم مساواة المرأة و الرجل و الأرض وما تحمله من شرور وتناقضات , وصراعات أليست هي أنثى !؟

12- منفى الذات

أصحيح .. أن حبك
الذي رحل بعيداً .. غريباً
يبحث عني ؟ ..
أصحيح أن قلبي كعصفور ضال
وجد مأمنه في عينيك ؟
أصحيح و أنا في عزلتي الناعمة
قلبك يهمس في ؟ ..
اعذرني لا أستطيع النظر إلى وجهك
لأنه مدلهم بالآلام ..

أتقلب على محطات القلق , أحياناً أحس لا معنى لوجودي , لاني
فقدت المعاني في واقع حياتي , وفقدت أمن الأشياء , أقاوم هذا الإحساس
لأن الإنسان هو الذي يعطي للوجود المعنى , وقد يختنق الإنسان فيما لو
كان وحيداً منغياً في هذا العالم , والطيوف الأليفة المحببة إلي مازالت ترش
ذرات الحنان عبر فصول النفس الجافة وتتعشني قليلاً , ولن أحول الحياة
إلى زنزانة صغيرة جدرانها القهر والحرمان , لقد بدلت الحياة الأدوار ,

وليس هناك إنسان مدمر وإنسان بناء , كل مخلوق يساهم في قسط من المسؤولية بين حلقتي الشر والخير وحين يكون الآخر سبباً في دمار الرغبة و العاطفة , ألا يكون قتل الأحاسيس أقوى من القتل والتعذيب الجسدي ...؟

لماذا عجنوا بالرحم النرجسي ترنج اللذة العشواء فتوالد أطفال بلون القهر ولون العبث , ولون الضياع , ولون الفقر ؟.. ولم يبق لهم هوية انتماء إلا موروث الأهل في خضم الخلق الإنساني , فأصبحوا وجوهاً بلا معنى, و كائنات غير إنسانية , و العرق يرشف تعبيهم الأرضي . وكم من البشر تتكفى على قسوة الحجر وتصمت , ألا يعذبنا عذاب أنفسنا من تعذيب الآخر أمانا , والعنف بعض طائعاً و الأناية تتصور جوعاً في أنفسنا , و الكذب يخفي أخطاءنا , و يبقى الخوف وحده يشل مواقفنا , ويبعدنا عن الصدق و الوضوح في مواقفنا مع الآخر .. ذاتي المشوشة تصرخ بي .. قضي !. أهرها بغضب , و أتأمل الألوان البراقة التي يرتديها البشر في سبيل الحصول على أشياء و أشياء , ثم يزول اللون المغبش وينسون ما ملكوا , ويتلوى لون النكران والجحود في طيات ألوانهم, وكيف ينسون أكوام القبور التي تعج وتتئاب على جسد الأرض , ويبقى الشر ينخر بقسوته أرففة الإنسانية , ويحشد الحصى في طرقاتهم, ألا توقظنا طبول المنفيين والمعذبين والمشردين ؟.. هل نستطيع أن نركل بأقدمنا التبعي؟ حشود القهر ..؟

أغلق خوابي الفكر على مياهه العذبة , حتى لا تستقي من دمعي ,
أو يعكرها غضبي , و أزيح الغبار عن النفس المرهقة حتى أستطيع أن أقرأ
اسمي على مرمر الصفاء و هو ينقط ماء الحب لكل الذين أحاول نسيانهم
بعد أن تركوا لي صور الوجع مرسومة على صفحات تاريخي ...
أليس الجوهر يتلاشى لأجل الشكل النمطي الاجتماعي , ولأجل
الأنا النهاشة ..

يرعدني هذا السؤال في ليالي الطويلة , فأنتفض مذعورة و أحاول
أن أثبت لوني في جزر النهار الأكثر جمالاً , رغم أنك تركت الكون يشيخ
من حولي حتى نسيتي الفرح , وحين تنتهي فصولك الذكورية أكون قد بدأت
أكرهك , وحين تنفي أفكارك من حشد الثقافة المشوشة بالمغالطات تستطيع
أن تدخل غابات الفكر العذراء , وتتأمل بعيون أكثر صفاء إلى الغيوم التي
تتحدث بإنسانية لغة المطر , وحتى ارتويت من كروم العسل تستطيع أن
تخرج من مساحة التيه و التناقض و التشتت و تتخلص من نوازعك
المغلوبة , وقسوتك التي تجرح ضوء نهاري , رغم أنك تملك حكمة الهدوء
و المنطق الثابت في جوهرك و فكرك الثاقب الدقيق و ؟؟؟؟ تراجع
الأخطاء التي كومتها حولي و لا تحاول عدّها الآن لأن عدّ الخطأ هو
الخطأ نفسه وبذلك يستطيع فكرك الذي يؤسس للوعي الإنساني أن يخرجني
من ضياعي , ويخلع عني ثوب القلق لماذا خلقت هذا التمرد في أعماقي ؟
وكنت تريد مني دائماً الطاعة .

مُدِينة لك بإحساس جميل , لن أشعر به نحوك قط لأنك بما فعلته
بي قد دمرت شيئاً كان أعلى لدي مهما يبدو لك خاطئاً , لقد دمرت حياتي
الحقيقية و امتتاني لك لن يعادل أبداً كرهني لما فعلته بي, لاني بدأت أدمر
الأوهام التي كنت أحبها فيك , والتي أعطتني قوة الحقيقية لاني أحبها , و
علمتني ما يكفي لتفسد حياتي إنك لم تعطني الحقيقة التي كنت أبحث عنها
, ولكنني وجدتها في فعلك النهائي , لابد من ابتسامتي السافرة من كل شيء
, لأنك غودت أفقاً غامضاً يبعث في أعماقي قهقهات مكتوبة ...

13- جبين الوجد

عذب ماشئت في الهوى
ولا تسأل من منا الملام ؟
بالحب وحده...
أتهجى لغات الأرض
جبيني الوجع
جدائل أحزان
كيف أصبح الفرح
أجنحة كآبتي؟...

كان لا بد أبداً خلع خاتم الخرافة و محفور عليه رموز زواجنا , لانه
قسى على إصبعي , وبكى بدمعي و هو يلتمع بيدها متعمدة تحريك
أصابعها. لأراه , كأنها تشعرنني بأني عُزلت عنك و تربعت مكاني ..
أهل ركل ما يلمع ذهب ؟.. أخبئ وجعي كطير جريح بين شقوق
جدران منزلي كي لا أصرخ , اقتتيت (بخاخاً) لونه ذهبي و كأني فقدت
حالة الوعي , و الدهان الذهبي يسيل على الجدران .. و الأبواب و
الأشياء .. ثورة ذهب لونها يصرخ بوجهي أنت انتهيت و زال لون خاتمك
الذهبي أو فقد بريق معناه , لا بد أن أقتل هذا اللون و أدبجه أمامي وكان
يسيل على مقدار وجعي ومساحة آلامي ..
أتيت إلى منزلي في الصباح كالعادة , نظرات دهشتك ترمقني

- ما هذا التشويه في الزوايا . والأركان . والأشياء ؟..

- جميل أن أقتل معنى الذهب و أسفحه لانه فقد أصالة بريقه

الحقيقي , وحتى أنسى رمزي الأول .. دهشتي الأولى حين

اقترضت ثمن الخاتم لتبارك به حبنا .. أجفف دمعة خذلتني و

انجست وصوتك يسأل : هل جننت ؟ أدهشت من جنون لحظاتي

أم أنك فهمت معنى ما فعلت وتتجاهل كعادتك أجبتك ببرود :

أتعري من رموزي مثل بلبل مجروح و أبعثر القيمة الثمينة للذهب

كما تبعثر القهر على أشجار حياتي العارية , لان الحب بدأ يذوب

مثل جليد ينحدر من قمة الجبل , رغم أن حبنا بقي في القمة و لم

ينحدر بسرعة , كما هو المؤلف في قصص الحب العابرة , إنما

أصبح بارداً ومنكشاً كالصقيع ألا تلمس وريقات زهرتنا التي

تحتضر. فوق تراب الخراب ؟... كان يجب ألا أفرط في المحبة و

التفاني وتحقيق كل الرغبات لك .. لاني ساعدتك و أفسدتك

بالتدليل حتى ساهمت في احتضاري البطيء لتحيا أنت كما ترغب

, و أعيش أنا كما اخترت لي أنت .. ولم أكن أعلم ولم تعلمني أبداً

خلال سنواتي الطويلة معك أن كلمتك الرجولية تنتصر على وكر

عصفورة جريحة هل حاولت أن تحصي معنى القهر النفسي

والجسدي و الفكري في إنسانية إنسانة مثلي , وفي قلب رجل قاسٍ

مثلك ؟!... تركنتني في غوغاء مصير داكن , و الغموض يسكن

سريرتي كإنسانة , فأحس إنني ذرة في فضاء هذا الخضم , وفكري

مسجون في دائرة الشكوك المعرفية , هل أبحث عن قانون الأبدية
؟.. أم تعود ذاتي إلى ثوب حزنها الفضايف بزخرفة الصبر
الصيني . هل أستطيع أن أغلق لغتي وحروفي منحوتة من وجع
الينابيع ؟ عرافة الفصول تراقبني بدهشة تسألني : ألسنت أنت ابنة
ما ماضيك المدفون في تراب حاضرك بلا رحمة ؟.. لا تبحث
عني طويلاً لان زوارقي مغسولة بمياه فاترة كفتور حبنا العتيق .
ولكن شموخه رفض الانحاء , ولكني أحوله بحيرة ساكنة مخمورة
من ماء النقاء .. وقد تعتبر الحزن في داخلي فرحاً بك , لانك
تتس أن وجه الحقيقية مغبر بالشبهات , وهل الظلم يسكن في قلب
حكيم وقور مثلك ؟ لن أعرف بما أعرف عنك , لاني الآن أعرفك
و أجهلك , رغم أن جهلي هو معرفتي الثابتة حين بقيت وحيدة في
استراحة لها ضجيج في آذان الزمن الغابر اعذرني .. لقد بدأت
أضيع المعنى الحقيقي لكيونتك , ومازلت أبحث عن الفعل الذي
تركته لي وبه تحقق أثرك في الموقف , وبكل تواضع كنت زوجة
مميزة بكل شيء .. و بقرارة ذاتك تعرف ذلك و لا تعترف به .
ربما تحس به الآن و أنت تتوكأ على انشقاكات جذعك مبهوراً
بالوان الأ معنى الأنثوية الملتفة حولك و أصبحت كالضيرير الني
يتلمس الوهم في الظلام , مسلوباً من معانيك الإنسانية التي كنت
أقدسها. فيك , أظن تعرف معنى تهدمي في هذا المجتمع و أنا
سيدة أسكن وحدي مهجورة , لقد سلبتني حريتي الحقيقية لآبد أن

أمتلك للحكمة المنطقية , و أترك الحقيقة بيننا تبكي في سرية
تابوت الصمت , أو أعمد نسيانها كما أحاول أن أنس كل تفاصيل
الأشياء .. كل التاريخ. كل الحوادث التي تهرب من الاعتراف بها
وتجاهلها وكل الحب المجرح ... في زمن قتل الحب ...

14- من قلب الحب

أبارك سرورة البعد
ووجع أغصانها
غافٍ على وجهي
تبكي ورودي الجافة

خوافت العتمة بقلبي

بلا دمع ...

بلا نحيب ...

أحزم عطرنا في أصص الشحوب

أبارك كل ما حدث

من قلب الحب

أيها الحب إلى أين تمضي بي ؟.. متى يشحب لون ارجوانك في
دمي ؟.. أغلق نوافذ حواسي حتى لا تتسرب العذوبة فيك , أنت مكنون في
نسلي وسلالك مملوءة من ألواني , مازلت أعطر أريج أحلامي من نذور
الوجد , مازلت أشعل كل ليلة في رحم ظلامي شمعة لا تتطفئ فأنا ابنة
عشتار , سيدة الأسرار و الطبيعة والخصب . ومن يجرؤ على هتك سرها
حلت عليه لغتها العتيمة و تقول :

أنا ما كان . ما هو كائن .. وما سيكون

و ما من إنسان يستطيع على رفع برقعها ..

هي اللغز الكبير . والأنتى الخالدة هل يساوي الحب الهموم التي
يسببها ؟.. وهل وجد ليحررنا أم ليضطهدنا ؟ هذه العزلة علمتني أن أعرف
ذاتي بعيداً عن عالم الرجل وقد بدأت أفقد ثقتي به و كم بقيت مستهلكة و
لم أكن أحب نفسي , وربما كنت أتمسك به كرجل كي أحصل على هذا
الحب , والسعي وراء الحب هو التصعيد لنشوة - الأنا - أو ربما لصنع
شخص من هذه الأنا , وهموم الحب علمتني أن أعرف أكثر على عالم

الرجل ومن خلال هذه المعرفة ثبت حقيقتي , ورسمت هذه النصوص على
جبين أيامي بعد أن اقتلعت من شجرة المحبة كثمرة جافة فوق كومة من
الأشواك , غضبي خالط النار وتلون بألوانها , وبقيت الريح تهرهر أناشيدي
لحجرة ناي حزينة , فأسست كل أسلحتي من حدس الحب بداخلي ,
ومراكب السنوات تتدرج فوق حراشف الآلام , حدث كل ذلك في لحظة
غامضة و ثوب وحدتي بدأ يضيق على مسائي, و قلبي المخدد بالتعب له
عينين ينبوع مهجور , و أنا أتسرب كالوهم من قلب الحب , ومازلت أقاوم
حتى لا أجعله شعاعاً مخيفاً يطفئ البريق الآتي , لا تهزأ من صدقي , لان
لك عينين هادئتين وهدباً متسرعاً باحتواء أشلاء الروح , و لا بد أن أقطع ما
بقي لي من فسحات الوقت على خطوات المجر لأبدو أكثر قوة .. و لم
أكن أعلم ان كلمتك الرجولية ستكون الحد القاطع لتاريخنا الطويل

15- في اغترابي تجدي

يرتعش الوقت
على كف غربتي
تشرذ الحروف بحزني
على أرصفة الورق ..

تعال .. نحتفل بنخب الوجد

كأس الشعر

مع وجهك .. لي ذاكرة متقلبة

من خمرة اللهفة ... أنتشي

أكتب : لغة .. رموش الحب

لتقرأ نبضي ...

بدأت أكتب طفولة كلماتي , وحزن ذاتي , بعد إن وصلت إلى هذه
المدينة الفرنسية الأرجوانية (تولوز) الغارقة بين أحلام الخضرة والزهور
البنفسجية , هادئة كالحنان , جميلة كالوداعة , مستسلمة لسحر نهر
(الكارون) و الذي يقسمها إلى نصفين و يعلو ذاك الجسر المنحني كهلال
متلألئاً بالأنوار وشامخاً بالتماثيل المنحوتة وما أكثرها في الشوارع ..و
الحدائق تخلد ذكرى الفنان المشهور (رودان) وهي من آثاره النهر يراقص
الطيور المهاجرة إليه . من النوارس و البجع والبط .. والمدينة لوحة
تشكيلية فاتنة بتناسق. القرميد الأحمر و الأشجار. و الساحات الواسعة ,
والمباني الغافية على ضفاف النهر , والشمس الجنوبية تلمح وجهها الهادئ
بقبل النور الناعمة , أحسست أن هذه المدينة مألوفة لديّ و كأني أعرفها و
ليست غريبة عني . لأنها ذكرتني بطفولتي الريفية .. كنت أحن إلى
حضورك لتمتع بهذا الجمال الأخاذ..

لان لك مكاناً حقيقياً في؟؟؟ تأملاتي و انفلات أحلامي ربما هذه
المدينة أيقظت في ذاتي رغبة كتابة نصوص عزلتي هذه لاني خرجت من
موقع المأساة التي عشتها ومن هنا بدأت أتأمل الأحداث بعمق أكثر بعد أن
ابتعدت عن دائرتها , وبدأت أفرز. الكلمات الشاحبة عن الكلمات الغاضبة
,و أترك الكلمات دافئة , هادئة , في هذه الغربة التي أحسستني بالتجدد ,
وأنا أوزع جراح حزني على أوراقى بعيدة عن كل شيء , ومتصالحة مع
الأشياء , يلاحقني طيف الحب بإصرار عنيد , أبعدہ يغفو على مكايي
أشواق صدري كنور شفاف يتراقص على جسد الماء ...

أرص دمع فقدان , وقلبي الناھد بوصله يصنع من جفوني قنديلاً
للعنمة و براعم الروح تعشب كضحكات الخضرة البريئة على الأغصان ,
وهديل الشجر يعلمني أن أبتهل للحمام حتى تحس بي في ذاك الأزرق
الهدار بين مسافاتنا الطويلة ,لأننا حين نحب نزداد انفعالاً , ونتوغل أكثر
في عمق الأشياء فنتفتح ورود القلب وينتفش شفق الذكريات ..
ربما لن يأتي مساء إلا وأشتاقكو لن يأتي صباح إلا ويشع
ارجوانك و أترك الزنيق يوزع عطره على أيامي ..

هل همس البنفسج الخافت يوصل حفيفي إليك؟....
مازلت رغم كل شيء أعرشك بالهوى , و أغردك على أغصان
حروفي العاشقة , أرسل مع السراب البجع حناني , كترانيم فرح لوعده حالم
بالرجوع , هل سيورق حبك مرة أخرى بين أشجارى؟
هل سيشعل صقيع وحدتي بدفء الفجر؟ ...

صورتك يعرفني دائماً , لانه لن ينسى كأسنا المجرحة بأصابع

الحب

فرنسا / تولوز 16 / 12 / 1999

16- محارة التعب

أرامق وجهك

بين الظلال المّهومة

يسربلني خمار النجوم

ليالي متلاحمة بنورك

ساهرة.....

هنيةة ... يزورني فرحي الوهن

هنيهات .. يسود الحزن رأسه على مخدتي

يدلج همي جناح الدجى

متغنياً قلبي

أبارك ذكراك بالدمع

كلمة واحدة لا تكفي

خمار الشوق يخاصر بقية كلماتي

يللم النهار أذيال الليل الشاجن

انتظرنى ...

في المدى الخفي

كلمة واحدة تكفي

" أنت تنأى .. هل أبحث عنك ؟ "

أحرق محارة التعب بلغة الليالي ، والتي تملي علي نص العزلة ، و الروح لن تغادر جزيرة الحزن الصمت ، كم يلزمني من الوقت و الطاقة لا تواصل الآخر ، كل تجربة لا تشابه الأخرى ، وكل مخلوق لا يشابه الآخر ، وذاتي مغلقة في محارة غربتها تترنح من التعب ، هذا الاستسلام العاطفي يبعدي عن اتخاذ القرارات المنطقية ، لذا بقي القلب مختبئاً في بحر التعب ، أمواجي الغاضبة نسيت طعم الهدوء ، لان أصابع الحب فقدت الحنان الأليف ، و أجد صعوبة في انتزاع الحب من ذاتي القوية . لذلك أكرر كل ما فيّ ، في كل من حولي و أقول للحب - رويدك - امنحني هدوء رجال منهك ... يبتسم غير مبال هل سأبقى عتبة شتاء متوكئة على كتف الربيع

...؟ هل أستطيع أن أغني لغة المطر و أنا وحيدة كجرن خمر عتيق في
أقبية باردة؟....

معتم كل ما حولي إلا دمعي الذي يضيء نصوص العتمة
بحروف ذاتي المشتتة و الهدوء يغرق هذه المدينة الفرنسية بسبحات
حزن مستتب حولي ... هل اخضرارك الشفيف غير لونه أم احترق على
شجر بياسي؟... حزني الشفيف , خطها الفاصل نهر - الكارون - خطي
الفاصل لمدينة ذاتي - الحب - دائماً أحفظ التوازن له حتى لا يتحول
عاصفة , و أنزوي كنجمة السها بين الغيوم الجافة , رغم أن أجفاني
موسونة بتعب طيوف و طيوف تألف مخيلتي وتستوطن بها , و الزمن بدأ
يترنح على غسق الروح قلبي الجريح يعلف بداية العام الجديد على خواتم
رصعها السواد .. هل تستقبل عام - 2000 - وحيداً مع ذاتك؟... تركت
قدح نخبك فارغاً , املاًها أنت من دم القلب , ونبذ الذكرى الوردية ,
أعرف أن مقلتيك مغررة بالدمع المتحجر , لا أحد معك . أول عام يأتي و
أنت وحيد , قد تقف اللغة جهورة, أو عاجزة عن التوصيل , لأنها مهما
لامست أدق شرايين الذات , لا يستطيع نقل دقة أحاسيس الكائن المحب ,
ككيف و هذا الكائن محجوب خلف مسافات طويلة؟... رحل الغائبون ..
أتى المبعدون , أسكن شرفة القلب الزيتونية نظروا إلي ثم قالوا : انتظري
المساء الأخير ينتحب على خد النهار العام الجديد . خطاياي تتشرب
صفاء العصافير , أصابعي تحفر الضنى

على صفحاتي الشاردة , حزني يكتب مفرداته الأولى ... اليوم
الأول من العام الجديد ألثف حول سوار الفجر , وصوتك على الهاتف
مضطرب مخنوق كجبروت العتمة في ليلة وداع قرن من الزمن ... قلبي
يتعري في حقول الذهول و أنا أتمنى لك عاماً سعيداً مع من ؟ ... مع من
اخترتها في لحظة ضعفك الإنسانية سامحك الله لم يعد خمار الفرح
يسترخي على وجهي , وعشبك بين أصابع خضرتي الزيتونية له هدوء
الاصفرار أو لون اللهب الجهنمي في نار غاضبة تدين الخطأة ... تركت
عينيك تلوح على عفة الصفاء السرمدية , و أوراقك تتساقط على جسد
الصفحات في مياه الدمع الغزيرة .. وقد اشتعلت الضفاف بحروفي , و
اشتعلت الليالي بنصوصي والتي تقربني منك , تبحث لي عنك .. و أنت
النائي الغريب ...

17- مفردات النرجس تقرأ لذاكرة البحر

ألا تكفيك مفردات النرجس؟..

ألا يكفيك لغة البنفسج؟...

ألا يكفيك دم الجوري عطر القلب؟

ألا يكفيك وطن كلماتي يتوج جبين اغترابك؟

أحاول التعايش مع تجربة السفر , قد أعود على الهروب منك,
تشعل مكاني حريقاً على ألسنة الزمن. أركض كفتاة ريفية سارحة بأحلامي
في شوارع و حدائق ونهر هذه المدينة الجذابة , كأنني عصفورة حرة في
سماة رحبة , أغني , أداعب الطيور , أحادث ابنتي, أقرأ ... فجأة أصحو

... يغادرني الفرح , تغادرني دهشتي بالأشياء , يغادرني نسياني ,
وينبجس قهري إن ومض طيفك , أوهفت كلمة أو مشهد يذكرني بك ...
أحس بغربة مع كل الأشياء ... وإلفة محببة معك تسكنني أفكارى أهجرها
تتربص لي في الليل وتتواصل على الصفحات أحتاج إلى محراب وقد
زهدتني في كل شيء , و أفقدتني أحلى الأشياء قد لا أحتاج فيما بعد,
لإنك بدأت أفرغك عن كل المعاني التي أحببتها فيك , لاننا حين
نعري الشيء الذي نحبه نفقده جماله أو معنى هذا الجمال الذي أضفيناه
عليه .

مازلت اكتب على ضوء شمعة عذراء , تعلمت منها سر القدرة
المتجددة في الذوبان و الاشتعال , وفعل الكتابة يعمق الرؤيا ويجعل
الإنسان يعبر عن أفكاره فرو. الشعور - الأسلوب هو الإنسان - وفي
الإنسان قوة موازية للطبيعة , وبداخل كل إنسان قصيدة لم يكتبها أحد بعد ,
أفكارى تنزلق في منعطفات الحياة , أقف على حافتها أتأمل كل المنعطفات
... لاشيء ذو أهمية إن استطعنا. تجاوز كل منعطف بقوة , كقفزات على
جسور أسطورية كنت دائماً أبحث عنك في وجه يصادفني حتى تعبت من
البحث , و انتابني هذا الملل التشردي بين تخاريم الأشواك , رغم أن زمنك
يسكرني برنة الكآبة تبقى جفوني ترش بهار الحب على جمره المنطفئ ...
و وجهي يتوالد من تقاطيع زهور الأحلام , أتمنى أن أعطر وجهك برزاد
الشوق لنحتفي بقداس الماء ونجعل من زنابقنا موجاً للصلوات لبيتك
استطعت أن تضيء فراغي الروحي وقد صار تعب الحنين يقرأ لغة القلب

لطيور النوارس , - وصارت ذاكرة البحر تقرأ - فصولاً من تاريخنا ..
ونصوصاً من ليالي عزلتي هذه .. و أبقى كشروء صخرة منسية عشقها
البحر و غسل بمياهه أثوابها العتيقة و بكى كنت دائماً احتمالي الأول
و لغتي الأخيرة ..

أفتقدك بشدة , ويتشابك سكون الشوق مع خضرة القلب , بينما
الحروف تبرعم شهوة اللقاء بألوان الزهور ..
أتابع الانتظار على شرفات النسيان , وهزار الروح يجعل صمتي
متألقاً على حلة أحزان جسدي النحيل كعود قصب تهزه رياح الحياة

18- جود الوصل

جد بخمور وصلك
كنت النديم و الكأس
في خوابي الليلي
أكتب لغة تكوينك
على أوراق عمري
أتقرأ لغة دمعي ..
بين فواصل كلماتي؟...
أتراني أدمنت حبك؟

كم تواريت بعيدة عن كروم الحب , ولكن دالية الشفق الخمرية كان
يتدلى منها عنقود القلب مرتعشاً , صنم قلبي في عباءة الغيوم لن إيقاع
المطر يُهرب العصافير الناعمة والتي تألفت مثلنا بدفء مواسم الهجرة كما
تألفت معك في مواسم العمر , وسأبقى في عتمك لهباً شاحباً يغمر ممرات

الضوء الدامعة , ألتقط مني بعض من حروفنا لتزرعها في لهباً شاحباً
الزمن الوردي وحدي بقيت و بقي غيابك هو السؤال الواجف على شوق
الغياب و أصابعي مجداف للوقت على يخت الصفحات , لا بد أن تعزف
بعض القطرات من نهر الحب الحزين لتزين بجبل الندى شجرة الروح
العارية الأوراق كئيبه لا تتهامس , و الغصن يشتد وجهه , و تتوامض
النجوم مرتعشة فوق قريان السماء أو هاربة من سحب الغيث , تتجاوب مع
خفقات قلبي الواهنة ..

يتغضن الحزن على نافذة القلق ..

أعرف أن عينيك حزينتين , لانك دائماً لا تغضي بما يجول في
خاطرك , وتغط أجوبتك في أمس الضباب .. الأسئلة تهقه مع الغيوم
الشاردة , وهنا يتلاشى الفجر , بلا خبز , بلا خمر , بلا عناق, أتعلن يوماً
شهفة الفرح موعدها لنجمة الوعد ؟ عطر الزيزفون يومئ إلي بالتعب , و
يغتاب زهرتي العاشقة عدت الآن من نزهتي على شاطئ (نهر
الكارون) ... جرتي فارغة و أنا كقصبه عطشى ترتجف انتظاراً ...

19 - مطر النسيان

أأكتب غير ذاتي؟ ...
أأكتب غير عزلة حروفي
نصوص لذاكرة البحر
موجه ينثال على قامات صمتي
لغته تلتف على خواصر دفاتري
كيف ضاقت ستائر النسيان
على نوافذ قلبي؟
كيف لم تدق حزن امرأة
شاردة بلا أرصفة
حرقت شال وصلها
على كتف الليلي
مازلت كؤوسك تغب
من رمادي

فرزت من كل ألوان جراحك لون البياض الشاحب يرتعش مختنقاً ثم
يغلف الروح بالهدوء التأملي العميق كغابة من ثلوج مترامية , بينما أصابعي
محروقة بشمعة الغفران التي تعناد الانطفاء ...

أصبح الحب جريمة في هذا الزمن الضلالي؟... و أصبحت طرقات
المحبين فارغة لانه بدأ يتضاءل و ينزوي حزيباً كغراشة كسرت أجنحتها قسوة
الحياة كنت أعط فوق رفء ناري , ما أريده حالة غريبة تعلن زفافي إلى وليمة
البائسين و أنا استقي معهم حنان الجوع , ورغيف الخبز المقدد و أحلامي
الوردية تضيع في تأملات السراب اللامتناهي , لاني بدأت أمقت لفظة الحب
حين انحرفت إلى معنى واحد فقط غواية تفاحة حوائية أما الحب المسترق كصلاة
للآلهة الأزل , بقي طفلاً فقيراً وحيداً يرتجف على بوابات الجوع , و أقدامه
العارية مشفقة , و أحاسيسه ممزقة كدمع عطش على شفاه سنونو ضل وطنه .
صوتك الغائب في مدارات الوطن مازال يلون وحدتي بصور باهتة
تلطخ جدرانني المجرحة . ليرعاني الله بنعمة الصمت .. ونعمة الاحتمال ..
أتأملك من نافذة غربتي البعيدة ,لإننا حين نتأمل الآخر عن بعد نتوغل أكثر في
معرفته وندقق في أصغر الأمور , لاننا حين نعايشه لا نتوصل إلى حالة تأمل
بسبب انشغالنا اليومي معه فيموت الرقيب التألمي أو يغض النظر عنه .. من
خلال هذا التأمل ..

صورتان أنت , صورة ألوانها الأصول و الواجب و الطيب و صورة
أناك الداخلية التي تتقاد إلى رغباتها ونزواتها دون هواده هذه الأنا لا تغرز ألواناً
مشرفة , لذلك تنحى عنك المنطق الإنساني و تلونت الأشياء بلون الشحوب
أنظر إليك الآن بوعي أكثر عمقاً , فأجد أن منطقة العطاء الإنساني في ذاتك
المتألمة فيها فراغ فظيع يبدو لي مرعباً لانه بدأ يقتل الأحاسيس الجميلة كان لابد
أن ألغي لغة الحوار معك حتى لا نصل إلى حد التوتر الانفعالي رغم أي لم

أغادر مساحة المحبة .. إنما ابتعدت عن حدودكما التي تمت فيها المقايضة و
المساومة ...

20- من جفون الليل

هارية منك ..

هارية من الحب

ما عاد دخان روحك يدثرنني

بالصفاء ...

لقد فعلت الكثير من أجلك

لا يوجد شيء لم أفعله بعد

جروحي تكتبك بدم الأيام

و السنوات

قال سقراط - خير وقاية من الحب ... هي الهروب منه -

لان الحب كالعبقرية أصبح شيئاً نادراً , و قد نحتاج لوقت طويل لنختبر
الحب و حين أعلنت فشلي بعد أن شاخ زمني , بدأت أقوم بعملية خلق صغيرة له
على الورق و كم أمنت طويلاً بمقولة جميلة - كلما أخذت من قلبي يزداد هذا
القلب عطاء - هذا الاسترسال في الحب جعلني أستخلص منه درساً صعباً , و
اللغة لا يستطيع أن تنطق بكل ما عشت , ومهما تجنب الإنسان الوقوع فيه لا
يستطيع

حلقة الأسئلة تجعلني أسرف في التفكير , والفكرة تلاحقني تلو الفكرة و
أحاول أن أحاكم الأشياء بتعقل , و حكمة . و لم أعد أتكلم كثيراً خوفاً أن تغضبني

الكلمات ، إنما الذاكرة تحشر بذكريات ، وهواجس ، وتطمس الحب في ليل يسكب سواده في أخاديد القهر ، ينتابني ما يشبه الندم و أذفنه لان حالة الندم تضني الذات وتشل حركة الإرادة ، أحاول أن أبدأ وحدتي ، وأعيد ترتيب حياتي ، وأبدأ بترتيب كل شيء .. و مازال هناك متسع ممتلئة بالعممة ، و قلبي ينتفض كالضياء الجارح ، و لكن هذا الجنون الاندفاعي هل يمكن وقفه ؟... المستغرب حين أكون وحدي أفكر أكثر ، وحين تكون معي تهاجمني زوبقة الأفكار ، نفترق في الليل ، نلتقي في النهار ، أخاف على نفسي منك و أنت تحيط بي ، و خرفي يجرح خيبيتي فيك ...علي أن أترك هذا الكائن لها .. لان اللذة الجديدة عذبة و لكنها لا تدوم طويلاً و تجاعيد القلب في وحدتي هي التي تولد آثار المرارة و القهر .. هل بدأت أتألم من أنني كنت أحب . و أحقد على نفسي من هذا الحب ؟

أنا مثل من يفرق ويتشبث بحبه ، و بدأت أدخل حالة الحب الوهمية بعد أن ماتت الأشياء ، و لم يبق لشيء قيمة ، وكل قيمة تتهدم ... الفرح مات ، و الحزن مات ، ألوب في مملكة جود الدهشة مما حدث في حياتي من خلل ، و تعب ، و غرائب ، و مازلت رهينة ، فالقرار يكلفني أن أمضي بقية عمري بين طفات المحاكم و جيوب المحامين .. لأتحرر كم أنا بحاجة إلى غيمة هدوء ، و زمنه يتقلب على بؤسي ، و الوجوه المكفهرة حولي تعكس على مرايا تزور أكثر الأشياء حقيقة و أهمها عدلاً أنظر إلى المدى البعيد لان الحاضر المؤلم يزداد عرياً و قسوة و أثواب الحق تتمزق على مقاس أكثر البشر زفير الريح يتابع هذياني ، و ذاتي تتابع هذيانها ، لاني قلقة لما يحدث من مغالطات و أنا بلا شاهد ، و لا مستمع ، و لا أجوبة ثابتة . و مازالت نار الرغبة تشتعل في غرف

البشر السرية , و كم هي الأشياء التي تزول تحت الأقنعة . ألا يحترق الإنسان
و هو في خطر شرور النفي , رغم أنه يمشي عاري الجبين غير مبالٍ بالخرائب
التي سببها

21- مهاجرة

إلى متى تبقى لغتك شفيماً لتعبي

حزنها طنين قلبي

أرمني دفاتر. وصلنا

لهباً للرماد ؟

دخانك الضبابي

مجمرة عشقي

أشهد ... يشهد غيم الاحتراق

ويشهد رقص اللهب

أنى أطعم النار ... أعواد محبتي

.....

لعطش الوداد

دمعنا مناديل مغرورقة

" كطير جريح يرقص من شدة الألم "

.....

أنا في عزلتين : حزني وحبك
أنا في غربتين : قلبي وسكين جرحك
أعص تشرود سحابة في حزن المطر
عتيات احتوائنا الأليف
تفيض بالشجن

.....

غدوناً بُعداً يمزج ريح المدى
في صبح غريب
وبقيت طيفاً حنوناً
لمهاجرة مثلي
تعرض عناب غربتها
و تمضي ...

أقتطع زمزامة شهور طويلة , ونفسي تواجه نفسي , و أرمي
الصفحات في درج عتيق مع الماضي والذي هو الآن في حالة احتضار ,
و اللحظات المنفعلة تشدني إلى حطب غضبي تسألني : لِم لا ؟؟؟ لذاتك
المطعونة ؟ القوة تكمن في تحطيم الأشياء الضعيفة و المحببة , أشعل نار
غضبي لأصبح بطلة في القتل , كما كنت بطلة في الحب , و أخرج من
بوابة اللحظات و أطفئ موقدها المتأجج , لان من يحمل سلاحاً للانتقام
مهما كان نوعه هو ضعيف بالضرورة , ومجابهة الواقع بقوة فعل التغيير

هي القوة نفسها , فالهروب مثل الخيوط الخفية للكذب تسلبنا وتضيع الوعي المنطقي , كما نار الغضب تثبت الندم

أنظر إليك و أنت في حالة ضبابية مهمة , قليل الكلام , كثير الهدوء تحتمي في حصون الصمت , مازالت نبرة كلامها تخترق ذهولي حين أتت معك لزيارتي , وأنا أحملق في وجهها المتمدي وهي تقول :
- ظننت أنك فرحة بزواجنا ...

ألا تحتمل هذه اللحظة نار غضبي ؟ .. انكسرت قوانين الإنسانية و ارتم الظلم على جدران منزلي , و أنت تذعن لارادتها حين رددت عليها بقسوة ألمي . فأغلقت الباب و خرجت معاً .. أعصابي المحترقة تستغيث بالآلام التي ترسم ثقل اللحظة حول كياني , و تدفق الانهيار. الشامل أمام كثافة حقد هذه المرأة , أنا أتقلب على سرير أوجعي , و هي تتقلب في مزحة نشوتها , أحس إنني أهرهر لفظاً لأنسى الأجوبة كي تنبدد هذه الذكري بسرعة , و كيف صدقت أن في قلبها لحظة صفاء و هي ما تزال في كآبة تشويهاها , وطيور أنانيتها الجارحة تمتص كل رحيق للموبة , كان علي أنني أغلق مسخة الغفران لأنها لم تفهمه إلا ضعفاً مني , و لم ترح الأمي التي تهوي إلي أعماق ذاتي ربما ستدوب الخيرات , و يطمر التسامح بين أيدي من يحوزونها طالما أن الإنسان يظل مغتصباً كل شيء بقوة عضلاته, و لا بد أن يفلت منه كل شيء . حزني مكثف وعنيف لانني هوجمت في قلب هدوئي , و كل الأجوبة المنطقية تهمل في قائمة الفوضى

22- ذاكرة الأوراق

أخضل جفون الليل من تعبي

وهن أيامي

يحبو على أرصفة قلقي

قلبك .. الذي كان ندياً

رمى ثقل الحب على كتفي

أمزق ثوب حزني

أمشي حافية ... على عتبات أحلامي

هل للأوراق ذاكرة ، أم ذاكرتي أوراق الزمن ؟... و أنا أحاول أن أقبض على حركة الأحداث ، الحروف تقاومني و تصبح في نرف أعصابي ، لقد تقب العقل و المنطق لديك بغلطتك معي فكيف تبرر الأحداث ؟.. أستحث رمق الأيام الجافة ، أتوجس مجهول الآتي ، مترففة على جدران فقدان لاني بقيت مع الذين أحبوني ، و تركني الذين أحببتهم ، لابد من إثبات أكثر من احتمال أقوى كي لا أنزلق في فجوات الحقد و الكراهية .. صوتك عاد يفتح الجرح على شرفة الماضي و تسأل - ماذا منحتني ؟... ضحك الدهول على وجهي :- هل بقي شيء لم أمنحك إياه ؟. و كيف تفسر مقولتك الدائمة لي مع هذا السؤال - أنت لا ترفضين لي رغبة أليس في السؤال تناقضاً لمقولتك؟ .. أم بدأت تتقل إليك عدوى

الجحود و النكران حتى بدأت ذاكرتك تمحو ما منحتك إياه سنوات طويلة ,
و أنا حريصة أن أتركها في طي الكتمان و - هل هناك رغبة لم أحققها لك
؟... و لسعك سؤالي - ماذا منحتك هي ؟... أظن أخذت منك كل شيء
حتى أعصابك , حاول بهدوء حين تطوي استفزازك أن تقرأ لغة ذاكرتك ماذا
منحتني , و بمقارنة بسيطة تكتشف الجواب من معنى سؤالك هناك فقط
تقصير واحد أعترف به إنني لم أتقن لغة الجسد المشعة في أصيص الرغبة
الآنية , هؤلاء القادمون تسع خطواتهم على مساحة الرغبة العشواء و
يعبرون طرقات الالتواء , ليطالوا حبة رمل ناعمة مرمية على صدر
صحراء و ريح الرفض تعلن احتجاجها أمامي لوحة الحب مجرحة بألوان
سريالية التشكيل في حقول الجمل البدائية فأ تأمل ضحكة المعنى من شفاه
جافة مزقت زهر اللوز على خصر البياض الوردي .. تجاهلت نظراته
الثاقبة لن أكون مسلوبة لضعفي الأنثوي قال : أنت حالة مميزة .. امرأة
مختلفة , كيف أمشى منك ؟...

أدركت أنه يرسم لأشياء ذات أهمية لديه .. وسرعان ما يشفى منها
لو استحوذ عليها . خذلني صوتي لثوانٍ . و احتبزت منطقة الضعف أجبته
: - الأجل لو بقيت صديقاً - ...

تابعت ارتشاف قهوتي , لن الأنا المنتصرة ألغيت فيها دفع الأنوثة
لان ذكرى القرار الذكوري الذي اتخذ ضدي مازال جرحه على جبين أيامي
و وضعت ذاتي في منطقة الانغلاق و قفلت مشاعري و رغباتي , وبقي
في كياني فجوة متعطشة للأحضان , للحنان من أب , من أم , من أخ , من

إنسان تمنّ يحسب بي و بمشاعري الرهيفة ، الكل مشغول وأنا بين ضجيج
همومهم أعموم ، أليفة وحدتي ، طيبة غرفتي على جدرانها صمتي و دموعي
و حروفي تتعاطر كالمطر. المرطب جفاف الأرض ، وحذرة من الآخر
خائفة كطفلة ، و حين يغدق الآخر حنانه أصير عصفورة عطشى أظير
في سماء الفرح ... صور الخيال ، و الخيال سنحي على الذاكرة من
براءتي الأولى . من اضطرابي من حرمانني ، أحس كأن كل ينباع الأرض
من الحب لا ترويني . أنت . هو ، هم ، هي ... الآخرون ينظرون إلي و
أنا على صخرة الجفاف ، يمضون بلا مبالاة .. هل أستطيع أن أعلمهم
الأسلوب و الطريقة ومعنى الإنسانية ؟ تستغرب حالة تشتتي ، و ضياعي ،
و توتر أعصابي أأست مساهماً في صنع هذه الحالة ؟ .. صوتك يجعلني
أضحك على مرارة الأيام التي أتذوق علقمها و تمدني بخيط و أه من القوة :
لن أتخلى عنك ... دائماً معك ...

طواحين تدور بي ، و ترسم المعاني لتوهاني ، و ماذا تفعل لي
سوى زيادة ودية خاطفة ؟ و تظن مقولتك في أذني : - كل إنسان يحتاج
إلى شخص ما ... ييوح إليه بكل ما يعذبه -

أأست محتاجة إلى هذا الشخص ؟ ... و لكن أين هو ؟ ...

صمتك السلبي ماذا يمنحني ؟ ...

و هل أستطيع أن تطبق مقولتك على حياتي ، ألا تتضايق فيما لو

حاول أحدهم التودد إلي ؟ ... و أتابع قراءة أفكارك في كتبك ...

أأستطيع تجنب الحفر الدائمة بين الغرائز و الأخلاق -

إذن لماذا عمقت حفر الغرائز على حساب الأخلاق في طريقك الجديد؟.. و هل الأخلاق تحتم عليك أن أبقى رهينة لقرارات أخرى قد تصدر. منك؟.. وهل تستطيع الإنسان أن ينظر إلى دمه و هو يذبح عصفورة صغيرة؟... ألم تذبطني في هذه البئر المهجورة , و أنت يق لك العيش معها لعبة الحب الأناني و هي كل فترة تتابع اغتيالها ينبش الشرور و اختلاق الأسباب لاستفزاز أعصابي , و كلمات انتصارها تبرق في لغتها و كأنها صاحبة الحق .. لماذا تقف متفجراً و لا تحسم الموقف , هل تخافها؟... ألا ترى نرف تعذيبها. لي؟... أنظر إليك مستغربة صمتك السلمي , وكيف تحتمل قوة قسوتها ثم تغلق الباب , وتذهب لتمارس حياتك الطبيعية معها بكل بساطة .. هل ألغت لديك المحاكمة العقلية في قضية إنسانية؟..

و ما هي الحالة الثقافية الخارقة التي انبثقت عن علاقتكما؟ أظن المرأة البراقة التي رأيتها فيها سرعان ما اضمحل البريق بعد الزواج , العيب فيك يا عزيزي و ليس في المرأة لقد عادت إلى أجوائها , إلى الأشياء التي ادعت أنها تنفر منها , لان الإنسان لا يكتسب الموهبة من الآخر , إنما قد يغذيها بالرعاية و المعرفة لانها الموهبة تخلق معنا , و سبب فشلك في التقييم لانك حاولت أن تكسيها معرفتك , ثقافتك أفكارك و تصنعها على صورتك ومثالك وتقومان بعمل عظيم و لكن فشلت ... أنت مدرك لهذا الفشل و لكنك تكابر و تجابه الخطأ بأخطاء أخرى تتداعى الأفكار و الصور في أوراقي الفتية , ويومئ لي التعلم أن أضحك لابد من هزيمتكما

فلن تبقى في ذراع الأبدية , إن الأشياء لا تقف و تتحرك كصوت الرياح ,
و دوماً لدي الدمعة الخفية التي ترطب كل الأشياء .. صوت ابنتي ..
انسى كل شيء عن هناك ..من يعلم في أي ساعة من الليل أنا الآن ..
الأوراق تذبل , و نهر - الكارون - يحبو , أسرع يا قلبي , بدد نفسك في
نفسك قبل أن يسقط الفجر من أفواه الزهور ...

23 - هل ينحني الشجر ؟

أينحني الشجر و الأغصان المهرهرة
كبحر غضوب
أكمل أجفان غتمينا الهاربة
مطرنا واهن ..
ينسال على الأيام .. والشهور .. و السنوات
أينكسر. الشجر ؟ ..
على أصابعنا الدافئة
بحيرات أحزان

فواره في ضمير. الذكريات
أتذكر كيف سقينا من دمعنا
كل شذى الوفاء ؟..

من أنا ؟ من أنت ؟ ... لا أنا أنا , و لا أنت أنت ...

أشد قامتي النحيلة حتى لا أنحني , أهرب من مناطق الضباب
لأغتسل بصفاء السماء .. أمشي على رمال واهنة أنهكتها الشمس متعبة
من ثرثرة البشر , و نواياهم الجسدية و المغلفة بحريير الكلمات قال أحدهم :
يُقال فيك نقص أنوثة ؟... ابتسمت : تهمة جميلة .. من منا الكامل ؟...
تجاهلت معنى كلمته المبطنة بالاستعزاز. المرير و أجبته ببرود: -
الانوثة تعني سلبي أشياء تهم الرجال , أم لها تفسير آخر لديك ؟ حملق في
وجهي مستغرباً ثم غض نظره تابعت : أنوثتي الناقصة تعني احترام جسدي
و عدم هدره إلا في حالة حب خارقة أجاب - من حقك أن تعيشي لم أدعه
يكتمل جملته - حين أختار أنا هذا الحق ... الحذر من الآخر بدأ يبعث
حولي صوراً مرعبة , الأنني مهجورة في شرق لا يحترم حرية امرأة تعيش
وحدها , كنت أتصدى لهذه المواقف بحزم , و أحس دائماً إني غيمة هاربة
من قبضة المطر , أخوض واقفاً مريراً و الأحداث المفاجئة تحدث خللاً في
دقة الوعي , وصوتي المبحوح يضيق في الحجرة حتى بالنحيب , و يبقى
جدار الرغبة مثقوباً داخل الإنسان و لا يشبع من النهم , فالمقارنة تتصدع

وتتحني أمام أعرار الجسد .. و لذلك يضعف الإنسان و يفقد الوعي
المنطقي .. تقول في فقرة من كتابك :

(أن الحالة الصدامية بين الرغبة و شكل المنح المرسوم , هما ما

اكتشفته بوساطة الوعي المعرفي لهما)

أكان وعيك المعرفي غافياً أم متجاهلاً مصيري ؟ .. و تتجاهل رغباتي
الضرورية فكيف لي الاستمرار. بالعيش بالشكل الطبيعي. و أنت القائل:

- الرغبة هي الشيء الأساسي في معاني الإنسان الحقيقي , هذه

اللغة هي مجموع فكري في -

أين هي رغباتي هل تحس بها ؟ أين لغتي في أفكارك ؟ و ماذا

منحتني معرفتك بي و هل يحمل ذهنك الأمانة الفكرية بنفس سوية تطبيقها
في واقعنا المعاش , ألا يبدو شكله غريباً و غير مألوف , وهل تستطيع أن

تؤسس أفكاراً للإنسانية و أنت المراقب الدقيق لتدهوري النفسي , فهل

قدمت لي أفكارك المعرفية شيئاً ؟. كنت رهينة لأفكار أهلي ورغباتهم ,

فانتقلت رهينة لأفكارك , رحمة الله على أبي العلاء المعري رهين المسجين

. ألسنا راهانناً بأشكال مختلفة كنت متمسكة بك لأنك قيمة فكرية , كيف

حصل الانحدار وضللت في موفقك التخلفي ؟ و أرغمتني إلى الهبوط مع

شمامة الآخرين , و قسوة المجتمع , و نقمة الأهل .. حاصررتني بدوائر لقد

أفقدتني حريتي الحقيقية .. تعبي يزداد يوماً بعد يوم من تابوت الكذب

الاجتماعي , ولعبة النفاق في استغلال أشيائي و لعبة اللغة التي تمارسها

زوجتك بادعاء محبتي ... هل المحبة لغة أم فعل ؟ ما هو فعل الحب

الذي بذلته لتعوي يضي عن هذا الخراب ؟ توتر صمتي يجعلني أحس بحالة
نفور من كل شيء . و حالة حذر .. و تقول :
- لا تخافي ... أحميك من كل شيء ...
هل استطعت أن تحميني من عذابي النفسي , وهل ترحم الرماد ؟ ...
هل استطعت أن تحميني من الآخرين ؟ ...
ما هو منطق حمايتك الواهية ؟

24- الحياة دوائر

متاعبي .. لي وحدي
متاعب حبي لون البقاء
أفتح حقيبة صمتي
على منعطفات الذكريات
وجعنا يصدأ على أيقونة عتيقة
تعكس ملامحنا المتعبة
لونتك بلون النقاء
رفض البياض
أن يكون نديماً للضجر
فاض بالسواد
إلى متى نحرق اللغة

على أصابع العشق المستحيل

و نترك اسمينا

حرائق للأيام

عيد الميلاد و شجرتي مطفئة و أنا وحيدة , و يتساقط البرد كثيفاً
حانياً في سكون هذه الليلة , و أحس أن السماء تتدانى حتى تلتقي بالأرض
. الليل يستحم , و طائر يصرخ شاكياً , فهل يشكو الوحدة و ينادي الأحبة
مثلي ويسبح مع أفكاري الجارية كمياه المطر ؟ فجأة دخلت على غير موعد
فاجأني حضورك كسؤالك :

- لم تسهرين وحدة أين شجرة الميلاد ؟.. - لمن أشعل الشجرة ؟ و مع
من تريد أن أسهر ؟.. هلام ضبابي من دمعك , أفرك عيني لا تأكد من
وضوح وجهك المشبع بالحزن , و بدأ أسلوبك الهادئ المقنع لن تسهر
زوجتك معنا ؟...حزني يتدفق أنهاراً , هل صعب عليك تركها وحيدة ؟ و لم
تصعب عليك وحدتي ؟.. و ضعفت أمام دمعك و صوتها المعتذر الودي
قبل أيام على الهاتف , صوتها دحرجني, و لتقك الحزينة الوديعة, و قلبي
لا يتسع للحقد , و مازلت و فية لوعدي بأن لا أرفض لك رغبة , و كانت
قبلتها باردة و وجهها يقطر قلقاً , عكس لغتها الهاتفية , و قدرت أن
مواجهتي لأول مرة سببت لها اضطراباً .. حاولت أن أبدد الزمن بسرعة من
الصور المحزنة التي ارتسمت على وجهي خلال أربع سنوات ماضية من
تغذيها. لي و كانت اللحظات محايدة هادئة و مشحونة بالتوتر الصامت ..

و تمارس كل أنواع الاستفزاز لي كأنها تتعمد إيذائي , ليلة اقتحمت الهدوء المتربص على حافية واهية , حين أخاقت صباحاً وداعت أنها تناولت كمية من الحبوب المهدئة للأعصاب و التي وجدتتها على طاولتي و تشظىء كلامها الهادئ المفتعل في شراييني ناراً , و حين سألتها عن السبب أجابت : إنها لا تستطيع مواجهة الآخر تضطرب و تمر بأزمة نفسية انكسرت قوانين الرعب حولي و احتلنتني , هل تستغل الحبوب التي وصفها الطبيب ضدي ؟ و ماذا يحدث مني لو أصابها شيء ؟ من يثبت الحقيقة , و من يصدق. إنني لست مسؤولة , صرخت بها أنها مجنونة و تصرفها أحرق , و غادرت معها المنزل لترجعها إلى أهلها و و ... و ظننت أنك قوياً و صادقاً. مني تقول .. ساعات طويلة و أنا كالمسوعة أفقر لاية حركة , ربما هي أقدم الشرطة , ربما حدث لها شيء ربما .. و الأفكار. تدور بي في دوامة القلق , و ببساطة القسوة عدت بها بعد الظهر و لم يحدث شيء , و نسيت موقفك و عقوبتك لها .. فتحولت إلى حجر مقذوف بين انهيار أعصابي و غضبي يلمع صراخاً في صوتي الجارح أمام كثافة حقد هذه المرأة و تمثيلها البارع , و انزوى القلب في ثقل الانقباض و هي تستغل كل لحظة لتدمير أعصابي, و كأنك أصبحت مثلها لا مبالياً و مزقت ثوب انسانتيك, فما كان مني إلا أن طردتكما من المنزل .. يبدو أن الإنسان المعاصر. هجر الإنسان القديم , و بدأ يعيش عزلة .. غربة . و ينحو نحو المزاجية و الشر لأنه ينظر من نافذة أنانيته و طمعه و جشعه , و قلقاً لأنه يعيش في عزلة روحية هو لا يثق بنفسه , و لا يثق بالحياة و لا بالآخرين هناك شيء ثابت

لا يتغير ؟. كنا نقول في حكمتنا - الصمت أبلغ من الكلام - لكن في هذا الزمن يفسر البعض أن الصمت يجعل صوت الآخر عالياً , ويعذب الآخر بسوء نية أو بصفاء نية, لذلك لا يوجد متهم و لابرئ .. تتحني قامتي يوماً بعد يوم , و اللغة من أهم احباطاتي. لأنها لا تستطيع أن تنقل بدقة التوصيل ما أريد أن يخرج من الذات , وكل لحظة تنزلق تغمر أيامي بمعاناة ما .. بصدمة مختلفة , بمفاجأة غير متوقعة , وكان يلزمني الكثير من الصبر .. و كم أتمنى أن أغتسل بمياه غابات إفريقيا عذراء لأصغي نفسي من شوائب الأحداث المفجعة في حياتي , حتى أستطيع أن أحيأ في مدارات حلمية بعيدة عن الواقع , من غير المجدي أن ندفن رؤوسنا في التراب كما تفعل النعامة بل يجب مواجهة الأشياء ... زارنا أحد الأصدقاء , وكانت مسترسلة معه في الحديث و فجأة اقتطعت حديثه قائلة: لماذا لا تتزوج .. و أشارت إلي , نظرت إليها بدهشة غاضبة و صممت أنت أذهلني , أليس من المفترض أن ترد عليها , وأنا وفق السجلات الرسمية زوجة لك؟ .. أحسست بشرارة اللهب في اضطرابي و أحببتها ببرود : هل أنت مكلفة بتقرير مصيري ؟.. لا بد أن أتجاوز التفاصيل التي أعقبت الموقف , فالحجرة تحيط بجاني المحروق و هذه الكائنة الغريبة الأطوار هل تريد التخلص مني و تقرر عني ؟ ألا تستطيع أن تكف عن عدوانيتها المستفحلة في الذات المشوهة ؟.. بعد أشهر كانت المفاجأة أشد وقعاً حين زارني هذا الصديق. طالباً الزواج , صعقت مدهوشة و لن أكتب التفاصيل التي حدثت لان الذاكرة أحياناً مشهورة بعدم أمانتها , ولم يكن سهلاً علي انقاء الشر و حولي عالم من

المصادفات الحزينة وهذه المرأة تفسد كل الأشياء كما أفسدت حياتنا ...
ترفني بمراوغة الثعلب المحتال قائلة:

- أنت دعوت هذه الصديقة كي تثيرين غيرتي , نظرت إلى وجهها غير
مصدقة ما تتهمني به -

أجبتها : أزيارة صديقة تفسر بسوء نيتك و تثير غيرتك و كم مرة
ألححت في التعرف عليها ؟... و تنكرت لما قالت و ادعت أنها فوجئت
بزيارتها .. كم يسهل الكذب على هذه المخلوقة الغرائبية ؟... أنسيت كم
أحرقت أعصابي و أنت تمارسين أنا نيتك في بيتي ؟ أما أحست مرة في
غيرتي ؟ " م كنت تظنين إني مصنوعة من حجر أو جماد .. كم احتملتك
في بيتي لأجعل منك انسانة تحس و تحافظ على قيم ثابتة فيه.. تأملتني
ببرود قاتل هذا ليس بيتك , لطف منا تركناه لك. أحسست أن نيران
الغضب تتفجر على الجدران , و تحرق كل شيء حتى قوة أعصابي و
صرخت بكل نزق قهري , مجرمة بارعة.. القسوة و الخداع في دمك ..
اخرجني فوراً من بيتي .. كان الدمع دماً , وفورة الدّم التي اسمع عنها أَل
تدفعنا إلى جريمة في لحظة غاضبة خارجة عن طور ارادتنا ؟ تمسكت
بآخر رمق يهرب من أعصابي ... و المبدع الحقيقي هو الذي يغمس قلبه
في أعماق حياته ليصور مأساته

25- غفران

غفرانك أيتها الوردة الغريبة
كم سببت لك من الآم
غفرانك يا براعم النوات
و أنت الواهنة البرئية
ذاك قلبي لاهف
أسد لي خمار النسيان
على ما مضى

أرمي الصفحات , ويغضبني القلم الذي لا يتعب , يرفقني من
هلامي الضبابي أن أتابع , و الأيام
المبعثرة تتابعني بالصور المتلاحقة , و الصور التي مُسحت من
ذاكرتي المخزونة بالزخم , أنت الآن يا صغيرتي غافية مع أحلامك , و لا
بد أن أتابع نصوصي من ذاكرة بحر الحياة الهادر فالكتابة دائماً كانت لي
السلوى , و دائماً تخفف وطأة المعاناة , وهي الصديقة الصابرة و الحنونة
و الطيبة لم تخذلني أبداً , و جعلتني قليلة الكلام حتى مع نفسي , تتراعى

لي الآن المدينة التي مهتدت أحداثي و حين عادت ابنتي في أول زيارة بعد أن فقدت حصانة الأسرة و أمانها صوتها يرن في أذاني حزيناَ معاتباً ..

- يجب ألا تقف حياتك عند رجل اسمه ...

- لكنه والدك .. و سأحافظ على قيمة الأسرة المهنوزة

- المفترض ألا يزورك , لانه اختار تجربته , و زيارته مزيد من

استرجاع صور العناب

أراك الآن إنساناً مستسلماً. لأضعف موقف اخترته و هدمت به كل

شيء , أليس في هذا الموقف تعذيب لي ولك و لا بنتنا ؟ و كيف تستطيع

أن تحتمل هذا الموقف و تمارس حياتك بمنتهى البساطة تطاردني طيور

جارحة , و الأفكار. تحاصرني و ابنتك تسألك :

- لماذا تعود إلى البيت الذي هجرته ؟

- لا أستطيع أن أترك أمك وحيدة .. لن أتخلى عنها ..

- ما يحدث غير طبيعي , المفترض ألا تلتقيا

- ألم تتركها باختيارك .. لماذا تعود إليها ؟...

و يتواصل الجدل العقيم , و أسرارك بالمجيء يتبع الأصوار , أكنا

معاً تمسح جبين الحب الجريح على أضرحة الاحتضار. ؟.. كثيراً ما أقول

إنني سأبقى خارج الأشياء , و لكن الأشياء تأخذني بخناقها دون أن أكون قد

فعلت سيئاً من أجل ذلك

26 - من أنفاس الخوف

شيء ما .. يتوتر في روعي
شيء .. كالحب .. كالجنون .. كالكرهية
كل شيء يموت حولي
الأزهار تذبل
القمر يغيب
الليل بلا نور
النجوم تموت ..
من يزين روعي بالفرح قبل أن أموت ؟..
مادمت لا أستطيع البكاء
كان لا بد من الضحك
أريد خنق الحب ... لاني بدأت أكرهه
لأنني ... خنبت من قاسي الحب

انهدام كامل يشل خلاياي , انظر في وجهه ماذا تفعل هنا ؟..
رأسي مصدع بالأسئلة , و السكين تلتمع على الطاولة , متلكناً , مضطرباً
, و قامتي تنتفض رعباً رغم قوة هدوئي في هذا الموقف المفاجئ , في تلك

الليلة عدت إلى منزلي و صادفني صدتي ألححت عليه بشرب فنجان قهوة , و وافق مرغماً لإنه مرتبط بعمل و كأن قدرة الهية جعلتني أتمسك به , أفكارى مغلقة بالكآبة و انقباض يشل كياني , وبدأ الفلق يحوم , و رأسي يتصدع , وأنا ألمح آثار تخريب في ترتيب المنزل , نبهت الصديق. أن أحد ما تسلل إلى البيت استغرب حالتي و اضطرابي , وأنا أدور في الغرف لأتأكد من حدسي , بناح كلبى الصغير المنهك ينبهني إلى الغرفة الأخرى دخلتها رأيت باب الشرفة مفتوحاً أغلقته بسرعة , و خطفني الخوف وأنا أسمع صوت الكرسي على الشرفة يصدر. أزينراً كأن أحداً يحركه , استغاثة اللحظة توقظني , تنبهني , استنجد بالصديق يخرج إلى الشرفة , هذا الهلاك السريع للحدث حجب الرؤيا , قابعاً كشبح في ظلام الشرفة و الساعة لم تتجاوز الثامنة مساء . و هل هذا التوقيت مناسب للسرقة في بداية المساء ؟ و بفعل الخطوات المتسارعة تنحى إلى زاوية الشرفة مهدداً بسكينه , صرخ به الآخر : ارم سكينك , دكن هادئاً لنتقاهم ... ابتلعنتي انشقاكات الرعب , و اعتصرت أعصابي لتتماسك و استغثت بالجار , و تركته مع الصديق , و يدي ترتعش على سماعه الهاتف من الغرفة الأخرى , كيف تسلل و الباب مقفل ؟.. من أين دخل المنزل ؟.. لماذا لم يسرق شيئاً و كأنه ينتظر. قدومي على الشرفة مع سلاحه , وكيف تمسكت بهذا الصديق , و كل الأمسيات أعود للمنزل وحيدة بنفس التوقيت ؟.. الصور تتداعى , وتفرض نفسها دون انقطاع, و أعصابي أقودها بقوة قبل لأن تنهار و هي ترتجف من الهزال ... حضر أخي مع الشرطة , و اعترف أنه

كسر النافذة الحديدية فوق الدرج و دخل منها إلى دهليز لمنزل الداخلي المؤدي إلى المطبخ , و اقتحم المنزل في السادسة مساء مع توقيت خروجي و كأنه يراقبني بدقة و خذر الكلب حتى لا يهاجمه , أذن هناك من عرفه بمعالم البيت بدقة معرفية , وما الذي أبقاه ساعتين ينتظر. و لا يسرق؟! . صوت الضابط أخرجني من دوامة شرودي .. لا .. لا أنهم أحداً .. أطبقت أواه الجميع ... الحاتة مدبرة لقتلي أو موتي من الرعب, و نظرات تراقبني تسألني : بمن أسك؟ ... من له مصلحة بموتي ليستحوذ على منزلي ؟ الضابط هذه جريمة ضدك أنت .. حاولي أن تحمي نفسك و تقولي من هو المحرض للفعل؟... تجاهلت كلامه . لا .. لن أجزء الحينز في نفسي لن أنهم أي كائن حتى و لو كانت هي , تعطش الوجدان ترك المحبة تحتضر. محترقة و محروقة في ذاتي , و كما يقال - بعض الظن أثم -

فكيف الاتهام؟ .. ذاتي الأخرى المجروحة تصرخ بي من يمينك من اتهامها؟ .. كم عذبتك سنوات وسنوات لم لا تعرضيها لعذاب أيام لتذوق مرارة عذاباتك؟ نهرت هذه الذات الضعيفة و صرخت لا.. العفو عند المقدرة , و أنا قوية بمحبتتي , و لن أسمح للضعف أن يحتل منطقة هدوئي و اتزاني , خرج الليل مرعباً من صوري المضطربة من حزني , من ضعفي و قوتي و هذا الشاب المراهق مسكين كيف غرر به ليقتمح منزلي و ينفذ خطة دفع له مقابلتها مبلغاً ما , كم يُعذب الآن ليعترف؟ كيف يكون موقفه أمام أمه؟ مسكين هو أيضاً و لكن لا بد مما ليس منه بد بدأت أعيد

توازني ، و أمحو صور الرعب و الأشباح و القلق من جدران الغرف و
الشفة التي غدت جحيماً أمامي ، و تتوالى أشباح الخوف لأقل حركة ،
وكل شيء رهبة السكون ، ساهرة في صمت الرعب ، لن أطلب المساعدة
من أحد .. أركز السمع في دمدمة المطر ، وهو يضرب أرصفة الشوارع .
و مطر الليل كالنبض السريع في قلبي المفزع الحزين ، أحاول الخروج من
دوائر التشويش النفسي و أكوم الألم فوق الألم ، لا بد أن هناك شيئاً ما
تيلصص على حياتي و يسيرها ، و كل سعادة ، و كل تضحية قدمتها. للغير
جلبت لي الآماً ، فهل كانت الأمي تجلب لي سعادة الغير ؟... و هل
معرفة الإنسان تقاس بالمفهوم الذهني ، أو القرب التجانسي أو البعد
المسافي ، أسئلة تباغتني و لا أكشف أجوبتها إلا في موقف ما يلغي كل
معرفة لي ، سأسمح مرايا الماضي بماء الطيب و معكوسها يبقى في مملكة
الحلم الأول ، اللحظة الأولى ، الحب الأول و حين أردته أن يستمر في
الحاضر. فوجئت بأنه تغير ، لذا لبست ثوب الحداد ، ودفنته في تابوت
الزمن حرصاً على نقائه أن يشوه ، ويحزنني أن اكتشف أن أغلب البشر
المقربين كأني لا أعرفهم معرفة مؤكدة ، هل يتنكر الإنسان على نفسه و
يعجز عن معرفة ذاته ؟...

و أنت ... هل حمتيني من الحادثة التي عدت وحيدة إلى المنزل
تعادني صورها ؟ و ماذا فعلت ؟ ... أحزنت و أنت تغلق الباب عائداً إلى
منزلك الجديد بكل هدوء حين أحتاجك تدير ظهرك و تمضي ...

27- أرض الغياب

ألوب في فراغات الغياب

الكل توارى ...
أغلق بوابة وحدتي
أرمي أوراق حقايبني
في محطات التعب
تمزق أفكارني برقع الصمت
مهاجرة إلى اللامكان

لا بد أن أطوي وهن الأزمنة التي عبرت
لن أنتظرك , لن أنتظر التغيير , تستطيع أن تنتظرنني أنت , حين
تغير طقوسك مفولها , وجهي الذي تعرفه بدأ يضع في عقب أزهار تققات
جفافها من وجهي و صار كبسمة عذراء شاحبة على شفاه خريف حائر ,
يحتضر. على أكتاف شتاء بارد , أو يحترق في موقد صيف لاهب , أنت
... أنا ذرات غبار دخلنا تجاوبف الحياة من لحظة رفض القبول , و
تدخلنا في المعنى حتى صار الحزن بريقه , أين لغتك الهاربة مني الآن
...؟ لغتي صهوة لرياح تتبعك في أرض الغرابة , لتعرف أين ينتهي الزمن
بك ...؟ هل تختبئ في فراغ يمتد و يكبر و يفرغ الأشياء من معانيها ؟..
لان حبك أصبح المعنى المفقود في حناجر البحر , و البحر مثلنا يجهل
طريق الأزل , لا بد أن أرحم بأحجار. قلبي زمن حبك الأسطوري , كما
يرجم الموج بزبد البياض, و مدارات المياه تضع دوائرًا حوله ..كما حبست
المشاعر المغسولة بالدمع , و سمعت أن تمارس اختناقها. بصمت . سئلت
مرة : ماذا يعني لك الحب ؟.... الحب نحسه دون بداية قوة كونية لا تقهر

إنه تجليات المطلق المتسامي بالإنسان , ويتجه نحو الكينونة لا نحو الملك , لأنه حركة مطلقة للنشاط الإبداعي , والحب سر الفن , والفن هو الإنسان مضافاً إليه الطبيعة , وحين بندع الفن نؤكد وجود الإنسان بكشف آفاق النفس , حزنها , انفعالها , هدوئها , و الكلمة تكون بمساحة انفعالي , و مساحة توتري , ومساحة صدقي الداخلي , فالكلمة هي النبتة اللامرئية على شجرة الروح .. و الشعر هو لغة عشقي ..

يقول شكسبير : - يلجأ المتألمون إلى الكتابة كي لا يمتصهم

الألم -

فالفن يتوهج في الظروف الصعبة . و القلم يشتعل في محرقة الذات و كلما تألبت الصعاب تضيء الصفحات البيضاء باللهب الأخضر . و مهمة الشاعر التفرد مع الأشياء الكائنة من أجل التوحد مع الأشياء التي يمكن أن تكون , لان الشاعر يعلمنا أن نتحدث كما نشعر و نرى فالشعر جزء من أحاسيسي , من أحلامي . حين أنصهر مع انفعالاتي الصامتة المتناغمة مع روحي الخضية , فالفكرة تسكن النثر , أما في الشعر تهديه و ترافقه , ويبقى الشعر شفاه الحرية المفردة على قيثارة العشق الأزلي , و الصورة الشعرية هي التي تضيء المجهول , والنثر لغتي الثانية لغة آلامي و ما ألمسه من الأم البشرية و كل كتابة طقس تجلٍ , والفرق بين الشعر و النثر كالغرق بين سماع المعزوفة الموسيقية و قراءتها , سبحان منشوة الحلم في يقظة الروح , سبحان الذين أحببت و تخاذلوا , لابد الحب قوة و كانت تنقصهم الشجاعة, و أرواحهم مثل دون كيشوت الذي يطارد

معشوقات لا وجود لهن , و لو عرفوا أن جسد العالم يتقجر و صدره يتعب
, و خضرته تصفر , إنما الحب كالموت باقٍ لا استطاعوا أن يرتفعوا إلى
الحب الإنساني النقي ..

من الذي أبقاني في قلبي الصمت أهذي ؟..

من الذي حرق جراحي في تنور الوجد

سبحانك ربي ...

أعفر للذين أحببت , و حرقوني على أعمدة وفائي ...

نظرت إلى صورة - المسيح - اخترق صوته ذاكرتي و كأنه

كوثني :

" أحبوا بعضاً بعضاً .. كما أحببتكم ... "

أغفروا حتى للأعدائكم

حريق نشب في أعصابي و هجمت بقبضة يدي أكسر زجاج

الصورة و أخرج .. و أصرخ .. و أهذي ...

لقد ذبحت بسكين المحبة ... بكلماتك التي هي لزمان آخر .. و

هي الآن غريبة كغربتي مع هذه الكتل البشرية .. سبحانك يا مبدع الحب

سامحني .. صحوت و الدماء تقطر من كنفي و الزجاج متأثر حولي .. و

كانا قد خرجا معاً وتركاني

28- خصل الكآبة

صوتي كبحر مهاجر أبدأ
على صهوة الموج
نهاراتي هاربة من ليل المتاهة

أذوب شمع الوقت
على ضفة فرح
تغرد الطيور حزنها
على دفاتري البيضاء

تمر بي لحظات مريرة , أتحايل على ضعفي و أحوله إلى قوة, قد
يستطيع الإنسان أن يعبر النهر على جذع شجرة و لكن هل يمكنه فعل
ذلك على قشرة الشجرة ؟ !
أيام الحب أصبحت مثل أيام الزهور , والخمر , و الشعر , قليلة و
نادرة أصوغها من حلمي الضبابي , و أعتصرها بمنديل الحزن , لان
الانبهار. لحظة يعيشها الإنسان كضحكة الشمس , أو غمزة قمر , ويصبح
الحبيب ذاك الومض المبهر في صورة جميلة تحتل الأخيلة , و لكن هل
تبقى الصورة كما هي ؟. كم كنت قاسية على نفسي حين عودت قلبي أن
يحترق كفراشة على نور الشموع الهادئ . و أستضيء بهذا الشعاع الباهت
بعيداً عن ضجيج اللهب , بالأمس لمع في مخيلتي طيف رجل أحببته لكنه
بعيد كالغيوم , قديم في ماض بعيد مستهد جدران انطفائي على أعمدة
الفقدان ترى ماذا فعل الزمن به ؟.. لماذا الآن يلح على الببال ؟.. هل هناك
لحظة تخاطرية بيننا فألح عليه أيضاً ؟... أحس دائماً إنني أحمل حقيبة
فيها أوراق سفر للذين أحببت , و كل شيء يتابع اضطرابه حولي , أتمسك
بقشة الهدوء و و ازدهر بأحلام الحب حتى لا يصيبني الذبول , و تبقى

الحياة شبكة من الخيوط أمشطها بأصابع مغمسة بالمحبة , و الأشياء التي
تهرب منا موجودة في الجوهر و حين نعثر عليها و على قوانينها. الثابتة
تقيم التوازن بين ما نريده نحن , و ما يريده الآخر منا .. وبذلك أحد من
رغبات الجسد حتى لا تختنق الروح و حين أهبط إلى الذات أحس بحزن
عميق لاني اكتشف كم كنت موهومة بأحلام زائفة , و أشياء براقية و قيم
عابرة , و الإنسان عادة لا يريد أن يعري ذاته حتى لا تتقطع خطوط
اتصاله بالإنسانية و لانه يخشى فضح أعماقه أمام الآخرين لذلك يعيش
كما يريده الآخرون لا كما يريد و يرغب و لهذا يحس بالانشقاق بين ذاته و
صورته الخارجية .

29- من نافذة التأمل

أرتب خصل أوراقي
كي لا تمحوها الأيام
من قلب زهرة الوجد
ألمح ضحكة النور
كغربة مطر في وطن مسلوب

إلى متى يمضي قطار العمر
على دربه الحزين؟..

قال السرياليون :

- نحن لا نزعم أننا قادرون على تغيير أخطار الناس , و لكن نستطيع الكشف
لهم عن ضعف أفكارهم -

أقف قرب نافذة التأمل , أرى وردة ما ... عصفوراً ما ... كائناً ما
... و بذلك امتلك قدرة التأمل بتركيز أكثر , و حكمة أقوى , و عمق أكبر
, و قدرة التمييز الروحي جعلتني غير مندفعة برغبة ما .. بشهوة , بطمع , و
بذلك استطعت أن أخرج من منطقة حب الذات , لأتأمل من البشر بقدر
معرفتي المتواضعة تجاذبهم , تدافعهم , يخضعون لقوانين صارمة كما
تخضع الكواكب في أفلاكها و لكن لا يتبعون قانونها الثابت نكران الذات
الأنانية من أجل المحبة الإنسانية , أو توسيع إلى حد أن تراها في سواك
فالحب فعل جوهري يحقق به الإنسان ذاته , و الحب أحد الاحتماليين إما
أن نحب بصورة آمنة , أو نحب و نحن نجتاز منطقة الخطر , لذلك الرجل
الذي يعتز برجولته يصبح في الحب كطفل صغير. جائع , ويصل إلى قلب
المرأة بالرقعة و تظن المرأة أنه أحب بينما يكون هو قد انتهى من فعل الحب
, فالحب يلزمه قوة تركيز , ووعي أكبر , و منطق أدق حين تسلك ذلك
الرجل كنت مسلوبة إليه بلغة الحب أدخلني منطقة الخطر غير آمنة ,
حقق لي حماية و منحني الأمان , كبرت في مملكة الحب و بين رقص

فراشات الأيام , و بقيت قبة الهرم الأسروية شامخة على مدى ثلاثين عاماً حتى تكسرت مرايا الصفاء , و انهارت أعمدتها حين غادرني بطغته قاسية معها و إليها و أنا أنظر إليهما بكل حزن الأطفال البريء وجه أبي الغاضب يشحت بي فأرسم دمعي على ترابه الجاف - قلت اختارك غير واع ... -

- لماذا لا يعترف الأباء بأخطائهم؟ .. ألم تتسلمي من المدرسة و تحرمني متعة التفوق و يفرض علي العمل و أنا صغيرة من أجل مساعدة أخوتي الذكور في مستقبلهم , ألم تعرضي للقهر و التجارب المريرة و المسؤولية التي هي أكبر من قامتي لن أدخل في تفاصيل مؤلمة و هل يحس الآن بي أخوتي و بما عانيت من أجلمهم؟ .. و كنت عزلاء .. غريبة مطواعة , هذا العذاب خلف آثاره في كل مجرى حياتي , أحس بحزن دفين في أعماقي و بالعزلة مع أقرب الناس و خلقت حالة الرضى لأستطيع العيش بسلام , و كل من حولي أراهم يعيشون الطهر في قلب الآثم , و الكراهية في قلب الحب .. و الأخذ في قلب العطاء و القاتل يمشي خلف نعش القتل و يبكي لأجله. و أنا وسط هذا الضجيج الكوني و قد قتلني كل الذين أحببت ...

أنا عاجزة عن فهم نفسي , أو رفض أن أفهمها أو أفهمها و أتجاهلها وحالة الإنسان فقيرة كحالة الزورق الذي يغير اتجاهه .. مكانه .. زمانه و لاشيء غير قابل للتغيير ما بين الولادة .. والموت .

30 - ذاكرة النسيان

كم كان غيمنا الوردي
مستغرباً همسه المعزول
بين أحاسيس الظلال
أجفل ملاك الحب
في قلب قسوة الإنسان ؟
تفردني أيتها الروح

كعذراء عارية
ناصعة كالحقيقة
على صدر النياض
أيها الدمع كحروف اللؤلؤ
على سواد القلب
ادفن سوادي ...
في وجع الأرض

أمشي مترددة على أرصفة الرماد , أحرق في رعب النهار , أحرق
هذه الأرض من تعبي , أتلصص أعين السماء لتضمنني بسكينة الهدوء أحزم
كتبتي و أوراقي و تهرب مني طيوف الرؤى على مائدة الوقت زخم الأفكار.
يلاحقني , نوافذي تتأرجح ضحكاتنا للعتمة و النور للفرح و الحزن ,
أتساوت لدي الأشياء ؟

البشر يتوافدن , يذهبون كقطيع شارد و الأرض تحترق من الأهم
بينما البحر ينزف , و الرياح تعصر جراحها , والينابيع تنكي... و للطبيعة
جلباب غضب أيضاً أنظر إلى شجرة السنديان الساقعة ضجيج خواطري
يهز أوراقها , و يهزني الشرود التائه بي فاكتب لغة الدمع على جذعها
الصلب الذي يتسرى إليه ضنى النفس اقرأ لغتي : حزينة لانني وجدت
الحب وهماً باطلاً ومن أجل الحب تخليت عن كل شيء
من أنت ؟ من أنا ؟ من نحن ؟ ...

سنصبح ذرات في فناء اللامعنى ,ندخل في تشعبات العتمة الذاتية
و بعد أن غادرتني لم أعد أعرفك , ولن أعرف ما يعرفك , و ماذا فعلت
معرفتنا بنا ؟.. تباعدنا أكثر فأكثر. و التقينا كأغرب يبكي و ظننا حزننا ,
متى تلاحظ أننا نفتفي آثار على تاريخ الأيام ؟ بدأت أتألف مع نفسي
المزروعة في أرض بكر , و أتأمل الكائنات بنظرة أكثر صفاء و يحزنني
أن الجهل أصبح في زمننا أعمق معرفة لانه يستريح مطمئناً على جنبات
الحقيقة , و من الصعوبة التعامل مع الكائنات المشوهة أو المتتكرة لأنها في
صراع بين الرفض و القبول , الممكن و المستحيل و التطور و التخلف , و
أتخطى جسور الحينبات رغم خطوات التعثر و أحاول أن أجمع بين الذات
و الموضوع , بين الحلم و الواقع , بين الفكر و الفعل فالتغيير يبدأ من
الذات حين نرغب أن ننمي هذا الذات و ننبذ عنها الموردث وما فيه من
شوائب , أو الخرج عن بعض القوانين الاجتماعية الجادة و نقطة
الانطلاق من الإنسان ذاته حين يملك رغبة التغيير , و إرادة التطور
الفكري , و النفسي , و الثقافي و الاجتماعي و بعض الكلمات التي
حفظتها من حصيلة الثقافة تقود فيما يحيض معاني الإنسانية:

- لا يوجد شخص لا يمكن تعويضه
- سرقة العظماء فضيلة , لذلك نعاقب سرقات الفقراء بقسوة
- أن يبقى الإنسان مخلصاً للإنسان أعظم و أصعب من أن يظل
مخلصاً للدولة

- التضحية موت الضعفاء .. و الأخلاق مشيئة العظماء على
الآخرين ...

31- خبز الحب

أخطواتنا تتعثر على وحل
أرصفة الفقراء ؟
لم لا نرمي خبز القلب
على مائدة الحنان ؟
أغدنا مغمورين بالغرابة
في زمن لا يعرفنا

و جسد معرفتنا
مقتول على عتبات الفكر....
أغمض عينيك
لا تشهد معي اغتيال الصديق
في زمن عرفته
غرر بك كطفل
لا تحزن ... سأحبك أقل من الأمس
و أكثر من الغد
لا تحزن .. سيغلق قلبي المحب
بوابة النسيان

زمن الأمس يبكي
ركبتي نارنا
لها وقار الغناء

أكثرنا يدقق في أعظم الأشياء و ينسى أن يتأمل الأشياء الصغيرة ,
لان التفاصيل الصغيرة رغم تفاهتها هي التي تستطيع أن تتغلب على أعظم
بطل صورتني كمل هي لا كما يراها الآخرون , و ربما كسفي الواضح لها
جعل الآخريين يستغلون أقدس أشياءي و أحب ممتلكاتي التسرع مع الآخر
و الوضوح هو الذي يجعلني أتورط في مواقف كثيرة و أفقد ثقتي بالآخرين ,
وضجيج الآخريين جعلني أركز على معرفتهم بدقة , لان عفوية التعامل

معهم جعلتني أهتز من الأحداث التي عشتها و دفعت ثمنها غالياً ,
المنطق يرفقني بقسوة لاني لم أحسب النتائج , ولم أدقق بارادك واعٍ سلبية
الآخر و تعامله معي وفي أغلب الأحيان يتهرب , و يتوارى في المواقف
التي تتطلب مواجهة مع أقرب الناس , أصبحت خالة التواصل الصادقة
والوفاء شيئاً دائماً تخاف أن تدان بصدقها. و أن تكشف خفاياها , أو تعبر
عن ذاتها , رغباتها , أفكارها , رفضها لأنها دوماً تعاني من الحصار
واللوم و التآنيب من سلطة ما ... لذلك المرأة الواعية تصطدم بهذا الواقع و
تراجع وتتكمش تقتل الطاقة الابداعية حين تلتف حول عنقها حبال تكاد
تخنقها فترزح تحت أعباء , وقرارات وعادات كافية أن تشل حركتها و تعوق
ارادتها الحرة , و تبقى رغماً عنها خاضعة لمفاهيم خاطئة , وحين تتمرد
المرأة وتحرر و تقرر اختياراتها بالأسنة الآخرين و تكوى بنار تعذيبهم لها ,
أليست المرأة في مجتمعنا مهدورة عاطفياً و جسدياً و عملياً و هذا ما يشل
طاقاتها و يجعلها متكئة على الرجل في كل شؤون حياتها ؟ متى تستطيع
المرأة أن تسرق نار المعرفة و الوعي و بذلك تعطي الدفء الأكبر للرجل ,
و متى تملك قوة تغيير ذاتها من الجوهر وليس فقط بالمظهر الخارجي ,
ومعانة المرأة المواساة تزيد معرفتها , وتحسسها. بمكاناتها في هذا العالم ,
ولكن هل تحرر المرأة إن لم يتحرر الرجل !؟

32 - محاكاة الذات

هل سرقنتي أم سرتك
من المستحيل
غيرنا مفاهيم الحب
وغرقنا في غربتنا
و بقينا نتواصل ...

قال أحدهم :

المرأة قبل الزواج حلم غاية قائمة بذاتها , أما بعد الزواج تصبح
صورة منحطة إرهاقاً ومسؤولية ... ومع معاناتي الطويلة تعلمت أن أحب

الإنسان , رغم أن الإنسان لم يعلمني الحب , لانه إنسان شاحب و متحد بالجسد , و كنت أندفع بمحبة لا تنتهي و نور الله يضيئني هذا النور أبعدني عن ظلام العالم المادي , و قربني من إنسان المحبة .. و التسامح و العطاء ... الضجر الروحي جعلني أستظل بأفياء شجرة التصوف التي تخصب ثمارها من تربة الحب الإنساني . و هل كان المتصوفة ألا غصناً من أغصان هذه الشجرة الوارفة باسمى المعاني الإنسانية ؟..

تراكمات هلامية متعبة تبقى تثقل الذاكرة , و تمر في الخيال و مع العمر تصبح أقل انفعالاً , و أهدأ توتراً , و الزمن هارب أبداً لا يمكن القبض عليه , أما المكان يبقى و كم شكل لشعراء الغزل حالة عشقية من التذكار و الطيوف و يبقى الحب كالزمن هارباً أبداً حاضراً أبداً و ما فعل الزمن الا شعورنا بالعجز و الفصور لان كل كائن يولي من الكون كفرار حلم , فأحب أن أزهر زمني حتى لا يصيبه الذبول , و الله - جل جلاله - حقق بالجمال الخلود في الزمن و الإنسان حقق الخلود في الفن , فالحياة الحقيقية في براءة الفعل الخالد , و الإحساس الحقيقي هو الإحساس بالشيء من الداخل فالزمن حركة متغيرة , و الخير يتعقب الشر , و الفرح و الحزن جزر الحياة و الموت هو الصخرة , ضمن دوامة التناقضات احتل زمني بالكلمة أولاً ... و بالمحبة ثانياً , وكل شيء يغني أما كتب الحب تبقى خالدة خلود الحب في المطلق ... فالكلمة هي الإنسان و هي بنت الذات المزروعة بالأحاسيس و الغراس المثمرة بالصدق .. فألون كلماتي بألوان الفراشات و أضيئها بقنديل المحبة و مساحة الكلمة بقدر انفعالي ,

ثم تتطاير بين حضل الأوراق المشردة مع الرياح أليس عطر الحرف أجمل
عطر لانه يوقظ الأحاسيس و ينعش الورق ؟ مازلت أركض في غابات
الأحلام ومني تتبعث رائحة طفولتي البرئية و أنا أكتب طقوس ذاتي من
نقاط الوجد الصوفي , و حروف الإنسانية , و قلبي ساكن و دمع ... و
دالية الروح تبقى خمرانة من الكروم الريفية و هي تلاحق فراشات الحقول
أقل حقايب غريبي الذاتية , طيفك يعاودني من الصعب أن يغادر الذاكرة ,
أو يغادر العمر المشتعل بك ! ...

33- رهج الأمس

كرهج الأمس ..
حنايا وردة الأشواق
صلاة عطرنا
كم أقمت لحضورك
طقوس فرحي و حزني
كما ناء مكاننا برقص الجمل
و مض الأنبهار.
لازورد الحب
يتدلى على غرة الشعر
بعيداً عن عيون النهار

ذاتي المسجونة و المعزطة بحساسيتها. أكثر عذاباً حين تجعلني
أتأمل هذا العالم و كم يلزمني من الجهد و القوة لأهدم كل الأطواق التي
تحد من انطلاقي من رغباتي , من طموحي رغم أن العالم يمر بمراحل
التطور , و التطور يتبلور في اتجاهات المفكرين و الأدباء و لكن عرء
الأوصال الاجتماعية بدأت تتفكك , و تخضع لعملية التطور و التغيير و
التجدد , و هذا التجدد يبعد الإنسان عن استتساخ الماضي وينقضي
الرواسب الكامنة في جذور الشخصية العربية حين يبدأ العقل يكتشف
الأنى , و دور المبدع أن يغمس قلمه في أعماق جيله , ويتلمس أوجاعه ,
بحيث يصبح همزة الوصل بين الإنسان و بين معاناته و يصبها على
الورق بكل أحاسيسها و زفرتها و كل كتابة حقيقية تمتلك جدلها الخاص و
كل كتابة جديدة هي حرية لتجربة أعمق و أوسع , ويقاس الفن العظيم
بمدى تفلفه في النفس البشرية لا في التقاط الظواهر السطحية فقط ,
فالجوهر. هو الذي يستحق أن يعبر عنه بالحروف لذا نرى أن الرواية تتعثر
و فق ما تكونت تاريخياً , و هي بين الدراما و الماضي , و مذكرات
سياسي , و اجتنتت القيم القديمة على العقلية المعاصرة مما يؤدي إلى عدم
التكيف مع الحاضر. الجديد , و لكن انطلقت بعد ذلك حين بدأ الكاتب
يتعمق بالوعي و الذات البشرية فدخلت في حالة التطور و دخلت مرحلة
حضارية لإنسان ينزف إنسانية و التعايش مع أزماته
- دوستوفيسكي - عبر عن الذات المغلقة بكل معاناتها و

انعكاستها. و الذات تمثل في جوهرها كل مجتمع , و كل عصر , و كل زمن

و استعمل المرنولوج الداخلي في تجسيد البنيان الداخلي للعالم الشعوري ،
و صور قضية الإنسان الكبرى بكل أبعادها فكانت رواياته امتداداً طبيعياً.
للإنسان و المجتمع و لكن مازلنا نعاني صراعاً بين التطور الحضاري
وبيت أشكال محنطة كالمومياء و عملية الإبداع محبة كونية في مغامرة
الفن ، لان هو التعبير عن صورة الجمال و تحويل الشكل و اللون و
الأرض في عملية خلق للمادة المحسوسة و البحث عن معاناة الإنسان
بروح العصر ...

34- الكلمة مسؤلية وفعل

أليست الكلمة مسؤلية وفعلاً , و العمل الأدبي محوره واحد سواء كان امرأة أو رجلاً , وكثير من الأدباء عبروا عن الآلام الإنسانية من خلال المرأة تولستوي - أناكارنينا - فلوبير - مدام بوفاري - جوته - آلام فيرتر

فالمعرفة لغتي نضارة الرؤيا , و تتيح لنا التعبير عن الأشياء العميقة و كل ثقافة تؤدي إلى المعرفة الإنسان يشارك في مشاكل الوجود و يحس بها و الثقافة مثل مدن الأساطير. لا تنتهي ... و إذا تأملنا تراثنا الثقافي نلاحظ أن الثقافة لا علاقة لها بالأعوام نهائياً بسبب اختلاف الأهداف بينهما .. فالثقافة جزء لا يتجزأ من - الفن , المسرح, الشعر , القصة , الرسم والأعلام هو أحد الأساليب الترويجية للثقافة ومنذ نشأة الأعلام حتى الآن لا يشكل أية حالة ثقافية , لهذا الأعلام بحاجة إلى الثقافة و العكس ليس صحيحاً , فالأعلام يصنع و لكنه لا يصنع ثقافة و ذهاب المثقف إعلامياً لا يفرغ المكان الذي ذهب منه لانه يأخذ معه ثقافته

, و كثير من الأحيان يبقى الأعلام غافلاً و متناسياً الكثير من المثقفين
المغمورين الذين لا يسامون على فهم , و لا يعيئون بالعتيم الثقافية ,
والأعلام بحاجة إلى وجود ناقد متخصص ليجعل من الفن مركزاً من مراكز
الإشعاع الفني

35 - سرية اللغة

أجمل سورة للحب
أبجدية حروفها .. قلب طفل
ازرعني كلمة في براءة
حضب الوعد ...
كم بكتنا جروح الأيام
مناديل دمعنا
تساقطت لهفة مشتاقاة
صوفية النبض
لا أنت نسيت ..
و لا أنا انطفأت بين حجر الخلوة
كلها قرأت ورقة طواها
الورد كتب وجدي
أفتتح بستاناً

- إنني اكره كتاباً لا ينطبق على حياة مؤلفه , فالصدق شرط أساسي في العمل الإبداعي ...

و إذا وجدت ميلاً للكتابة فلكن فيك المعرفة و الفن و السحر ...
وفن البساطة يسحر محبة القراء فالفن وحده لا يموت بل ينتقل من جيل إلى جيل , وفي الفن لا بد من اختيار ما هو حي من التراث و الابتعاد عن التعصب للتراث , و المبدع ينتقي ما هو صالح لكل زمان, وما تجاوزه الزمن يكون قد أدى دوره و انتهى , و الفنان يبتدع في الزمن المطلق و رؤيته تتجاوز مستمر للواقع , و أفق ممتد من الخلق و التصور , و مهمته أن يتجاوز ما هو قائم و العبقريّة هي ما نبتدعه في المواقف البائسة أما الشعر فقد قال أحدهم : هي الكلمة البكر هو فعل الخالق و المخلوق و هو الكلام في الحال المتولدة لغة الشعر هي بوح غير واعٍ في النفس , و لحظته لا تعمر سوى هينهاة قليلة لأنها تحول الشاعر إلى غيمة عطر ترسل قبالتها إلى الأرض, و تتفتح براعم أحاسيسه في تربة الإنسانية و نشوة اللغة تكسر الشاعر و ينتشى الشعر من حرية التعبير و صدق البوح و يتحرر من الشكل الثابت المغلق إلى الشكل آخر أكثر فضاءً , و كل نص لا بد أن يستقي من الأصالة من شجرة التراث دون تقليد الموروث ليخلق فروعاً جديدة يكشف من خلالها الجمال في صور فنه , فالشعر

ليس صناعة , ولا زركشة لفظية مغرقة في اصطیاد الألفاظ و الصبارات تؤدي إلى ترق نار العاطفة فتصبح القصيدة لوحة براقية , و الشعر يمر بمتاعب كثيرة الفلق , الضیاع , تعقید التراكيب غموض المعاني , و كلمة الشعر مصطفاة من عظمة المعاناة الإنسانية , لان الشعر سحر العالم وهو الذي يحرك القوى النفسية ليدخل بنا منطقة الحلم , وأعظم الفنون أشدها تواضعاً و بساطة , و بين العالم و الشاعر مرج أخضر إذا اجتازه صار حكيماً لان الشعر يترنم بنشيد الفكر , و للشاعر قلبان قلب يتألم وقلب يتأمل وقد قيل: روح الفيلسوف عقله و روح الشاعر قلبه و روح المغني حنجرته و روح الراقصة جسدها و يبقى الشاعر رسولاً يقرأ نص العالم , و يوحى له أكثر مما يوحى إليه أليس هو – الراف الذي يبذل الودع بالأبجدية – ؟

قال ايلوت : - ضرورة اقتراب الشعر من كلام الناس و الإفادة منه من حيث النظم و المبدع الحقيقي هو الذي يغوص في حادثة الحاضر . , وأصالة الماضي

أبو العناهية لو شئت أن أجعل كلامي كله شعراً لفعلت , و قد كان مؤسسي التجدد الشعري , و أطلق نفسه من التقيد بالمعاني و الألفاظ و آتى بمعانٍ جديدة, ونظم على أوزان لا تدخل في العروض و لما قيل له في ذلك أجاب – أنا أكبر من العروض –

فالحداثة إبداع فكري و إنساني , و تحرر من كل ما يشكل عائقاً في تطوره حتى يستطيع أن يخلق صوراً اشراقية لحركة الكيان الإنساني ,

و الشعر التقليدي مفرداته جاهزة المعنى لغرض ما و سحره في البيان و
البدیع و الموسیقا أما الشعر الحر یحملنا إلى معنی الحدس و الرؤیا , لانه
هكذا كيانية مستمدة وجودها من التجارب و من الصدق و الانفعال و
الخیال و الجمال الحقیقی لا یمكن فقط بالشكل بل في الجوهر و الائمة في
النقد الحديث أن التجربة لا تتفعل في الأثر الفني عن أسلوب التعبير عنها
, و الأسلوب هو (اللغة , الرموز , الصور) حتى یصبح نص المبدع
شیئاً نابضاً یفاجئنا و یدهشنا و یعبر عنا
فالنص هو صورة الأديب بحيث یصبح بین القارئ و النص إلفة
محببة و مودة , و النص الذي لا یتفاعل مع الذات یسقط , و مفهوم النقد
الصحيح هو الاهتمام بالنص لا بالكاتب , لان الناقد الحقیقی هو نافذة
القارئ لیوسع معرفته و یقدم له نصاً آخرأ یُقر به من الكاتب
و قد قيل :

- القراء یقرأون بقلوب برئية , و بعض النقاد یطبقون نظرياتهم و
في رؤوسهم أحكام مسبقة و جاهزة أو یعزلون النص , و یرسمون خطوطاً
و دوائر , یتسقطون المفردات باسم البنيوية أو الألسنية

36- سفر البعد ...

طيب بحناء الوصل
أصص ورودي
حفر كلماتي
نحنٍ للشعر بحة أنفاسك
ريحانه صفحاتي
باركني كصلاة غيوم
لرعشة الدمع
شوارع ذاتي
بارك شجر العطر
كروم قلبك
ألا تذوب نعناعك
في كأس شوقي ؟
أما عطرنا كوناً بالحب
ناي الزمار تواقه
دائماً للمراعي

سقوني طفولة مزهرة و زرعوني دالية في كروم العز و الدلال ،
فبيقيت عنقوداً ناعماً في بستان طفولتي و ترفض الطفلة في داخلي أن

تكبر .. أنتمي إلى الكروم , و أبتسم كعصفور في الحواكبر , وألاحق فراشات المرح لان أتأمل الريف السخية عطرتني بالصفاء , وعلمتني كيف أتجدد ... في منزلي كنت أحرص على زهوري كأطفال لي , و كان حزني شديداً حين بيع سطح المنزل و أقفله المالك الجشع , رجوته أن يترك لي مفتاحاً فقط لأجل زهوري رفض بقسوة قائلاً : ضعيفا. في مكان آخر لكنها ستموت بلا شمس و لا هواء و لا مكان لها في المنزل الصغير , و انتزع القظ القديم بقل آخر , بكيت بحرقة و أنا أتأملها من نافذة منزلي و أخشى أن تذبل من العطش و الرعاية , و خطر أن أكسر القفل و لكن في العملية مسؤولية , و سيلتي الوحيدة أن أصلي إلى الله كي يهطل المطر يا ألهي ... الياسمينه تنتحب , الجوري يخنتق , و لابد من وسيلة للتفاهم معه حتى يرحم زهوري الضعيفة و يسمح لي فقط بسقايتها ورقاً أخيراً بعد أن استجاب لإثارة عنصر الرحمة في داخله ... أما لعبي الموزعة في أرجاء المنزل كانت تعني لي حكايا طفولتي الجميلة و كنت كذلك أعنتي بها و أعيش معها بذكرياتي هذه العاطفة الفياضة التي من الله بها قلبي جعلتني أبكي لصوت قطة جائعة أو حمار ينهق من التعب, أو عصفور يبكي في الفقص , كم هي مخلوقات ضعيفة و لا تستطيع أن تعبر عن حالاتها و رغباتها و كم يزداد حلمي بامتلاك مزرعة أرى فيها الحيوانات تمرح وتأكل بعيدة عن شرور البشر و قسوتهم , هذه المشاعر لم تفارقني لانني عايشتها في ريف جدي الجميل و الإنسان مرتبطاً بطفولته.. وهي التي تساهم في بنائه النفسي و تكوينه فيما بعد.. و لذلك رغم متغيرات الحياة .. و رغم جو

المدينة الصاخب بقيت هذه الآثار تلازمي و تنعكس في سلوكي العفوي ,
و و طبيعي الريفى , وتتسلل إلى كتاباتي بعيدة عن التجارب التي صقلتني
, و الهموم التي تقات من عمري و بقي هذا القلب لا يكبر , و هذه النفس
لا تهزم , و يدور حزى في متاعب الأيام و يغرف من دمع السنين , وأحس
أن الوعي لذي لم يكن منسجماً مع الواقع , لذلك تتمرأى الحروف على رؤى
الأحلام بذلك الرمز الناعم , و الايماء الخافت و التمرد و الشموخ و كل
شيء يتساقط في مساحات مرعبة و أعين الظلام تراقب حزني حتى بدأت
أقرأ العتمة في أجفان وجودي , و أحاول التمسك بومضات الفرح التي
تهرب بين طيات الغبش الرمادي, و تتمدد في ذاكرة القسوة مع الذين
ظلموني ... ومشوا فوق دروب عذابي , ومع ذلك تغلبت على شهوة الحقد
المجنونة و نزعته من منطقة ذاتي , و أتأمل بصمت مقهور كل الأشياء
الجميلة التي انتزعت مني , ويبقى في القلب يتفرق نبع الصفاء النقي
أغسل وجهي الذي ضيعه الحزن بماء الفرح و أهدل غرة الإنسانية على
جبيني المتعب , و ما يخفى في النفس هو المفتاح جوهره لان المعرفة
بالآخر ليست سهلة , و لا تتوطد أواصر المودة إلا بمعرفة الآخر من
الداخل

يقول يونغ : النفس قوة واقعة بين الشعور و اللاشعور , و كلما
ازدادت ثقافتنا زادت معرفتنا , و لكل شيء جذوره في ماضي الإنسان و
بيئته و الإنسان يضطرب إذا عاش خارج تاريخه لانه تعود على العيش
داخله , و لاننا نخاف التغيير , نتوحد مع الأشياء الموجودة و المتعارف

عليها , و لا نبحث عن الأشياء التي نكتشفها نحن وفق ما هو أصيل في
الذات , وحين نحس بالآم الآخرين ونعكس تجربة الآخر على ذاتنا نستطيع
أن نحيا إنسانياً ألأنا نخاف التغيير نفع تأثير الآخر فينا ؟.....

37- زمار الحرف

أأزهر هزار الفرح

مناتباً بين جراحي
حزني يغني ضجر ... فؤادي
ربت على صخري الواهن
كناي غريبة
يتسرى دمع لحنها
عضص مفرداتي

قال هوغو : إذا كنت إنساناً فكن حياً

لأحزاني السرية عسافير. رغبة لا تظهر إلا في أحلامي و لا
تتكشف إلا في لحظات التوهج , و أغمض أجفان الأحزان على الأشياء
الكامنة في داخلي من أجل التوحد مع الأشياء التي يمكن أن تكون هاجسي
الكتابي لأعبر عن إنسانية المحبة في قوتي , فالمحبة التي لا تتبع كل يوم
تموت كل يوم , لان المحبة والموت وحدهما يغيران كل شيء , و الإنسان
الضعيف هو الذي لا يحب فالحب وحده هو الذي جعل ذاتي تعيش و تنمو
مع الحزن فيؤول حزني إلى فرح و يمدني إلى القدرة على الكتابة في ليالي
عزلي المتراصة

قال ليو الإيطالي : الحب مقسم إلى ثلاثة أقسام : الحب الطبيعي

و الحب الشعوري و الحب العقلي .

الأول : القوة التي تجتذب مياه النهر إلى البحر و الحجر إلى

الأرض و تحفظ النظام الشمسي , والنجوم في أملاكها الدائرة

الثاني : محبة الحيوانات بعضها لبعض و تعلقها بمن يحن إليها

الثالث : الحب بين الخلائق العاقلة كالملائكة و البشر

فالحب هو الذي يعطي الحياة , لان ينتعش بالحب , ويرتقي من حب الحب إلى نشوة الارتعاش بالمطلق. الجميل , و بذلك يتجاوز الواقع و يدهش مجتمعه بفكره قال فيلسوف يوناني العناصر. الأربعة الأرض , الماء الهواء , النار كانت ممتزجة بفعل الحب و انفصلت حين دخلها البعض إلى أشكال مختلفة و تولد النبات و الحيوان صراخ حنانك المهجور جعلني أهرب إلى الطريق الأحلام بينما الجسد يضعف..صرخ حنانك يوقظني بعد أن وضعني في هذا الليل الغامض و نوافذه الوردية كانت من شذى حبك تحد تكون الصانع الحاذق للمقدمات و لكن النهايات هي القول في بنضك المغلق رغم نصوصك المفتوحة ...

الكلمة هي البدء .. و بدايتنا وعد , أين هجرت وعدك البدائي ؟
أتخاف من مواجهة نفسك , لذلك تدقق دائماً في أخطاء الآخرين
أهو خوفك الداخلي يجعلك تضعف و جعلك تخضع نفسك للقبول و منطقتك
لا يزال يرفض ؟... لا تلقي الأخطاء على الظروف .. ابحث في ضعفك

38- سماء للحنن

أسكب من جرار صمتي

نبيذ همي

لمساء حزين

أعتق شجون الأيام

في مركب رحراح

قلبي تائه كأصابع القمام
نوء الوقت
يلهث الشوق مختبئاً في ثنايا الانعطاف.

أقصص ثوب الصبر بعد أن طال على قامتي النحيلة , و أرضي
جدائل الهدوء على أشد المواقف انفعالاً, لأقدام ضعفي و قهري المسفرح
على جنبات الليالي , أخرج من حفرة إلى تل , ومن صعوبة إلى أخرى لقد
فتحت نوافذ مأساتي , هل بدأت ذاكرتك تصحو لاني انطفأت أمامك ببطء
؟ أن أستعين بأحد حتى أنت ...

ربما فقدت بعض الوقت بعض قدراتي على التركيز , صوت أمي
يؤلمني لانها علمتني الخضوع و الاستسلام هل حدثتك يا ابنتي عن
صباحية عرسي ؟... و سمعت هذه القصة مرات و مع ذلك لن أخلجها
بسماعها تركت آثاراً في ذاتها حتى عمرها المتأخر , خرجت للشرفة
صباحاً و كنت صغيرة حين تزوجت , و لا أفهم من أمور الحياة سيئاً لاني
ريفية جاهلة صفقتي يد والدك , و فهمت لان قميصي كان شفافاً و قد
يراني الجيران - قصة صغيرة منها تعلمت أمي الخوف و الخضوع لأبي ,
و عودتني أن أكتم أنفاسي و استسلم لارشارات مرور الزوج . و كلما
تعمقت في معاناتي وفي هموم من حولي , و هموم الحب , أتألم لهؤلاء
الذين يسرون وراء أشباح البغض و الشر , لقد رأيت كل شيء و احترقت
بأهم الأشياء و تعلمت الحكمة من صعابي , و أعود للنهار الذي يشرق من

أنفاس الشمس الذابلة وطيف الحب كرشق الياسمين على خد الشتاء في
دهشة النور يبدو على جفني نعاس الضنى و قلبي شارد كريح , وروحي
جزيرة نائية أتحايل على لغتي و لكنها تبقى عاجزة عن نقل الكثير
فالخجالت الداخلية تفقد بريقها حين تتكسر على حوافي القلم مهما كانت
اللغة عفوية و صادقة , كأني ضالة دائمة بحاجة إلى شيء هارب مني
ومن يشتهي أن يفعل شيئاً يبقى في دوامة الرغبة المكتوبة حتى تموت و لا
تتحقق .. ألا تدفعنا الأحزان حين تمتزج ببعض تجاربنا إلى الخلق ؟
لان الإنسان الحساس هو الذي يرى أعمق و أكثر , و الحياة
تتطلب منا شجاعة كافية ...

عتمة الشتاء تزحف متعثرة بعد ليل كئيب , و القمر يجول وحيداً
شاحباً و النجوم تولد ثم تتطفئ و قلبي يذبل و يثني ببطء من الخوف مثل
زهرة تموت لان القنوط يخيم علي كسحابة سوداء .. تعلمت من البجعة
العاشقة أن الآلام الخفية تكون أكثر عمقاً ... النجوم بدأت تهبط في وقار
ونعاس أحلامي يغشى قلبي الواهن .. هل يطيق هذا القلب حب البشرية لو
لم يكن لديه حبيب ؟ الصخرة الصماء تتصدى لموجة القلب الكبيرة و تزيد
في ارتفاع زبدها الجميل و الإنسان يتحد مع الطبيعة و يحدث تناغماً
جمالياً كتناغم الأرواح المحبة... حين أحلم .. كل حلم يمثله واقع ما ...

39 - جراح القلق

لم تزهر طويلاً
زهرة قلبي
رقيقة كسحابة صيف
غمر الأخضرار الشاحب
سخياً كدمع حزن
يسهد حزن أوراقي

قال أحد الفلاسفة :

- البيئـة هي الإحساس في السلوك الإنساني وتغيير البيئـة هي تغيير الإنسان -

أعتقد أن رغبة الإنسان في التغيير هي الأكثر فاعلية في تكوينه السلوكي أتحيل على لغتي كي تتفاعل مع حالتني وتعبّر عنها بدقة شديدة كما أحسها ومهما حاولت تبقى عاجزة عن استيعاب الكثير عن الأفكار. والعواطف والمشاعر والإنفعالات ، لأن الأحاسيس تفقد بريقها حين تنكسر. على أصابع الحروف.

وأنا في هذا العالم المهموم بدأت أبحث عن ذاتي ، أبحث عن الحقيقة ، معرفة جلجامش فيما لم يراه ولم يعرفه ، هل هذه هي الحقيقة ؟ ..

أتعمق في الفكر ، فأجد أنه الوحدة العميقة التي تأتي من التجربة الحية في التواصل مع الكون والأشياء من خلال المحبة فيفتح الفكر بشكل أوسع مع الخيال وقد قيل - إن الذين ندعوهم رجال الفكر لا يفكرون بما فيه الكفاية لأنهم يفنقرون إلى الإحساس بالواقع - .

لا يكفي أن نعرف ماهية الأشياء ، بل علينا أن نعرف من أين تأتي هذه الأشياء ، وفي كفة الحياة ميزان يحمل شقاء البشر ، والثانية رغبات البشر ، تلك الرغبات التي تقيد أنفسهم وتسجنهم في تهايات صغيرة .

غناء البلبل في الليل رخيماً، ومع ذلك حبسه الإنسان في قفص ذهبي وبقيت روحه متجددة بالغناء، وهل يستطيع الإنسان أن يشعر أنه كامل إذا لم يكن لديه الشعور بالصلة التي تربط البشر ؟.

همي الوحيد هم البحث عما يفهمني، فأنظر إلى روعي لأصلح ما فيها من أخطاء برقة ولطف، لأن لو نظر الإنسان إلى وجهه بالمرأة بوجه حقيقي سوف يرى العالم وروحه في لجة مخيفة. لأن حياته سلسلة من الضلالات والأوهام، والفهم الكامل لذاته يجعله طوافاً حتى فوق خطاياها. دخل يحب الحياة يفهم معناها، فالعيش في توتر دائم يعمق الجوع الروحي ويجعلنا تحس بالمرض والخوف من وجودنا ذاته أليست الورقة المرتمية على غصنها يتمثل فيها الخير والعطاء ؟ .

كم هو معذب أن يبقى الإنسان وحيداً وشقيماً ولكنه السبب في سعادة غيره والحقيقة عديمة الفائدة بالنسبة للبشر ..

كتب أحد المبدعين :

" كانت الآلهة حنجرة فخلقت الإنسان ، وكان آدم ضجراً لأنه وحيداً لهذا خلقت حواء، صار الناس ضجرون ضجراً اجتماعياً وشعروا أن عليهم أن يمتعوا أنفسهم فبنوا برجاً عالياً ليصلوا بواسطته السماء .. وتبقى الروح التي تسعدها عذوبة الغبطة لا تشوه " ...

40 - حقول تتعري ..

قلبي مغارة توجع
كغابة مرمية في ضجر المساء
غيمة حزني
ترخي كتفيها المتعبين
حناناً للضباب
هول رنيم الفرح

كهزار شجر العمر
غيمنا الأخضر.
توافق لضحكة الوجد ...

قيل - يوم الدينونة هو اليوم الذي يستيقظ فيه الأموات ، ويحطم
فيعه أول كائن بشري الحلقة الشريرة التي تجعله أقرب إلى الحيوان أكثر من
كونه بشراً. هنا يبدأ الزمن الحقيقي وينتهي التاريخ..
الإنسان الذي يحلم بأرض الخيال، لم يعد في وسعه تحمل نور
النهار العادي .

والذي يبحث وهو يتألم يكتب بدمه، في حقول الحياة العارية كنت
أتقيأ بشجرة الطيب الإنسانية، وأكسر أقوالك النفاق، والخداع، والمادة ،
والجشع .

لأن الخير أصبح نادراً، والصدق مستحيلاً، والعطاء صعباً، فنتشر.
على أصابعي ثمار الإنسانية كشجرة أرميها على الطرقات .. وأرسم وجه
من أحببت كنجمة هاربة أمشي فوق جراحي، وخمرة المطر تجعلني أستحم
بسلام كل أطفال العالم .

الطفل يتلاشى في الشاب، والشاب في الرجل، فلا يفنى الطفل ولا
يفنى الشاب الكلمة التي تعودت أن أقولها بصدق تكشف عن أشياء للعين
المغمضة زمناً طويلاً فأتأمل الإنسان وفي قلبي السلام. بينما أرى الإنسان
يتذمر، ويرغم الإله على سماع الدعاء اللجوج بالشكوى والتذمر بدل أن

يبتسم ويتلو آيات الشكر والرصف .. والإنسان الوحيد الذي يفصل بين الفكر والحياة هو : الفنان - لأن الفن نتيجة تأثير حياته على إحساسه ونفسه التي تحلم تمتلئ بالرضى بما يحمله الحلم إليها، ففي الحلم تمتزج صور الحياة بعضها ببعض .

والحلم هو القوة التي توظف الشعور الإنساني بالحرية، واللغة هي الوسيلة الوحيدة التي تبين غوامض الفن والفكر ، وهي الوسيلة لتحقيق نوع من التواصل الكوني .. قال بروتون .. لحظة الحلم والهذيان تتداخل في اللحظة الواقعية، والجمال إما يكون تشنجياً أو لا يكون .. لأن الشعر لغة المخيلة ، والقصيدة حطام العقل، والحلم هو المفتاح الوحيد لحياة ما وراء الشعور ، والحلم ضرورة كاملة للإنسان ليحافظ على حياته النفسية في جو مميز ..

الحلم هو الإيقاع الروحي للشعراء ومصدر الإبداع لأنه مجموعة الأفكار. والصور التي توجد في الذهن ولا تخضع للعقل، والحلم هو الفكر والصورة التي تنجو من سيطرة الذهن العقلي والمنطقي، أمات التصور حلم اليقظة وكل تجربة انبثقت من مملكة ما وراء الشعور ، أما الرمزية هي المعنى الإنفعالي والروحي لإنفعالنا وهم شكل للتعبير عن الشعور ، ولغة نتعلمها من أجل أنفسنا، فالحلم وحلم اليقظة والفكرة الخيالية كلها تتواشج وتتبادل العلاقة واللاشعور لا يستطيع أن يعبر عن نفسه مباشرة لأنه مركب من الماضي والحاضر ، والمستقبل، وفعل الإبداع شديد الشبه بفعل الحلم .

- الأحلام فترة نكون فيها مجانين بأمان -
يقول يامو - تعلم انتزاع الجمال الأدبي حتى من صدر الموت
- سئل ساعي بريد فرنسي عن بنائه قلعة مصغرة في فترة ثلاثين
عاماً بحجارة كان يحملها في جيبه خلال توزيعه الرسائل البريدية .
- أجب : عندما يكون على الإنسان أن يمضي ثلاثين سنة في
الطريق نفسها، فلن يكون لديه سبيل إلى إنقاذ نفسه من الرقابة إلا بإبداع
شيء حلم به.

- ذهب شاعر إلى فرويد وقال له :
- أنت تفسر الأحلام. وأنا أعلم الناس كيف يحلمون -

هكذا الليل والنهار مسافران ونحن نمزق أحدهما من أجل الآخر
وننظر إلى الحلم من أجل الذي لا نجده، فالخيال الخلاق هو الشباب
الخالد ويحفظ النفس حية في لغتها صور ومشاعر تغذي الإبداع، لأن
الأقطار. المنتجة لا تموت، والكتابة حلم اليقظة، وتبقى الذات متواصلة مع
الآخرين ..

من مملكة الحلم الأول

أليس الزمن هو أن نحب ونخطئ ونتمتع ونتألم ؟ ..
تمر الأحداث الحياة أمام رؤيا الروح، وفي آخر لحظة من لحظات
الوعي نغرق في التأمل وتتساقط الذكريات كالنجوم على الأرض متناثرة
كالتين الذي تبعثره شجرة هزتها الرياح صوت مزهر من ماض بعيد و قديم
يتمدد على أسلاك الهاتف , قلبي يقفز طفلاً معانداً مندهشاً هل أنا عدت
إلى مملكة الحلم الأول البدئي , يحيط عقلي ضباب كثيف , أترقب في
حالة معه الحذر العقلي هذا الضباب أن ينقشع لتتوضح الرؤيا هو هي

حلمية أم واقعية؟... أسلاك الهاتف ترتجف تحمل صوتاً بعيداً , محبباً
يأتيني من وديان الغياب , تتجاذب أصواتنا في إلحاح بطيء , و مرآلن
طفولة الحب البراقة تشتعل واحدة أثر واحدة كمصاييح في سماء العتمة,
سأدخل منطقة الماضي , و أكتب ضمن محور الأنا فوضى الأفكار وحدة
متداخلة متشابكة و عملية الفرز يلزمها الكثير من الهدوء و الصفاء النفسي
, الصوت على الهاتف أخرجني من عالم نصوص العزلة , و مدّ القلم
بالوعي و الاستذكار. و أنا غارقة في لحظة وهمية , لحظة خارقة لم تدم
الاكومض يبرق , حتى توهمت إنها من أحلام اليقظة حين دخلت حالة
السهو و الدهشة و أنا غير مصدقة ما حدث , صوته على الهاتف يجتاز
مسافات الغياب لمدة ثلاثين عاماً حين افترقنا , أعود الآن في هذا الشهر
الخريفي العاشر من السنة , أعود مأخوذة بسحر طفولتي الجميلة إلى
مملكة الحب الأول ... الدهشة الأولى؟.. هل كنت مسلوبة الإرادة
راضخة للظروف حين ضاع مني الوعي و المراقب الداخلي و تركته , و
كم عذبي الفقدان في غرف قهري أسامر وحدتي و لا أحد يحس بي , و لا
أحد يعرف أنني تركته لأجلهم حتى لا أعذبه بمؤولتي ... هل الحب الأول
لا يموت؟... أم أنه الوهم يأتي مازلت حبيبته و قد عاد الفارس الأسطوري
على حصانه الأبيض؟... أما رد اعتبار لا نوثتي أمام غدر زوجي و
هجرته مع الأخرى ؟ الدوافع كثيرة و متشعبة إنما هناك رغبة حقيقية في
التواصل معه من جديد و أنا أجتاز منطقة خطرة , قد يتضايق الماركيز و
يظن إنني أقتبس فكرة روايته التي ذهلتني - الحب زمن الكوليرا - و فيها

الكثير من قصتي معه إثباتي الوحيد إني كتبت حكايتي في - كتاب عنود
- قبل أن تترجم رواية المركيز , و ما اكتبه الآن ليس خيال كاتبة إنما هو
واقع حقيقي عشته و لا أستطيع أن أصدق إني كبرت , فالطفلة المشاكسة
في داخلي لا تكبر....

عادت عنود - أتكتمل ؟...!

أعربي قشة من فلك قلبك
قلبي كرحى يدور
أعربي مفردات الحب الأولى
الثمر بيادري ببعض الطيوب
هل شاخت صنوبرة عشقنا
أم أحنى قامتها. وهن الحقول ؟..
أعربي ثوبي الزنبيقي
أعود طفلة مرحة
تمسح عن وجهي سحنة الغروب

تزين ضفائري بخصل الشروق
ذهول أجفاني يسقي
حبات التتهد لجروح الأحلام
نعش الهوى ألوانه
بمجب الحداد
أتبع ثوب الهوى
على عاشقة مثلي .. لا تتوب

تترأى صور قصة - عنود - التي خلدها على الورق و رميت
أورقها منذ زمن بعيد عادت عنود ترقعني بغضب العتاب .. أفرحي لقد عاد
!

- أما ختمت الجزء الأول منها ؟
 - لكنها بدأت الآن بشكل آخر ...
- يعود ذاك الشعاع من الحلم الجميل الذي معض من الماضي , و
الصوت على الهاتف يتحدى واقعي و ينتزع جرح ماضي القديم , و جرح
حاضري القريب و تعود عنود إلى حزنها و شقائق الجروح تتراقص كريح
الشوق
- كم ذنت بأسة يا عنود ؟..

هي بينهما .. رجلان غائبان .. حاضران على شفاههما نبض
الحب يثمر و يزهر و يموت و على أصابعهما سكين القهر التي جرحتها
بلا رحمة .. رغم اختلاف التجربة و الشخصية

مر الفرح

أرسمك على دفاتري
بلون الهوى الفريد
ألونك كحلم في مساء حزين
أرتشف ... قليلاً أو كثيراً
هذه السطور
حروفي كدمع شلال
تبنجس من صدر الصخر
و تعفو على خد الأرض

قفزت عنود مرة ثانية بين أوراقى و فتحت لى نافذة الماضى ..
اكتبى عنى الآن حاضرة معك عاشقة طفلة قلبى تشاكس داخلى أحدثتك
عن صوته ... إنه آتٍ آتٍ ...

- عنود .. أما لفننا الماضى براءة ذلك الزمن ؟ ..
أصابعى المرتعشة تركض بخفة على الورق و تسجل رقم هاتفه ..
مدينته , و الأرقام نقاط فرح تنقلنى إليه , و تمر سحابة الحب وسط توترات
المسافة الغربية .. ز. صاحت عنود : - إنه قلب يحب قلباً نائياً ...
تعانقا بالكلمات فى مسخة اللحظة الهاتفية التى ختمتهما بعد غياب
طويل

- أنا سعيد بسماع صوتك
- أكاد لا أصدق أبعد ثلاثين عاماً ؟
- كنت ضائعة ... أبحث عنك .. ماهى أخبارك ؟
اختلط الماضى بالحاضر. و تحدثنا بايجاز. عن مصير كل منا ...
بسمعنى تخترق من أسلاك الهاتف مرتعشة على حبال هل قرأت

قصة

- الحب فى زمن الكوليرا - ؟ ...
- لا ... سوف ابحث عنها ..
- إنها تشبه قصتنا ...
تحدثنا بقلوب نقية كالأطفال , و تواعدنا على لقاء ...

كيف استطاع الزمن أن يعيد فرحة المراهقة إلى هذا القلب المحترق ؟ هل كنت قاسية أم حنونة حين أخرجته من زمني الماضي حرصاً عليه , وخوفاً عليه ؟ كنت مشرّكة بمسؤولية و صعب و لا أربغ أن يتحملها معي , و أخفيت عنه أوضاعي المتدهورة و رفضت الزواج منه و اختلقت أسباباً صاهية لابعده عن غوغاء ظروفي , كان وجه ذاك الحب التلصصي قد اغتالني على مقاعد الدراسة و ولكن حين اسقطوني الأهل في بئر موجعة من العمل و المسؤولية و كملكة عزلت عن عرشها بعد العز و الدلال , غلفت رسائل الحب بالدمع و الكبرياء الجارح و أعلنت الرفض لأحمي الحب و أدعه يعيش معي بأمان ..

انسحب بهدوء دون أن يدقق. بالدافع الحقيقي لقراري , و كنت ضعيفة مطوعة للأهل , لم أدافع عن حبي بقوة كافية ربما لأنني محاصرة بالقهر و لا يسمع لي بالصراخ , و انسحب دون إيضاحات كافية مني و اكتفى بما وهمته , لم يهزني بعنف الرجل المحب ليكتشف السبب الحقيقي لم يخطفني من بئر أوجاعي , لم يتمسك بي كبطل بل انهزم مستسلماً. لرفضني دون اثبات مرققي المنطقي و تزوج من أخرى بسرعة لم أتوقعها هل كنا نعيش حالة وهمية للحب الرومانسي , و الرسائل بيننا هي تواصل حبنا البريء ؟ هو لم يعرفني معرفة كافية و كذلك أنا و تجاوزنا عائق الدين لان الأديان لم توجد لتدمير الحب بل لتعميق الحب هذه الفواصل الوهمية كم تتعب المحبين, و تخضع لقرارات قاسية صادرة من مفاهيم خاطئة و مختلفة و

متعصبة لان الاديان جميعها تؤدي إلى حقيقة واحدة هي - الله - ومن منا
اختار حقيقياً لو كان كذلك لكان قوياً ثابتاً.

مزقت عنود أوراقاً و أوراقاً كم كان الزمن قاسياً حين طوى قصتهما.
ثلاثين عاماً , لماذا أعادها الآن ؟...

صوته المسائي على الهاتف : اعتذار .. لن أستطيع المجيء ..
لظروف طارئة أعاد الزمن يسخر بي .. بعد أن وجدته و قبل أن ألقاه
يهرب مرة أخرى ؟....

كم أنت وحيدة يا عنود ؟... كم كنت قاسياً حين أدخلتني حريق
القلق مرة أخرى و الأوهام تتهاوى حولي .. صوته يعاودها .

- مشتاق لك كثيراً .. مشتاق للحديث معك ...

توقظ عنود لحظة الوعي لديها :

- أرجو ألا أكون قد سببت مضاديفة لزوجتك ؟....

أربتك صوته قليلاً .. لا .. هي تعرف قصتي قبل الزواج منها ..

أتمنى أن تأتي معك لزيارتي و ما مضى مضى لن يعود ..

أحسست بانقباض مفاجئ , - لماذا أرجأ موعد زيارته ؟ .. أسبابه غير

مقنعة و خوفي من فقدان القديم أحاطني بدائرة الشلة و الانتظار و

الحدس كان ثابتاً .. لن يأتي .. زوجته منعه ...

غضبت عنود من الإحباط المفاجئ لأحلامها الجميلة ...

- لا .. ستأتي ... وعده مقدس و صادق ...

و بدأت عنود تعد الأيام , تتعثر في شوارع انتظارها. .. تحтар بأي
ثوب تستقبله؟... و كيف ستكون اللحظة الأولى للقاء .. لبت زوجته لا
تأتي حتى تنفرد بمشاعرها الطبيعية بصفاء ود دون اضطراب وحذر. ...
- عنود ... ماذا تريدين منه؟...
- لا شيء - لقاء صديق .. حبيب قديم , بعيد عاد من غربة طويلة
ذاتها مشوشة و صوته يهز كيائها
وجودها ... أيامها ... بعد ثلاثين عاماً ... لن يستطيع المجيء .. هل
تحدث معجزة مجيئة؟..
- عنود اهدئي .. ألم يسمح بحنان ينزته غبار الغربة و فرحها به
يقفز مجتازاً المسافة و الكون والحاضر و رابط الزواج ...
أزاحت كل شيء و عادت طفلة مشاكسة عابثة ببراءة الحب .. هذا الغريب
الأليف , هذا التقاء البدئي للحب الأول إنه آتٍ ... آتٍ ... على
حصانه الأبيض .. ليحملها من هذا الفراغ الواسع , وهذه الوحدة القاتلة ..
لا بد من الانتظار ... من القلق ... من الفرح من الحزن يا إلهي .. أنا في
دوامة التائهين .. خرجت عنود من مملكة الأحلام و أفكارها تقصف بوابة
وحدثها. وهذا الزمن من بحار أعمى يقهقه شامتاً بها , و يبتسم الوجه
الأليف و يركع الماضي على سجادة صلاتها , تحس قديسة إلى هذا
الكائن , تحد من في وجهها الذي كان نضراً مشرقاً و السنين جعلته مقدداً
بالتعب و الهم و الحرمان , وجه غريب جفت من عروقه نبضات الأنوثة

ترفقي عنود غاضبة- انزعي أفكارك السوداء - الروح تبقى وردية

العبير و لا تنفى سواء كبرت أو صغرت هربت عنود من واحة أفكارى
سبقتني إلى شوارع على الأرصفة , وترسم أحلامها على صوافي المسافات
الطويلة , أرقام السيارات لا تحمل اسم مدينته الوجوه تحقق بها لا تحمل
تقاطيعه سيارة قابعة في زاوية الشارع تنظر إلى صاحبها. ربما هو .. ترى
هل شاخ , هل تقيست ملامحه ؟ ربما لا تعرفه ؟ كان وسيماً أنيقاً جذاباً
يمشي متهادياً. بشموخ ؟ هل مازالت ابتسامته تعانقها على رعرش الخطوات
قبل اللقاء , أمازال لون الفرح يرقص في شوارع الانتظار. مضى الأسبوع
الأول و ثم تعود من شوارع القلق وأحلامها تحبو كأوراق كأوراق تشريئية
مصفرة شاحبة تتساقط أمامها و تجمر الدمع في مأمّتها خائبة ... لاهثة ,
جريمة وقد أنهكها البحث عنه و الانتظار

يرن الهاتف يقفز قلبها لنبض الأسلاك .. إنه هو ... و ترد
باقتضاب للمتحدث كأنها لا تريد أن يشغل الهاتف مع أي كائن .. وسيل
الذكريات الحنونة العفيفة يتدفق في ظلمة النفس المقهورة , تنتقض
كالمسوعة تصرخ بي : سأبثت لزوجي الذي هجرني معها .. إني مازلت
محبوبة سآحاربه بسلاحه , جرحه مازال ينزف و سوف أذيقه طعم المرارة
حين التقى مع الآخر .. سألتها :

- عنود لو عاد الحبيب قبل أن يهجرك زوجك هل كانت مشاعرك

كما هي الآن ؟ ..

- هدأت قليلاً .. لا طبعاً .. كنت أفرح به كصديق

- اهْدئي عنود ... و فكري بمنطق. و ليس برد فعل هل نسيت أنه متزوج و له أسرة؟...
- أعرف ذلك و غابت في شroud الواقع المؤلم و عادوها إحساسها بالقلق
- صرت خائفة من ذاتي لأنني دائماً أفقد من أحب ..
- اخرجني من هذا الإحساس .. حتى لا يكرس في منطقة العقل الباطن و اختفى صوت الهاتف , و عادت الوحدة تضح بأسئلة و أسئلة كثيرة هل ما حدث وهماً؟ .. هل كان حلماً من أحلام اليقظة ..؟ مزقت عنود خمار الفرح عن وجهها و خمدت لهفتها الطفولة , و غطى كيانها حزن الانتظار .. الشوق عنيد مقهور ... تحس بجوع قديسة إليه شاخ الزمن على كتيفها و ضعفها الوعي , أنسيت أن له زوجة ؟ لا ... لم أنسى و ماذا يضايقها ! إن النقيت به كصديق قديم , و هل تصدق أن الحب الروحي البريء كان دهشة أحلامها الوردية , و كيف ستبتث لها هذا ..
- ستتخذها. صديقة وتوضح لها الأشياء ، وعادت عنود إلى منعطفات الشroud تتناغم مع هواجسها ما بين مد وجزر. على خليج الانتظار والترقب

..

كبرياء جرح

القهر يشل كبرياء الجرح، والندم يقنات الكتب الممزقة أمامها،
دماؤها تنتثر. على الأرض، تتفحصها كجثة، تصرخ الحروف غير مصدقة
ما يحدث كابوس مخيف، وتترنح عنود على حجر غضبها ...
- عنود - الأشياء الهامة يجب ألا تلوث ..
هل يمكن أن تذيب كتبها بأصابع سيدة منهورة، مضفورة حقدتها مع
جهلها صوت عنود بدأ يخفف إلى حد النحيب، وغرغرة الوجع في حنجرتها
تخنق الكلام - الحب وحدة قاتلة، المحب وحيد .. هل بقي حب حقيقي؟..
أجابت ذاتها الأخرى - إننا نتوهمه . نخترعه نصدقه لنحيا ..
كنت لا أنتظر أن أعثر عليه، بعد أن طوانا الزمن وبعثر قصتنا
لرياح فقدان، وحيث وجدته كان يجب أن أتجاهله .. أغلق سماعة الهاتف
كي يبقى الماضي مدفوناً، والحاضر ألبسته ثوب الحداد، صوته اللاهف
حينه .. لهفته جذبتني لحظة الغيوبة، ومباغة المفاجأة أفقدتني التوازن
الطبيعي، أتمس وجهي، أتأمل ذاتي، هل أصابني مس حتى جعلني لا
أملك القدرة على محاكمة الأمور بعقلانية أكثر ..

رمت عنود القلم، مزقت الأوراق، فتحت تابوتاً في تربة الخراب
ودفنت آخر شعاع من ماضيها. البريء، وبكل ما تملك من قسوة تتأمل
أنفاسه المحتضرة المريضة بين جثث كتبها المفتولة ..

صوته يعاودها، صوت هارب عائد إليها، يعيدها إلى واقع أشد مرارة

- زوجتي .. لا بد أن أرتب معها الموضوع

- فهمت .. لا تكمل .. لا تريد أن نلتقي ..

لتطمئن زوجتك، ليطمئن العالم، ليطمئن قلبك، إنني لا أريد منك
شيئاً وهل يمكنني أن أجاوز قيم حياتك الزوجية، وما أنا إلا نفتحته تمر من
ماض بعيد ونقي .. - دعني أتحدث معها ..

وكان صمتك اضطراباً، لا تريد أن تتحدث ولا توضح لها الصورة

الجديدة..

- سأتصل بك في الأسبوع القادم ..

- أرجو أن تأتي زوجتك معك .. حتى نزيل هذا الإضطراب .. وإن

رفضت .. سوف أرسل لك الكتب..

هل فقد الحب العذري مكانته في هذا الزمن المادي ؟ .. والوجدان

العربي لديه استعداد للحب البريء، الحالم والمضني لما فيه من نقاء وسمو

وترفع عن الحس وبذل دائم، فالطاقة الروحية امتزجت بهذا الحب، ودفعته

إلى التطهر والتوحد، لذلك كان الحب الصوفي امتداداً له لأنه يسترخص

العذاب في سبيل الحب، وقد عزف المتصوف حباً أكبر وأعمق ورؤية

الحب أمل يداعب الصوفية، ويغني الصوفي في سبيل البقاء هذا الحب هو

الوجد الإنساني، هكذا كنت أحس وأنا متواصلة مع حالتي، هالات ضبابية تتراكم، أردت الانتقام من أناي لأقتل الأشياء الضعيفة والمحبة؟ كم كنت مثالية حين طرزت كل كتاب أهدي إليه ببيت من الشعر الصوفي الوجداني لألمح لهذه الكائنة النافرة مني أن الحب لدي يتسامي بإنسانيته تابعت الكتابة المقهورة والأسئلة تضج في أفكاري وتشتتها هل الحب وحدة متوحدة؟ هل الحب في سن متأخرة عودة إلى الطفولة؟

- أم هو حالة مرضية تتداخل مع المراهقة القديمة حين لا نشبعها كما يجب ولا نشفى منها أبداً ..

نهرتني عنود : - لماذا انتزعت اللحم من قسوة واقعك؟ ..

- هل نحتمل الواقع لولا فسحة اللحم؟

امتلكنتي حالة الغياب مع هذا الوجه الأليف المائل في استدارة

. المحال .

- لأن الحب والموت حالة لا تتكرر - أحياناً نمتزج بالوهم

لنمارس صدقنا في الحب وهكذا عشت الوهم المنبثق من ذلك الماضي

. الجميل .

أخاف أن تلتقي بتلك الطفلة الماضية الحاملة، لماذا لم اخرج من

حاملة اللحم البدني وأعرض ذاتي لموقف لا معنى له، ولا تفسير منطقي

يبرره، في كل حالات القهر أكون أكثر هدوءاً ووعياً وتماسكاً، كيف خلّ في

روحي كحالة وجد من الأشراقات الصوفية، عنود منشغلة عني، تأملتني

طويلاً وفتحت دفتر تأملاتها وقرأت :

- دائماً كنت رجلاً ولم تكن بطلاً ..

عود .. ما معنى هذا الاشتعال الغيبي حين نفقد من نحب ؟ ..

علمني الحب أن أحترق متوحدة به، واختم موتي بأصابع الحب، ولكن

لماذا حدث هذا الخلل العاطفي ؟ .. هل هي حاجتي لرجل ؟ .. هل هي

حاجتي للحنان ؟ أم على جدار أمان أحتمي به ؟ أم رد فعل لحالة القهر

حين هجرني ذاك الرجل الذي أحبني وكونا أسرتنا الصغيرة ..

أم هي حالة هروب من وحدتي ؟ .. عوامل كثيرة جعلتني أفقد توازني واتبع

انفعالاتي واتخذ من الحب مادة لكتاباتي لأنني فجعت بالحب. وتأكدت بعد

التجربة الطويلة أنه حالة حليلة لأن الحب الحقيقي يغتال بريئاً في هذا

الزمن، صوتي يلتف ببحته على ضباب زمني المجرّح أفكاره. وحالة

احباطي مع الرجل جعلتني حكيمة بعد فوات الأوان

- عود - المعرفة يجب أن تسبق الحب -

في الحالتين الزواج وقصة الحب الأولى، كنت لا أعرفهما معرفة واضحة

كنت فقط الرومانسية البريئة والهائمة مع الحلم، وهل الرسائل كافية لتخلق

حباً معرفياً ناضجاً، أم اللقاءات الخاطفة ؟ ..

إن حالة الحب المكررة في - صور الحب الشرقي مبينة على العاطفة

والحلم والحرمان وتحتاج إلى فسحات حرية ومن أين لنا فسحة واحدة من

الحرية ونحن ضمن قائمة من المحظرات - الأهل .. المجتمع ، العرف

العادات - ولكن هل كانت قصة - ماجدولين - أوراق الورد آلام فرتز -

الشعلة الزرقاء لمحي وجبران - مجرد روايات خيالية صنعها الكاتب ؟ أم

هي حقيقة في زمن أصيل رغم أنها انتهت نهايات محزنة ؟ .. عنود
مستفسرة :

- هل تعني أن في نهايتها خلودها ؟ ..

نعم ! لأن الحب في النمو الرحي بدأ يخفت، ويتراجع نتيجة التطور والتقدم الحضاري، خاصته وأن الإنسان العربي يمر بمرحلة هامة وهو قلق وضائع بين الكتب والانفتاح. بين الرضوخ للعرف والتمرد عليها، وبدأت عاطفة الجسد تقوى وتحتل أكثر مكانة عند الإنسان الحالي، وهو يعيش اللذة المسروقة الخارجية ويبحث عنها ويظن أنه الحب الذي يستمر لأنه حصل منه على كل شيء، لكنه يفقد كل شيء ولا يصون هذا الحب ويحميه، بل يبذله كوجبة استهلاكية شهية واللذة العابرة فقاعات تتطاير، وهذا ما يشكل له حالة فراغ نفسي من التكرار والعادة ويصاب بالضجر والسأم. فيصبح الجسد هو العامل الدائم في هذا الوجود الإنساني بعد ان تضعف عزيمة الروح، والروح شيء حقيقي لا مجرد كلمة وهمية ..

- عنود ! .. كم هم عدد الذين يحسون بمتعته الروح ؟ ..

وهل يعرفون معنى الحب الحقيقي في هذا العالم المادي الذي

تقوده المادة والغرائز ..

صرخن عنود غاضبة : - كفي عن حالتك الرومانسية، أنت من

عصر آخر ..

من زمن فقد أهميته ومفاهيمه وقيمه في هذا الزمن .. أصبح عالم

غرائبي لا أحد يؤمن به سواك ..

- قد يكون هو الآخر تغيير ودخل منطقة الآخرين .
 - لاشيء ثابت - والإنسان يتغير دائماً .
- في المطلق الذهني لذاكرتي ما زلت أحتفظ بزيتون اخضراره، لقد عرفتة الآن كما لم أعرفه من قبل، وحتى أختصر مجيئه وحرصاً على حياته الزوجية وأحاسيس من معه .. وصنعت - قصة عنود - ومجموعة الكبت وأرسلتها مع اهداء صوفي روحي من أشعار المتصوفة لأوضح لزوجته أن العلاقة مغلقة بالود القديم المتسامي ..
- أدرت رقم الهاتف : - أرجو ألا تأت .. أنا حريصة على مشاعر زوجتك الكبت في شركة نقل ..
- صوته الهامس بحنانه القديم ..
 - شكراً - من عوني سأستلهم سآتي ريثما تهدأ الأوضاع .
- القدر شامت خطير، كيف خلقت في وجودي مرة أخرى، وكأن الصدفة تغير أشياء كثيرة في حياتنا، قبل أن اسمع صوتك على هاتفي، التقيت صدفة بشيخ من قرينكم، حاصرني طيفك وهو يحدثني عنك، ولمح إلى غيرة زوجتك الجنونية، ونقل عليك في خزانة أنايتها وكأنك من ممتلكاتها. الخاصة، كم هي ضعيفة ولا تملك الثقة بنفسها لأن حبها لك حالة مرضية مثل أكثر نساء الشرق، وبدأت الهواجس والشكوك تعذبني ، لأنك لم تتصل ولو بكلمة شكر صغيرة على الكتب ربما منعتك لأن ذهنها الضيق قد يجعلها تفسر الأمور بمفهومها المشوش هزنتي هذه الأفكار.
- واصبح لإنتظاري منحي آخر ..

ابتسمت عنود – أنت مضطربة .. وشكوكة . الكتب هدية أدبية

..

لماذا أنت قلقة ؟ ..

هل سيهرب مني مرة أخرى ؟ وفي الزاوية الوجدانية الصافية زاوية

له ، واسمه لا يزال رنيناً في أروقة الغياب، وما زال في الذات الصامتة
طيفاً محبباً ..

أحس بجوع قديسة إليك .. خواطري صنوبر رعديد لم يحن الزمن

قامته .

أنا في منفي الذات بالذات، والعالم حولي وهماً باطلاً، وصوته

ينتقض حنوناً يزيح غبار السنين، وفرحي الطفولي يقفز على جسر المسافة
مجتازاً الكون والزمن والحاضر. والماضي، وذلك البحار الأعمى يقهقه
شامتاً سافراً بي .. أيها الزمن سأكون دائماً أكثر قوة، وأكثر تماسكاً، وأقف
أمامك متحدية صعبك ..

وجهه الأليف البعيد يرسم فرحاً وهو يقرأ الكتب . خاصة (قصة

عنود) .

سيقراً بعين المحب لا بعين الناقد، ويتفتح الحنين في ظلمة النفس

، وتعاودني الأحلام مختلطة بالمصور على جدران انتظاري ووجهي

محنتاً بالترقب والفرح والانقباض، قفزت عنود مشاكسة أفكارى :

- افترضني أن زوجته منعتة من قراءة الكتب ؟ ..

من حق الكاتب أن يهدي كتبه لمن يشاء، من حقه أيضاً أن ينتقل تجربته الكبيرة إلى تجربة صغيرة على الورق والمبدع الصادق هو جسد الإنسانية .

هل كان حدس عنود يتخاطر. مع ما سوف يحدث ؟ ..
كان خوفي من موت اللحم يعذبني، ويقظة الواقع تشتت أفكارني، وما حدث لم أتوقعه حتى في قراءة الروايات الخيالية.

ردت عنود ببرود – الأناثية إله العالم .. والمادة رسوله –
أيمكن أن تتحول إنسانية مثل زوجته إلى طاقة من الحقد الأسود ينفجر في واقعي ؟ أيمكن أن أحتمل هذا الجرح لكرامتي ؟ .. وكيف استطاع هذا الإنسان أن يتحمل مثل هذه الحقاء ؟ .. ويرزح تحت ثقل ضعفه لمخلوقة مشوهة إنسانياً، انتفض كالمسوعة، أفحص الكتب الممزقة،، أقبلها وتنز الأحرف جراحاً، أهتر كصنوبرة أغصانها حزني، والحريق يشتعل في كياني يحاصرني التوتر ويغور في أعصابي، إذا كان يعرف والمعرفة مسئولية أن زوجته مريضة نفسياً لماذا طلب الكتب ؟ .. وما معنى جملته – سأستلمها بعيوني – هل كان صوته صادقاً ؟ .. ولماذا ظهر فجأة معلناً حضوره ؟
سأتي لزيارتك .. مشتاق لك ..

وببساطة يدعها تمزق الكتب وتعيدها إلي ممزقة، وكأنها تقذف حجراً مهجوراً في براري انتظاري، هذا الضعف الرجولي كيف لم اكتشفه فيه ؟ رجلاً كان .. قوياً كان .. إنساناً كان ..
وتبعت عنود .. لم يكن بطلاً ! ..

تجن الأسئلة في مدارات الظنون، وتصبح الروح المحبة حريقاً
متشظياً. يا امرأة القسوة، لن أنتزعه منك، حين كان بإمكانني أن أكون مكانك
تركته لأصنع سعادتك معه، وحافظت لك عليه ولم أحمله ثقل ظروفي
ومسؤوليتي وأوجاعي، الآن أحتاجه كصديق عزيز، عائد من غربة طويلة،
أهكذا تنتشعب شرايين كراهيتك وتعتصر نفسك الضعيفة التي لا تعرف
معنى الحب، ألتف بمنزلة الكرامة، والليل يلتقط كلمات.. وصور ..
وذكريات تفرض نفسها، تسمح عنود على جيبيني، تجفف دمعي ..

- لقد تسرعت في إرسال الكتب ..

- هو قال أرغب بقرارة كتبك ..

وهذا الحب الذي شاخ على اكتافنا وتسامى عن الأرض ليصبح
حُباً روحياً. إنسانياً، وفيماً لماضٍ جميل ..

وينحدر كل شيء إلى أرض النفاق، والضلال. وتشويه الصفاء،
متى كانت الهدية ترد مغلفة بكلمات حمقاء تدل على إنسانية سطحية
مشوهة ..

تلاحقني الصور في جنون رأسي المرهق، ويشحب لون الوجع
على وجهي وأصابعها. القاسية تجرح أطفالي... حروفي صدقي، وتدنس
بسمومها صفحاتي البيضاء، أهوي إلى جرح الكبرياء في صمتي المذبوح..
- عنود .. كان علي أن أدفن شوقي العنيد في تابوت مسابرة صدئة

..

ضمتني عنود إلى صدرها ..

- ليس في الحياة حقيقة تستحق أن يخلص الإنسان لأجلها .
هل أنا في اضطراب المفاجأة واهمة ؟ أم مجنونة ؟ أم صادقة إلى حد
تصديق. صوته الرجولي اللاهف يوم 7/10/1999

- متلهف لرؤياك وسعيد أنى عثرت عليك .. تهمني كتبك ..
كيف زاحمني الفرح و صدقت ؟ كيف لم اكتشف إنني ضعيفة أمام
بريق الحنان .. لكنه صادق. دائماً أخرج إليه بثوبي الطفولي كما عرفه , و
بنمنمة مراهقتي التي لم أعشها ألامعه , هذه الأحاسيس أطبقت تفكيرها
على وضوح الرؤيا في لحظة خرجت عن طور إرادتي , لا بد إن أوصد باب
الزمن دونه , و صقيع الندم يدمي ذاتي , ولم أعد أميز الأوراق الممزقة هل
هي كبتي أم أشلاء ذاتي المبعثرة في صخب الأحداث المؤلمة عشتها , و
أعود متخاذلة و كل دمع العالم لا يروي جفاف ذاتي , و أتابع النظر إلى
كبتي و كأنهم أطفال قتلوا عذراً , و تطايرت الأصابع و الوجوه البريئة و
ارتمت على الأرض الحقد الجارح , يا امرأة سادية كيف فعلت ما فعلت في
تعذيبي...؟

احتجت عنود - اهدئي ... كفي عن هذه الانفعالات

- أين فاعليته هو في هذا الموقف ؟..

و كيف استطاع أن يتأمل دماء هذا الحب الوجداني. تسري بين
طيش زوجته الأنانية هل كانت - رابعة العدوية- بعشقها ؟.. هل كانت
مواجيدها من سلاله الخطايا ظ و مسحت رابعة رأسي المرهق بطيب
نفحاتها و بدأت أصحو من حلم ثقيل و أخرج ببطء من كومة الأحزان ...

- عنود الأشياء الحقيقية الناصعة يجب ألا يباح بها لانها تملك

أهمية خاصة بها , لذا تخضى في سريرة الذات حتى لا تشوه بعقلية
مصنوعة من عالم المسوخ القذر , هل يكون الحب جعلني أندفع وراء كذبة
و صدقتها.؟

لو كان حباً حقيقياً لمد صوته عالياً و أعلن رفضه القاطع و حسم
حماقة زوجته إنما صمته جبن و تخاذل .. و كثرت الأسئلة المقللة , و
فتحت كوة في هذا الزمن المعتم لأدفن ماضياً بريئاً و جميلاً , و دفنت أيضاً
الكتب في تابوت ذاكرة القهر كان يوم 25/10/1999 . لحظة الانتصار.
لوهم عشته ثلاثين عاماً ...

كتبت عنود حكمتها الأخيرة - المعرفة يجب أن تسبق الحب.. و
التورط بالحب قبل المعرفة نتائجه فشل زريع .. سأنطلق بقوة أكبر , بعمق
أكبر , بتجربة مثمرة و غنية مزقت الماضي و ختمت عنود دفاترها. ...

- أنت تمضي من الداخل -

- كنت رجلاً .. و لم تكن بطلاً -

في غربتي تجدي

الطائرة وضعتني خارج الكون , و ترتسم صورة من أحببت كنجمة
باهتة في سماء باهتة و الغيوم أسكنها و تمشي فوق جروحي , و أغتسل
بخمور المطر النقي لأصفي ذاتي و أغفو بسلام أطفال العالم على مقعد
الطائرة , والخيال يفتح بشكل أوسع و مازلت يا عنود القرية طالما أنك
متمسكة بالأشياء العظيمة - القيم و الكتابة و المحبة الإنسانية - و
بهذه الأشياء أعيش مع سحر اللغة و سحر الإحساس و سحر الحياة كما
أرغب على الورق و لو لا هذا العالم لأحسست بالأختناق أتقياً بشجرة
الطيب الإنسانية و استخدمها الدفء كلما مررت بحقول مسكونة بالنفق و
الجشع و المادة و أمسقي شجرتي من مآقي حرقه الوجدان
من تجربتي الطويلة المريرة أتساءل :

- هل أصبح الخير نادراً؟ و الصدق مستحيلاً , ونسيان الأنانية صعباً

...

تتراءى /باريس / من نافذة الطائرة فضاء من أريج الغابات ورقرة
السين النهر الواسع الذي يضم /باريس/ على ضفتيه، ويتألاً القرميد
الأحمر كالنجوم المشعة ..

صوت المضيئة يوقظني .. اربطوا الأحزمة .. نحن نستعد للهبوط
، ويقفز قلبي فرحاً .. والطائرة تواصل هبوطها على الأرض..

حقول تتعري ..

الشعر .. لغة المخيلة ... برتون

لأنك الجواب الأكثر عرياً

لكل سؤال

رسمت حبك لأحلام الأطفال

كطيف وردي

تلون أحلامي ببريق الأخضرار

.....

قلبك الذي كان

كردماً للزيتون

صار مقبلاً للجفاف

في براري الذات

.....

أرفض أن أكون

شبه امرأة ممزقة

في مرآة عينيك

كيف تركتني . . .

أغنية طائرة مهاجر

يغص صوته بالبكاء

على شجر الغياب

باريس / 16 / 12 / 1999

غربة الأوراق

فرنسا - تولوز مساء - 16 / 12 / 1999

* الخميس 16/12/1999

بدأت أتغرب مع الأوراق ..

منهدة على مقعدي في الطائرة مع أفكار، أسكن الغيم، وأجاور

الفضاء ..

أنا في السماء الحنونة، فراغات لا نهائية يسكنها زرقة البياض

ورقة وردية ونركض وسط الغيوم في غابات من الصمت الممتد، لا ضجيج

ولا بشر ولا بنايات فراغ متداخل في الفراغ يحررني من ضيق الأرض

وصراعاتها الدائمة ..

تنبهني المضيئة من شرودي .. اتبعها ساهمة إلى غرفة القيادة،

رحب بي قائد الطائرة، أنا سعيد لأنك معنا في الرحلة، قرأت لك كثيراً..

واسترسلنا في الحديث وحين رأيت الفضاء أمامي أصابني خوف راجف،
كيف ترك القيادة وأرواح البشر أمانة، وهذه اللوحة من الأزرار. والمفاتيح
ماذا يحدث الآن .. وكان جهلي بهذه التقنية وقيادة الطائرة نكتة تدل على
نقص معلوماتي العلمية ..

وصلت باريس، بدلت الطائرة متابعة السفر إلى - مدينة تولوز
الفرنسية - مدينة مصنوعة من الجمال الطبيعة جعلتها لوحة فنية مذهشة ،
هدوء رنان مع حفيف الأشجار ، وزغردة الطيور . وضحكات نهر -
الكارون - أنها مدينة مصغرة من حيث الهندسة والترتيب والنظافة - عن
باريس -

انتقلت من عالم إلى آخر، من حضارة إلى أخرى .. وشعرت
بغريسة تحتلني، ولغة أخرى تتسرب موسيقاها إلى أذني، وابنتي تحتضني
مرحبة كم أنت قوية يا ابنتي في تحمل هذه الوحدة ؟ كيف اقتطعت كزهرة
من حذن أسرتك وأنا الوحيدة المدللة، ووضعت في غربة لا تهتدي منها
إلى بداية النهاية، وأيامك ممتلئة لا أهمية لها وصولاً إلى محاولة نسيان
الماضي وتخريب أسرتها كشيخ يلاحقها برعب ويشد حركة انطلاقها
مهمومة وكأنها عجوز قابعة في دوامة اليأس والأفكار المحزنة ..

* الجمعة 17 / 12 / 1999 :

مع تشكيلها النفسي تتصرف بانسجام وفي انسياق هذا التشكيل
تبدو لا طبيعية مع الآخرين وتطلب من الآخر أن يكون طبيعياً صادقاً
مثلها، أحاول أن أفهمها أن الإنسان ابن بيئته وكل مخلوق يختلف عن

الآخر، ولا تشابه بين البشر إلا في الشكل الخارجي فقط، وفي السلوك الاجتماعي، أما الجوهرة إنسان مختلفاً عن الآخر..
وتستعمل الأمراض النفسية في أكثر البشر ويظنونها طبيعية ..
أقاوم الليل في يأس والأفكار. تزدهم في الذاكرة، هي مشوشة، قلقه، غير مستقرة مع ذاتها، وقد تنور لأتفه الأسباب وتعضب ..
القوي هو الذي يملك زمام انفعالاته عند الغضب، والضعيف هو الذي يثور ويغضب ويلغي الآخر أمامه بعنف .. حاكمي الأمور بدقة وهدوء ..
يجب عدم اتخاذ أي قرار في لحظة الغضب ، لأن القرار يكون خاطئاً بالضرورة وقد ينعكس سلباً على ما سيحدث .. اكتفت بالصمت وطويت صفحة الحوار وكأني أحاور ذاتي ..
* السبت 18 / 12 / 1999 :

- الشيء لا ينتفي إلا بالشيء نفسه -

يكون الإنسان قلقاً في حالة الإشتباه بمرض ما، ويتعمق هذا القلق ويثبت حين تظهر النتيجة، وقد خاف المرء قبل تحليق الطائرة والخوف يطمئن والطائرة تندفع، ثم يتطامن رويداً رويداً عندما يصير في الجو، والقلق الذي يلازمها هو الذي يخلف لها هذا التوتر، وأفضل أن نمحو بقع الزمن المتباطئ الثقيل لنحصل على هنيهات استرخاء وطمأنينة، وحين يحدث الذي نهجس به حدوثه يريحنا منه لأننا نصل إلى الحالة المتوقعة وينتهي الأمر . ما أفضع الصمت في إبتراق اللحظات الومضية، كان يلزمني الكثير من الجهد حتى لا أسمح لأعصابي أن تغلت من سيطرتي

وهي متوجسة قلقه من أفكار وأفكار. تتكدس بصور مختلفة، أليس العقل والجنون مرتبطان ببعضهما. ؟ .. ولا أحد منا يعرف أين ينتهي هذا، وأين يبدأ ذلك، رياح المصائب تجعلني أصر صريراً كأنه نواح ينعي الحياة الغامرة أحملق في المطر الغزير، أنصت إلى خرير تساقط كشلالات وأفكاري ساعة مع تيارات المياه، تطفو فوق الصخور ثم تتجرف إلى السهل. كأن رأسي أصبح هديراً لأن الحياة أكرهنتني على أن أتجرع الكؤوس المرة .

وبدا لي العالم وهماً باطلاً ممعناً في بطلانه، ظالماً ممعناً في ظلمه وعقل الإنسان قاصر. عن بلوغ حكمة الله في تدبيره لشؤون خلقه حتى أننا لا نعلم أي الطرق تؤدي إلى الهدوء النفسي وحالة الرضى على نعم الحياة وما أكثرها إن تأملنا مصائب الغير ..

* الأحد 19 / 12 / 1999 :

لكل امرئ ساعة موقوتة يجد فيها الخلاص لنفسه، وكل إنسان هو الحكم وحده دون سواه، هو وحده القادر أن يعرف كيف ومتى يكون الخلاص، كذلك سنابل القمح تتضج على عودها في هدوء ووداعة وحين يتقلها الحب تتحني على الأرض منتظرة الحصاد، قرار الإنسان مثل ثمرة الشجرة تتضج في صبر وأناة متأثرة بأشعة الشمس والمطر والرياح وتسقط إذا حانت ساعتها .

يتضرع الليل حولي بشذى القمح وزهر العسل والتين وركام من الذكريات يلمع شفافاً حيناً، ممتعاً أحياناً ثم يتوارى وليس من السهولة

إخراجه من سجن النفس الشديد العتمة لكن النسيان يضمه حانياً على بقاياها

..

ويبقى حضورك الخفي يسري في غربتي، وأنتِ لماذا تغرقين في
حزنك الصامت؟ الفراغ يعذبك والضياع يدور بك كطواحين الهواء لأنك
تبحثين عن الراحة في متاهات لا تعرف كيف تخرج منها مع إشكالاتها
النفسية متى تعرفين أننا عندما نريد شيئاً علينا أن نسعى إليه حتى نفوز به
هل حددت المعنى لإرادتك هذه؟ ..

هل بحثت عن طريق للخروج من التيه الذاتي لتجديد الهدف أو
اكتشاف الهدف، أم أن الغربة أغلقت حدود أهدافك ؟ ..

* الإثنين 20 / 12 / 1999 :

حين نعيش اللحظة الراهنة وتنتهي هذه اللحظة يعود الفراغ إلى
الحاضر، أما أنتِ أحس أن صلتك بما مضى أكثر من صلتك بما يأتي،
وكان الحلم في ذهنك الغني يفتقر ويضعف في حالاتك الضبابية
المتشائمة، ويرافقك الإحساس بعدم تلاؤم مع المحيط حولك، والسبب لأنك
تفتقرين إلى المرونة مع الآخرين فتتقد ذاتك المتعة بالأشياء، ما زال أثر
الخلل الأسروري له إحساس في الذات المغلقة ولا تستطيعين النسيان وبما
هذا يفقدها الثقة بالرجل، أو يصبح لديها إيقاع الرجل متشابهاً رتيباً،
مرفوضاً، ويترسب في قاع الذاكرة الخفية كل شيء ..

إعطاء النفس هو الأصل، وكل ما عداي هو فرع.. وحين لا
تعطين للأشياء نفسك لا تصنع البهجة حولك. فيها ودك الإحساس بالغرابة
والفراغ ..

* الثلاثاء 21 / 12 / 1999 :

ولم لا تكون الحياة أغنيك الجميلة ولكل الإنسان أغنيته، إلى متى
يتفجر رغاء الحزن من عينيك البرئتين؟ إلى متى تعطين للحياة مظهراً لا
مبالياً؟ ..

صوت الموسيقى ذات الإرتفاع الرتيب يضج بالتوتر هل تنسين بهذا
دوامة حصارك النفسي؟ .. وتسقط في بئر الصمت غير راغبة بالكلام
ويبقى إحساسها. المرهف يخترد الماضي ويعذبها ، وتبقى راضخة لرقبة
التفكير السوداني ولا تنطلق على سجيئها ، حتى تفقد حيوية الانتشاء و الفرح
ويتعند الحزن قاتلا السرور المريح ...

* الأربعاء 22 / 12 / 1999 :

الفرح المفتعل يأيتها و مضاً ، ومرحها خداع للنفس و ستارة الكآبة
تشع بصمت يتشح بهموم مغرقة فيها و تنقي كل ما فيها ، الأسها هي
ذاتها من الصعب اختراق الحاجز الفاصل بيننا بهدوء ، ز كنت أتحاشى

إثارة زوبعة خلاف , ففي التفاهم الودي يتحول الليل إلى ضجيج و صحو

...

أشتهي النوم و أتقلب على مخدة من الدموع , و أفكر بالعودة حين
نصل إلى طريق مسدود في الحوار ...

أخشى على شعورها المرهف أن يتأذى بالهجران لإننا في حوارتنا
.... نختلف , نحتد نتصالح كطفلين حردتين ...

* الخميس 23 / 12 / 1999:

ألا تتساوى الأشياء أكثر الأحيان عقل . جنون كله واحد ..
ودعت النوم في سرير الزمن . و بدأت أبحث عن شذاه و طرقات القلق
حولي متعرجة متعددة مرصوفة بالحصى و الرمل و الحجارة , ثمة تجارب
جديدة ناتجة عن التهور و الأخطاء العديدة , تسكعني الأفكار في زحمة
منامات لا نهائية , بعضها مرعب , بعضها محزن و كأن أحلام الفرح
ماتت في ظلمة كان لا بد أن أتهرب من لغة الحوار لانها فقدت أهميتها
أخلو إلى نفسي أقرأ كثيراً , أتابع كتابة غربة الأوراق في حالة التأمل الدائم
لكل ما حولي و لكل ما نتحدث به, لكل ما يمارس من تقاهات يومية
اكتشف منها دلائل أكثر صعوبة .. و أصبح هذا طقساً معتاداً لدي ..

* الجمعة 24 / 12 / 1999:

متى نفرغ من محاربة طواحين الهواء ؟...

ما زالت تدور بأفكارها. المشتعلة في دوائر الصمت دون جدوى
حاولت أن أدخلها في حديث الرجل المثير , وهي تبحث عن الرجل القوي
رجل ناضج .. فيه الحماية و الأمان و الرجل الذي يعرف كيف يسكب
لغته شلال حنان , وكيف يستطيع أن يكتشف الذات الداخلية و طاقاتها.
خلافة كامنة في اللاشعور مضطربة خائفة من التدفق , رغم أن لغتها
ساحرة شفافة ناعمة , و تفكيرها العميق يدخلها في ثقافة متابعتها كثيرة ..
وفيها جزء كبير من عقدة (اوديب) تبحث عن الأب الذي افتقدته في
شخصية الرجل الآخر ... تؤكد أحاسيسها.

- لا أتصوره في منزل آخر حضوره في المنزل لم يبرح مخيلتي
النجوم تتغامز في عبادة العتمة و بين الأضواء الناعسة أراقب
رعب الهدوء الذي يضم المدينة الوردية و قرميهما الأحمر كياقوت
يتدلى بين الخضرة و الزهور الملونة و رعب في داخلي يعكر هذا
السحر الجميل مما ألمسه فيها من ضياع مبعثرة في اللاشيء

* السبت 25 / 12 / 1999 :

أنحتمل الحياة لولا ألوان المحبة ؟ وأحتمل الوقت الذي يمر دمعي
سيكارة وقهوة وقلم وورقة نغياً لشعوري بالاعتراب وهذا الحزن المحزون في
اللاوعي يدفع أفكارني التي أدونها مع تأملاتي وبعض من الحوارات ،
وأحاول تناسي الأحداث المريرة التي عشتها بعد سفرها إلى الخارج ، أمسح
هذا اللوح الذهبي واغمض عيني لا أريد أن أنظر إلى الوراء حتى لا أرتعب

وأحاول أن أمحو من ذاكرتي المسافات الزمنية والمكانية ويتولاني إحساس
فإني في غربة حقيقية، لأن الأشياء هنا ليست وردية بنفسي والحزن
يفصلني عن الحب رغم كل وردية المدينة ونهرها الجميل يعاودني بين
الحين والآخر غم مفاجئ يفصلني عن لمحات الفرح، أحاول التماسك
مستأنسة ببعض مظاهر الجمال، والحرية، والهدوء ..
الورق دائماً ينثر حروفي بصمته الرائع ..

* الأحد 26 / 12 / 1999 :

رف من الفراغ حولي كرصف عوامات الدخان يورقني بالضجر
فأكرع قذح الصمت وأهداب الليل تسرح بي، تغيبني في طرقاتي الحلمية مع
هجرات السنونو، تتهاجر. نفسي في نفسي وتتبع اللامعنى للأشياء، أتمشي
بين حواجب الغابات سارحة بين انحناءات العذوبة التي تتهاهى من
الأخضرار. المنوع وسلال الحب فارغة لأن الثمار تتدلى على أرض
الغياب، أحاول أن أشعل الزمن بضوء حضورك بين فراغات النجوم
وحشرجة الأيام تبكي على صدرها أختبئ بعيدة من بريق الضياع لأن
عمري يعتق حشد العنمة في خوابي الباقية، أصابعي المجرحة بتبرعم
سهولاً للحب من نسخ الروح وأفكاري تؤنس وحدتي وتتداعى الأحزان من
ذاكرة مثقوبة أربت على قلبي المفرق في غربته واترك كلماتي محاجراً لوجع
يحتضر. كطيور برية ترف لهاث موتها غناء ويبقى للحزن لونه المتفرد على
تقاطيع وجهي، صماء هي القلوب التي لاتعرفني لأني في ممرات الشroud

أرمي على أقدام السحاب ثقل همومي، أكفي النيلة تزيح ضبابية الأشياء
وخيوط الخوف تشدني، لقد كان حبك " جرحاً وسكيناً " تركني بين رف من
الحزن، ورف الفراغ أعطي الألم بضلال الفرح اقترب .. غمست وجبة الحب
بمزامير. الدمع ، وكنت طقس الخرافة لصمتي .

* الإثنين 27 / 12 / 1999 :

تولوز .. المدينة الوردية لوحة من الجمال والهدوء يحوطها كغلائل
حريرية شوارع واسعة، نظام، نظافة ومعايير لعدة جسور بشكل هندسي بديع
الدقة فوق نهر الكارون الذي يقسمها إلى قسمين كما نهر السين يقسم
مدينة باريس، الشجار الوارفة حول النهر تسترخي. أعصانها. بإطمئنان على
العشاب على خنقي النهر والبيوت القرمدية تحيط بالنهر وكأن البيوت في
غابة مشجرة والمياه تتفرق حولها، مراكب جميلة ترسو فوق المياه ثابتة
على ظهرها مقاهي جميلة، والفرق قد تسكن لفترة استجمام، وفوق الجسور
لافتات مرفرفة بألوان الزرقة والبياض رمز - العلم الفرنسي - وعبارات
مطبوعة بأحرف لها معانٍ إنسانية جميلة :

- محبة - عدالة - حرية - تساوي - إخاء - تضامن -

وكانها قيم يعتز بها هذا الشعب ويمارسها، وعلى العشب الخضر
فوق التربة السمراء وطيور النورس والبعج تقوم فوق تلالاً المياه بصوتها
المتناغم مع الأوراق التيس تتحرك وتعلو في فرح وصراعه واستسلام، ونداء

ربة الفصول لزهور مجهولة الأسماء على خنقي النهر ترجعني إلى ليل
الحياة القصير ..

* الثلاثاء 28 / 12 / 1999 :

هل تتحول الوردة إلى دردة حقيقية إلا حين تظل تنتشر نظرة
الناظرين، ولا تتحول حمزة الصيل إلى روعة إلا عندما تنعكس على شبكية
العين البشرية، كم أتمنى أن تتصالح ابنتي مع ذاتها وتخرج من وحدة
ذاتها، فغربة النفس أشد وطأة من غربة الوطن، لماذا لا ترمي الأمور
التافهة التي تشغلك جانباً حتى تنتشي هذه الذات الطيبة التي بدأت تفقد
بريقها وتفقد نشاطها. الفكري والجسدي، ألا تراقبين قطار. الأيام السريع إنه
لا يقف وحتى تتغلبني على الضجر والملل بملء وقتك. وتنظيمه بدقة،
لماذا لا تتفجر طاقاتك المكبوتة في الكتابة؟ .. الكتابة للمتغرب هي الوطن
الثاني اهربي من الواقع المر وابحثي عن الواقع النقي الذي فيه عالمك
الخاص، عالم الموسيقى والكتابة والقراءة وضوء الشعور حتى تلتحم وتصبح
شيئاً واحداً، وتعلي الصمت ومراعاة شعور الآخرين، لأن التصميم المدهش
للكائن لا امتلاك الحاضر وحده بل والمستقبل معه، وهذا التصميم الإداري
هو المنعطف الذي يسطع بقوة مهما كانت الصعاب ..

لا تغلقي الحياة لا تصبحي خارج الحياة وحددي هدفك منها
والنظر الأصيل ينبثق منا حين ننظر إلى حقيقتنا، فنخلص من الفكر
المضطرب ونرفض بتعية أي فكر لا يلائمنا فالفكر المستقل هو الذي

يصنع الإنسان، ألم يفسر الفلاسفة العالم بطرق مختلفة ولكن هل استطاعوا تغيير العالم ؟ ..

والإنسان يغيره .. بالحب .. بالإبداع .. بالمعرفة .. والكتابة..

* الأربعاء 29 / 12 / 1999 :

مع هذه الرحلة الطويلة يخطر الأعبة في الذاكرة ويعاودني الحنين قد يزول هذا الحنين حين نراهم ونفرق في الروتين اليومي ..

أتأمل الآن نسيج الظلمة بين الستائر. المسدلة وانس لحظة الرؤيا، ولحظة الرؤيا لا تأتي إلا في حالة الخطر، الألم . الغربية ثم تختفي فجأة، ما زالت أتقلب على جنبات نومي القلق وقبل الإغفاء يسبق طقس النوم التفكير بكل الأشياء، وأكثر الأفكار تولد في الليل - خاطرة . فكرة . صورة - تحوم في الذهن ثم ترسو في اللاشعور ثم تنبتق مع المعرفة في الشعور .

قلبي مخلوق للمحبة لذلك دائماً أنسى كل الإساءات وأحاول ألا أتذكرها، لأننا بشر والخطيئة في تكويننا ودائماً نحاول تجنبها من منا لا يخطئ؟ ومن منا يكون كاملاً ؟ ...

* الخميس 30 / 12 / 1999 :

أكثرنا يتكلم بشكل لا واعٍ، ولا نفكر بألوان الصور التي يسلسها فكرنا في جملة واحدة، وبقدر ما تكون فكرتنا لا واعية تكون أدق وأعمق وبقدر ما تكون مدروسة تحليلية تغدو مبعثرة، وتملك ابنتي سحر اللغة وتتقي الألفاظ بدقة واضحة فيبدو حديثها جذاباً ممتعاً ..

من الصعب أن لا نلتقي مع بشر لغة حوارهم عميقة والأفكار.
منسجمة أغلب من نراهم الحوار سطحي، وقد لا تصل إليهم مضمون اللغة
التي نتحدث بها، لذلك يرتجف الفراغ حولها ويشكل لها عذاباً إلى حد البكاء
والممل السريع من كل الأشياء، وتفقد المتعة بها لأنها تحلل وتدقق وتنش
في أكثر الأشياء ..

ومتى عرينا الشيء فقد جاذبيته ..

*** الجمعة 31 / 12 / 1999 :**

النفس كالبشر. لحن يرتجف إلى ابعـد جنـبات الكون، ويقوم فيها
شجن وفرخ وخوف وألم ، يشرب كالموج بأقوى ما يكون العصف ثم تهدأ
إلى درجات قصوى من الهدوء .. هكذا كانت ابنتي لأنها إنسانة مأزومة
وهي تعرف منشأ أزمتهـا، وكأغلب الأوربين مقنعة بالتحليل النفسي. رغم
أنه لا يفيد إذا لم يكن لدينا إرادة التقبل وحين يملك الوعي لأزمته يستطيع
أن يتخلص منها دون تردد هي مؤمنة بالحرية المستقلة، ولا تقبل أن يعيدها
أي كائن، فتتطوي على ذاتها وتتآلف مع حقائق الكون وتحس أكثر مما
تعيش بالأم العالم ونقائصه ..

وبدلاً من أن تخاف تحمل مسؤوليته الفشل لماذا لا تملك الرغبة

القوية في مجابهة هذا الفشل ؟ ..

مساء أخير

بدأت أكسر عطر الفرح على أكواب الشوق وأنثره على كتف الأيام
هل أخبئ لطيفك حزن البنفسج ؟.. ترهج كلماتي بالشكوى وهيس حروفي
مزروع في آفاق الخيال ..
يطوحني الزمن خارج وعي الكوني بعد أن تمت ولادة العذوبة
لبرعم الحب بيننا ، قمطته بإلفة شاربين الروح ليضيئه الشعور الشفيف
كإنخفاف صوفي على أكف الغيب ..
تركت لك في نقطة الوداع شرراً .. وغيبني الحب في دجى هوى
مجروح، وبقيت في كوني المنفرد حركة سكون واضطراب ووجل ..

كلمات لصمت آخر العام

كل إنسان يتقلب مع الزمن و يحس انه غريب عن نفسه , وكل دقيقة تحول الفرح إلى حزن , والحزن إلى فرح , و الأمل إلى يأس و الطمأنينة إلى قلق .. فالزمن هو نسيب حياتنا الداخلية و هو كموجة تتبع من نفسها و لا تتدفق كالأخرى .. فينسب الزمن كالمياه.. متمهلاً , مندفعاً , زاحماً , بطيئاً ... فهو إيقاع واقفنا النفسي ... أستعير ثوب الفرح , و أفرق أثواب الحزن أكتب لغة الجمر للغيوم لابتسامات الغيب و عذارى ورودي لها طقس حزن في نشوة الوجد و تهدل للحمام أغانيها على مشرفات الليل و النهار ...

من دهشة فراقنا. صوئت سحابة تضاجع الغضب و و على صهوة

الريح ترمزم اشتعال الحضور و الغياب ..

أغسل وجهي بعشب الكلمات ؟ و ارشف حيرة الخوف و رنين

الوجع في حقول الزرقة العاشقة التي تغب الدمع من نهر كلماتي الحزين .
فالكثابة هي وسيلتي للتغلب على الزمن لانها تغرق القلب و الفكر و تنقلي إلى أثر أخرى خارج حدود الأرض ... بذلك لحظة الحاضر

خاطرة

- أغسل زنبقتي بمياه الحب , عبيرها يتهدد لابتسامه قمر ممسوس
بنور الوعد الظليل
- تبقى كلماتك صدى للريح , أغنية للسكون , و الأيام تذوي بلا
معنى أتكى خد ليل يبكي دمعته الهادئ من أجل نهار لا يموت
- حين تراني ارتعاشة اللفظة تفضح وجهك و أرى دموعك الصامتة
على أوراق ترتعش ليحبيب الزهور ما عدنا نتحدث بلغة الحب لكن
بالرؤية الداخلية أقرأ نصوصك الخفية ..

على عتبات العام الأخير

يرهقني الوداع

يرسم حيرتي .. دمعي

خوفي

على قامات الوقت

على خاتم الرصيل

رسم ذكراه هذا العام ..

و مضى ..

لا تغادرنني ...

تمهل قليلاً

سأقرأ نصوصي لضفائر الشجر

سأضيء ألوان الرؤى

على صدف ترقص

في خضرة زرقاة

المياه ...

رفعني الوقت خاشعاً

لحظة الوداع

و آخر دمعة

كانت تغسل وجه الشمس الحزين

خواطر المساء

موجوع عري الدرب الذي سأعود منه و رمالي حرقته المسافات
متقلبة في قلب المغيب و شتاء الليل يشد على أصابعي خاتم حلكته قلبك
أحسه .. أيدعوني إلى رحمة و الغياب ملفى بيننا ؟
أغيب عنك فيك , أهرب منك إليك ..

على جسد الكون تركت خواطري , لان حقابني خبأت فيها ورودك
كم هي قاسية رياح الهجر التي ثقتب القلب عابثة به ...
كم هي كثيرة الطيور السوداء التي هاجمتني , و كم كانت عميقة
اللهفة تتهامى من هوامش الروح و تستقر في قلبي المتعب كأني أبيض
على الجمر بأصابعي , و كان جرح الحب لا يبرأ في الغياب
أقلب الذاكرة بين أشجار الجوارح و أوراقى تتشرب سواد الحبر من
لهبها الألف ينبعث شذى الفرح القديم .. الأنى أمضي حافية بين جمرات
القلق ؟

لماذا تهرب أحلامي الوردية من خيوط الفجر و قد مسكتها طويلاً
كيف أصبحت قاسياً لا ترى دمع قلبي ؟ .. كيف لا تحس بالأشواق
المشتعلة في موقد غربتي ؟ ..

هل يستطيع رماد الحطب أن يجففها ؟
الشوارع جميلة و غريبة , الناس غريبون طيبون و اللغة ناعمة و
غريبة لأنها تعبت من وجع البعد ...
و أنت أشد غربة عني من كل هؤلاء ...

رسومات للوجع

* السبت 1 / 1 / 2000

حين اكتب أرمي ثقل العالم عني , و أدفن هموم ذاتي متحررة من
هذا الوجود المثخن بالجراح , أغفو الغسق الناعم و أتابع مسار الأحلام ..
متقلبة كفراشة تحلم برصيق خفي يتوهج الحب في سنابل الدم , متالقاً على
أوتاراً أيامي الجريحة هل الحب من فعل الثبات ؟... أم ينزلق بين رمال
الزمن ؟... متقلباً في معنى الإنسان و هو يحاصر التاريخ و الزمن ..
أحلم بهمسة فجر قادم , و بوح زهرة , و أحلم أن تبقى الحياة فعلاً و موقف
.. و كل إنسان جزيرة مقفرة , و كل منا يملك في داخله عالماً خاصاً
يختلف من فرد إلى آخر , و عندما نتكلم نستعمل الألفاظ التي تتلاءم مع
واقعنا النفسي و يفسرها المتلقي بما يتوافق مع مزاجه الشخصي , و نتوهم
إننا نفهم بعضنا و لكننا في الحقيقة لا نتفاهم إطلاقاً...
ابنتي كائنة غير قادرة على الاستقرار و لا يستطيع أن تكون هي و
غيرها في آن واحد .. لا تحب أن تستملك و لا تملك لذا هي غير قادرة
على الحب , و غير قادرة على بناء نسيج العلاقة الإنسانية لان صدقها.
الحاد يخلق حالة صدامية مع الآخر , والقوة المتمسكة بها من القيم
والمبادئ الثابتة على سلم المثالية تجعلها تتراجع أمام الواقع المرير , و لا بد
لكل خطأ تقع فيه أن تغلفه بوشاح الندم الخفيف يزول أثره .. لأن تبقى
حساسيتها. مفرطة إلى حد الشفافية التي تخدشها. أصغر الأشياء و تفتت
روحها. المرهفة ..

* الأحد 2 / 1 / 2000 :

هل كل الأمهات مثلي؟ لماذا لا أستطيع أن أقتنع أن ابنتي كبرت

..؟

ما زلت أراها طفلة صفائرها تماوج الشمس، وقلبها براءة البياض وولاء خديها لحمرة النعمان، وتكفيرها منبع لطيب الوجدان الإنساني النقي، رغم انخراطها. بالواقع واكتشاف الحياة تصطدم حين ترى الإنسان يملك في داخله غرائز الشر والأناية والقسوة والأذى والغدر، وديعة كالحمل تغتسل بشلال الخجل حين يسكب أحدهم غدائر حنانه من عينين صادقتين صافيتين، وتتعذب أكثر من الجميع لأنها تصدق كل شيء ولا تتصور كم من فسحات الكذب تغلف السلوك البشري، أخشى أن يصبح العذاب جزءاً من حياتها وكل وجه عرفته كان قناعاً براقاً يسحرها .. ويبقى وجهها الأكثر عمقاً والأكثر انفعالاً والأكثر صدقاً، ولأنها لا تلمس الحياة بواقعها الصعب يبقى في داخلها خوف وحذر وتردد، وكل نقطة معتمة تسد حولها طرقات كثيرة هل يتمكن الإنسان من إعطاء صورة عن الآخر مطابقة لتلك التي يكونها عن نفسه، أو أن تحس الآخر كما تحس ذلك؟ ... وكل مخلوق نمضي الوقت معه يجعلنا نتصرف بجزء من حياتنا ونفسيتنا متميز عن ذلك الذي نتعامل به مع إنسان آخر، وعبثاً نحاول العثور عبر مظاهر العالم الكاذبة المتبدلة على ماهية الأشياء وجوهر الأشياء .

إنني أكون عن نفسي فكرة مغايرة للصور المنوعة التي يرسمها عني باقي الناس كل حسب مزاجه ووفقاً للكوة التي يكل منها، وكل فكرة نكونها عن أنفسنا أو عين غيرنا لا تسجل سوى لا لحظة بالذات لأنك تحكم

من خلال برهة واحدة تبدت فيها العاطفة ولا تحيط بجوهر الشخصية ومضمونها الكامل، هذه البرهة يجب ألا تبني تقييماً لشخص ولا تكفي لاختصار حياته كلها .. من ماهية هذه المعاني كنت أحاول أن أساعدها على خلع أفكارها. المضطربة وتركنها في إدراج الذاكرة حتى تتجو من عذاب ذاتها لذاتها ..

* الإثنين 3 / 1 / 2000 :

قال أبي عربي :

داؤك فيك وما تعلم داؤك فيك وما تبصر.
أتحسب نفسك جرماً صغيراً وفيك انطوى العالم الكبير
الحياة يا ابنتي سؤال محير يتطلب جواباً، والجواب في ذاتك في أثر فعلك، وأنت المخلوقة مع أشكال الجمال - الفن . الموسيقا . العلم . الثقافة . لم لا تصنعين الجمال الخاص بك أعيدي خلق ذاتك مع الكلمة الأولى لمعنى الإنسان، وما تبقى من تعثر ألوانك قرر. لطعم الأيام، أنوثتك تكلى في حقل الجراح وكأنك نبتة برار، انتمائك غيم ورؤى وضباب تحفر رسومات الوجع لأحزاني في دفاتر المساء ..

قد يتعذب كل منا بسبب أخطائه، قسوته، ولها فراغ في النفس هذا الفراغ كينبوع للتسامح اللانهائي، أما الأصرار. النفس على عيش حالة الألم تصبح هاجعة في قرارة الجروح وتتفجر قسوة تجاه الذات نفسها .. يا صغيرتي تطهري من هذه الجروح، اغسليها بماء المحبة، بمطر الحلم،

ولولا المحبة لتحول القلب إلى جمر ، والثقة تكون مع الشخص الذي يفهمنا
وليس مع جميع ..

خاطرة

- على كفي بعض الدفء وكل الحب ووساوس ليلي صلاة، شرود
قلبي كنبع ضرير ينساب، وخوفي تعب من التعكز على محراث
النسيان ..

أتشتاقي؟ ذاك السؤال الشارد على فواصل قلق أرصفتي كحور
يسدل شوقه اللماح على ضفاف تغب ألوان الزرقة من تعب الجواب،
أما زال لي عروة حنان في صدرك كرقعة الهمس في أنفاس وقتك؟..

* الثلاثاء 4 / 1 / 2000 :

يا ابنتي .. يجب أن نوقظ الإنسان الخالد الكامن في أعماق كل
منا وهو لا يتغذى إلا بجوهر الأشياء..
لماذا يضج عالمك بالمشاعر والأحاسيس ويظل مختزناً في داخلك
متى خرج إلى النور؟ ..

تذكرين / مارسيل بردتسن في الزمن المفقود / .. كيف أكتشف
من خلال مذاق الكعكة في الزهورات التحول العجيب في أعماقه، لقد
اجتاحته نشوة لذيذة أحالته فجأة لا مبالياً أمام تقلبات الحياة، محضناً ضد
كوارثها ..

متى تكتشفين بعد موت الكائنات لا يبقى شيئاً من ماضياً القديم
تبقى الرائحة .. والمذاق .. كأرواح تتذكر وتنتظر وتتأمل بعد دمار الأشياء
على أنقاض الباقي، لاتحاولي بعث الماضي لأن كل الجهود الواعية لا
تجدي نفعاً إلى أن يأتي قاسم مشترك بينه وبين الحاضر يذكرنا به عفو
الخواطر ..

افرحي كلما شعرت بالوجود، فالصحة هي فرح الجسد ببلوغه
اسمي درجات الوجود، وهل يستطيع العالم المادي أمن يكون منطلقاً إلى
عالم الروح؟ ...

* الأربعاء 3 / 1 / 2000 :

هل فقدت حالة الاسترخاء للعصاب متوترة ؟ .. وحاجتي على
النوم مستعصية أحس بحالة فراغ لذا تشتد وطأة الحوار مع نفسي ، وأنا
أمشي بين أشواك وحدتي التي تسنت الألم، أحاول أن أقبض على خيالي
الجنح ولكنه تشظى بين صور وصور ، والأفكار. تسبح مع خواطري
المتعبة ..

أعصر عنب الحزن من قميص الليل واشرب خمر، وتبقى روح
الحب مرفرفة في نكران النفس من أجل الغير ، وحياناً تتوسع نفسي إلى حد
إنني أراها في سواها .. يحزنني تشكيل ابنتي النفسي وملها السريع، وعدم
الثبات على شيء، متى تستطيع أن تدرك أن حياتنا على هذه الأرض أشبه
برحلة يقوم بها صياد في بحر الزمان وجسمه في يد الفناء، والإنسان قارب
مقنوب يتسرب منه الماء إلى أن يغمره الموج ولكل سفرة نهاية، إحساسها.
بالممل الدائم يحول حالتها إلى السأم ..

هي ملولة وواعية ملها، وربما هذا الممل مبعثه الفساد من تدليل
الولد الوحيد، والولد الوحيد تتعمق لديه الأنانية..

خاطرة ..

ألا تصبح الأوراق بياضاً بغير كتابة حبر أرواحنا ؟ ...
وتصبح عكراً من ماء قسوتنا .. واللحظة الجميلة مثل الفكرة
الشوية تندلق كشرارة ولانعرف متى ؟. ألا نحتاج إلى لحظة إيمان ورؤيا
نرسم الصورة الشعرية بريشة الحرف وكطي أعيش الأشياء بكل جمالها

أحتاج إلى حب عميق، وصدق من أحب.. وأحتاج إلى الأفكار ، والخيال ، والتأمل ، والأحلام والشعر .

* الخميس 6 / 1 / 2000 :

جحيم هو العذاب الذي نشعر به حين لا يعود في إمكاننا أن نحب واجمل مات في الغرام خفقات القلب الولي، وأعذب ساعة في النهار هي الفجر، وأجمل عيش حين نعيش جوهر الحب، وخير. سلاح للضجر هو السكر بخمرة الأفعال التي تصنع جسدنا في حالة حركة وتغيير نمطية الروتين، وأجمل شيء للنفس هو الحدث الجديد ..

* الجمعة 7 / 1 / 2000 :

يساورني أحياناً الشعور بأن الآخرين سخفاء بشكل لا ينفج معه الغضب، ولا اللوم، ولا الحوار، ويتملكني حاجة إلى الضحك من كل الأشياء.. لأنه أقصى درجات اليأس، حتى يخيل إلي أنني فرع نخيل منعزل في صحراء تعبت بها الأعاصير، وتتفتح على رمال المفاجآت، انثر متاعبي في غياهب هذه الصحراء .. ما زلت قوية لأنني أحتمل العيش بمفردتي .

* السبت 8 / 1 / 2000 :

الإنسان دائماً يميل إلى إبقاء منطقة مجهولة في ذاته يحرص على
عدم كشف الغطاء عنها فتبدو الحياة معتممة وغير مألوفة لأنها مغلقة
بالأسرار. وكما قيل :

- في اعماق كل إنسان آلة عازفة تعطلها العادة، ولا تتبعث منها
الألحان إلا بالتحولات، والتغييرات، فالعصافير. تحط بألفة على الأغصان
ثم تنتقل بين أشجار أخرى ومنوعة، هذا التغيير يفيض بالفرح..
فالتغيير. يجدد العالم ، ويعيد الإيمان بالحياة ، والثقة بالنفس وبذلك
يشعر الإنسان أنه أقوى من قبل، ويعطي أكثر ..-

خاطرة

هل أحداً غيري يحس بغربة القمر؟ .. وجروح النجوم ساهرة معي
لأن السماء مزقت ثوب زرقنتها الحالم .

أنظر إلى الكائنات التي عايشتها وأحببتها وتألقت معها .. ولكن
من الصعوبة أن تعتاد نفسي على النسيان ..
وجهي يقاس تبعه فوق الورق، وأفكاري تغوص في التأمل البعيد
والقريب، أدفن حزني في عرى الروح .. وأبتسم ..

* الأحد 9 / 1 / 2000 :

لا بد أن أتغلب على قلبي النفسي، فأبحث في فراغات الذات عن
أحلام جديدة تشع برؤى خلاقة ، مشرقة ..
أيامي الغائمة الممطرة تضرر رغباتي في طياتها، وأرمي رذاذها
على موج ينهش الضجر لا ويغدق نثاره بين الزرقة، والبياض والرماد ..
أتأمل هذه المدينة الوردية وهي تغرق مثلي في دوائر الظلال والعممة
والصمت وجرح الروح يئن مدمى من التداخل أتابع نشيد الليل الورع على
إيقاع النهار ..

* الإثنين 10 / 1 / 2000 :

كنت مع ابنتي نتراشق الحاديث والحوارات الودية ونرمي الكلمات
في سكون مياه -نهر الكارون - فتدمدم بأناشيدها. على شفاه تزمزم رحيق
المياه لأفق يكتبها عل نحيلاً ابتسامته نوارس عاشقة تسكب دمعها عبيراً

للمحبين، اهتزت عروش الآلهة برعشة الحرير الزبدي البيض ونار العشق
على جنبات الآكام توشوش سر النور للضفاف الساجية ..
سألتني ابنتي - هل خلت الحياة من الشجيرات غير المتراصة في
تربة الصداقة ..

- الصداقة التي يعيشها الآخرون إلا حالة من النفاق الاجتماعي لأن
الشكل غير متناسق ومنسجم مع المضمون .
- في هذا الزمن الرعوي القلوب تحجرت، والروح يجف ينبوعها ..
- ابتسمي .. الجمال في كل مكان ، ولكننا ننشعل عنه أحيانا لا
نحسه ولا نعبر عنه .

التجربة تعني الشعور وهي تنتقل بالأحاسيس لا بالفكر ، حين
تنظرين إلى الشجرة قد تشعرين أنك الشجرة وهذه هي المشاركة السرية ،
ويتعذر على المرء أن يقبض على المعنى الحقيقي لأي كائن إلا من خلال
الحوادث النفسية التي هي مفتاح جوهرة ..
بدأ المساء يحقق زواج النهار مع الليل الذي اسمه الشفق

خاطرة

- الحب يفتح للعالم أبواباً إلى ما وراء الواقع، لأنه معرفة وتحرر
من العراف ويصبح نوراً. ونقطة انطلاق التجربة -

وهذه الحياة تمتزج فيها الذكريات بأحلام المستقبل بالأفعال الحاضرة
والوعي الذي نستره من الحب يولد إشراقاً. وكأن الإنسان يحيا في وجود آخر
، كذا أبى يخلق باستمرار ..

* الثلاثاء 11 / 1 / 2000 :

قال فولتير : - نطلق كلمة جمال على كل ما يثير في نفوسنا

السعادة والعجاب وهو

- انطلاقة الفن الأصيل .. -

أحاول الهروب من نفسي لا تمتع بكل شيء في هذه الرحلة ، و
أحس أن السفر جعل ذاتي تحاصر ذاتي تواجهها .. أتوسل إلى أفكاري
لإلغاء التفكير لتتركني أنا المتعبة النائية ، ولكن هذه الأفكار تتربص لي
وتجعلني أفكر دون أن انتبه لشرودي الطويل ، يرتج الفكر رجاً ، يتدحرج
مع الغيوم المشتعلة سواداً أو غاربة في وهاد الأفق ، و انصباب دمعي
يغطس كنار مشتعلة في العينين ، تلتهم بحيرة الدمع منسربة من مكاوي
الذات وأستلقي مع النداعي كأنني في أرجوحة أقفز من فكرة إلى فكرة ...
وهذا الحاضر يقتله الحلم المالح الهامس المتداخل ، و الطبيعة
والإنسان في حركة سرمدية أبحث فيها عن الغائبة ، عن مكان أستريح فيه
و لا يعكر صفو ذاتي شيئاً

* الأربعاء 12 / 1 / 2000 :

- الإنسان سيد ما هو خارجه و عبد لما هو داخله -

يسكنني القهر الصامت ول يتركني كي أصلح داخلي , و الذاكرة
تستعيد الأشياء بكل قوة وإصرار ، وعمتها تحقق بي بنظرات مهمة، لأن
الحياة غير عادلة .

والزمن يدور كاللؤلؤ بين دوائر الأيام ، هذه المدينة الساحرة
تضمني إلى هدوء ذاتها فأنشد بين صمتها الهدوء لروحي المعذبة، ادخل
محراب الصغار لأصنع من حروفي رؤى مؤنسة والمطر يرفق الكدر
وتتراقص قطراته معكزة صفو السكون لغواً بينما عطر الليل يتولج لريح
تغني والصمت نديهما .

أراقب ابنتي في غفوتها وكأنها مسجونة في ذاتها ، تخاف من
التغيير وترضخ لسيطرة العقل الشرس، متى تصب أحلامها في سر
الخصب لتزرع الرموز من المعرفة . والعلم. والتجربة .. كم هي بحاجة
إلى قرار حازم لتري نور المستقبل بين أهداب التعب ويلزمها أن ترصع
أفكارها. بالفعل كخطوط البرق حتى تصفو الصور وظلالها ترتمي كأفياء
حنونة على وقاع آخر أكثر رونقاً .. وأعمق عطاء .. وأشد ثباتاً ..

* الخميس 13 / 1 / 2000 :

المجد لله في الأعلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة

ينداح هذا الرفيف العذب من نشوة العزلة، يسربل الظلمة
بالطمأنينة فأمدد شجوني على زهر الزيتون المسترخي على أكتاف

الإخضرار ، و أستعيد طفولة أحلامي وتتواصل أحاسيسي في بستان الحنو
والتعاطف كأنها موجات ناعمة تنتقل بين التيارات اللطيفة لتمسح وجه
ابنتي الحزين ..

هل فقدت الثقة بنفسها ؟ .. ومتى تخرج من هذا الإحباط النفسي
إلى دائرة النور الواسعة ؟ ...

ألمح الخوف القابع في داخلها والذي يبعتها عن الواقع لأنها دائماً
تلاحق ذاتها باشباح وهمية تشل حركة الطاقة والحيوية والعطاء
لديها، قفزات الذكاء الوقاد تتمرد، تغضب ، تسامح ، تضعف ، تقوى ، تنور
.. وتهدأ..

هذه الطاقات لو سخرتها لحرية الخلق والإبداع الحقيقية لكانت
قادرة على بناء صرح مستقبلها ..

خاطرة

قال فان كوخ :

- الفن بالنسبة للإنسان هو بمثابة قوة الخلق عند الرب قد أتخلى عن
حياتي وعن كل شيء ولكن لا يمكنني التخلي عن مقدره الخلق
...

أيتها الغمامة الشاردة داعبي الأزهار مع أغنية كل صباح فالوقوف
يشل الحياة ويفقدها أهميتها، وأرى الأمل الوردي غافياً على خدك
باطمئنان .

هذا الحب الواسع كالنقاء البدئي يعزلني عن العلم، فأتأمل ذاتي
لأعرفها أكثر، لا بد تأمل الذات بداية الحرية

*** الجمعة 14 / 1 / 2000 :**

لماذا لا تفرغين شحنات ذاتك ؟ هذا التفريغ الكلامي يريح الذات
من الانهيارات التي تتعرض لها .

كانت مستمعة متأمل، كنا نخالف وننفق، نبتعد ونتقارب ونقترب
من نقاط الالتقاء بيننا أو تنفرغ النقاط إلى محاور عديدة .. ألا تقف طاقة
الإنسان أحياناً في دائرة الفوضى ؟ ... حين يقبض عليها يقودها إلى
الهدف أو الطموح الذي يتمناه ، وما ينبغي أن نفعله يجب أن يكون فعالاً
ولا نخجل منه لا بد صدقنا هو أخلاقنا ذاتها

والإنسان وليد ظروفه .. بيئته .. ماضيه ، ولا بد عن الحكم على
أية تجربة من أخذ الظروف بعين الاعتبار والدقة .

*** السبت 15 / 1 / 2000 :**

نعري العالم ونحن في وضع التمزق ، والضياع والانحدار لان هذا
العالم ينحدر نحو العبث ولا نمك وثيقة إدانة كل الأشياء حولنا ، ونبحث
دائماً عن الحقيقة ولكنها تهرب منا و تختفي ... علماً أن الموضوعات

الإنسانية لا تتبدل – الحزن الموت , الظلم الحرية , الوطن الغربية و
الإنسان هو الذي يضيف القيمة على الانفعال ويعبر عن الموضوعات
بامسلبية و لغته , من خلال كلماتي أتأمل ابنتي بصمت .. أراها طفلة
المستحيلات و الابتسامة غائبة في هطول حزنها السري البريء أتكفيني
دموع الأرض لأغسل حزنها , قلقها , اضطرابها , وهذا القلب النابض
بالطيب ينطفئ كسجائر. مبعثرة على رمال الحب ...
تدخلني إلى المملكة الصمت و تبقى المشاعر تحبو على أرض
الغربة و الضياع

خاطرة

يقول غوته : – الخيال هو ابن الفكر المدلل الدائم الحركة و
التجدد و الخيال هو الرقة الخفية في الشعور التي تجعل الفنان يرى مالا
يراه الآخرون و طبيعة المبدع تكون قادرة على الآلام و الحركة الأولى تولد
الفكرة والثانية تحققها

* الأحد 16 / 1 / 2000 :

متى تخرج الأفكار. المتراصة من سياجها ؟ ... ومتى يرتكب
النسيان خيانة الذاكرة ؟ حروفي تخرج من حدود الزمن وتضم باقات
الأحزان المزروعة في شتل النفس وهذا العالم يتم التعبير عنه بقاموس
المعرفة الطبيعية , التجربة كنت كفرع نخيل منعزل أعضاني الطيب الحنون
في صحراء العمر , واكتشفت بعد التجارب المريرة أن الطيبة تحتاج إلى
الحماية والحزن , وانبعثت الفلسفة من سرير التجارب وكل النظريات
خلاصة هذه التجارب , ماذا قدمت هذه التجارب من خبرة الحياة ؟ أليس
الخطأ كامن في الإنسان ومتى يستفيد من هذا الخطأ ؟..

*** الاثنين 17 / 1 / 2000 :**

قال جبران : - إن أولادكم ليسوا أولاداً لكم , بكم يأتون إلى العالم
ولكن ليس منكم , مع أنهم يعيشون معكم فهم ليسوا ملكاً لكم , تستطيعون
أن تمنحوهم محبتكم ولكن لا تقدرُوا أن تغرسوا فيهم بذور أفكاركم لأن لهم
أفكاراً خاصة بهم , ولأن الحياة لا ترجع إلى الوراء , ولا تُلذ لها الإقامة في
منزل الأمس تتجرف نحن الكبار وراء أحلامنا القديمة وحين لا تحقق ندفع
أولادنا لتكوين الأحلام المستعصية علينا , من المسؤول عن ضياع
أولادنا؟... هذا السؤال يتطلب حواراً صريحاً مع الأهل لا يكفي أن يضخ
القلب الحب والحنان , إنما فعل الاختيار ..

*** الخميس 20 / 1 / 2000 :**

- لاشيء كالحب بعيد الأمان إلى قلب متعب , ومهمة الطبيب
النفسي إعادة الثقة إلى النفس بالحرب بالأدوية أو الصدمات
الكهربائية و إلا اصبح الطبيب مثل الحاكم تخيفه التساؤلات التي
تعيد النظر بالأشياء وبدل أن يغير المريض يستسلم له المريض
.....

ونحن كشرقيين قادرين على منح الدفاء الذي هو متعذر بالغرب

* الجمعة 21 / 1 / 2000 :

أرى العيون ابنتي هاربة من حالات الفلق , تتراخى أحياناً ويحل
محلها الحنان والألفة , و أقرأ دائماً الحنين إلى جو العائلة الدافئ الذي
تبعثر في تشتت ما حصل ... جملتها المشهورة
- مازلت أحسو أن والدي بالمنزل ... ولا أصدق أنه في بيت آخر
...

* السبت 23 / 1 / 2000 :

يا ابنة القهر المطحون و اخلي ثوب الذكريات المؤلمة , لا
تعابتي الماضي لان الأحزان ليست من اختيارنا ولا حل سوى النسيان
اخرجي من داخلك المخنوق طاقتك المذهلة لغتك شعرية فاتتة تفيض
بالصور والخيال حين تصويرين الأشياء بدقة , ما أقسى اللحظات التي تمر
بك حين تعودين إلى التفكك الذهني المضرب وتغرفين في ضبابية حزنك

العميق .. ألا يعوق هذا انطلاقك الفكري والنفسي والذهني؟ ... ابحثي عن
ذاتك الحقيقية وانبذي الذات التي تعيش من خلال الآخرين

* الأحد 24 / 1 / 2000 :

الورد والزنبق كلاهما يرفع الكأس شرباً على ذكر الحبيب , بينما
تحترق الفراشة من وجدها ... قلبي قبل مغادرة (تولوز) كان يحترق
كالفراشة كانت لحظة الوداع قاسية , دائماً مضيعفني الوداع .. ودائماً
أغسله بالدمع .. رنين الروح يشد و ألم الفؤاد يلقيني في بحر النار ...
الطائرة تلعو , وحركتها العصبية في المطار تدل على انفعالها
المكبوت تمنيت روحها نحو شجرة النقاء الخصبة وكانت دائماً غصناً منها
... حطت الطائرة في (باريس) .. تلك الساحرة الجميلة أميرة الفن
والجمال والحرية...

* الاثنين 24 / 1 / 2000 :

باريس أيتها الفاتنة بكل شيء هل قدمت الأجوبة للإنسان الذي
يعيش فيك وحيداً , قلقاً , حزيناً؟ ...
نتحابب في الغربة مع أشخاص نلتقي بهم بالضرورة ولكن طبيعة
الشوق فيها فطرة التأخي والتألف , بينما في العزب نحس دائماً بفرغ في
قاع الحياة , وقاع الجمال , وقاع الحضارة

* الثلاثاء 24 / 1 / 2000 :

صوت ابنتي على الهاتف تحدثني إلى (باريس) تختق الكلمات
بدمعي آخر الكلمات لك :

- لا تكوني شديدة الحزن على ما غادرت -
- ولا شديدة الحزن على ما ستغادرين
- كوني شديدة الحزن لأنك حيث أنت
- كوني شديدة الوحدة لأنك معي -

أتمنى أن تصبح شجاعتك في هدم أنماط عيشك المعتادة
واكتشاف غيرها حاربي الأنا التي تكبر فيك حتى لا تصير. دليلاً على
القلق فالأشياء الجميلة يا ابنتي ملك البعض , أما الشر ملك الجميع أما
سمعت بهذا القول الجميل - الخصال مثل الظلال تتبع أصحابها و
الأشياء الجميلة مستقرة في داخل كل منا ,ولو تأملنا ذاتنا لعثرنا عليها ,
فهل نستطيع تذوق الجمال لو لا القبح؟ ... أليس الخطأ هو الوجه الآخر
للصح ؟ .. كثير من البشر يزرعون الشر , ويخربون النسيج الأصلي في
الإنسان , والجنة والنار فيما يسببه البشر لبعضهم البعض ...

فرنسا - تولوز - عام 1999 \ 2000

خواطر

- حروفي أكتبها واجفة من الحزن وهو يسترخي بين لغة القسوة والحنان أبجدية الوصل في فهرس الروح لاني رميت كتاب الحب وبميت
- يرتطم قلمي باخضرار. واصفرار الأوراق , دمعتي تسقط على صعصافة مغردة في وحدتها , يهرني الشوق كلما كتبت كلمة ..
- كما يتوحد الضياء والظلام ينام الماضي في سرير الحاضر. ويأتينا بالغامض والمعتم تسبح ذاكرتي بألوان منفعة حين كان حبك ساحلي وهذا الحب المتمرد يرفض التقيد بشيء رغم أنه يتشرب ماء الحيرة و الدمع هرب النهار من نوافذ أمسياتي

ومساحة العالم تصفر , جسدي نسي الزمن في صحاري بلا حنان

... كل هذا حدث لاني ضيعت خارطة الحب

- تعودت أن أنام على سرير الشوق , وأتقلب على لذة التوجع ,
دمعي مغرورق بندى المحبة ويغيب سكرات الفسق من جسد
الأشجار.

- أزيح وقود الوحدة حتى لا يحرقني رمادها , أمزق خيوط الحنان
لأرى وجهك المخنوق بالفرح

- أرش ملح النار على جسد رمال الصحراء لأشعل المسافة بيننا
.... ولم تطفئ التوحد في تواصلنا ..

- أجمل اللحظات التي عشتها لم أستطع أن أكتبها , وكلما مرت
حروفي بها هرت وعادت ترتعش من سحرها

- تسألني طيور الشوق - لم حين نحب شيئاً نكثر من ذكره ؟ - و
اللحظات موقده بنار اللقاء

- أظهر عطشي بشجن المساء على حفاف بحر الدمع , طواف هذا
الهيام حول ألباب السكون الساجي والأحاسيس تتشابك متحيرة في

فلك الوداء , علي أن أختم كل حروفي الآن لان حبنا فقد توجده
السماء لا تسع وحدتي , أصبحت كائنة غريبة تستدعي نفسها ؟

تأخذني نفسي بعيداً , تخلو إلي ولا أسير على أثر أحد

- لا أحد في هذه الحياة يملك لنفسه شيئاً , كلنا سنترك أشياءنا

ونرحل وجل ما نفعله أن نترك آثاراً طيبة للآخرين

حرفك الأزرق ... يوقظني

مازال الدمع المحروق في صمته يغلبني كلما مر بالذاكرة رعب
الوداع , يحبس صوتي ونحن نتبادل الابتسامات الدامعة والباردة,وعبارات
لا تتصح عن شيء أقسو. على مشاعري وأخبئها مع ثياب الحقائق
والكلمات تنتظر طويلاً ملهوفة تحت الجوانح وكلما انتظرت شاخت , وكان
علي ظان أضحك من كل ما هو مفروض علي - ألم يكن الأغر يق
يضحكون حتى من ألهمهم ؟ - الوجه البشري لا يتوقف ... هو كالموج
يتكرر. ويعاود التغيير أركب موجة الرحيل وأمضي كطير مهاجر خائف بلا
وطن يا ابنة القهر و المنافي. سأستحم على وردتك , وذاكرتي تشتعل
باللهب الأزرق والأخضر , أخط لأيامي أثواباً من ورق حبك أكان عشب

حبي عارياً كأفكاري. لان أزرار الحب تغتق عرواتها في تعبي , مطري
مازال يتهامل من نهد فأسقي حزني في أحصص ورودك وصليل يعفد برق
الليل والريح الثرثرة تمزقجداول الذكرى و أوراقى تسافر. في حقائب الشوق
إليك ..

أتعرفين لماذا تحترق الفراشة في النور ؟ ... لانها لا تجد للخلاص
من عذاب الحب سبيلاً ... أتعرفين لماذا تقسو الجدوال على الصخور ؟
لان الموجة الحنونة إنسة المجدول بإطار. حب خرافي
مكانك خالي يحدد توقيت الغياب .. أصرخ بوجه غربتك .. تقي
...

خاطرة

الحب كالأنسان يموت على حطب اليؤس على شفاه نار الوفاء
مواقد الشتاء أتمنى حين تذبل أزهار القلب أن أقتلعها أو أستبدلها , ولكن
هل أستطيع تغير لون القلب ؟ إننا نخرج من الحب كمات ندخله بقرار يتخذ
, و يغرق كل واحد في زاوية مظلمة من ذاكرته , كتبت للحب كل أيام
حياتي وكنت أهيء جملاً للنهار. , وأفكاراً اشراقية لليل حدث ثقب في
الصمت فامتلت العتمة بأوراق الشجر

باريس 25 / 1 / 2000

" لا تنكروا في الدمع عضة شاعر ... لأن رمز التمرد دموعه "

- حيث يوجد الحب يهرب الكره رغم أنهما حركة هذا الكون -

مازالت الذات في تحد صامت مع الحب , والليل يجدل الألم
والسهاد ... انظري إلي يا ابنتي ... كوني قوية لان الجبان خائف أبدأ,
وقلبه فارغ من الحب , الحب طفولة القلب , وكل محب مولع بتكسير. لعبه
, كم من الدمى تكسرت وبكيناها ؟مزروعة كأبتي أيامنا الأخيرة قبل ان
أغادر - تولوز - حول كل شرايين الصباح و أكل من نوافذ الهجر وأشد
بين أصابعي مناديل الغياب , دمعي يחדش طمأنينة المياه العذراء وحول
منابت الصمت أغنية حزني , أليست الأغاني الحزينة صلاة ؟ ألا تقراً

ذاكرة الفجر رجرجة الشوق المتوسد أفكارى؟ الروح ترعف خوفها قبل نزع
الوداع , آخر الغيمات تسرقني من شرفة غرفتك قبل أن أجتاز محطات
الرجوع وجسر. المسافة يهتز , الغيوم تنتشر غلائها الوردية والبيضاء على
الزرقة وتبث عطر المطر للأرض الضامئة , قامتك البرئية تلتف بمنزور
الطيب الصافي وتشغلني عيونك بخطوات الآتي , دعي الليل يعبر من
جفون خوفك حتى تخرجي من مملكة أحزانتك , وحدتك تنظرين إلى من بين
أهداب شمعتك الأرجوانية وخصل شعرك كخيوط سنابل مجمعة تختلج بين
صمت أوراقي , وحدي أمنهم معنى تعبك , وأكتب عن زمن لا تفهم فيه
الطيبة وتفسيرها السيء الضعف , وهل يستطيع الإنسان تجاوز الخطأ و
الماضي يقف كالصخر وقد اتخذ مسكنه في الذاكرة , وكلما حاولنا أن نعد
الأخطاء كان التعداد هو الخطأ نفسه و وفي هذا الزمن الأنا تنمو نمواً غير
طبيعي امسحي دمعتك ... كنت مثلك مخطئة .. يا طفلة النزق والحب ..
أصبحت قوتي غير الطيب مغلفة .. بالحدز المعرفة الكشف
لأصل إلى الرؤيا الواعية

باريس 26 / 1 / 2000

تغريد للأمسى ...

حين يتغير الزمن و المكان , أحتاج إلى نسبة من الأوهام كي
أحتمل الواقع و ما أفكر فيه أفكاري أنا و وما يفكر فيه في هذا العلم هي
أفكار. الآخرين أجوب في شوارع باريس هذه المدينة الأسطورية الجذابة
والحياة فيها لا تنطفئ إذا نام الآخرون معي آثار الحب الذي لم يفهم
وأحمله مثل الزهور الذابلة , أحاول أن أتمتع بكل الأشياء ولكن أبقى خارج
المتعة بالأشياء , أعيد تكوين ملامحك في ليل ضبابي نائس في وحدته
وأخرج كل يوم لألثالك في معابد اللحم , جدائل الصمت الباكرة تلملم
عاصفة الوجع وجرح القلب عارٍ كأيامي , لا أستطيع أن أنساك في
الانعكاسات البعيدة , تهزني صلاة كلماتك في رغبة الأنفاس المحترقة
بالدمع , ووجهك يبدو لي صمتاً وبوحاً , أي حزن مغسول بعينك ؟ .. و أي
قلب مغمس بالحب ؟ يتقرد ألمي بلون آلامك و لا يحس به أحد سوانا

...أتأمل - غابات بولونيا - الباريسية المقتلعة من جذورها وقد حفرت
جذورها قبراً مفتوحاً كيف حطمتها. العاصفة وهي التي وقفت شامخة منذ
ألف عام .. التربة تبكي و الأشجار كالأموات تلهث على التراب كم هي
قاسية الطبيعية على أنبائها , آلاف الأشجار. تنتحب ميتة بلا قبور ..
مرمية هكذا لأول مرة أرى الأشجار. تموت منحينة على الأرض صامته
بعنفوان الكبرياء .. أترجم شحوبي الجريح على بوابات القهر المهجورة و
أحرق الحزن بكفيّ...

هذه الفصول المتقلبة تجرح دموعي على أجنحة الرؤى المسافرة
يتمدد جسد السكون المهيب بين صحوة الكلمة ونشوة الحرف وجهك لن
يغادرني , يسند الهدوء على مرفق أيامي وأنا مع غيبوتي أستند على جدران
مسلوبة .. لا بد أن أمتطي جسد العودة .. لاني مسافرة بلا اتجاه يغرد
الأمسى على أصابع الفجر الصمت و الحب مثل نشوة خفيفة تتبدد و تغدو
, أخاف من كلماتك المهموسة في قلبي أن تمسها آثار التجاعيد ووجهك
المسافر. معي أشد اقتراباً من حزني و أكثر دهشة من فرحي

باريس 27 / 1 / 2000

استغراق الذاكرة

الكتابة يلزمها لحظات هدوء و استقرار حتى تتبلور على الورق ,
وبين الممكن و التحقق خيط واه , باريس التي سحرتني لم أجد فيها العمق
الوجداني بل وجدتها مدينة للتأمل و المشاهدة والتمتع بالجمال وأمام جمالها
الصعب يلزمني طاقة من الصفاء النفسي , ونفسي في هذه الرحلة مغلقة قد
يبدو ما أكتبه وطبيعياً في لغة البعض, ولكن للبعض الآخر هو الصعب
والقاسي والمؤلم مثل الابداعات الفنية كل منها يقرأها بطريقة و يحسها
بإحساس , فالفن ذوق , والإبداع يحتفظ بمكنونه الخاص ,وقد لا يصل إلى
الآخر فالنفس البهية تتعرض للالتباس ويبدو غير مفهومة للآخرين , وأشد
النفوس صفاء وقت الضرورة تصاب بضبابية معتمة لا يتسرب اليها الآخر
ومن الصعوبة العيش في شرنقة الآخرين وكل منا يؤمن أن الحب حركة
الكون , ولكن من الصعب أن نقتنع أن الحب هو الوهم الذي نبحث عن
دون جدوى لاننا لا نراه وجهاً لوجه , ولو رأيناه لاختصرنا المجابهة , وبما
أننا نزيّف الحب بصور جذابة ونرضى به , وحين نطرد من الحب نفقد

حقنا في الذكريات , لان ذكرى تستعاد تحمل في طيها الصداً والحزن
والكبرياء المجرحة تنزف أمام تمثال الحب البارد والجاف , وألم الحب لا
يشبه سائر الآلام لانه يفنر إلى البديل الغرائي وحالة الحب لا تكرر .
وحين تختلط الحقيقة بالوهم , والحب بالكراهية في تشكيلات الحياة
المتضادة أحاول كره الذين أحببتهم .. أهلي زوجي .. ابنتي ولكن كل
هذه تبقى غيمة سواد عابرة لأنها لا يستطيع أنت تغسل نبع الصفاء في
داخلي وأتحصن بالمحبة ضد كل الأهوال رغم أن الحب بقي لي كفزاعة
العصافير التي تعبت بها رياح أفكار في فراغات القول , ومازلت أملك
القدرة على الحلم أستطيع أن أكتب وأعرش أحلامي على أشياء مطلقة ..
كالعدل .. والجمال والخير الإنساني فأتجاوز صور القبح و يتألف الوعي
مع أحاسيسي نسيت معنى الفرح و قدرني على الضحك ما أفضله أن تنتشر.
الذات بين النقيض و النقيض فوضى الأيام تعبت بي بعد أن أفقدوني حقي
بالأشياء .. وأسكنوني شرنقة القلق ما أشقى أن يكون الإنسان مطالباً بما
ليس في وسعه

باريس 28 / 1 / 2000

الوجه مرآة النفس

ما يجري في عمق الذات يعكس ظلاله على الخارج

ما أروع أن يكون هذا العالم بسيطاً. ونقياً وطيباً , أرمي كل ما يؤلم من مواقف وذكريات , وأخفي الفشل رغم إنني أعاني من الاحتراق الداخلي والورق هو آخر المنافى و الذي يجعل من غرّبتى صفحات بياض وصفاء وضعت الحقيقة وراء ظهري لان البعض يتطلب شجاعة اشد وأعنف ونفسي مليئة بالتقوب , الكتابة صافية كالألّم الشفيف , قد أفضل في كتابة رواية لانني لا أهتم بالتفاصيل , إنما تحاصرني الكلمات من معصرة اللحظات و الغربة تتكسر والمسافة تركض وهيسس هذه اللحظات لم يقص الشريط الوحيد الذي يفصل بيننا ولكنه أفقدني الطمأنينة كتب في ألواحى الغربية أن الذي أحبني قد خانني و العدالة أين هي ؟ أتأتي فيما بعد ؟ ها نحن أمام الآخر وبيننا أداة التعذيب و الأشياء بيننا ترتدي قناعاً وهمياً , مازلت مستغربة كيف انتصرت المرأة عليك ودائماً تملك ذخيرة في الحكم على الآخرين بدقة وإتقان كيف خانك الذكاء وتم مشروعك معها ؟

أحس بنفسي المملوءة بالثقوب من ثقبها الغيرة السرية ولا أحد
يعرفها إلا أنا ونفسي ما زلت أعتبر ما حدث من المستحيلات , والواقع الذي
أعيشه مؤلم ولم يشعرني أحد حتى الآن بالرضى ولم يستطيع أحد أن
يحتويني بحنان أليف , لأنني بدأت أفقد الحب ينتابني الخوف , لا شيء
يمنحني القوة مثل الحب , والحب يجعلني واسعة الصدر كالقديسين

باريس 29 / 1 / 2000

طواف الذات

تطوف الشمس طوافها. الأخير على حافية الأرض مخلفة وراءها كائنة غارقة في الظلمة النفسية , من هذا البعد أرى البعد الأشياء بصورة موضوعية وتأملية وأحاول أن يتفتح الزمن على صفحات جديدة والأذى الذي أحدثته الأخرى مخزون من القهر في الذات الصامتة يخطر لي لو متأن يكتب للأخرى الشقاء و تصنف في صنف المجرمين أزيح هذه الأفكار. و أسمح الحقد من نفسي ومراجعة الذات ضرورية هل كاشفت نفسها وراجعتها ؟.. كان ينقصها الأصالة الفكرية و البيئية و النفسية لان الأصالة في عمق الأشياء ولا أستطيع أن أمحو صور خداع الأخرى ويبدو أن جهل الشرق يفقد المرأة المنطق وصحة الموقف و الاختيار. الناضج ... أمشي في شوارع باريس على آثار الجرام و أعيش في جمرات الاضطراب حتى فقدت الأشياء الجميلة هنا جمالها حتى نهر السين الهائم على صفحات الجمال أراه حائراً صامتاً جافاً من رقرقة الحنان وكم كان يسحرني فيما مضى أتمنى أن يتطهر الجميع من عناكب الشر هذا التشرد الطويل لي وحدثي وأتابع الكتابة لأنها تقارب جروحي وسأبقى في مصيري الغامض سيدة للانتظار..

باريس 30 / 1 / 2000

اهتزاز قصب الذاكرة

قرأت صفحات من كتاب ..

تستهويني الآن الكتابة عنك و كأنني اكتب من زمن آخر ما فعلته
فطيع في حياتي وكم دفعت من الشجاعة والصحة والعقل والكبرياء والدمع
وأنا أسرد التفاصيل القليلة رغم أنك حافظت على كياني واسمك يتوجني
ولكن هل يفيد تكريم الضحايا حتى ولو كتب بماء الذهب؟ .. أتذكر طنثر
الحب الجريح وما هذه الكلمات لإمن جروح أغانيه الحزينة ألم تجعلني أفقد
الثقة بكل شيء ألم تتركني جزءاً من ذكورتك عجرتك، ذكاءك؟ وقد فجرت
المثاليات بين أهواء الأنانية ألم تلاحظ أن لها قسمات فجة ستفسر مع
الأيام وعناصر وجهها فيها الخوف والعداوة لان العاطفة لم تمسها ؟ مازال
يتكى أحدنا على الآخر ولم يستطع أحدنا طرد الآخر من روحه واحتياج
أحدنا للآخر نوع من الخديعة والمرض لماذا تهرب من مواجهة الأشياء
بوضوح وتبدد المقدمات للأشياء أفضل من الغوص في التفاصيل مدهشة
غربتي مع الجميع

باريس 31 / 1 / 2000

استغراق الذاكرة الأخرى

قبل الذي حدث من تدهور ، كانت عائمة في عالم القيم والجمال والبراءة .

كان والدها يغذي فيها حلم العيش في فرنسا ليمنح طاقاتها الفنية الإبداعية والموسيقية امتداداً أعمق وأكبر ، ولكن هذا الحلم لم يرتكز على أسس واضحة لما تستطيع أن تتحمله وهي الوحيدة والمدللة وخائفة في الاعتماد على نفسها أو تحمل مسؤولية أي فعل أو قرار .. واعتادت أن يكون هو الأكثر قدرة على رعايتها وتسيير شؤون حياتها ورسم أطر المستقبل لها ..

يجب أن تخرج من الوهم الضخم. لأن أشد الأمور لا معقولة تبدو مع المثابرة معقولة، وعنصر الزمن هو الغالب في عنصر التغيير، وقد يدفعنا. الآخر إلى الخطأ، إلى التعثر، إلى الضعف، وتصبح أنت عالمه وهو عالمك ..

ويزعم أن شيئاً من هذا لم يكن، أراها ي دائرة غربتها محاصرة بالتردد والملل - مبعثرة في زحمة التناقض الفكري والنفسي والفعلية، فتقع في هوة الفشل والخسارة تتظاهر. بالقوة وتنهض مثقلة بالأعباء والهموم، تتهور في مواقفها كثيرة وتلحق الذي بروحها. وتفقد قدرتها على العطاء .. تحس أن عالمها موحشاً فارغاً من الدفء، ولا بد أن تخرج من أهداب

الماضي حتى تصبح أكثر رونقاً، وأكثر قدرة، ولا بد أن تخرج من أهداف الماضي حتى تصبح أكثر رونقاً، وأكثر قدرة، ففي داخلها طفلة شفافة مشدودة إلى روابط العائلة، صار في داخلها خوفاً وحزناً وهي الآن في موضع المسؤولية لا يقلق أن تفرد تفاصيل السرة التي تفككت، تشد على جرحها وتقاوم إنهيارها، وأحياناً تفقد القدرة على تسيير. أمورها بالمنطق الهادئ .

وكما يقال - البراءة مقرونة بالغفلة .. والشر بالمعرفة ...

وحين تتوصل إلى شيء من الموضوعية تعود إلى رفضها للواقع. والصدر الجميلة مرفوضة في داخلها الخفي، والأفكار. أصبحت وسوسة لها ...

فقدت الأمان مع ذاتها، دائمة البحث عن الدفاء والانتماء .. لذا تتغير أحاسيسها. وتتخفت الدهشة لكل جمال حولها حتى تصبح نوعاً من التأمل الحب لأبيها باقٍ وشخصيته مهيمنة عليها. لأنها ذات يوم منحتة مسؤولية ذاتها، أفكارها، أحلامها، وكان قراره صارم لا يقبل الجدل والنقاش في تربيتها، حتى لو اعترضت أو صرخت حكمه قاطع لا يقبل الاستئناف . ورسخ في ذاكرتها فكرة التفوق. وإنسان - السوبر مان - الخاص

بنيته واعتادت أن يكون حبه متوغلاً في كيانها، والزمن فوق والأخرى أخذت مكانها في الأهمية، فتأخى الحزن مع نسيج روحها، ويلزمي الكثير من الصنعاء النفسي أمام هذه النفس المغلقة، قد يبدو ما اكتبه بسيطاً. وطبيعياً في لغة البعض، ولكن للبعض الآخر هو الصعب والقاسي، ألا

يشقى الإنسان حين يحيطه الآخرون بهالة من القداسة ويصبح مطالباً بما ليس في وسعه؟...

وبدأت مخاوفها تتوالد، وتلتف بالحزن، والصمت، والقلق، والخوف، من وحدتها يداهما في غربتها .. بقي الحلم يتأرجح على حبال التردد ..

واكتشفت ثغرة الفراغ التي وقعت فيها، وبدأت تشتبك مع العالم الواقعي في بلد غريب، وهل هناك أفضح من فقدان أمان الأب؟ ... أو إلفة الأسرة المتراسة؟ .. وبدأت تبحث في الآخرين كتعويض مهم متوسلة ألا يتخلى عنها الآخرون كما تخلى والدها. وبقي الشيء الناقص في حياتها لا يكتمل وهي بين أنقاض ماض، وغموض المستقبل، والحب المقهور لا بد أن ينفذ إلى أشياء كثيرة بوعي وغير وعي، بإرادة وغير إرادة .

ويبقى العذاب يدفع الشخص المقهور .. ويبقى قلبي لها .. أكبر من الحنان وأعظم من العطف ...

باريس 1 / 2 / 2000

خواطر

- فقدت دهشتي الأولى حين انشطرت عني، لن أبحث عنك فالذكرى مورقة على شجرة الروح ..
- أتوه في شطوط المدى النائي، تربت أنامل السكون على جبهتي المتعبة . ابتعدت عن مدار عينيك، والروح تذوب كبخور معابد مهجورة .
- حروفك تلون النوى وتلوح لغة غامضة لم يفهمها البشر، صمت النور يهرب من هيس صدر الكون السري حارقاً العتمة .
- طائر الليل يشدو. مع سباحات الغيم الرمادي والروح تصهر برائحة التراب رياح الهجر في النزع الأخير لم تعد تحتل نفحات الشذى لأن الندى غادر وردتنا الأخيرة وما عاد يسبل ماء عشقه ..
- علمني كيف أنسى النسيان، وكيف أهدهد شجرة الروح وهي تحني ظلالها من نحيب الزهور وأغصان حناننا الأليف تتنتى من أغاني العشاق .
- أمسح بكفيّ ترتيب الأيام التي مرت دونك، وأرسم ملامحك التي تنأى ولجت من رحم قلبك رغم قسوة عينيك ..

الحب المقهور ..

أسكب الحب المقهور في أواني الصمت، ولتخذ لوجهي مظهر
الثقة والهدوء، العماء حل، الأحاسيس تجمدت، النفوس ضلت كان لدي
قدرة الإبصار في الظلمة، ظلمة كل قلب ضائع، ظلمة الذكورة وهل أملك
سوى نشيج الأعصاب بعد أن تقوضت حياة طويلة من أجل نزوة عشق
مشروطة شجن؟... تلقيت القرار الصارم ولم أكن أعرف كيف أصرخ بقوة،
وفشلت في منع ما حصل . لأنهما وضعوني في سجن انفرادي ولا أحد
يسمع صوت إغاثتي الجريحة فقط ضمنت العيش بمفردي حين أصر على
جعلني امرأة مزيفة لأعيش معها .. هل استطاعت الأخرى أن تعرف أي
شيء يدور في نفسي هل تستطيع أن تقيس تجربتي بذاتها حتى تحس
بالحرب في داخلي ؟

إنها لاتملك سوى أنانيتها فقط، ولا تملك القدرة على ضبط قسما
وجهها التي تتغير كل ثانية وحالة التغيير التناقضية دائمة بين الفعل ،
والفكر ، والموقف ، وهي تتجاهل مصيري ولا تحس بالحقيقة من التدمير
التي وضعت فيها .. كنت كالساقى أحضر كل شيء وأخسر أهم الأشياء،
وكل الاحتمالات ممكنة عند نقطة الصفر وكل شيء يكبر ويتغير عدا
الأحزان فالعالم منذ زمن - قابيل وهابيل وإمرأة العزيز وسالومي تحكمه
الكرهية ويقوده الصراع .

والمفكرون يلهثون بالنظريات وأفكار. المثالية وكل ذلك لا يطبق
في الواقع الفعلي والإنسان لا يتغير ..

باريس 2 / 2 / 2000

مقصورة الرجوع

عاد الهدوء يرعيني في منزلي، وعدت أصهر الوقت في قبضة
الكتب، وصور رحلتي تبعدني عن كل من حولي، أوجاعي مكومة حول
خرائبي ...

أطارد مسافة الزمن وفحيح الهواجس يتعثر في مقصورة بلا
جدار ...

بدأ الصبر يذبل، والعنمة تملأ عيني، وصور تثبت في الذاكرة
وعناقيد الكبرياء تحترق ولونها العتيق منسياً على وجهي ..
خلف تاريخ القلق أطفئ التفاصيل وتهمز رموشي الظامئة على
عتبات الأيام، أبحث عن وجهه صادق لا يتركني بين خفقات الغون
الشاردة هل يمكن التعايش مع أي الآن لا أظن .. تدري كم رجلاً كنت
أحب فيك؟

أحس إنني غير مؤكدة معك، لأنني من سلالة الشعوب الضعيفة
المنهكة وأنت المسكون بكل الأشياء غير الواقعية. غير المستقبلية . غير
الحقيقية .

ومن ولد بسر الحب سيحمله الحب حتماً على أجنحته مهما
تعثرت الحياة

خواطر

- كان السكون حالماً يتأمل لحظات الرحيل بينما الشمس تربت بأخر خيوط حرارتها على جسد الرض، وتغيم عيون الغروب بالدمع ..
- أسطر تفاصيل حزني على أجفان نصوص عزلتي التي لا تنام، رغم أن بواية الذاكرة مغلقة، وغيمتي مؤرخة بين الوصل والبعد .
- في قلب الليل يتهدل الحب كحضن عذارى الياسمين على رموش العطر، أفتت القلق المترامي على جنبات الهدوء، وتبقى روحك متقلبة في جراح أيامي .
- ترقص جدائل الرؤى حول أطيايف تلتوي على جبين ماضٍ ناعس . أبقى مسهدة حول نوافذ قبوح بحلم آخر للبياض .
- أهدج رذاذ الحب على خدود الأمل النحيل، يعتمر عطره بأنامل الليل تغيب عني بين لجج الضباب . فتبكي وردتي غربتها .
- يصحو الحرف حين يغفو الزمن، ويختنق الغناء في حنجرة شحور الأمل هل كان يبوح بغنائه أم بنجواه لوردة الشوق ؟
- حالي تشف بين حرير الوصل، وروحي مغمسة بالانتشاء الصوفي دمعي يحفر عتمة الليل التي ألمها وجعي ..

ريق للحنان

كطائر غريب .. تغادرني

مع مواسم الراحلين

أرندح مزامير الحب

تائهة في وطن حزين

وجهي ... أتعرفه

مفتال بهموم الأرض

كطرقات المقهورين ...

خمار الليل

هل ينسى هديل العتمة

ذهول الياسمين ؟

شوقي غائم في عينيك

كسراب بعيد

يتوامض كسراج

تغبه السنين

وجهي بنفسجة حزن

يخبئ خفر الحب

بين رماد البعد

يلوذ بدهشة طيفك
ثكلى نظرات الحنان
من ريق الشوق
أضفر عشب الحروف
خفقات كوهم براق
لقلب شاخ
يستل صبوة الوجد
من غمد الجراح
أوان الصمت
اقرأ مفردات ...
وجهي
في دفاتري
صمتك يتواكف قطرات
توقظ حزني
أغلق لغتي
لن أحدثك عن فراغاتها
فالمعاني تكسر

اصص العتاب
قلبي مكحل
نبيذ وردة الذكرى
وأنفاس صفحاتي
تتمطى هوامة
على بيدر العمر
يبقى وتر الحرف
مجرحاً
شجرة الحب

الغلاف الأخير

قال : أحد فلاسفة اليونان

حين أحضر تابوت أحضر الاسكندر. , وقد أخرج الاسكندر ليدفن

فقال : كان الملك أمسى أهيب منه اليوم وهو اليوم أوعظ من أمس

ليلی مقدسي

رسائل لم تصل

الإهداء ..

أنت دائماً ...

حين صحا الفجر النقي ..

روحك موسيقى عذبة يغطيها الظل الندي

لقد عبرت إلى سنواتي
موجات باردة ودافئة ودافئة من النور
وبقينا ...
خلف الزمن
في صمت السكون

ليلي مقدسي

يا نفسي ...

أيتها البتول المتدثرة بارتعاشات الأمانى، لقد
اشتعل الحلم، وأنت عاشقةٌ أحرقت شموعها انتظاراً
لموعد الخصرة.. إنَّ غيوماً ضبابية تعانق أغصانك،
وقد تهمني مطراً سخياً ، وقد تبقى في غموض
لحظاتك ..

آه ! كم افتقدتك في هذا الموعد المزروع
بالفرح، والذي تبكي العتمة فيه، وبما أنى مثلك
مقتولة بين الوحشة والبرد، وبما أن صوتي متعثرٌ
بالصمت، فإن حضورك غارق بين رائحة البخور
وتمتمات صلاة لا يفهمها سواك ..
قد أفقر يومي ككل الأيام المتوارثة، وفي
البعد اختلطت الأسئلة تنتظر عذوية أجوبتك. إن
رحلتي إليك تمضي عبر دربٍ ممتدٍ وشاق، قد
تخدشه الأشواك، لكن كروم عطائك تسقيني نبيذ
الدفء... فأتدثر بأغانيك في كل مساء وأغفو .

18/1/1970

يا نفسي ...

أيتها الضباية الغاضبة، ألا هدئي من روعك
 فمن غيرك يمنح المطر إذا مُنعت ؟ ومن سواك يلثم
 جراح الزهرة الحزينة إذا تمنّعت ؟
 لا ، إن التمزق معجزة الإبداع ! فما لي أرى
 أزهار أغوارك خجلة بلا عبير ، وما لي أرى الغوص
 في أبعادك موجة بلا مرفأ ..
 آه ما أروعك حين يستقي التراب من ندى
 حنانك !

وآه ما أشقى وما أقسى أن ننتظر !
 وآه ! كم أعشق فيك هذا الكبرياء النقي ، رغم
 أن عكر الرعود في أجوائك يعربد كطفل يبكي خوفاً
 من رغباته .
 نعم ! لقد أتعبني البحث عنك ، وعيناى زائغتان
 بين الاكفهرار والانقشاع ، ومع هذا فأنا مستمرّة
 معك .

20/2/1970

يا نفسي ...

لقد رأيتك دفقة حلم في عبوس الغضب،
وعبق بنفسجةٍ يمسح الحزن والفرح، وقبلة ندى
تدمع وتيسم حين يحضر الحب في المنام بلا سابق
ميعاد .

هوذا انتظارك مطموؤً في شكوى التراب
الصامت ، وفي شكوى الاحتراق ، فلا تخافي
الجفاف، ولا تجهم الأمطار، ولا قسوة الريح، ذلك أن
الأرض كانت وتبقى طيبة دوماً ..
ودماً ينتحر الانتظار ياساً من موعد، لكن
الأمل في الآخراتِ حكاية لا تنتهي .

23/3/197

يا نفسي ...

إن عيني دون توهجك ممتعتان بلا بريق ، وكلّما
أغمضت جفني على غربة الزمن، ابتسمت لي
الرؤى، فأنا أرى بك ..
إيه !.. لقد أمسكت حبه وروحه، برعشة خوفٍ
بلا وعد، وكان في أعيننا العتاب انتظاراً راحلاً إلى
أحضان الشمس.. وبين العتمة والنور ، خمرة
النشوة، وجنون الشوق - كان !..
وكان في أعيننا تمرّق ذو معنى ، أولم نصنع
الحب رغماً عن قوانين الحياة الصارمة ؟ ..
أولم يحبّ الحلم طفلاً بين أشواك القدر
العاتي ؟ .. بلى ! إذن يبقى الانتظار في أعيننا عبر

قلق المستحيل إشراقة أمل، ويبقى في محطات
التعب رائحة عطاء ..

7/4/1970

5

يا نفسي ...

هل يبقى الحب حلماً غامضاً في تبعثرات
أفكاري، وفراشة راقصة في حقلي المزروع بالغبية
؟.. وأنتِ هل تبقيين زهرة ذابلة ترتعش من الزمن
والوحشة ؟..

إن حنان الحلم سكب النشوة في أعطافي،
وانساب كدمعةٍ منهمةٍ فرحاً في حزن أيامي، ولما
أنهم يعاقبون القلب الصادق، فقد وقف بتحد
ونواياه الطيبة تلوح لي .. وكان غصناً خيراً مع
الفجر المتغلغل في مداخل النهار . لكنا لم نكن نعلم
أن الغيوم تنتظرنا .

18/5/197

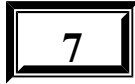
6

أيتها الروح ...

وجدتك موجة مغمضة عبر شجوب البحر
العائب ، وشاطئاً مهاجراً في بعدٍ ، ينأى كلما أدنو ،
أبلا ذنب تحلّ عليك أحياناً عقوبة الحرمان ؟..
تتوارين ضائعة في غياهب الأغوار ، حزينة
تمتدين في عمق الزرقة اللامتناهية ، ولا تطلين
المساعدة ..

إِلَامَ تيقين قوة تصفع الزمن في سبيل من
تحبين، لقد عادت ضفائر النور لتنسج بين الظلمة
شرايق أمل، وما بين الغروب والشروق وقفت
متمسكة بحلمك ..

12/6/1970



أيتها الروح ...

رأيتك سارية في صمت براعم الثلج
المستغرق، ورأيت تدفقك نبعاً صافياً لا يهاب
الحصى، ورغم الظلمة القابعة في أعماقي مشيناً،
صمت غافٍ، وبراعم بيضاء . كانت تلثم وجهي
وتتعثر، وكنت في غمرة لهوي معه .. وكانت البراعم
حولي غاضبة فلم أكن أحس بنسماتها، أتعرفين لماذا
؟ .. لأنني كنت مشغولة به، ومذهولة عنك .
حاولت أن أصنع له عقداً من ياسمين العطاء
معاً في ذاكرتي ، لكن العقد انفرط أمامك مغسولاً
بخمر الحب، وضرر جدائلك .. فناديتك وكيف أشعر
بغيبابك وأغنياتك تلامس وحدتي .
لقد اخترقت حدود البعد ، وسكنت معي في
بريتي المجهولة، لا ، لن أتركك ، فقلبك برعم ثلج

نقي ، ترقص له عزلتي .. فأزداد تدفقاً بين تراشق
الحب .

15/7/1970

8

كلمات ...

- إن الشوق يا صديقي إلى الانعتاق من كل
قيد معناه الحرية ، فما أحرانا لو عانقنا - وبقوة -
حرية الإرادة والالتزام .

- والشوق إلى المعرفة معناه النور ، فلنتابع
رحلة النور، في عالم المعرفة والطموح .. من خلال
طيات الظلام التي تغشى سماءنا .

- إن الشوق إلى الخلق والإبداع معناه القوة،
وحرى بنا أن نقبض وبشدة على القوة التي تنبعث
من نفوسنا .

إن كل هذه الأشواق - دون عزم وإرادة
وتصميم - ليست سوى سراب يتلهى بها الفكر
والخيال . فهات يدك الطيبة.. لنخترق الحواجز ، التي
يتلهى بها الفكر والخيال . فهات يدك الطيبو ..
لنخترق الحواجز ، التي أقامتها الحياة يوماً في
وجوهنا، الحياة التي عثت بنا طويلاً ، وكانت تغرينا
بألف هدفٍ وأمنية . ولكننا كنا نرضخ ونستسلم ،
ويبقى سلاحنا كلمات وفكر وخيال .

إن السير بخطاً لا تتزعزع ، قوة بذاتها توصلنا
إلى ما نشتاق إليه ، وكل ما كان ومضة في الخيال ،
يصبح إشراق الآتي..

25/8/197

9

يا صديقي ...

ما أكثر الذين يمرغون وجوههم في التراب
تحت صفحات الدهر ، ويؤمنون أن الألم قاتل .
أين الذين يسمعون في صوت الألم صوت
المعلم الحنون والهاتف ؟ ويلمسون بيده يد المربي
الماهر ، أو يد المخلوق الطيب ؟
رائع أن نستقبل الألم استقبال الصديق
المخلص ، ونكرّم وفادته ، ونقابل بالشكر وبالفهم
رسالته الأزلية التي تقول :
- إن أجمل ابتسامة تلك التي تلوّن شفاهاً من
خلال دموع ملتبهة، وإن أعمق سرّ للسعادة هو
سعادة الحرمان ، من كل أسباب السعادة لما
فيها من بذل حقيقي مجرّد من الأنانية
ألا نفرح حين نزرع الابتسام في قلوب حزينة
!؟

30/9/1970

10

يا صديقي أقول بعضاً مما قيل

ربما أجمل الدروب تلك التي لم تترك خطواتنا
آثارها عليها بعد ..

وربما أجمل الأزهار تلك التي لم تقطفها يد

العابرين بعد..

وربما أجمل الأطفال أولئك الذين ما زالوا

ينهلون من عالم الطفولة المرصع بالحنان ، ولم

يكبروا بعد ..

وربما ، أجمل الكلمات تلك التي لم تُقَل بعد ..

ولكن أليس في ما عبرناه ، وقطعناه ، وعشناه ،

وقلناه ، جمالاً قد لا يتكرر ؟ فلنزرع إذن، في حديقة

نفوسنا كلماتٍ رقيقة ، ناعمة ، ليقطف الآخرون

كلمة طيبة، قد تسعدهم للحظة وجيزة .

ولم نخل بما يترك أثراً عميقاً في النفوس ،

ويقرّب بين الأعداء، ونسخو بما يغضب، ويجرح،

ويخدش المشاعر ، ويفقدنا أعزّ الناس في لحظة

طائشة؟ لِمَ والحياة تعبر بنا بسرعة ؟

12/10/197

1

البارحة يا صديقي ...

قالت لي الغمامة: إني أتلاشى وأذوب عطاء ..
وقال لي الليل: إني أغوص في قلب الفجر
المشتعل بالنور .

وقال لي الألم: إني ثابت وقوي والصبر علي
ثقيل كوقع أقدام ، أتمنى ألا تتداعى تحت حملي .
وقال لي المطر: إني أزرع الخير للجميع، ومع
ذلك تبتلعني الأرض .

وقالت لي الحياة: إني أتوارى في غمرة
الاكتفاء .

وقالت لي الأرض: إنَّ أنوارى تلم أفكارك في
الوقت المحدد فتخصب ..
وقال لي الحب: الأيام مسرعة .. ولكني
انتظرتك ..

وقال لي الحلم: إني راحل حراً، في الأفكار
المغلقة الأبواب .

وقال لي الموت: أنا أقود سفينة حياتك شطر
النهاية ، ولا اختيار لك . فماذا تقول لي أنت ؟ ..

14/11/197

إليك حكايتي، لعلك تشعر، لعلك تحس، كم
أحببتك!

أحببتك بصنتٍ ، وبكل جوارحي، في أقبية
الزمن عرفت نبذ الحب معك بألاف المعاني حين
اهترضت طريقي ..

أنا أهواك ولكن ما الذي أهواه فيك ؟ أهوى
عينيك الجميلتين اللتين تتسمان بين أهدابٍ غافيةٍ
في حزنٍ .

وبين حزن عينيك .. وابتسامتك الحائرة ..
أحببتك! وكم أقسمت أن أتحدى الحب .. أتحداه يا
حبيبتى! .. واعترضت طريقي، حاولت أن أنسى، أن
أنساك ..

هيهات، هيهات ، يا حبيبتى ..!
حاولت أن أعترف لك منذ البداية، بلهفتي،
باشتياقي، لكنها لعنة الكبرياء رغم لهفتي ، رغم
الرجاء ، تحطم في داخلي ألف نداء .
إلام نحاول أن نكتم؟ .. ونرسم على شفاهنا
ألف ادعاء؟ .. ونحيا الثواني في لهفة، واشتياق،
وكلانا يعرف أن رفيقه يموت لهفة واشتياقاً . تسرقنا
الخطوات، ولا يبقى على اللقاء سوى بضع خطوات،
ونرجف ونبقى على صمتنا، نرجف من اللهفة، ونبقى
على صمتنا ..

كلانا يذوب انتظاراً، ويعلم أن رفيقه يذوي
انتظاراً، وألف، ألف ادعاء كبرياء ونعود ونبتسم
ابتسامتنا البريئة .. ونبقى على صمتنا .. كلانا يخاف،

ونعبر الدروب كالغرباء ، كأنما ليس على شفاهنا ألف
نداء .. ولكنها لعنة الخوف والكبرياء ...
أنا لن أروي الحكاية، عزة نفسي تمنعني ..
وعيناى تفضحان الحكاية، وكم مرة أقسمت بعينيك
أن أروي الحكاية، ولكنى أقتل اللهفة، وألعن الرغبة
وأقاوم، وأهرب، منك إليك ..
أتسمع ، إنى أهرب منك إليك ، وأحاول
الكتمان، وعيناى تفضحان الحكاية .. إذا حُلت ، يا
حبيبي ، بعيني دمة ، تذكرُ وقلُ للرياح : إنك عائد كل
صباح ، وكل مساء . ونبقى على صمتنا .. ونبقى على
لهفتنا .. ربما تعترف عيناى .. أو ربما عيناك ..
20/12/197

1



هذا المساء رطيب ، قسوة الصقيع تنخر
عظامي فأقاوم ، ولن أطفأ الدفء الباقي من تلك
الأشعة البعيدة المتسرّبة إليّ من نافذتك ، روحك
لهبٌ يلامسني في جوف الليل وفي طريق الحلم
أبحث عن عينيك ... أأنت بخير؟ .. أم أنت هناك في
طرف منعزل من الزمن؟ .. أي همس يتسلل من

صمت الليل ؟.. كلماتك صامته وغريبة ومألوفة لدي
، أي شوق يهرب من قسوة الريح ويلفح وجهي ؟ ..
وأية رغبة مجنونة وقلقنة تدفعني للهروب إليك ؟ ..
الأيام تمر مملّة وثقيلة كوقوع أقدام مرهقة من
التعب لكنني لا أحس بها لأنني أسكن في تآلق عينيك
المنفيتين ، فأبتسم في غربتي . أتعرف لماذا ؟ ..
إنني أجلس معك هادئة في ظلّمة هامسة ،
وهم يرحلون للنور ، ويغرقون في الضياع بلا مشاعر
ولا أحاسيس .. ما أنبل قلبك إشراقة في ظلّمة،
وأنت معي .

1/1/1972

14

كلّ الأبواب موصدة ، وكلّ الطرق مقفلة ،
وصوتك في قلبي أهيم به في ساعات الفجر الأولى ،
رغم أنني لا أعرف العبور إلى غاباتك بعد أن تركوها
بلا عنوان ، أبقى مرمية خلف الضباب المشرق وأحيا
، تارة يحين قديم ، وطوراً بارتجاف بقايا الحب .
أه ! كم لحبك من معنى ، وحبك إشراقة روح ،
فراشة هائمة خلف قضبان حديقة مهملة ومنسية ..
إن في لحظة الحب الحقيقية قوة كافية لتغيير العالم

، ومع أني أملكها ، فإنني أرفض البوح بها وأقطع
الزمن منتظرة ، لأنني فقدت الثقة .
الحلم يتطاير خلف الآخر ، والمساء يرضع من
رعب الأسئلة والذهول حائر بلا جواب ، أوراق
كالفقدان تسقط كما تتعرّى شجرة في قلق الضياع .
أحزن صامته ، وتهزني الكبرياء بوحشية ،
فأترك آثار نور خافت تفتت في أيامي ، وأحسّ
بأثارك الجميلة كأنامل فنان ، فأقاتل الشكوى بلا
سلاح ، والقلب يرقص أحياناً من الغضب ، وكزهرة
هاربة يلثم عبيرك في حقل لا أعرفه ، حقل ناء ،
مغرق في البعد ، بعد أن تركوه هو الآخر بلا عنوان .
7/2/1972

15

عصفورٌ دوريُّ يرقص نائراً ، أرقبه بدهشة
طفل ، أراحل أنت أيضاً إلى بوابات مغلقة ؟ أنا
أرفض العبور إلى غاباتك المرهقة ، وإن كنت أملك
العنوان .. خفف خطواتك مازال على الدرب بعد ، ولا
بدّ أنك عائدٌ بعد نائي لم ينسيك ..
- إن الحب أعظم من الرفض - والانتظار بذل
يضاهي روعة اللقاء .. إنه أمل الربيع الكامن في دمع
الشتاء .

الأمطار تتدفق مسرعة ، بسرعة الزمن
الجاري ، وشفافية الضباب ترسم حضورك طوال
أيامي شبه العارية في غيابك ... وإشراقه الروح
تنوس بين الخوف والحب .. معك وبك .
20/3/1972

16

يا أنت ! عيناك مؤلمتان كالندم ، أحملهما في
أعماقي لعنةً محببةً تسفحان السأم وبعض الحنين
الذي يأتيني منك كنيران مدفأة تشتعل في برد
الأمسيات ، تمتص الوقود ويسخر مني البرد شامتاً
ومتشفياً مرة أخرى ، هل تستطيع أن تكون خالصاً
من أجل الحب ؟ وهل تجسر أن تقول أنك تحبني ،
وتجسّد حقيقة قولك ؟
عيناك سكين تمزّق كل ما حولي ، ومع ذلك أنا
في غربة المدينة حزينة . متى تستطيع أن تخترق
دروب الثلج حتى تقف معي في قمة الجبل نقياً من
تراكمات متوارثة في نفسك ، من تاريخ لست أنت
المسؤول عنه ؟

عندما تقف معي ، يقفز الوجد حراً من
العبودية ، ويزهر الوصال في شفاف الوفاء . ربما
تمزق ثياب غربتي ، وتنزع أحزاني ، فأغتسل بالفرح .
28/4/1972

17

ظننت أنني أستطيع أن أعوضك عن الضياع
المتراكم حولك كالبرك الموحلة .. ولكنك تتسرّب
مني وتغرق في عالمك المنفي إلى القلق ، لِمَ لا
تقبض على حزم الريح وتمنعها من الولوجة ؟ لِمَ لا
تقف في وجه الحزن المقذوف إلى داخلك كصخور
من جبل ؟ وكنت أحس أنك قوي تتخطى كل
الأشواك التي زرعت عند حدود الأرض . ولكني أراك
تمتص التعاسة من الآبار المتجمّدة ، أتأملك في
لحظات صدقك مع نفسك ، ولكن ضعفك هذا أرفضه
، فالوجه الذي غسلته الشمس ولفحته القوة ، كيف
يدع العتمة تغيّر ملامحه ؟ عيناك صافيتان كالنبع ..

حزبتان
كأغنية أم قروية تهزج لوليدها في الحقل ، ولكن
أفكارك مرعبة ، وقلقك يؤلمني ، وجوع وحدتك
ينهش أحشائي ، أنت تهملني في لياليك المتوحدة مع
القلق ، رغم أنك مقيم معي باستمرار أبدي ، ولن
أسمح أن أفقدك لأي سبب في العالم هذا إن رغبت
أنت ..

30/5/1972

أثيت .. تحدثني برغبة جارفة عن حرصك على
استمرارية بقائك معي ، وشعرت أن أهداب حناني
ستجعلك تغفو على صدري ، وسأمنح كل دمة حزن
في عينيك بقوة قلب الأم ، فدموعك تحرقني بقسوة
، أنت تتمطي في أعماقي ببساطة مرهفة، وهل
أستطيع أن أمزق آلامك ، وأزرع أيامك فرحاً دائماً .
كم أنت بحاجة إلى خيمة حنان .. وفنجان
قهوة دافئ .. ولكنك عدت بخطوات مثقلة مرهقة
تزحف نحو قمة بعيدة غمرها الضباب ، إن أي شيء
سأقوله سيبدو سخيفاً .. صرخت صامتة ، وبقيت
أهدابي تمط .. كوني أنا بحاجة إلى شفتين حانيتين
تجمعان المطر .

25/6/1972

أيها الحبيب المغرورق بالسحر ، لك ومعك
 أعيش في الليالي المهجورة ، يا رعدة الخوف
 المختبئة في قلق الأبدية ، حروفي لا تحمل المعنى
 الحقيقي إلا لعينين عرفتا كيف تغرقان الحرف
 بهمس الوجد ، كلماتي لا تفني في ضباب الصفحات
 إلا لحرقة شوق ، وخفقة قلب ، وحلم أمني يتبعثر
 في أرجاء حب لانهائي ..

إنّ قدمي قد خطت خطواتها الأولى ، ومازالت
 كالطفلة المحتاجة إلى من يسندها ويعبر بها لتمشي
 بقوة وجرأة ، ولذا فإنك حين تتعد عن ضفاف الفرح
 المنزوية في غابات السعادة ، يصبح الغد غير واضح
 الرؤيا ، ويصبح عليّ أن أقاتل لأصل إلى دروب
 السلام المنفية ..

لِمَ لا نملك شرفة تسع كل مشاعرنا؟ ولِمَ لا
 نجمد القلق في غموض المجهول ؟ ومتى أكون
 الحبيبة التي تهدهد على أرجوحة حنانها ضياعك ؟
 ومتى أكون اليد السخية التي تلمس حزنك الصامت
 لأرضعك من عيون الليل محبة دائمة .

أرى نفسي الآن إنسانة لا تفعل سوى زرع
 الكلمات في الغابات التي تحتضن أوراقني ، وجهك
 مطبوع في عيوني ، وأرى في صفائه كل العالم
 المزروع في متاهات الحب ، والتي لم يكتشفها
 سوانا فاحزن .. لأنني وحدي ..

26/7/1972

عطش جعلني أغرف من عينيك دون ارتواء ،
وسكنت لمساتك في جفوني ، وزجفت فوق جيبني
وشعري ، ورحلت في زهولٍ حائرٍ أحترق بضمة حنان

..
مبدعُ عالمك ، والأبخرة الضبابية تحنو على
جراحي العميقة ، ودفء أمطارك تغسل عروقي
بالطيب والبخور ، وطقوسك تخلق حولي لحظة
إسراق .. ويرقص الليل بتألق غريب ، وأطبق عيني
بسلاَم الأطفال . مفاجأة اللحظة جمّدتني في نكائي
، وجعلتني أرتجف خوفاً ولهفة ..
كلمات .. وكلمات .. والليل ، والصمت ، وأنت
وأنا .. كنت خائفاً عليّ ، وكنت خائفة منك ، قد اشتاق
إليك شوق الغريب المشتاق إلى وطنه بعنفٍ ، وربما
لا أجدك .. لقد أعدتني إلى عصور الموت حياً .. وإلى
عالم الطقوس والأبخرة .. وصوتك ينهمر كالحنان -
باخ - عبر الأرغن في الكنائس العتيقة ، أو كرسائل
الحب الموقعة بالفرح والدمع ، صحوث من الحلم
المتسرب إلى غفوتي ويدي مضمومتان على بقاياك

.. ولم أجدك في صحوي فانفجرت أشهق
كالأطفال.. وتهاوت كل أحلام العالم، وبقيت أنت ..
12/8/1972

21

تكسرت أشرعة الليل في عباب الانتظار ..
ودخلت بك زمناً لن ينتهي ، هذه الحروف أشرعة
أيضاً تمزق الوحدة ، تخنق المسافة ، وتطوح الزمن ،
ولوّحت لكولكنك تمضي في الاتجاهات المعاكسة ،
تحصد حقول الخصب وتتهمها بالجفاف .
أواه ! ما أروع رعشة النجمة في الأمسيات ،
رغم الليل الحزين الذي يطوّقها في الأفاق ، كم
أرغب أن يتشرد السلام في أيامي ، وتغني لي
أغنيات المحبة ، والعطاء والخير . إن لهذه الأغاني
أوتاراً خفية لا يلمسها إلا من انعتقت نفسه من
سيطرة المادة ، وأطماع الحياة ، وربما أنت تستطيع
أن تلمس هذه الأوتار .. لا أدري بعد ..
شوق ما يدفعني بإرادة قوية إليك ، وأجدك
قلق ضياعي ، وصمت الرغبة الغارقة في انتظاري ..

والحروف إليك تمرّق البعد .. وحضورك دائم في
صفحاتها .

15/9/1972

22

ربما نلتقي في زمن ما ..
ولكن همسة صوتك غافية بين أحلام الورق
كعصفور تعب من رحلة الحب ، غنى الشجرة ومن
دفع حنانه ترنّحت الأغصان ...
همسة صوتك داعبت فراشة حائرة بين خجل
الزهيرات ، فأسلبت مآقيها على المروج المرتعشة ،
وهكذا صوتك حمل لي أجمل الكلمات في لغة
ترجمت الفرح في حدائقي كضفائر أمطار ربيعية ..
أثملت الروح .
ربما نلتقي وعيناك اللتان أختار لونهما لن تهربا
من أمانني نافذتي ، وأتخيّل وجهك كغلالة حب
منسوجة بطهر قديس ، وشفافية الندي .
ربما نلتقي ، وأنت متسرّب إلى أحلامي
الوردية ، وأنت رجة ناي في غربتي المنفية ، أنت ..
وتختلج حروف العشق في إسمك ، وتغفو بين

أهدابك الغافية . ينام الوجد الحزين في قلبي ،
وصمت الليالي يضمّني ، وباقة أمل تعطرني ،
وصوتك يؤنسني ، فأغفو كطفلة تترنّم بأغانيها
المحبة .. أغفو وأمنية الأمانى أن ألتقي بك ، وتبقى
لي حكاية التواصل بين حبات العنب والدالية ، وتبقى
لي ربيعاً يناغي الورود في حديقة مخملية ...
30/9/1972

23

الحزن يتمرّد في أعماقك ، ويسترخي جسدك
الواهن ألم جبار ...
أحسست أنك ستتهالك على الأرض ، وأن
كيانك الإنساني سيتشجّج ، وتفتت في صمتٍ مفعج ،
إن أعماقك بحاجة إلى الحرية فلم لا تصرخ ؟ وإن
عينيك بحاجة إلى غسل فلم لا تتفتحان للدمع ؟
نظرت إليك بحنانٍ وخوف ، دموع تموج في
العينين الحزيتين ، لشد ما غيّرتك الأيام وخلفت في
أعماقك جرحاً مفتوحاً تأكله قسوة الليالي بشرافة
ووحشية .. تمنّيت أن أضمّك إليّ صدري ، أغمر تعبك
بحنانٍ يغسل وجهك ، ولكن لم أفعل شيئاً ، أمام

طفولتك المهملة التي تجمعت في لحظة ، عيناك
الآن أفاق رعب مجهول ، عيناك قسوة وشراسة
وحقد ، أعاتبك بصمت وأسألك كعصفورٍ فاجأه الربيع
، لماذا لم تبق قوياً كما عرفتكَ ؟ ..
10/10/1972



كياؤك الحزينُ يناديني ، ولكن لن أغرقه في
أبحرة الدفء كما عودتك، وكاد الحنان الخفي يمزق
أقنعتي لينظر إليك ، ولكنني دفعت الدمعة ولم أشأ
أن تراها .

دخانك يخنقني ، وحننك يبعث في أعماقي
انتصاراً .. لا لن تهزمني .. حقاً إني أتعذب لحالك ،
وذكرياتٌ مبهمة تنمو في هدوء اللحظة وتقف صامته
أمام الأحاسيس .. أودّعك بنظرة حانية ، إنك لم
تستطع أن تنقذني من تمزق نفسي ، إنك تحب ولا
تعرف كيف تحبني ! ومضيت دون كلمة .. مضيت
وفي عينيك حزنٌ ملتاغٌ .. وبقايا ذكرى ..
30/9/1972

عندما تبكي الغيوم الراحلة بصمت ، أراك
دمعة مورقة بالفرح ، أغتسل من نقاء الأرض
المغمورة بصلوات الأرض لأتطهر ، وتغيب وجرقة
انتظارك تقيع في النهار ، يهرب الزمن بك ، فأبحث
عنك في الآتي ، وتنفرط الذكرى كسبحة ناسك
مشبعة بالشوق والإيمان .. فأبحث عنك في صلواتي
. الليلُ بضائره السوداء توهجُ شوقٍ ينهمر على
ضفة الحلم

الليل في قلبي سورة صمت مغرقة في الذهول ، وصوتك
العتاب شرخٌ في داخلي ، يُسهم في احتراق أعصابي المهترئة في
أتون الجسد ، ويوهج في النفس حطباً متأججاً .
يا صديقي ... قد يكون العتاب كلمة لاذعة ، ومؤلمة
كحريق صحراءٍ في صيفٍ قاسٍ، وكوجع شتاءٍ في احتباس المطر .

أشعلُ بحزني ودمعي ، أنفضُ الذاكرة ... أبحثُ بين ثناياها عن
خطأ ما .. وترفض كلُّ الأسئلة ، فالأجوبة أصابع اتهام حطمت
كأس ثقتي... قلبي لا يعرف الحقد، ودمعة بريئة تأبى أن تجفّ في
نوع الصفاء .. والوجه المحروق بنار العتب يرمقني ، ويعمّق الحزن
في اختناق حنجرتي .

أ هل تنتظر مني كلمة اعتذار ؟ .. حسناً لك ، ولك بكلّ
لغات العالم ألف كلمة وكلمة .. فقلبي وسادة غفران دائم .. تنام
عليها كلّ كلمات العتب .

1974\6\2

51

يتنقل الليل منتزهاً بين رجفات الخوف ، وتظلّ الكآبة
وجهي ، فلا أستطيع رؤيتك ولهاث البعد يتردد في خاطري ، كما
يتردد اللحن في ثقوب ناي حزينة .
العالم يتهدّم ، والنجمة تنزل ، والحب جريحٌ في خفقات
الشوق المغلقة، والأيام التي كانت بلا لهب احترقت .
وأنت! الأغنية والخوف، وأنت لحن ناي حزين، ووعدٌ قادمٌ
من النجوم . الانتظار كان طويلاً ، وربما كانت كلماتي بلا قوة ..
نثرت رماداً على الجراح ، وقلفاً في الحروف ، وحزنناً في صمت
الليل .

غربة البعد هاجرت في أشرعة تائهة بلا وطن .. حضورك
كان غيمةً ماطرة ، حمل الحنان المتوهج إلى حرائق أيامي فهمدت .

كُلُّ قَوَانِينِ الْأَرْضِ الَّتِي شَرَّعَتْ الْغِيَابَ فِي طَرِيقِهَا إِلَى
الْإِعْدَامِ ، وَكَبُرَتْ كَلِمَاتُ الطُّفُولَةِ ، وَكُنَّا صَغِيرِينَ ، فَابْتَسَمْتُ
لِحُضُورِكَ ،

رواية

ويبقى
الغيم الأخضر يتيماً

ليلى مقدسي

أسطورة صينة

تقول الأسطورة :

زوجة الحاكم تهرب مع من هرب وتتسى طفلها أثناء الحرب
ولكن خادمتها تنقذه وترعاه وتحيطه بعنايتها حتى يكبر وتلتقي
الامرأتان بعد زمن فتطالب الأم بابنها .. وترفض الخادمة وتحتكمان
إلى قاضي .

يلجأ القاضي إلى رسم دائرة بالطباشير لمعرفة الأم الحقيقية
ويضع الطفل في وسطها .

أمر كل واحدة أن تمسك بطرف الطفل ، فمن استطاعت
انتزاع الطفل من يد غريمته فهو لها .

تنجح الأم ، ولكن القاضي يتأمل اعتراض الخادمة فيأمر
بإعادة المحاولة .. يترئث القاضي ويأمر للخادمة بأخذ الطفل .
إنه قرار غريب ، ولكن المبررات منطقية وهي : أن الأقدار
على حماية الشيء أحقّ به من غيره .

تقول حكمة الأقدمين :

إن الأشياء ينبغي أن تعطى للذين يقومون عليها خير قيام .

الإهداء

إلى الذي اعتصر الألم بيد
في حفرات العمر .. ورعاف اليتيم يغسل
الصخر
وباليد الأخرى زنبقة تزفّ سرّ البياض
لسنى النور القادم

إلى .. وليد خربطلي

الذي قال لي يوماً :

" ما أغربني .. حين أشكو ألماً فيه لذتي "

ليلي مقدسي

1- طفولة شاحبة

غيث ...

لماذا سلّمتني إلى مفاتيح الحياة المظلمة ، وأغلقت أبوابك
دونني ؟

سؤال مطبوع في ذاكرة الزمن . هل ضيّعت جوابه واستطعت
أن تنساني ؟
أبي !!

هل من حقي أن أناديك بهذه اللفظة ؟..
أنت دفنتها قبل أن تولد على شفتي . ربّما لا ينطق بها طفل
مات والده ، وعاش يتيماً ، أما أنت حرمتني اللفظة ومضمونها
ومعناها ومازلت حياً ترزق وتعيش .
ربّما تتعرّف عليّ في زمن ما .. أو تتكرني ، أو تعود إليّ
أنا في دائرة الأسئلة ، ولا جواب لديّ .

شفاهي يعصّها الوجع ، والحرمان يفتت هذه الكلمة التي لم
أستق منها أنا المتعطش إليها في صحراء الحياة ، حين تركتني
كحبة رمل جافة تكلّي قرب واحة الحنان .

أبتعد قليلاً عن الحاضر ، الماضي ما زال يقبع في ذاتي
وذاتي الحاضرة فيّ علمتني أن أحصد خطوات المستقبل بالتحديّ

والعزيمة ، لأن المستقبل هو الأهم .. والإنسان موقف ، إن تخلى
عن الموقف الذي يجابهه يكون قد تخلى عن كل شيء ..
سامحني إن قلت لك .. أنت تخليت عن أبوتك ولم تجابه
الموقف بالمنطق والعدل .

بماذا تفسر ضعفك هذا يا أبي ؟ ..

قد يخطر ببالك أني أحاسبك .. لا .. وهل يحق للابن في
مجتمعنا أن يحاسب أبيه ؟ عليه الخضوع المطلق والاستسلام ، إنما
أطلب تفسيراً لما حدث ..

والأجوبة عندك وحدك ، ربما تتهرب من الأجوبة الصعبة
وتعطيني ورقة بيضاء ، ولكن لا بد أن أكتب ليس من أجلك وأجلي
بل عبرة للزمن ، والأهل ، والمجتمع .. التجربة القاسية التي عشتها
بكل تفاصيلها وصعوباتها ستصبح الآن على الورق تجربة صغيرة
مشحونة بكل الانفعالات والمعاناة والضياع ..

أقترب من نافذة طفولتي ، أرفع الستارة المعتمة ضباباً مكثفاً
، وغيوم سوداء تمطر بغضب وقهر تشلّ براءة طفولتي ، وتنتزع
الفرح من كروم ، انحنى براعمها وجفت ..
أغلق النافذة لا أريد أن أتابع . صور وصور مرعبة ،
وذاكرتي المشحونة تعكس مرايا مكسرة بأصابع العواصف ، والرياح
، والتشتت ...

هل هناك طفل يخاف من طفولته ؟ ..

كل طفل يخاف من الشيء الذي لا يعرفه ، وطفولتي التي
تكسرت أغصانها ، ودمعت ببراعمها الغضة ومراهقتي التي لم أعشها
، ولم أعرفها ، مازالت ظلال تنوس بين العتمة والنور ، بين الحاضر
والماضي ، وأشباح القهر تومئ إليّ بالقلق كأني أغامر في محطات
لا أعرفها ، كأني غريب موزع بين وطنه وغربته ، وأشدُّ غربة ، غربة
الإنسان في وطنه ، غربة طفل وحيد مشرد في طرقات التعب ،
يشرب من بئر الحرمان ويقاوم .. ويقاوم كأني جندي فقد سلاحه ،
ربّما كلّ الطرق تقود إلى اللامكان .. فإنه لا يهّم أي الطرق نختار
لنلقّي فيها نشاطنا وإرادتنا

رحمتك إلهي .. قد خلقتني لأقاسي دون أن أفهم لماذا ؟
يستمرّ النهر في جريانه ، وأستمرّ في تأملاتي .. ليس هناك فشل
نهائي ، أو نجاح نهائي . أليست الحياة كالنهر ، حقيقتها الوحيدة
في عدم انقطاعها عن الاستمرارية .. وهكذا اتّبعت حقيقة واحدة :
إني رغم كلّ شيء سأستمر .

يقولون : الزواج فقدان كلّ شيء . لماذا وضعت نفسك في
موقف فقدت فيه ولدك الوحيد ؟

لماذا لم تبحث عن شيء منك ، من تكوينك ، من دمك
ونبضك ؟ كان ممكناً جداً ألا تفقدني لو لم تنتظر بغير اكرات إلى
شقائي ؟ صحيح ليس هناك شيء لا يمكن فقده .. لكن الابن ..
ألسنت أنت خالقه ومبدعه ؟ وتركتني في حياة كلّها تعب متواصل ،

وتنقلّ وتشتتّ وفقرّ وعملّ ...وكم كان أفق حياتي مليئاً بالشقاء ..
وأنا أغرق في فيض الحزن والفقدان .

ولكنّ الإنسان ليس شكلاً ثابتاً غير متغيّر ، إنه تجربة
وانتقال . مددت ذراعي لأتجاوز كلّ الصعاب وكنت أخوض محيطاً
بلا حدود ، تسوّره السدود من كلّ نوع . واستطعت أن أحطّم السدود
وأصل إلى عالم ليس محدود إلا بالعلم والمعرفة والعمل ... هذه
المشاعر أبحثها الآن مع نفسي أكثر مما يجب ، وأوضّحها ربما لك
.. ربما للقارئ .. ربما لذاتي أكثر مما يجب . سأثبت لك يا أبي ..
وللحياة التي رميتني بها صغيراً أنني سأحيا كما الأقحوان الغافي
تحت سياج مصفورة بالأشواك ..

المطر مققف على نافذتي ، ربّما السماء عابسة ، والريح
تنعم صفيها حولي .. وأن أفتح دروب قلبي على الورق مطمئناً إليه
.. وشريط الروح يرسم زرقة شفاقة على بوابات الغيوم التي تبدّل
ألوانها .. كما تتبدّل انفعالاتي مع رذاذ الحروف المترنّح ويرسم
طيوف حبك الشاقة والمتعرجة ..

فالأرض تدور ، والتاريخ يتغيّر ، والعواطف تتبدّل .. إنما
نحيا ونبقى بالفعل الخالد . تضغط حروف اسمك ، أتجاذب في
إلحاح بطيء إليك . صوتي يذبل ، وينغمس في خرخرة السؤال :

- أمي .. أين أبي .. لم لا يعيش معنا ؟ ..

عيناها تحرق الدمع المتحجّر :

- إنه في المدينة أنسيته ؟ ..

- صورته معي دائماً ..

تصمت أمني ، وكعادتها تتشاغل عن الشرح والتفاصيل ،
تضمّني إلى صدرها ، وتداعب خصلات شعري المبعثرة كذاتي ..
وتشغلني جدتي عن التفكير به .

- غيث .. يا حياتي ..

وتمحو بنظراتها الحانية كل الأسئلة لأنها تعرف أن الأجوبة
مستعصية ، أقعد في حضنها مستسلماً للمساة الحنونة ، والقبل
الطرية وقلبي مغلف بكآبة خفية .. ويحوط عقلي ضباب كثيف ،
أليس كلّ الأولاد لهم آباء ؟ وأنا لي أب أيضاً ولكنه كما تقول أمني
مشغول عني .. يذوب ضجيج الروح وأصلي كي أنسى ، أو كي يعود
أبي ..

ويبقى في أعماقي توق خفي يخبو ولا يموت ، توق كي
تعيش معنا .. هذا التوق يدفعني ويحركني بقوة ، فأنت نقطة البدء
لوجودي ، والخاتمة كحركة غموض الزمن .. صوت صديقي مجد
يوقظني من شرودي ونحن نتسامر في باحة المدرسة ..

- غيث .. لماذا لا يعيش والدك معكم ؟

أنقض للسؤال المقهور . تقول أمني لديه أسرة أخرى وعمله

في المدينة ..

- سافر إليه

- لا .. لا أستطيع يا مجد أت أترك جدتي .

- غريب أمرك يا غيث ..

- مجد ، لنقل هذا الموضوع ، لا جدوى من التحدّث فيه.
صمت مجد وكأنه أحسّ بالمعنى الانفعالي والروحي الذي
سببه لي .. وكيف أعبر له عن نفسي المتشعبّة في الضياع وكأنني
أعيش خارج المألوف من حياة الأسرة المنقسمة أخرج من المدرسة
ورأسي الصغير محشوّ بالأفكار والدروس وأتناول بعض الطعام
وأسرع إلى العمل .. المسؤولية أكبر من قامتي ، صوتي يرتطم
بالفراغ . عمل .. ودراسة .. وتعب .. أيتحمّل كل هذا جسدي
الصغير .. أمشي مساءً عائداً من عملي ، والأفكار تسبقني ، وأرمي
أوراق طفولتي البريئة على أرصفة القلق .. والشقاء .

أمسح جبيني من عرق الإرهاق ، وأنا أرتدي ثوب الماضي
المغسول بالحرمان ، أتيه في ممزّات مراهقة شقية حفرت بأصابع
العمل والدراسة والكفاح وأبدو مطموراً بأصبغة الراشدين ، وقد تلوّن
شبابي بالشحوب والكآبة ..

يحدّثني مجد عن ابنة جيرانه ، وكيف يكتب لها أشعاراً
ويدسّها في دفترها كلّ مساء ..

أتسمع يا غيث ماذا كتبت لهيام :

قلبي حسون

يخبئ نغمة على شرفاتك

تتفتح ورود الحب ..

وأنت الحلم

بكل ألوان الربيع

تزهـر ابتسامتك ..

تترامى أغصان حزني وأنا أستمع إلى نبرته المحبّة روجي
تحترق أتمنى أن أجد من أحبّها .. ولكن يبقى الحبّ في عيني نظرة
تساؤل محيرة ، وأنا المحكوم بالحرمان ومن هي التي تحبّ فتى لا
وقت لديه إلا للنوم ساعات قليلة .. ويبقى الحب صورة وهمية ، أو
صفحة أسمعها من أشعار مجد كلما التقينا في أيام العطل ..
لا وقت لديّ للـحب . أما صممت أن أكون الرجل الأقوى مع

أمي وجدتي ؟

انظر في المرآة إلى شكلي ، وشبابي ينظر إليّ حزينا
ويسألني : لماذا تمحو معالمي عن وجهك ؟ لماذا تبتعد عني ،
اقترب مني . هجرانك لي يشلّ دفق الحياة في عروقك . أعصر
عنب توهجي ، ربما يستوقفك أمل الحب الوردى . ألا تراه شاحباً
على وجهك يجفّ كوردة تحنّ إلى قطرة ماء ..

انظر إلى صديقك مجد ، كغيمة مسحورة يرفرف في سماء
الـحب ..!..! أحدق فيه أكثر . هو بريء مني ولكنّه يقودني إلى نور
المعنى ، نور الحياة . أليس الحب بريق الوجود ومعناه ؟

أحدق في المرآة أكثر ، وشبابي يبتعد مغموراً بغيث أنفاسي
 . أنا الوادي المقفر من الزهر . أيها الشباب ، انظر البؤس في
عيوني ، وثقل التعب يفتت أجفاني . أتحدّثني عن الحب . تمرّ
صوره الشفافة كوهـم يتطاير مع فراشات الأحلام .

هممت بأصابعي الراعشة أن أحطّم المرآة كي أنسى شكلي.
يعود الشباب مترهلاً كشيخ أحنى ظهره الزمن ..
يرمقني بابتسامته الشاحبة ويقول :
صديقك مجد يملأ مزهريّة القلب بالخزّامى ، وينتشي بعبير
الحب . اقرأ معي أحاسيسه التي تفيض على الورق .. ألا تدغدغ
روحك المعتمّة؟ ..

وجهك
أليف كالفجر
فرحي البريء
على نافذة الشوق
ينتظرك
غردى ..
طيور عطرك
وردة قلبي
وأنت غصني الأخضر
* * *

ضباب ، ضباب في مدار الرؤية ، تغبّس مرآتي . أختبئ
كما الطير الجريح . لا بدّ أن أخوض نضالاً خفياً لأنقذ نفسي منك
أيها الشاب الذي لامستني بكل عنفوان وتجاهلتك .
أعترف ..

أخاف النظر داخل أحاسيسي حتى لا أضعف أمامك .
وأحسّ أن بقية الأحاسيس تهبط إلى أعماق الظلمة حيث الحزن
والحقيقة .

أيتها المرأة ..

أنا هارب في طرقات الحياة ، هارب من شيء قد أنجو منه
أو لا ..

نفسي معذّبة بين القلق والحلم والضياع . أشعر كأنني شجرة
تتقصف بفعل الرياح . أمشط تربتها بجهد كبير ، كي أنقذها من
الذبول ..

هذا الجهد هو الذي يشدني إلى إرادتي القوية وطيفك يا أبي
يخترق ذاكرتي . وقلبي الصغير يجلجل بين ضلوعي .
لو كنت معي ، أما كان حبك يساعدني على تخطّي
صعوبات الحياة . الأولاد جميعهم عندهم ما يكفيهم .. أنا وحدي
تعرّيت من كل شيء . أنا وحدي كطفل صغير لم يبتسم مرّة واحدة
لأبيه ..

أنا وحدي .. متعب ، حزين القلب .

أنا وحدي .. غير الآخرين .

تعوّدت قبل أن أنام أن أقرأ . فالمطالعة تبعث فيّ الراحة
والهدوء .

قرأت ما كتبه أحد الحكماء وكان حروفه تتدفّق في عروقي
قوّة .. ونوراً .. وهدى .

" - أعوجّ كي تظل كاملاً
انثي كي تستقيم
كن فارغاً كي تمتلئ
الذين يملكون القليل ، سيحصلون على الكثير
الذين يملكون الكثير ، سوف يتحIRON
لذلك فالحكيم :

يتمسك بالوحدة الأولى
ليقيس كلّ شيء بها تحت السماء
لا يرى نفسه : لذلك يتحير
لا يكابر بعمله : لذلك ينجح
لا يفاخر بفعله : لذلك يكتب له البقاء
ويصبح نموذجاً للعالم .. لأنه لا يكتشف نفسه
هكذا يظلّ مصوناً .. والعالم كلّه يكرمه .. ولأنه لا يسعى
إلى شيء ..

لذلك لا يسعى أحد بشيء ضده - "

* * *

كلّما نظرت في وجه أمي أرى وجهك مرسوماً بكلّ تفاصيل
عذابه يا أبي.

هذا الوجه ملامحه كطيف يعبر حين يقال في الأسرة إنني أشبهه..
أ أشبهك يا أبي ؟..

إنن لماذا تتكرت لي؟.

ولماذا أخذتك الحياة مني واستسلمت لها بكل طواعية صوت
ابني ينقذني من أفكارى .. أرمي القلم .. أصحو وأنفض أشباح
الماضي التي تطفو فوق الورق ، يرمقني متعجبا :

- والدي .. ما بك ؟

- لا شيء كنت منهمكا بالكتابة

- آسف .. هل أزعجتك ؟ ..

ابتسامتي الحانية تعانقه وتأمّله بحنان :

- سأسافر غدا .. الجامعة

لم أدعه يكمل

- هل يكفيك هذا المبلغ ؟

- شكرا والدي أنت تبذل الكثير لأجلي .

- رافقتك السلامة ..

كلما سمعت كلمة - أبي - من شفاه أولادي أو من شفاه الآخرين،

ينزف وجع حروفها دما على شفاهي اليتيمة ..

أبحث عنك .. أبحث عنك فيّ .. فيك عني .. أتخيلك

ممشوق القامة ، والسمرة الشرقية لونت ملامحك . أمشي قربك ..

أنظر إلى رفاقي فخوراً بك .. أتكأ على ساعدك وأروي لك تفاصيل

وتفاصيل ، وأنت تحاورني نغضب ، نختلف ، نتفق .. ثم تضمّني

إلى صدر أبوتك .. وصوتك يخلقني من جديد .

غيث .. غيث أنت ولدي ..

غيث .. كيف هربت بك السنوات
أخرج من فراغات اللحم مرتعداً ..
أصرخ - لماذا ضيَّعتني يا أبي ؟ ..
يستوقفني - امرؤ القيس - يربّت على كتفي .. يهدّئ
غضبي ويشدّني إليه .. تعالَ يا صديقي .. أنا مثلك أو أنت مثلي
.. لا فرق .. اسمع :

ضيَّعتني أبي صغيراً

وحملني دمه كبيراً

لأصحّو اليوم ..

ولأسكر غداً

اليوم خمر ..

وغدا أمر

* * *

هل تستطيع أن تتخلى عن تاريخي معك .. مهما تخلى
الإنسان تاريخه يقبع في ذاته الخفيّة بكل الإيجابيات والسلبيات .
أليس الماضي كالوغد ينتصب أمامنا في كل لحظة ، في كل
موقف، في كل تجربة .. ينبعث كطائر فينقي يحرق رماده ويحيا
فينا ..

أخرج من دائرة الأبوة المفقودة ، تضمّني أمّاً ريفية الملامح ،
مغزولة بالطيب والصبر والعتاء وبساطة الريف النقية جعلتها

تستسلم لقرار الرجل ولا تعارض وماذا تملك المرأة الجاهلة منذ أكثر من نصف قرن سوى أن تكون أداة طيعة في يد الرجل الحاكم .
أسكنتني رحمها المغلق ، وأخرجتني لا إلى نور الحياة بل إلى مغالق لا أعرفها أجتازها أتعثر ، وأنهض كيف حصل هذا ؟..
الحب !.. أ أحببتها يا أبي ؟.. الحب موقف وتضحية وعطاء .

وأنت ماذا فعلت بها ؟ ..

أستغرق في أوجاع الحب القاسية ، الذكريات طنين نحل يعبث على جدرانني ، ويرسم صورة حبك الواهية لأمي .. هل كان حبا ؟

الحب التزام ، انسجام . الحب موقف متى تخلى عنه الإنسان تخلى عن أسمى قيمة ، وأجمل قيمة في الوجود . الحب لا يحتمل الشروط والمساومة ...

تلك الريفية الجميلة جذبتك ببراءة طلعتها ، ونقاء سريرتها ، وأنت الرجل المحنك والخبير ، تقربت من والدها مختار الضيعة وكنت تعمل في { الشرطة } . وكان لشخصية الشرطي هيبة ووقار وسواعده القوية عماد الوطن .. ومصدر أمنه ، هذا الحب الوهمي المضمفور فقط بالإعجاب خطفك إليها .. ووافق جدي وتمّ الزواج ، وانتقلت معك إلى مدينتك ساكنة مطمئنة ، وهل كان للفتاة سوى طموح الزواج من رجل يرعاها ويوفر لها الحماية ويبني معها أسرة .. ترى هل هي أحسنت بالحب ؟ ..

الحب كان محرماً يا أبي ، وكل أحاسيس المرأة تدفن ولا
تعلن ، فما يحق للرجل محرّم على المرأة ..

وعليها وفق اختيار الأهل أن ترضخ وتستسلم لعقوبة الزواج
مهما كان هذا الزواج و ما سيكون من أفعاله المستقبلية ..
حبُّ أبي لأمي هو الحبُّ المدمّر والعنيف ، والخضوع لما اختاره هو
من مصير ومستقبل ..

أصابعي ترتجف على الورق ، أكسر حواجز الماضي أنثره
في بياض صفحاتي ، حتى أتخلص من عكره وشوائبه المدفونة في
ذاتي ..

الكتابة تحرّرتنا ، وتشفي الكثير من تراكمات مرضية نفسية
قد لا نعيها إلا إذا تأملناها على الورق .

صور تشرق ، وكلمات تعتم ، والحبر يسودّ والقلم يئن
مقهوراً ، وأتابع الكتابة لأنها تخرجني من تعرّجات الزمن ، وتنقذني
من العثرات التي كدت أن أتهدى فيها .. وخرجت منها مجروحاً
بألف سهم ومدتّي بالقوة ، وعلمتني أن أغزل من تشعبات آلامي
طموحي ، وأضع جسوراً ثابتة لمستقبلي ..

الكتابة الآن تمنحني بعض الدفاء ، والكثير من الحنان
الذي حرمت منه ..

أنا معك الآن .. أنثر رماد الأيام وأشعل حروفي ناراً ونوراً
في بيداء الحياة المقفرة ..

أتصغي إلي ؟ ..

سنتحدث طويلا على الورق ، ولا وسيلة للحديث معك سوى
الحروف .. فأنت بعيد .. بعيد ..

سنتحدث بعدد السنوات المريرة التي تجاهلتني بها ولم تحاول
أن تتعرف علي ..

كان يقال - الأبناء هم القساء -

ويُرمى العباء على الأولاد .. كيف يتجاهل الأهل قسوتهم
ولا يعترفون بالأخطاء ، والنزوات التي هي السبب الحقيقي لانحراف
الأولاد .. و تشويهم و تشردهم .. و لكنني أنقذت بأعجوبة وسوف
تفتخر بي في زمن ما... هكذا وعدت أُمي ..

* * *

2- وتتحني السنبلة

مريم ...

أنظر إلى غيث كملاك يسبح في ملكوت براءته ، أراقب
حركة أهدابه المستسلمة لنوم هادئ وجميل ترى بماذا يحلم ؟...

ربما أحلام الأطفال صافية كمرايا المطر ، وناعمة كريش
الفرشات المتطايرة ولم تعكرها عواصف الحياة بعد ..
هل ستتعرّك أحلامك يا غيث ؟ ...
ترى ماذا يخبئ لك القدر ؟ ...

أيعرف غيث كم انتظرته ؟ هل يشعر يوماً بعذاباتي ؟
أزداد اضطراباً وأنا في هذا المنزل الصغير الذي تسلك منه
الحب وتركني بين فراغات، وانتظار ، ودعاء. هل كان حباً ؟ لا
أعرف ما هو الحب إلا في عيون غيث حين أضمه إلى صدري،
وأرضعه حليب الحنان الأمومي . أحمد تقدّم إلى أهلي وكنت صغيرة
، على وجهي بساطة الريف وطيب الطبيعة البكر ، واختارني زوجة
وقالوا لي : إنه يحبك ، وتمّت الموافقة وكان عرساً ريفياً جميلاً
أختال بثوب أبيض كطائر يرفرف في سماء الفرح والأهازيج
والزغاريد والأغاني الشعبية ترقني عروساً وملاح الخجل تضرّج
وجهي بحمرة التفاح ربما كل العذراوات يحسدنني على هذا الزوج
الوسيم ومكانته المرموقة اجتماعياً ..

بعد مراسيم الاحتفال سافرت مع رجل غريب .. زوجي لا
أعرفه .. ولا أحسّ بأي مشاعر سوى القلق والخوف وأنا ابتعد عن
أهلي وقريتي ، ودموعي على مدى المسافة إلى مدينة حلب ..
دموع أمي نحيب صامت ن وابتهالات الدعاء . إيقاع
سماوي يرافقني .. وفاء أختي .. أخي .. أبي .. كيف سأفترق عنهم
وهل أحتمل هذا الفراق ؟ صوت أحمد يوقظني بنبرة دافئة :

- مريم .. العروس تفرح ..

وبمنديله الناعم يمسح دموعي ، أحس بالاطمئنان قليلا وهو
يهامسني .. سأكون أمك وأبيك وعائلتك وبغفوية بساطتي .. أشهق
لعنبر الحنان الذي فاح منه .

- أريد العودة .. لا أستطيع

ولم يدعني أكمل .. مريم .. كلما اشتقت لأهلك أعدك بأن
نزورهم ..

السيارة تهدر في الطرق ، وقلبي ينتفض بين ضلوعي ..
تقفز الأشجار ، وتتبعثر الحصى ، والأفكار تدور . أرى الأضواء
تتألأ ، والنور ينسلّ من البنايات العالية ، وضجيج الشوارع
والسيارات والمارة ، وأنا أتكى على نافذة السيارة وحولي أبخرة ضبابية
تحنو على اضطرابي . ويمدُّ أحمد يده يساعدي في الهبوط من
السيارة ، وأدخل معه منزلاً غريباً وأحسّ بأن ناراً مبهمة تشعل كياني
..

واستطاع أحمد ببراعة أن يحمل قلقي ، ويزيل اضطرابي
ويطرد أفكار المشوّشة ، وصرت أرى الأشياء من خلال عينيه
وابتسامته التي تحتويني ..

غموض عميق شدني إليه .. ، واستطاع أن يزيل سحابة
كأبتي وكأنني طفلة المدللة ..

كان أحمد ساحراً حين استطاع أن يحميني من خطبي
ونفسي ورعبي .. وكأنه أخفاني في صدره العريض وكان سخياً بخبز
حبه وعطفه وحنانه ..

وهكذا طويت غربتي . وتآلفت مع العيش ..
وبدأت صور الريف الجميل تهترئ يوماً بعد يوم ، وأعيش
معك زوجة مطواعة ، أعمل في مملكة منزلي . وأنتظر عودتك كل
مساء .. والحياة تمرُّ بهدوء ورتابة وكنت أنتظر نهاية الأسبوع
لأسافر مع أحمد إلى القرية أشتاق للخضرة ، للكروم ، لعبق
الحواكير ، لزقزقة الطيور المهاجرة ، وأحسّ بمتعة الدفء والألفة.
مستحيل أن ينسلخ الإنسان عن جذوره ودائماً تشدّه إلى مواردها .
والدتي لا تكفّ عن استفساراتها :

مريم هل أنت سعيدة .. هل تتعايشين مع الحياة الجديدة
هل ينقص أحمد شيئاً من واجباته .. هل .. وهل وتتكدس الأسئلة
وأنا أومئ برأسي ...

وتختم بسؤالها الأخير .. متى نفرح بولد لك ؟ ..
مضت أعوام وأمي لا تفرح ، والقلق يمتصّ أعصابي وأخبئ
الدمع في عيوني ..

صوت أمي .. ماذا قال الطبيب ..
أتحشرج بالجواب . الأمل بالحمل ضعيف ..

- لا بد من الصبر يا ابنتي .. مازلت صغيرة ولم أَدعها تكمل

أحمد لا يصبر .. بدأ يلح ، ويغضب ويثور ويهدد ، ونشيج
الدمع المقهور يغرقني في هوة الصمت ..

أعلم شظايا حزني المتناثر ، ونيران الرغبة العارمة في
صدري لطفل تشتعل ، ماذا أفعل ؟

قد أكون الشجرة اليابسة التي لا تثمر ، وقد أكون امرأة غير
النساء .. صراخي الصامت يعلن هزيمتي وظلال الفشل واليأس
تتسرب إليّ .. وأحمد يرفض أن نستشير طبيباً آخر .. فيزداد
انفعالي رغم أنني أحاول أن أقلص هذا الانفعال غير المعلن والذي
بدأ يمتد بيني وبين أحمد .. وهو يتغيب كثيراً عن المنزل .. أرتعد
خائفة ، مرتبكة وألنقت بأفكاري كلما سألني :

- إلى متى انتظر يا مريم ؟..

صوت أمي يمدني بالقوة والأمل :

- لا تقنطي من رحمة الله .

وتعودت ككل نساء الشرق أن أسلم مصيري - إلى الله -

وهو الرحيم . هذا التسليم خلق حالة من الاطمئنان الداخلي ..

وهذه الحالة لم تستطع أن تلغي رغباتي وأحلامي بأن أكون

أماً .. لأحقق التوازن في منزلي .. ولأكسب رضا أحمد ..

ربما هذا يشعرني بإنسانيتي ، وربما أحصل منه على نظرة

امتنان وفرح ، فالجو المشحون أتعبني وحولني إلى كائنة وهمية

هامدة ، وشريان صمتي ينزف على أرض الخراب .

يخرجني صوت أحمد من ضياعي ..
- مريم .. سبع سنوات .. وأنا أنتظر .. مريم .. الطفل
الذي ...

لم أدعه يكمل ..
أحببتي فقط من أجل الطفل ؟
مريم .. أحببتك أنت وتزوجتك ولكن أريد طفلاً يحمل اسمي
.. ويملاً حياتي .

أحسست بجرحي ينزف كبرياء .. سأصرخ .. أولول .. أحتج
.. ولكن نشيج صوتي يختنق في حنجرتي أنا المذنبه .. أنا الجافة
بلا ثمر .. ألتف بعباءة صمتي ككل ليلة وأنزوي إلى غرفتي مكسورة
الأجنحة ، مقهورة ، ودموع الليل تلبسني ثوب الهدوء الناري .. بكل
خجل أنتاي استسلم لمصيري .. ضعفي قاهر ومقهور ماذا أفعل ...

الصباح بلحّ برجائي : خذني لطبيب آخر ..
يرمقني بنظرة غضب ويمضي غير مبالٍ بأمنيّتي ..
أحس بمعنى التسلّط ، ومرارة الحزن تعتصر احتراقي
الداخلي .. والحقيقة تتحب عارية أمامي ..
أنت عاقر .. لا فائدة ...

أرتجف كغصن شجرة نحيلة وصوت أحمد الجارح يطعن
بسكينه . أنوثتي .. أريد طفلاً .

ماذا أستطيع أن أفعل ؟ تستطيع أن تفعل كل شيء لأنك
الرجل .. لأنك الأقوى .. لأنك الحاكم . والقروية الطيبة مثلي لا

تملك إلا الرضى والاستسلام . حلقي مثل حنجرة مذبوحة ، ترفض
بجات الألم أن تغادره .. أنظر إلى غيث ، وكل حنان أمومتي
يفيض كرجفات أوراق الياسمين ، والمرضة كشبح أبيض تحمله
وتتوارى التعب يشتبك مع الوجع وأنين صوتي يستجير ..

وجه أمي يبتسم وبمنديلها تمسح العرق المتساقط من جبيني
وجفوني مثقلة من التخدير ، تمتد نظراتي وتخرق بياض الغرفة
وشفاهي تتمم .. أحمد .. < أ - ح - م - د >

ويطالعني وجهك الحائر ...

مبروك مريم .. أنت بخير الآن .. الحمد لله على سلامتكم
اغرورقت عيني بالدمع وشعرت أن الموت ربما يخطفني بعد أن
أنجبت لك غيثا ..

- أحمد .. غيث أمانة < ع - ن - د - ك >

وأغيب مع حذر وأصحو .. وذكريات مؤلمة ترتسم في زوايا
خيالي ، وتأخذني الغيبوبة وتقفز صور وصور في مساحة الهدوء .
وتلف أحاسيسي المبهمة خيبة أمل مريرة ، وصوتك يا أحمد ينهش
أعصابي ، ويطعن صبري ..

صوتي الذليل بكل رجاء امرأة مقهورة .. لنتنظر عاما آخر

..

كان جوابك مختصرا وقاسيا ونظرتك الصارمة تثل لساني

- مريم .. سوف أتزوج .. لا جدوى من الانتظار .

قرارك يمزق أعصابي ، يخنقني ، وتمتمات رجائي كأدعية
تسجد أمام رجولتك المنبعثة بإصرار عنيد .. وتنتظر بأن كلماتي
.. رجائي توصلاتي .. كلها لا شيء .. لا معنى لها ..

وينفجر البركان ، تهدر العاصفة ، وطوفان يغمر كل شيء وتغادر
المنزل وتترك شرر غضبك في أرجائه ..

كل دموع الأرض فاضت في تلك الليلة ، وغليان يحرق كل
شيء .. وبين أبخرة الدخان .. وجه أمي .. مريم .. اهدئي يا ابنتي
.. أحمد لم يتخلَّ عنك .. من حقّه أن يكون لديه طفل ..

وكغريبة في مدن لا تعرفها .. أنتظر .. وأنتظر أن أمزق
ثوب غربتي وضياعي وحيرتي ..

ترى هل يعود أحمد ؟ .. ربّما ما قاله مجرد تهديد غاضب ،
وربما أعصابه متعبة من العمل .. وسوف يعود مساء ..

أسبوع معجون بالقلق ، والانتظار ، والترقب وتعود أمي
ونظراتها تعزف دمع حزن خفي .

- هل وجدته ؟ هل سيعود ؟ وزخم من الأسئلة . يتساقط
ويتهاوى وأمي صامته كتمثال .

فأصرخ السؤال الحارق والمحروق يدميني جوابه

- تزوج ! ..

ظلال دامية تسكب فوق تلال البياض ، وأرقص بثوبي
المرشرش بعطر الياسمين ، وتعبق قريتي الهادئة بشذى الفرح ..
وإيقاع الزغاريد ..

جميلة كنت يا أمي .. أتذكرين يوم عرسي .
ينطق الأسي من ملامح أمي .. وأعصابي تتفجر هذيان .. وحزن..
وكنت أجلس كل يوم خلف نافذة غرفتنا ، وكلّما مرّ شبحٌ، كائنٌ ،
أظنه هو .. ويتفجّر ذعري وخوفي .

من تنتظرين يا مريم ؟ .. إنه مع عروسه .. يسمعها
همساته ويغمرها بسيل الحنان ..

وتقطع أمي سلسلة أفكار المشوشة
- مريم .. من تنتظرين ؟ لن يعود قبل شهر ..سوف تسافرين
معي ..

أنتحب بصمت قاتل ، والسيارة تلتوي بين المسافة ورذاذ الخريف
يتساقط مطراً على نوافذ السيارة ترى أ ليسقي دمعي ؟..
تتراقص الأشجار ، والرياح تلاعب المروج . وخير
العاصي . وتطلّ القرية الهادئة . أحسّ كأنني طفلة عادت من مدن
الغربة والضياح ، ولكنها تحمل حقيبة حزنها وثياب خيبتها . فراغ
يتمطى في كياني ، وكأبة تتسدل على وجهي ماذا سيقول أهل القرية
..؟

سينظرون إليّ بأصابع الاتهام .. أنت عاقر ...
أمسح بأصابعي غباش الذكريات عن نافذة السيارة وجرح كرامتي ينزّ
على عتبة باب الدار .. ووفاء أختي تضمّني بلهفة المشتاق ،
وتحاول ببراعة أسلوبها المرح أن تنقذني من ضياعي ، وأنا أرسم
بقايا ابتسامة تحتضر على شفاهي ..

مضى الشهر بطيئاً مملاً ، وثرثرة الجيران . والأقارب
وأحسست بالإرهاق من تكرار الحديث بهذا الموضوع وصمّمت أن
أعود إلى منزلي في المدينة وغداً ..

وانقطعت أفكارى وصوت الهاتف يرن . صعقتني المفاجأة
وصوته يرجوني أن أعود إلى المدينة وبنبرته الهادئة تطمئنني ..

- مريم اغفري لي .. لا بدّ مما ليس منه بد ..
- لحظات مشحونة بعويل القهر والفرح ، وصوت أحمد يضحّ
ويضور في دمي ، وجليد الحزن يمتص صفاء ذاتي .
- هل أنت بحاجة إليّ ؟.. ولم يدعني أكمل ..
- مريم أنت الأولى .. ولك مكانة في نفسي
- أنت خدعتني .. أنت ..
- وانتفض صوته ألم أوضح لك سبب الزواج ..

مريم سبع سنوات وانتظاري يطول .. سكنتني غيمة سوداء
من الأفكار والحيرة اهدئي يا مريم .. إنها حقيقة .. أنت عاقر .
ارضخي لمصيرك .. مازلت زوجة أحمد..

كانت الليلة الأولى في منزلي مرّت كل الأشياء الجميلة
وكأنني فقدت حيوية الحياة ومعناها .. وأحمد يتحدث بهدوء حكيم
ويحاول أن يقنعني بتقبّل الأمر الواقع صوته يمزق صدري ..
أحتضر ، أختلج كطفلة وأشهق بالبكاء ، هكذا انقسم أحمد مناصفة
بيني وبينها لماذا حصل هذا من أجل طفل ؟ ..

أواجه الحقيقة بحزن دفين ، وأطوي أنين الألم بصمتي .
الطبيب يحقني بإبرة مهدئة وأنا أستغيث وأبكي كأني فقدت عزيزاً
ترتسم كلمة عاقر .. عاقر . على الجدران وأصرخ .. أنت متهم يا
أحمد .. والسنوات أثبتت براءتي. الشجرة الصغيرة كبرت وأثمرت
وأصابعك كسرت أغصانها .. ولكن غصناً طرياً اختفى سبع سنوات
وأثمر لك غيثاً .. لماذا فعلت ما فعلت ؟ ..

ينظر أحمد إليّ بابتسامة حانية .. وكل الدفاع لا يجدي
وغيث في حضنه يتأمله بحنان الأبوة والدمع الصعب يأبى أن يسيل
.. انه رجل .. وهل يبكي الرجل في مجتمعنا ؟ ..

يمتص غضبي بهدوء .. مريم أنت بخير . وغيث بخير

لقد أنقذك الطبيب بأعجوبة ..

تندفق فقاعات من الآمي .. من كرامتي .. من هذياني على

السريير ، ويدياي فوق بطني الكبير ..

انظروا جميعكم .. لست عاقر .. لست عاقر ..

وأستسلم للمخدر .. وعربة المشفى تسرع بي إلى غرفة العمليات ..

قيصرية .. ولادتها .. قيصرية صوت أمي المتوسل ..

- ماذا ؟ .. دكتور .. ويغلق باب غرفة العمليات .صرخة

طفل تدوي في الغرفة ، تتفتح أجفاني المثقلة صراخ .. وجع .. طفل

.. وأصوات تتداخل وتخرج وضجيج في رأسي .. وأدخل عالماً آخر

. لا أعرف عنه شيئاً ، ولم أر فيه شيئاً ..

صباح اليوم التالي ، أنظر إلى وجه أحمد المعجون بعذابي

- ماذا نسمي الطفل يا مريم..

- غيث .. غ .. ي .. ث ..

وأغيب في إغفاءة أخرى ..

ظهرا .. أحمد قربي يداعبني ويطعمني بيديه ..

- مريم .. لماذا اخترت اسم غيث ..

- غيث .. مطر دموعي وانتظاري وجفافي وخصبي والدتي

تقترب من سريري .. وابتسامة غيث الطفولية تعلن خصبي

.. براءتي .. هذا غيث .. الذي لم تنتظره يا أحمد. أحسست

بنشوة النصر كبطل عاد من جبهة القتال وعلى جبينه إكليل

غار .. وأنا أحمل غيثاً غاراً من نوع آخر ليعطر قريتي

وحياتي وأمومتي ..

حين غادرنا المشفى إلى القرية ، وكانت ليلة في زينة الفرح

، وزغاريد النشوة .. وصمت النسوة الثرثارات .. وأخفيت مسحة حزن

عبرت على وجهي .. كلُّ الوجوه المحببة معي إلا أنت يا أحمد ..

اعتذرت لكثرة أعمالك .. وخمّنت بإحساسي الداخلي أنك عدت إليها

.. زوجتك الثانية تنتظرك ..

لن أنسى لحظة وداعك على باب المشفى وأنت توصني أن

أهتمّ بغيث وبصحتي ، ومتى شفيت أعود إلى المدينة .. ومنزلي

يرحب بي مع غيث ..

الطبيب اقترح فترة نقاهة ريثما تلتئم جروحي . نسي الطبيب
أن جروح الجسد تشفى يا أحمد .. ولكن جرح النفس من يشفيه ؟ ..
سيبقى نزيماً في كبريائي .. وحزني . وصبري

بدأت أستعيد عافيتي ، وغيث ، كنبته تنمو وتكبر في حقول
الاخضرار . وقلب الجدة المحب تحيضن غيثاً بعرائش مسدولة
بعناقيد الحب والحنان ألم يقال : " الأعلى من الولد .. ولد الولد " ..
أحمد يلحّ بالرجوع ، وأمي لا تحتمل فراق غيث .. وبعد
محاولات كثيرة أقنعتها أختي وفاء بضرورة سفر غيث معي .. أنظر
من زجاج نافذة السيارة وغيث يغفو على صدري لثوانٍ ويشد صراخه
، أحاول أن أهدهه أن أرضعه ، يشد الصراخ ، وكأنه يرفض أن
ينزع من أحضان جدته .. كنت تنتظرنا يا أحمد.. ووجهك يفتح
بوهج الفرح ، وعبق الأبوة وأنت تضم غيثاً إليك .. تغيب ليوم أو
أكثر .. وتعود ..

خلف النافذة كنت أزيح ستائرهما الرمادية وننتظر ، أحمل
طفلي وأسرع لاستقبالك .. وفي أحيان كثيرة تنطفئ الفرحة حين
تدخل منهمكاً ، مهموماً ، متعباً .. أحس أنك تحمل ثقلاً من الهموم
وكنت أكتفي بالصمت وأخفي أي سؤال عن حياتك مع الأخرى ،
إنما أعرف أنها أنجبت لك ولداً وبنثاً .. وأخشى أن تقسر أسئلتني
بالفضول ، أو التدخل في حياتك ربما أي سؤال سوف يتحول إلى
شجار بيننا .. فأدفن كل شيء في ذاتي وأتظاهر بأن حياتك معها لا
يحق لي التدخل فيها ..

ماذا يقلقك يا أحمد ؟ .. وكأنك تغوص في بحار كئيبة ليس لها قرار ..

تزداد ابتعاداً عني .. وأنا في فراغ الذعر مع طفلي . إنك ترعبني بانشغالك ولا أستطيع أن أحزم رياح تشتتتك وضياعك ..
أتمنى أن أشدك إلى صدري .. حتى تسكب همومك في الحنايا والضلوع .. ولكني ما زلت أتعثر على صقيع الأيام ، وروحي تشتاق إلى مطر دافئ... إلى غيمة تضحك ، وما أنا إلا امرأة ضائعة .. وفي أعماق عينيك مغارة من القلق الهادرة وكلما عدت إليها .. أحمل طفلي وأنزوي في غرفتي الباردة .. وتخطفني أرجوحة الأفكار فأنظر بفضول حول نوافذ منزلك .. أنصت إليكما أهذي شبه باكية ..

أتحس أنني أتجسس عليكما وأسلط أفكاري وجسدي المنهك يتقلب على سرير القلق .
لو قرأت أفكاري على جدران غرفتنا حين تعود بعد غياب يوم أو أكثر .. ربما كنت ستغضب ، وتثور ، لذا كنت أمحوها بحبات دموعي قبل أن تعود ..

كنت أعرف أنك تفهم هذيان صمتي خاصة حين تتعانق نظراتنا .. ولهب خاص يتأجج بين ضلوعي ، ربما هي الغيرة ، ربما القهر ، ربما انتحاب الكرامة في خواء ذاتي ..

وأغفو بعد أن تتهكني الأفكار ، ولا أحدا يحسّ بوحشتي
وتمزّقي إلا الفراغ الذي يتعجر حولي .. وأنت هناك فكيف لا ينشج
عذابي بسكون ؟ ..

3- قبل أن أنسى

غيث ..

تلاحقني أشباح الماضي ، وتتمدد صور القهر على أرصفة
رواحي وغدواتي ، أنسل سكاكين الفقر التي تتخر عظامي ، وحده
كبريائي يكبر ، ووحدها سواعدي تعمل بصبر ، رغم أن المسؤولية
أكبر من قامتي . أتعثر ، أنهض ، وبقدر ما أعطي للحياة تعطيني.
سأجتاز السنة الكفاح ، ولن أتخاذل لأنني لا أحب الفشل ..
أعود من العمل مساءً متعباً ، ويشتدّ الليل حولي ظلمةً
ووحشةً كأنه امرأة مهجورة تحوّلت دموعها ناراً ، والذكريات الشفافة
والمعمّمة ، من الصعب أن أخرجها من سجن النفس وأدثرها ببقايا

النسيان .. أمسح جبين التعب ، ويشع النور الهادئ من الكتب
والذي يضيء المعرفة ، ويقلب أفكارى إلى عمل .. وعلم .. وربما
الوعي ولّد لى إشراقاً خاصاً بي ...

- ماذا تعرف عن النجارة يا غيث ؟ ..

- أنا طالب ، ولا أعرف الصنعة

- فكيف ستعمل عندي ؟

- أي عمل يا معلمي ..

وتتحني قامتي الصغيرة ، وتشتدّ آلام كتفي وأنا أنحني تحت
الأخشاب وأعمل كل ما يطلب مني ريثما أتقن الصنعة ، وأعود مساءً
منهكاً ، والكتب تنتظرني فرحة بقدومي لأننا سنسهر معاً ..

- غيث .. السهر يتبعك

- يا أمي الامتحان يقترب .. ولا بد من النجاح ..

تضمني إلى صدرها ، وأبخرة كأس الشاي تتصاعد لتطفئ

غرغرة دموعها .. وتمتم :

- آه يا غيث .. تعبك من الدراسة والعمل يؤلمني ، وليتني

أستطيع أن أحمل عنك بعض الأثقال ..

- بسمتي تمحو مسحة الكآبة عن وجه أمي ..

- لا تخافي يا أمي .. ابنك بطل

وهل أستطيع أن أترك جدتي تعمل على ماكينة الخياطة

لوحدها ولا أساعدها .

ألا ترين معي أنها كبرت ، والمرض يتغلغل إلى جسدها
المرهق .. أريد منك الرضى والدعاء .

كم أريد أن أكون رساماً لألّون صور عذابي .. بلون السهر
، بلون الشوك والصبّار ، والبراري القاحلة .

كم أودّ أن أكون كاتباً لأخذ ورقة وقلماً وأكتب لك يا أبي
تفاصيل ، وتفاصيل أخفيها في نفسي وأدّفنها كالجثث بين الأكوام ..
والخرائب .

ما زال الزمن حكمة الإنسان ، والزمن علّمني أن أكون
حقيقياً ، وجلياً ، رغم عشرات الماضي، وأخوض مجاهل المستقبل
وأكتشفها وأحقق فيها طموحي . حبّ جدتي لي شغلها عن كلّ شيء
، وعشقت لون حنانها المخبأ في عينين مجروحتين بالتعب والرعاية
والعمل وكأنها بعنادها القروي أرادت أن تعوّضني عنك يا أبي في
كل شيء ..

عينان من زيتون اخضرار العطاء ، ومن طيبه من كرم
الريف وسخائه ..

عينان استطاعتا أن تحميني من اليتيم والخوف والجوع وربما
التشرد أو الانحراف ..

حين كنت صغيراً ، عدت من مدرستي غاضباً ودمي يفور
من أسئلة رفاقي ، وظلمة فراغك في قلبي .. و يغبق الجواب في
تنفسي المتعب ..

- جدتي .. رفاقي يسألون عن أبي .. لماذا لا يعيش معنا ..
هل لي أبّ ؟

- والدك في المدينة يا ولدي .. وسوف تسافر إليه . وانتفضت
محتجباً ..

- لا .. لا أريد السفر .. سأبقى معك ..

- حين تعطلّ المدرسة تذهب لزيارته وتعود إليّ متى تشاء .
- أتسافرين معي ؟

وهدهدت أسئلتي بأصابع حنانها، ونمت وأنا أحلم بالمدينة،
وأتصور والدي الذي تلاشت ملامحه من ذاكرتي .. وأخجل أن
أقول نسيته ..

يلتمع الشوق حاراً ليتوحد مع الشيء الذي نرغبه ونحبه ،
ولكن حين نفترق طويلاً تهمد تشظيات الشعلة المشوقة ، وإذا بكل
لهفة تشعّ حزناً وغربة من أعيننا ، ونتطهرّ بالدمع. عشت صراعاً مع
نفسي ،مرارته أني أحب أن أكون ككل الأطفال ، أضحك ، أمرح ،
وأبكي على صدر أبي ..

كان ذلك صعباً ومستحيلاً .. كنت أتمنى أن تحسّ بي ..
أن تمسح دموعات تعبي ؟ ..

ويريك سؤالي أمي :

- لماذا لا يعيش أبي معنا ؟ ..

- عمله في المدينة يا غيث ..

- ألا يزورنا مرّة ؟ .. هل يبعث لك نقوداً ؟

وأحس باضطراب أمي ، ومراوغتها في الأجوبة ، وكان صوتها ينتحب ، وآهاتها تتلوى ..

- هل ينقصك شيء ما يا غيث ؟ ..

أنظر إلى وجه أمي وغبار الحزن الشرس يوقف إعصار قسوة أجوبتها ، والأحاسيس الغافية تتراكم مرتعشة كموجات بحر باردة ، وأبقى وحيداً أخوض الأبعاد المغلقة وألف جواب يبتعد ببطء .. ولا ذرة من الإقناع تعبر فصول النفس الجافة .

أخرج من قاعة الامتحان . أستعيد الأجوبة في ذاكرتي يستوقفني مجد مبتسماً ..

- لقد تعثرت يا غيث في الأجوبة وأنت ؟ ..

- الأسئلة سهلة .. لِمَ تعثرت بها ؟

- لا أعرف .. نسيته لحظة وغابت عن ذاكرتي ..

- مجد .. الحب يستحوذ على كل شيء .. وينسيك دروسك

وانبعث وهج هادئ على وجه مجد للفتة الحب وابتسم .

- كنت أبحث عن وجه حبيبي بين أوراق الامتحان . وهجها

يا غيث ، كضوء الشمس ، روحها كرقعة الشمع ..

وحين تسربت صورتها إلى أوراق الامتحان غرقت في نشوتي

معها ، نسيته الأجوبة .. وكتبت لها .

توقظني زهور صمتك

يعرّش النهار ..

وحيدا أقطف ...

خلجات وداك

عليلاً ..

وغيث نظراتك

خجولاً

أ مشتاق مثلي ..

لطيوب اللقاء

- أسرى طيف حبيبتك ليجلو بطلعته الامتحان ؟

- غيث .. لا تسخر .. أنت تجهل الحب يا صديقي ، فما

يجدك شروق الشمس وغروبها ..

أحسست أن طيور الرغبة الملونة تغرد في سجن ذاتي

وموسيقا الحب تدغدغ أحلامي كلما التقيت بمجد وأعبر شوارع حزني

السري .. ربما روحي مريضة ربما قلبي جائع إلى خبز الحب ..

أيها الحب ..

عرفتك عن بعد

عرفتك قبل أن أقدم قلبي إليك

اصبر ..

اصمت .. لأنهم لا يفهموني

زهرتك الرقيقة لم تزدهر في دروبي

أيها الحب ..

تناديك روحي

تتاديك .. لنحيا . لنبتسم .. لنتألم .

لنعيد خلق الحياة من الحياة

أكلمك بصمتي

وأنت لم تسمعي .. ومع ذلك أنتظرك .

ينبعث المساء المحضّر الهادئ ، ويموت آخر ضوء

شاحب في الأفق ، وتسرع السحائب المعتمة ..

- لِمَ أنت وحدك يا غيث ؟ ..

هل أصبح الحب يشيع الدمعة الأخيرة في المجهول اللامرئي

.. وأنت يا مجد .. لماذا أيقظت في ذاتي قوة الفكر ، وعذوبة الحلم

.. وحضور الحب ..

أليست هذه الأشياء هي التي تتسببنا تعب الحياة ؟ اعذرني يا

مجد .. أحيانا أغبطك ، وأغنية الحب ترتعش على شفّيتك .. وهذا

الشيء الغامض الذي تحسّه وتعيشه يضيف مسحة من الوداعة

والطمأنينة على كيائك ..

أما أنا أعود بعد رحلة متعبة من العمل ، ولا أنتظر أحداً أبداً

.. وتزهر حولي شجرة الحلم وأقرأ

- " أين الطفل الذي كنته ؟ هل ما يزال في داخلي أم رحل؟

هل يعلم أنني ما أحببته قط ، وأنه لم يحبني أيضاً ..

لِمَ أمضينا كل هذا الزمن ننمو ، ونكبر كي نفترق ؟

لماذا لم نمت كلانا عندما ماتت طفولتي ؟

وإذا كانت روحي قد سقطت لماذا يلاحقني هيكلي ؟ " -

وتسقط خواطر الحب اللامرئي على وسادتي الباردة ويرتعد
الأمل واجفأً ويمضي من داخلي ..

غداً سأقول لمجد : " الحب شيء وهمي وهو يعني الصغار
الحالمين ، وأولئك الذين لا يجدون شيئاً يفعلونه " .

توصلت إلى هذه القناعة وأنا أتذكر المسؤولية هي الأساس
في حياتي ، كيف أتصرف إزاء العمل إزاء الدراسة . ومساعدة
جدتي ..

بدأت العطلة الصيفية، وصممت أن أضعف العمل لأكسب
أكثر وأكثر ، كلمات أمي المباغثة ترن في رأسي .. وتبتسم قائلة :
- غيث سنسافر إلى المدينة .

وصممتُ لفترة بدت لها طويلة وهزرت رأسي معلناً رفضي،
وبنبرة حازمة :

- غيث .. والدك يريد أن يراك ..

- ليأت هو ..

ولا أتذكر كل ما قالته إنما شعرت بخوف يعتريني وركضت
أحتمي بجدتي .. ووجهها الغاضب يردّ على أمي ..

- أذهبي وحدك .. غيث لن يتركني

- يا أمي .. والده مشتاق إليه ..

- لماذا لم يسأل عنه طيلة سنوات مرت ؟

وحسمت خالتي وفاء الجدل وقالت :

- يا أمي .. لا تنسي أنه والده .. ومن حقه أن يراه ..

وغادرت القرية مرغما ونحيب جدتي يلسعني ، والدمع يعتصر عيني
كمنديل مبلل بحرقه الغياب والفقدان ..

لماذا يا أبي أفسدت ودنا وتقاربنا ؟ ..

ألصق جبيني على زجاج نافذة السيارة ، وأحس بجذتي
تتلوى من ألم الفراق ، ويرتسم على الزجاج نبرات حكاياها . تحدثني
عن حبها لجلي ، والوفاء بينهما عهداً لا ينفصم ، ووجهها يفيض
بصفاء عميق وكأن الذكريات المحببة إليها تشعرها بنشوة الفرح
وينبت ظلّ حنان رائع ينطفئ ويشتعل وهي تستعرض مواقف جدي ،
وكرمه ، وحسن سيرته في القرية وتعامله الإنساني مع الجميع لأنه
مختار القرية

_ إذن لم تعملين على ماكينة الخياطة ؟ ..

- لم يترك لنا ثروة ..

كرمه الشديد ، ومساعدته للجميع ، وبعض الخلافات مع

أخوته جعلته يخسر كل شيء ..

كان يتفقّد فقراء القرية ، ويمدّ يد المساعدة لكل أسرة بائسة ، وأحياناً
ينسى أسرته في سبيل راحة القرية ، ويعتبر كل سكانها مسؤوليته
وهو راعيها ومدبرها .. وتعب كثيراً يا غيث وأنهكه المرض . وقاوم
بقوة حتى رحمه الله ...

صحوت من أفكار ، وقد انتصبت لحظة مشحونة بالتوتر

والقلق والسيارة تصل إلى المدينة وابتلعت حنان جدتي وتأهبت للقائك

يا أبي .. وقلبي ينتفض بين ضلوعي ...

اعذرنى يا أبى كان وجهك غريباً عني ، وارتسمت صورة
جدتي في ملامحه ، ملامح اللهفة والحنان والرعاية وصوتها يمزق
غربتي وهي تودّعني ..

غيث .. غيث .. لن يأخذوك مني .. لن أتخلى عنك .
المدينة طويلة ، وعريضة ، فوضى ، وضجيج ، وكأن الأرض تزلزل
لصخب السيارات ، وأصوات الباعة .. فلا صوت الديك يوقظني ،
ولا هديل الحمام على سطح منازلنا ، ولا ضحكة الشمس الباكرة
تدخل نافذتي أحس بالاختناق .. وكأن ذهني يغلق ، وخيالي
يحتضر ، أنظر بلا مبالاة إلى الأشياء .. وأحسست بعدم قدرتي
على التكيف مع ما يجري .. وكانت تلك الفترة مليئة بالصرخات
المكتومة والكوابيس الثقيلة ..

كان حضورك إلى المنزل مثيراً ومقلعاً . أحبك وأخشاك
وكنت أنتظرك ولكنك تتغيّب كثيراً ، وحين تعود تحمل لي الثياب ،
والهدايا ولكنك كنت في عالم آخر .. وأرفض كل الإغراءات
وصدري يمتلئ بالمرارة ..

متى أعود إليك يا جدتي ؟ ..

وتسرع أمي إلى ما لا نهاية بأفكارها ، وتشرب من ماء
صمتها وحيرتها . مرّت أسابيع ، وأصبحت جسداً محموماً ينتفض ،
ويرتعش قربها كعصفور يحتضر وهي تلتقط حبات العرق بمنديلها
وصوت هذياني يمزق وحدتها .. وتعود يا أبى وتلمس جبتي .

- الولد متعب .. لا بد من طبيب

- النيران تشتعل في جسده . ويرفض الطعام ..
صوت الطبيب يتسرّب إلى أذنيّ الخائفتين .. وهو يستفسر
منهما عن حالتي ..
- لا بدّ أنه تعرّض لأزمة نفسية .
ويهم بكتابة الأدوية .. يباغته صوت أمي المتشرّب هدوء
حزنه .
- يا دكتور .. منذ فارق جدته في القرية ، وهو يزداد كآبة
وتراجع صحته ..
- نظرة والدي المستغربة تريك الطبيب ولكنه يتجاهلها :
- لا بد من عودته إليها .. حتى يشفى.
- صوتي الذليل يسبح في أرجاء البيت ، وأنا أتصرّع إليك يا
أبي أن ترجعني لجدتي وأنت تحاول إقناعي وأمّي تنتظر إليّ بذعر
ولا تقوى على الكلام .
وتصحو من حيرتها ..
- غيث غداً نعود إلى القرية ..
وبعد صمت طويل ينسحب والدي وقد أحنى رأسه وأمّي
تتبعه وفي ركن عينيها رضى خفي ، ثم استدار إليّ وقد بدأ شيء
أشبه باليأس والحزن يدبّ في قسمات وجهه وأغمضت عيني وأنا
أحلم بجدتي التي سألقاها غداً .. وكأن صوت ماكينة الخياطة
يوقظني ..

وحالما تحرّكت السيارة ، خارجة من الزقاق الجانبي إلى الشارع العريض ، ويد والدي تلوّح بالوداع .. ووجه أُمي مثقل بالأسى .. وحدي أنثر الفرح على المسافة والطريق يلتهب بالشوق إلى القرية .. إلى جدتي .. وحدها أُمي تختلي مع نفسها وتلبس عباءة صمتها لماذا لا تحدثني ؟ ..

بماذا تفكر .. ماذا ترغب ؟ .. ورحت أغمض عيني وأحاول أن أغرق في النوم في ذلك المساء البعيد ، مطر أول الخريف ينهمر بغزارة ، رائحة الأرض العابقة بشذى السماء ، كأنها رائحة الولادة أو الموت ، والقرية تطلّ ، أو كأنها قلقة تنتظرني وحين دخلنا المنزل لم أسمع صوت جدتي ، خفت من صمت طوّقني .. وكأن صوراً غائمة تظلل البيت .. أجلي عيني في الغرفة كمن يرى ولا يرى .

- أين جدتي .. جدتي ..

لم أسمع صوت الخالة وفاء وكأن الخوف تلبّسني .

- جدتك نائمة يا غيث ..

واجتاحني حنين وأنا أنحني فوق سريرها وأغمر وجهي بشعرها ، وأوسد رأسي بين كتفيها وعنقها وأشكو لها مرضي .. حزني .. شوقي .. وكأنني أحمل أحزان البشرية كلها .

عيناها الوفيّتان تومض فرحاً ، تحاول أن ترفع رأسها بصعوبة وشفاهها تتم ..

- غيث .. غيث .. تأخرت يا حبيبي .. مذ سافرت وأنا

مريضة .. لا تتركني أبداً .. افتقدتك كثيراً ..

- وجه والدتي يزحف إلي كهوف الخوف ..
- سامحك الله يا وفاء .. لماذا لم تخبرني ؟
- خشيت ألا يصدق أحمد ويظن أنها حيلة ليرجع غيث أو
نبعده عنه ..
- الوجع يحتضر ، غابة الحب تحترق ، أسنة اللهب تتطاير ،
وأنا ملتصق بها لا أتركها لحظة ، أيام قاسية ، وجفاف يقتلع التربة
الخصبة . هذه السنديانة تتحني أغصانها ، وتلفظ آخر أنفاس الحنان
، تضمّني بقسوة إلى صدرها ..
- جدتي أحبك .. لن أتركك أبداً ..
- طويل احتضارها كما النار التي تلتقط طرف الغابة ، وكل
أغصانها تنزف الحزن والمطر صوتها المتشنج بخرخرة الموت ..
- وفاء .. أين أخيك .
- أنا قريبك يا أمي .. أقسم لي أن تكون ابنتك مها لغيث ..
وغيث لمها ..
- وغرغرت دمعة الوعد في عيني خالي ، وهو يضم يديها
المرتعشتين ويتمتم .. تأكيداً لوعده ..
- كل العذاب يتهاوى . كلّ جدران الحنان تنهار والموت يتسلل
بجبروته والروح تلفظ أنفاسها الأخيرة . فقدان .. موت .. حرمان ..
ما أشد قسوة هذه اللحظة لمن تركتني يا جدتي ؟ .. خذيني معك ..
وتشدني أمي من فوق صدرها ، وأنا أصرخ وأهذي

لماذا هي بالذات تغادرني .. يا الهي رحمتك .. صراخ ،
وعويل ، وبرود الزمن يتجمد أمام برود التراب وذراته تغمر وجهها
الطيب ، وتوتر الظلام يطفئ على كل شيء .. نظنّ أنفسنا في قلب
الحياة ، ولكننا خاضعون لسلطان الموت ، وهذه الأرض زائلة ونحن
ننزلق عبرها ، والزمن المدمّر ينعثك أحببتنا وشبح الفناء يخترق كل
وجودنا .

يغالب الإنسان الجوع ، ويتقي البرد ، ويقاوم المرض
وينتصر على الشقاء .. كل ذلك لأنه يكافح من أجل البقاء ، وحياته
صراع دائم مع الموت ..

ولكن هل يشعر أن الأيام تحيك كفنه ، والدقائق تأكل من
جسده إلى أن يتحلل إلى تراب . أليس مع كل لحظة تمضي نفقد
بعضاً من كياننا ؟ ..

يا الهي ..

أنت وحدك الباقي الذي لا يتغيّر .. لولاك لما وجد الإنسان .
من يأمل فيه ، ويتعلق به كل شيء يزوي ويفنى ، ويتغيّر ، أنت
وحده الباقي الموجود .

تجهم وجه الطبيعة ، وانهمر المطر مدراراً ، وشحبت
الأشجار ، وبين الحين والآخر يقرع سمعي صوت طائر الليل
الكامن بين شقوق الصخور ..

أهو يصرخ أم صوتي ؟ صرخات أليمة شاكية ، ما أقسى

الفقدان .. لماذا أنت بالذات يا جدتي ؟

من سيرعاني وأنا أزحف على أرصفة الوجد وحبّي كقنديل لا
يطفئ . كم ستكون طويلة ليالي الصقيع ؟ ..

أهرب إلى قبرك ، أرمي على ترابك باقات الريحان والياسمين
. أشم رائحتك . أنبش بأصابعي التراب .. ربما تبتم عيناك
كنجمتين تشعان حنانها الأخضر .. أو تحنون على تشردي . سأبدأ
رحلة الضياع القاسية وأنا أغادر المقبرة حزينا ، وكأن جزءاً من
كياني يدفن معها . أبتعد ، وألتفت ، أراك يا زعفران الطيب ولكن
حجلاً ثقيلة تمحو معالمك ..

أحس أنني سأخسر بعض عمري على ترابك ، أنا مسجون
بالأمس ، وخائف من الغد . وهموم المستقبل تتكدس على منعطفات
طرقاتي . وحدك ربيتي صغيراً ، وتركتني يافعاً .. سأغلق أبواب
نفسي . وحدها جدتي التي تعرف مفاتيحها .

تحتويني والدتي بنظراتها المستفسرة عن غيابي الأسبوعي
وأرى في سوادهما التماح الحزن ، ودفء الحنان .

- غيث .. كف عن زيارة القبر المؤلمة ..

بسمتي الشاحبة تضيء شحنات قلقها .

- يجب أن أكون وفيّاً لها مدى العمر .

بدأت أحسّ بعدم الأمان ، وكأن الجدار الذي أتكى عليه بدأ
ينهار ، لن أضعف سأقاوم، سأكون أكبر قوة ، سأشق دروب الحياة
بجهدتي ..

افتقدك يا أبي حتى الوجع، افتقدك بشدة في هذه اللحظات ،
رغم أنك منحتني بعض الدفاء والقليل من الاهتمام في الأشهر
القليلة التي عشتها في المدينة ، وكنت أحس دائماً بأن روحك
مشغولة عني . أنت معي وأفكارك عائمة هناك . عدت إلى أرض
الحقيقة ، أفكك خيوط الزمن لأحيى من جديد ، لأنطلق ، لأعمل ..
أخرجت صورتك من تحت وسادتي ، تأملتها .. لم ينبض
في أعماقي وتر ، ولم أحسّ بلهفة تخترق كياني . عذراً يا أبي ..
كأنني أرى صورة رجل لا أعرفه ، لا أكرهه ، ولا أحبه وملامحك
تزوج ، وتتلاشى مع الزمن . وأحتفظ بصورتك معي لأقول .. كان لي
أبٌ في زمن ما ..

أتراني أهذي يا أبي ؟ ربما فاجعة الجدّة هدّتني وأنا مع دوامة
الأفكار أدور . كيف سندبّر معيشتنا أنا ووالدتي ، وأنت تخلّيت عنا
؟ نسيت واجبك الأبوي - مال .. مصاريف . دراسة .
ترى هل تعامل أولادك هناك مثلي ؟ ..

ألم يخطر ببالك أن تأتي لتراني ، أن تعزي بوفاة جدتي ..
ألم تسال نفسك كيف نعيش ومن المعيل لنا ؟ ..
قشعريرة المرض تهزّ أوصالي ، أحسّ أن الأرض رخوة..
رأسي ثقيل ، وحزني يتعكّب على الجدران أفقدت ثقتي حتى بنفسني
.. ؟

إن لم تتبع القانون الإنساني، على الأقل اتبع معنى العدالة..
أو الرحمة .. ألا تظلمني يا أبي ؟ ..

القهر يجعلني أفقد توازني ، ومنطقي .

غيث .. على الإنسان أن يفكر بعقله ، لا بأعصابه ، أن يتصرّف بفعل لا برد فعل أمام المصائب والصعوبات .. أليست - المصائب محك الرجال ؟ .. والحياة الحقيقة توجد في الإنسان، في طاقته وفعله لا في الأشياء .

أحس أن الألوان تنطفئ ، ويتمدد لون الأمل .. لون الزرقة السابحة في الملكوت .. هذا اللون سأشوقّ به الواقع المؤلم بزود البذل .. وأرمي كل المتاعب .. والأزمات .. لأنني أعرف ماذا أريد .. وماذا سأحقق من طموح يبيزغ الفجر باهتاً مريضاً . في غمرة أحزاني يبتسم الجرح في قلبي ، وأصابع خالتي وفاء تلامس وجهي بباقات حنان . كم يشبهها حنان جدتي ...

- غيث .. كفاك حزناً .. الحياة سوف تستمر ما زلت قوية يا غيث وسأعمل على ماكينة الخياطة لا تخف أنت أمانة في عنقي .. وتغمرنني بسيل قبلاتها ومداعبتها ، وأمي قربي على السرير تفيض أصابعها الحانية بمعنى القوة في ذاتي أنظر إليها ..

أمي .. صممت أن أتابع العمل والدراسة وسوف أساعد خالتي ، الحياة كفاح وعمل لا تخافي يا أمي ..

للغة أمي السرية ذوبان السحر في أعماقي . تبكي زهور قلبها وتبتسم أحلامي القادمة . أليست لغتها الأمومية ، أوضح من الكلام ؟ ..

زخات من أمطار الأفكار ، وأنا أقلب الصفحات ، وأضع
النقاط ، وسأحوّل الأفكار إلى فعل حقيقي .. سأثبت لك يا أبي أنني
رجلٌ عصاميٌّ ..

مآقي الشتاء تصفح دمع الغيوم ، وتنتحر الأوراق في غربتها
ومعاناة الدراسة تتكشف المعرفة وبسلاح العلم سأخترق المجهول ..
على مدى لحظات العبور الهادئة .. يستوقفني مجد باسمًا .

- غيث ستبقى سحابة معلقة بين الدرس والعمل ؟
أكان مجد يقرأ لغز جراحي ، أم هذيان أفكاري ؟ لم أرك منذ
فترة طويلة .. أسمع قصيدة الروح بأنفاس ربيع الحب تخفق على
أوراقِي ..

تذبل الأزهار في قلبي

زارني شتاءً ..

ومرّ صيفٌ

وأنا أنتظر حبيبي

فراشة هدوئي

هارية إلى نار شموعي

أصبّ دمع اشتياقي

بلون النار

والفجر

والغروب

اهدأ يا قلبي

واترك اللحم

غافياً

بين خلوات المساء

كما السنونو يتأبط أجنحة رحيله ، أشارك مجد شجو همسه
العاشق وأودعه راكضاً حظ الحياة أمامي وأحتاج لزمن آخر كي
أعيش مثله الحب ..

وصوت صاحب الكرم يغتصب أفكاري .

- هل جمعت التفاح يا غيث ؟ ..

أسرع إليه ويبيدي سلّة التفاح، وريثما تعود يا معلمي سأكون
أنهيت قطف عناقيد العنب ..

- بارك الله بك يا ولدي ..

وأتمشى مع الغروب والنقود تخشخش في جيبني ، ويبيدي
سلّة العنب والتفاح هدية معلمي إلى أمي ، وصوت وديع الصافي
يرافقني .

الله يرضى عليك يا ابني

ظهري انكسر . والههم تعبني

خذ ليلي بنت ضيعتنا

بتعيش معها على الزيتون والجبنة.

أصابعي بإيقاع موسيقي تفرع باب الدار .. وجه أمي

يغمرنني بالدفء وسيل من القبلات والدعاء .

- متى ترتاح يا غيث والعطلة الصيفية تمر ..

- راحتى ممتعة يا أمي مع الأشجار ، والطيور ، والهواء المنعش ومعلمي رجل طيب يرعاني ويكرمني ، خذي يا أمي .. تلتقط النقود، وتحبس دمعتها. وهذه سلّة عنب وتفتح تنتم بصوت مجرّح.. الله يسامحك يا أحمد.. كيف تنسى ابنك. وأتجاهل ما أسمعه .. هيا يا أمي .. أنا جائع ..

هل تسمع صوت أمي ينوح في وديان تهيج لوعة القلق والخوف وأنا أحفر أصابعي في الكروم في النجارة والخياطة . وفق ما يتوفر لي من عمل . أيامي تمضي مقفرة إلا من الدراسة والعمل ..

ودفترتي الصغير الذي أجد فيه بعض الدفء .. والكثير من الحنان ، كلما انتفضت صورة من الماضي ألتجئ إلى قلبي ذلك الطفل الضائع معي فأجد في الكتابة صديقة وفيه تفهمني وتحمل كل خلجات غضبي وهدوئي وحزني .

ككل ليلة تزحف نظراتي ، تتحسس رفوف الكتب ، وفيها أجد بوابات الخلاص .. والأمل .. والسلوى .. أخرج من أجواء حياتي الحالكة، أنسى الواقع أدركه بالمعنى الإنساني ، هذا الإدراك أستمدّه من التجارب والصعوبات ..

هذه الكتب أعلنت فوزي بالشهادة الثانوية ، ويومها لست أدري كيف دموعي أضاعت طريقها إلى عيني أمي أو كأنها تنهمر داخل الذات .. ولن أنسى تلك الابتسامة التي أذابت الدمع وصوت خالتي وفاء يزغرد كأنه أجراس الفرحة ترن في أرجاء المنزل ..

لتفويض فوق القهر فوق التعب وترج الماضي لأرى المستقبل بنظرة
واثقة . وحين انتهت سهرة الفرح ، عدت إلى غرفتي وكأني أحمل
سراً خفياً في ذاتي .. سر الكتابة وأنا الحائر بين الأفكار والصور ،
والتخيّلات لأفوق أترقبه وأسعى إليه ..

فرح ..

حلم ..

يرندح نغمة الأمل

زنابق طفولتي

تزهّر ..

زارني شتاء

بكي بقسوة

لم يشعر أحد به

إلا دمعتي

أحب رائحة التراب

في المطر ..

أحب رائحة الحب

المحروق بالتعب

قد تفقد الوردة

لونها

أو تذبل

أما قلبي ..

لا يشبهه حزن

الورد

ولا يشعر به

أحد ...

* * *

مجد ، صديق العمر كان يترك في نفسي أثراً لا أستطيع
تحديده بعد كل مرة نلتقي ، ربما لأنه يشعرني بطعم الحياة ، ونكهة
الحب من خواطره أشعاره.

مجد اليوم حين ألتقيه كان يهمل لنجاحي ويهتف :

- أنت تستحق يا غيث هذا النجاح وجدير به .

ويأخذه الذهول حين أحمل له دفترتي الصغير وأقول :

- جاء دورك لتسمع ما أكتب..

فيصغي إليّ منتشياً ويضيف مبتسماً :

- أين كنت تخبئ هذه الموهبة عني ؟

ومادمت قد تعلمت القليل من الحب ، فما عليك سوى

ملامسته ، عيشه مع مخلوقة ما .

وأخفيت عن مجد ذلك الهاجس السري بيني وبين هدى ..

التواصل الخفي . وكلانا لا يبوح للآخر .. نبتسم ونتابع شتات

الأحاديث المتفرقة .

4- تجربة الجروح

أحمد...

أنظرُ إلى وجه سهام ، للمرة الأولى ، أحسّ بأنني أختنق بأشياء كثيرة .. أودّ أن أفضفض لها ، ولكن أنا واثق أنها لن تسمعني ، وسأثير غضبها ... أختنق ورغبتني لا تقاوم في البكاء وصورتها تهدر .

- ما بك أحمد .. أنت مهموم منذ ولدت مريم غيثاً . ألا يوجد في حياتك سوى غيث ؟ كأنك تنسى ولديك طفلة وطفل مني والثالث سيأتي .. دعه لأمه ...

ولم أدعها تكمل ، ونيران غضبي تكاد تحرق كل شيء ..
وصرخت :

- لا تتحدثي عن غيث بهذه الطريقة .. إنه ابني .. ابني .
ابتسامتها الهازئة ، وسخرية كلماتها اللاذعة تبعث بمرارة ،
ترمقني بنظرة لا مبالية وتغلق الباب وتخرج .. وتترك حولي مرارة

غيرتها وحقدتها .. فترتسم صورة مريم بكل معالم حيرتها البائسة
وفرحتها المكبوت .. حين هتفت بفرحة يائس :

- أحمد .. أحمد .. أنا حامل ..

صعقت يومها للخبر ، وكأن القدر يسخر مني .. أو ينتقم
مني لأنني لم أنتظر ، ولأنني لم أهتم بعلاجها كما يجب وكل
الاستفهام يتدفق متلعثماً مع المفاجأة التي لم أتوقعها ..
- كيف ..؟ متى ..؟

وتدحرجت بقية الكلمات لتتشرب من دموع مريم التي
انتظرت بصبر وكان الأمل يشدها بقوة لتحقيق لي ما أرغب وتشهق
بالدمع قائلة :

- ذهبت منذ ثلاثة أشهر مع والدتي ، وسمعت عنها من بعض
الجيران ، ولم أخبرك لأنك سترفض ، وأنا لم أفقد الأمل .. كانت
طيبة بارعة، أعطتني بعض الأدوية ، وطمأنت والدتي أن كل شيء
طبيعي إنما لا بدّ من الأدوية للتقوية وعلاج بعض الإشكالات ..
وبعد شهرين من العلاج طلبت تحليلاً وكانت المفاجأة لي بأن
التحليل إيجابي . ومدّت مريم بأصابعها المرتعشة ورقة التحليل
وصوت والدتها ، رحمها الله :

- مبروك يا أحمد .. مريم يلزمها راحة وهدوء في الأشهر
الأولى .. وسأبقى أرهاها لا تقلق .

غمرني امتنان كبير لها .. وشعرت أن القدر يسخر مني
ويهتف بي .. لماذا لم تنتظر ؟ .. لماذا أهملت مريم .. لماذا

تسرعت ؟ .. أتعاقبنني يا الهي .. ربما ظلمت مريم ولم أسمع إلى رجائها واستغاثتها ، كم زجرتها .. كم رددت على مسامعها .. أنت عاقر .. عاقر .. وأنا أريد طفلاً .. ولم أرحم أعصابها وحالتها النفسية المتدهورة وكان ردّ فعلي العنيف : قرار الزواج ، ومريم مستسلمة بصمت وصبر وهي تسترحمني كأية مذنبه حلتّ عليها العقوبة وتريد أن تثبت براءتها بكلمة واحدة تلهب الآن وجداني ...

- انتظر يا أحمد .. لا تقنط من رحمة الله .

ألم يكن قراري الصارم كأى قاضٍ يصدر حكمه القاسي والبريء والمتهّم ، يهذي ويسترحم .. يا له من تدمير خفي لمريم الطيبة التي استسلمت إلى مزاجي وحكمي الصارم . وبقيت بكلّ طبيعتها وإنسانيتها ترعاني وتحبني . وارتدت ثوب صمتها والألم ينزّ من كيائها ، وكيف تناقشني وجسدها الجاف لا يثمر وحملت أحاسيسها المسؤولة وفقدت قدرتها حتى على الغضب والاحتجاج والحوار غير المجدي . ألم أكن أنانياً أكثر مما يجب ؟ ..

مريم .. أيتها القطة الريفية الوديعه ..

مريم .. كم كنت رقيقة كالدمع .. حزينه كنغم ناي مجروح

وأشواك الصبار تنزف من عروا صمته ..

أتابع التسكع في طرقات لا أعرفها، ولا تعرفني والسيارات

حولي مسرعة .. والمدينة تبيع وتشتري الإنسان بحفنة المال .. وبدأ

صراعي مع ذاتي صراع كدوامه محمومة . كيف انقذت إلى مصيري

مع سهام ؟

انقذت إلى انتصاري كرجل ، وإلى حاجتي إلى طفل وإلى ضعفي الآن أمام الموقف ، وصورة مريم المنزوية الآن في منزلها البسيط تنتظرنني وتحتمل غيابي ، وتصمت أمام الاعتذارات الواهية التي أخلقها لأبرر تقصيري . لماذا فعلت ما فعلت من أجل طفل تأخر ولم يأت في الزمن الوردى الذى قررته وحددته .. وحين غادرت مريم وصممت على الزواج من سهام ربما بدأت لعبة الضياع ، وأغراء المال الذى تملكه ..

وعبث القدر فاجأني حين أينعت أمومة مريم وولد غيث من شرايين دموعها ودعائها أ أتيت يا بني أ تشهد ماتم الشمس وأنا المحترق وسط اللهب ؟ .. ونظرت إليّ مريم فى المشفى بعينين فيهما كبرياء الأنتى المجروحة ، وفيهما الجواب لكل القهر الذى عانته منى ، ورفعت غيثاً من السرير وهتفت :

- أحمد .. ولدت لك الطفل الذى ترغب وأغرورق الدمع فى بحيرة عينها الصامتين ..

نظرت إلى الطفل بحنان غريب .. حنان الانتظار والشوق والتعب ، وذاتى الأخرى تهزنى . كم كنت ضعيفاً يا أحمد أمام جبروت سهام وكم كنت محتاراً وخائفاً وتركت مريم فى المشفى بعد الاطمئنان عليها وخرجت عائداً إلى منزلك .

- ..أليست هذه حماقة منك ؟.

كيف تركت مريم وطفلها ووضعها الصحى المتدهور ؟
أليست بحاجة إلى لمسة حنانك ووقوفك معها كزوج ؟

صوت سهام الهائى ينغرس كسكين في قلب وهي تنفث
سمها الساخر ..

- أخيراً أتاك الطفل الموعود ...

وترتسم صورة مريم المتعبة .. مريم رغم خطورة الحمل على
جسدها تحدت الموت وصممت أن تتجب الطفل لتتأر لكرامتها
وأنوثنها المهودة .. وكان الطبيب بارعاً حين أنقذهما معا ..
وتصرخ سهام بحدّة :

- إلى متى شرودك هذا ؟..

- ماذا فعلت بالأموال .. أين المشاريع ؟ الأولاد سيذهبون
للبحر ..

وقائمة من الطلبات والأوامر .. وهربت الكلمات متعبة من
شفتي :

- سهام .. أنا متعب ..

- أنت قلق على صحة مريم لا تخف

وتتابع .. انس التعب .. سنسافر إلى البحر . أحدق في
وجهها بغضب ..

- تريشي .. مريم في المشفى .

ولم تدعني أتابع ..

- ظننت أنها ماتت .. أهي أول واحدة تلد ؟ ..

يلتهب الأفق بوهج جنوني، ولغتها الحاقدة تضور في
شراييني . قد تشفيها صعقة قاسية مني وتراخت الأصابع حين

تذكرت أنها حامل .. وصوت الأولاد يقطع حوارنا .. سنذهب إلى البحر . تعاقبت الأيام ، ومريم تغادر المشفى كخريف شاحب ، حزينة كنغم شارد ، مغتمة كغيم شتاء نظرت إليها بقلق وهي تودّعني وآثرت السفر مع أمها إلى القرية لأنها تحتاج إلى عناية ريثما تستردّ صحتها .. كم تمنيت لو أسافر معها ، أعتني بها ، وصورة سهام في ذاكرتي تهزني ، تبعدي . أمقتها ، أحبها .. أختصر الحوار مع ضجيج صوتها الحاد.. وتبقى أيضاً أم أولادي .

ضمنت غيثاً بشدة إلى صدري ، وعجزت عن البكاء أمام براءة طفولته الضائعة ، وكلمات الوداع تتهاوى ببطء ، والسيارة تبتعد وأنا أتابعها بنظراتي الملتاعة ..

كنت أمشي في الشوارع ، وعاصفة .. ورعد .. تندفع من داخلي لتلسع الشوارع وكأنني أمشي على أرض الجمر ، والحرمان ، والقلق ..

ماذا فعلت يا أحمد ؟ .. كيف تخليت عن إنسانيتك كأب وزوج وتركتهما ببساطة لرعاية جدة عجوز ... لماذا لم تتمسك بهما .. ؟

وهل أستطيع أن أتخلص من امتلاك سهام لي وغضبها وثورتها .. وهذه المشاجرة كلما زرت مريم ، ألا يتحمل نتائجها الأولاد ؟ لا بد من الحكمة .. والهدوء .. لأجل الاستمرارية ، وهم لا ذنب لهم بما يحدث .. لماذا أحملهم الأعباء والمشاحنات ؟ .. منعشة

، دافئة عاطفة الأبوة . كيان من العطاء والالتزام ، والتضحية ،
وبذل الذات .

أتابع السير ، يتدفق سيل من الوجوه البريئة خارجة من باب
إحدى المدارس التي مررت أمامها بالصدفة ، وأرى غيثاً يبتسم لي
..

سأراك يا غيث تحمل حقيبتك ، وتخرج مثلهم سأحملك بين
ذراعي .. لن أتخلى عنك أنت الأعلى .. والأحب .. والأجمل ..
سبع سنوات وحناني المذبوح ينتظرك .. سبع سنوات ومريم تتعذب
وتسعى وتجاهد لأراك .. هل يعقل حين وجدتك أفقدك ؟ .. مستحيل
أن أفقدك لأي سبب كان .. وظللتني غيمة حب ، وقطرة فرح تهطل
على وجهي المرهق ..

وصلت المنزل .. العرق يتصبب من جبيني وجه سهام يرسم
شذرات الغضب في عينيها .

- لماذا رجعت .. سافر معهم ..

يركض غضبي ، يزحف ، يعلو .. يهبط

- سهام .. كفاك إساءة ..

إنها زوجتي ولها ذات حقوقك .. وارتسم على وجهها مسحة
من خبث الأنثى .

- لم لا تتحمل مداعبتي ..

الآن .. ارتحنا .. غداً نساfer إلى البحر .. وارتديت عباءة
الهدوء وليس لدي أن أخوض مشادةً كلامية لا مجدبة .. والأطفال
يتراكون حولي .. بابا .. غداً نرى البحر ..

الطريق المتعرج بين حلب واللاذقية يستسلم للجبال ،
والسهول والوديان وجدائل الاخضرار تستسلم لتيارات الريح والزهور
الملونة تتغلغل بين الأعشاب ، والمراعي الهادئة تنمو على الخراف
والراعي الهائم مع هففة عذوبة الطبيعة وسحرها . أتأمل كل شيء
بصمت ، وتلوح الأشياء الجميلة متصلة ببعضها البعض وتخلع
الزرقة ثوبها الساحر على مياه البحر ..

والشاطئ المتدفق بعذوبة المياه يستسلم لتيارات الموج
ونغماتها الناعمة .. تغوص قدمي في الرمل الملهب .. ويغوص
قلبي في لهب الشوق .. أين أنت يا مريم .. وحيدة مع غيث وأنا هنا
أعانق الجمال .. والعذوبة .. والراحة .. ترى هل شفيت ؟ .. هل
تدعبين غيثا ؟ .. والأولاد حولي يمرحون وكأنهم اعتادوا شرودي
ومرحهم يمدني بالفرح . صوت سهام ..

- أين وصلت بأفكارك يا أحمد ..

- لا شيء أتأمل البحر والموج والزرقة ..

تبتسم لامبالية وصوتها ينادي الأطفال للطعام .. كل شيء
ناءً ، شاحبٌ ، والذكرى الباهتة لسنوات عبرت مع مريم كأنها بدأت
تتطفئ . ربما مريم ابتعدت .. لتدعني أعيش مع أسرتي بسلام ..

وروحها ترتعد من لهب لياليتها المعذبة . آه يا مريم .. لِمَ تركتِ حولي هذا الفراغ ؟ ..

فراغ لا أجد فيه النفس هادئة ولا ساكنة.. الأفكار والصور التي تتوالد في الذهن ، لا تخضع للعقل أحياناً ، ولكن أختي جعلتني أخضع لفكرة سيطرت على العقل الذهني ..

- أحمد .. منذ متى لم ترَ مريم وابنها ؟
- منذ أشهر طويلة ..
- أليس هذا جحود بحقها ؟ .. هل فكرت كيف تعيش ، كيف تؤمن مصروفها ؟..
- أعطيتها مبلغاً حين سافرت .
- وهل هذا يكفي ؟ أرى في وجهك حيرة وتعباً ؟
- أجل يا أختي .. لو طلبت من مريم أن تعود إلى هنا .. فسوف تغضب سهام .. ونعود للمشاحنات والخلاف ..
- لا يا أحمد .. مريم لها الحق مثل سهام .. والطفل ألا يحتاج لرعايتك ؟ ..

يا الهي.. كيف تعكّرت مياه الحب في ذاتي ، وكيف هربت هذه الفكرة مني ، وأنا مشغول دائماً بسهام ومشاريعها وأموالها ... أختي على حق .. كيف تركت غيثاً وحيداً ؟ .. كيف غابت هذه الأشياء عن ذاكرتي ؟.. يجب أن أقرر بحزم .. وألتفت إلى الوراء وكأنني على يقين راسخ أمامي أن هاتين السيدتين أحبتهما معاً .. أو ربما الأولاد هم الخيط السري الذي يشدّني إليهما. مريم متعبة،

وحانقة على بسبب زوجي الثاني ولكنها تحمل لي طهارة الحب ..
وطيب النفس السمحة .. وتركض أمامي كطفلة ، وتبدو ثابتة الحنان
.. شامخة النفس ودائماً في وجهها شيء خفي .. حزن مكتوم وكأننا
في حقل وداع ..

غيث .. لم أتوقع أن ينفر مني كأني غريب . غير آبه بكل
لهفتي ، ومحبتتي ، وبكل ما أشتريه له .. علاقته بي فاترة وحين
أخرج ولا أعود إلا مرة أو أكثر في الأسبوع كان قادراً على إخفاء
مشاعره مثل أمه تماماً ..

هل كان هو الرفض الضمني لعائلة منقسمة .. وحين
فوجئت بمرض غيث ، ورفضه للطعام والحياة ، هنا رضخت لقرار
الطبيب وأعدته إلى القرية ..

ربما إصراره على العيش مع جدته هو التعويض له عن تقصيري
نحو طفولته الأولى . وبيئته الأولى .. فوجد عندها الحزن الأول
والحماية والحنان ..

وهكذا عادت مريم وعاش غيث في القرية وأكمل تعليمه في
مدارسها . وتفرغت أنا لعائتي ، وهكذا توارت السنون والقطيعة تكبر
، وتتشعب . عشت صراعاً مريراً مع نفسي وسهام صوتها يلتهب
بالانفعالات وهي تقنعني يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة بأن أرسل لها
ورقة الطلاق ..

قافلة من ضجيج الأفكار .. ونبع الدم يغلي في عروقي
وأرى العالم امرأة ممزقة مع طفل ، وصمتها الأخرس يطوق عزة

نفسها ، ودموعها تتدف ثلجاً يحرق وجهي الجاف وورقة الطلاق
تحمل الخيبة والهجران لمريم . عذابها يدور في مخيلتي الآن وما
زلت أستعيد اللحظة الحاسمة حين انقطع الخيط نهائياً بيننا ..

وانتهى زمن، وبدأ زمن آخر.. وانسقت إلى مجاهل النسيان
، وصرخات مريم المكتومة ظلت مخبأة في جروح الفقدان، وهذه
المخلوقة التعيسة لم تطالب بشيء وجوهرها النقي بكل إباء الكرامة لا
يساوم.. ولا يطالب بأبسط الحقوق الإنسانية ..

أصحو من كوابيس أفكارى وصوت ابنتي ليلى يراقص الفرح

..

- بابا .. بابا .. نجحت في الثانوية . ألا أستحق هدية ؟ ..

- تستحقين كل شيء ..

وضممتها إلى صدري . كنت بحاجة إلى صدر بريء
وطيب لأخفي فيه دموعي .. ترى هل نجحت أيضاً يا غيث ؟ ..
لماذا يا رب لم تطهرني من العطب الذي شوّهني .. وأفقدني يقظة
الضمير والعقل .

- ثروتك يا سهام ، صحيح أني أعمل لك بها مشاريع .. بعد

أن استقلت من الوظيفة ، ولكن كل ربح لك ولأولادك ، لذلك

لم أرسل قرشاً إلى مريم وغيث ..

- مم تخاف يا أحمد ؟ ..

- الثروة لسهام .. ولكن تعبك أنت ألا يستحق غيث منه بعض

المال ؟ ..

ما تصورت أنك تتخلى عن أسرتك ، وعن أبوتك، ويحتدم النقاش مع أختي وهي التي ترميني بعبارات اللوم ، والعتاب والترقيع

..

- أتتسى أن لك ابنٌ .. يحتاج لأشياء ولأشياء؟ ..

مريم ، وهديتها ورقة الطلاق . ولكن ابنك ماذا تهديه غير

الإهمال والحرمان والجفاف؟ ..

ما تصورت يا أخي أنك تتخلى عن أبوتك في سبيل سهام

وأولادها .. وهل أنت عادل ؟ ..

يحسني كلام أختي بالحصار ، ببقظة الوجدان .. ولكن ترميني

الأفكار في لجج لا نهائية وأخرج من بيت أختي وصوت غيث

يلاحقني : أ أنت أبي ؟ .. لم فعلت ما فعلت ؟ .. حوارى المشتبك

مع أختي أشعرنى بالقهر وأنا المسؤول عن مستقبل غيث الغامض.

لا أعرف كيف يعيش ، وماذا يعمل . كيف أهرب من مواجهته في

زمن ما .. وهل سنلتقي ؟ هو هارب منى كطير ألف عشه . هو

الذي أسدل وشاح القطيعة واختار مصيره .

وتقترب سهام وهي تتراقص كوهج ، وتحاول أن تخرجني من

اضطرابي المحروم ، وهي تتحدث ، وتتحدث .. سلسلة من الثرثرة

وكأنها تزهو بانتصارها وبسطوتها السرية على أعماقي ..

واهتزت رياح الزمن ما زلت بعيداً عنك يا غيث ما زلت

أعاتب نفسي والأنقاض حولي تتراكم وبقيت مكتوف الأيدي تجاهك

ولم أفعل شيئاً .. رغم إلحاح عمّتك وغبها . لماذا استسلمت إلى ضعفي وتنكرت لك ..

سؤال تشعباته كثيرة .. وفقدت قدرتي على الأجوبة .. ربما أنا كأغلب البشر قد تأثرت بالمظاهر والمال .. وحين ينفذ الفعل إلى الواقع المؤلم أكتشف أن المظاهر خدّاعة ، والأحاسيس المضللة لا يمكن الاعتماد عليها .. قد أتذمر في يوم ما من هذا الزمن الشقيّ المجرد من العاطفة الحقيقية وما أحمله من أفكار خاطئة ومشوشة .. ربما كنت لا أملك السيادة على نفسي ولهذا استسلمت للقدر القوي أمام ضعفي ، وهل من معاناة أعظم من معاناة إنسان يحمل عقلاً ولا يسمح له بتشغيله ، ربما أصبحت القسوة قانوناً يحكم العالم ..

5- أنت أجمل من رأيت

هدى ..

هل تغادر لغة الحب منطقة الورق ؟ هل تتعطف لتخلق
بيننا لحظة الدهشة من نقطة الانجذاب ؟ ..
غيث .. أنت أجمل من رأيت .. أضحك كقمر خجول ..
وتكبر بيننا علامات الاستفهام ، وترتبك اللحظات ، وأنت تطل بين
الحين والحين من خمار النجوم .. وصارت حروفي الخافقة أجنحة
رحيل .. تعبرني مراكب ، وأرتدي ثوب الفصول .. أبتسم لأحلامي
المرتعشة ، وأتكئ على نافذة الانتظار غيث .. أيها المتعب دائماً ..
كم أحب رقّتك ، اضطرارك ، بحة صوتك المعسلة برحيق الحزن
الصامت .. صوتك من حنجرة التعب ، والمعاناة والضياع ..
أصبحت محاصرة بدائرة انتظارك ، وأنت تخرج من منزلك المجاور
لمنزلنا ، أو حين أزرركم . وما أكثر الحجج التي أختلقها لأراك ،
وحين أخلو إلى ذاتي ، أعيش مع كتبي وأحلامي ، حين أحببتك لم
أفكر إلا بالحب البريء ، كطير يبحث عن عش آمن . أحببتك
لأضيء شمعة في داخل عالمك المتعب ..
هل بدأت تحبني ؟ ..

لا أدري ، في الفراغ الرمادي تحتويني نظراتك الخجلى وأرى
في بريقهما الحيرة ، والتردد ، والحزن الغامض حتى بعد أن عرفتك
وسرى بيننا خيط الألفة والمودة . ظللت وحيدة وأنت تتهرب أحياناً
من لحظة تخترق كلينا ، وربما قلبك مثل قلبي يجلجل بين الضلوع
.. وحين نتهامس بالكلام ابتسامه الحب الخفية تلامسها أوراق الكتب
بيننا ..

- غيث .0. كيف دراستك ؟
- وتلوح خلف أهدابك همهمات متقطعة
- دراستي جيدة .. وأكثرها عملي .. ولكن
- لكن ماذا يا غيث ؟..
- الثانوية الصناعية ليست هدفي ، أطمح بشهادة أدبية تؤهلني
إلى تحقيق طموحي .
- طموحك .. هل أعرف ما هو ؟ ..
- وبطمأنينية طفل يشكو لأمه :
- أتمنى أن أدخل الجامعة - كلية الآداب - فأنا أتعشق اللغة
العربية ، والمطالعة هوايتي ، وأحس بداخلي موهبة دفينة
أحتويك بنظراتي وفيهما صلاة حب صامتة ..
- سوف أعيرك كتبي وأساعدك في الدراسة .
- كيف يا هدى ؟ ..

كانت عيناه نافذتان تضيء بومضة الأمل .. حين تنتهي من امتحان الثانوية الصناعية ، تتقدم لامتحان الثانوية الأدبية ، هل تملك القدرة على ذلك ؟

- أجل .. فكرة رائعة ..

- لا تخف سأشرح لك كل ما يصعب من دروس . وتبحر الفرحة في وجه غيث بصفاء طفل ، أغمض عيني خوفاً من يلح آثار الحب بين الأجنان وأصبحت كتبي مجدافاً لمركب طموح غيث . أجلس معه ، أشرح له ، وأخبي في الذات أشياء وأشياء ربما يحسّ بها دون لغة حتى قلبي يختبئ في مكنه خائفاً ، مرتعشاً . وحين يغيب لأيام بين الدراسة والعمل أحس بمعنى فقدان ، وألوح أحياناً ببعض كلمات العتب ، ونفحات الشوق الناعمة . صحيح أن هذا الحب ينمو ويكبر ولكن أهدنا لم يقل للآخر - أحبك - .

- أليست لغة الحب الأجل بلا مفردات ببراقة ، وعبارات ملونة . ودائماً أحزن لشبابك المدفون بالعمل والدراسة وقوة الإرادة ، وربما هذه الأشياء زادت من تعلقي بك ، ولكن هذه المشاعر بدأت تعتل ، وتتراخي يوم اكتشفت سر صمتك وهروبك مرغماً من درب الحب ، حين لمحت والدتك بذكاء فطري وكأنها كانت تحس بعلاقتنا الخفية ، وفهمت منها أنك منذ الطفولة مرتبط بابنة خالك .. واكتشفت معنى ارتباكك ومعنى الوجع في أعماقك وما كان اندثر بالدمع الصامت

وأنا أهرب من شلال الحب لأتكئ على صخرة وحيدة
ونبضك يخفق في كلمات وداعك لي بعد نجاحك بالثانوية
وسفرك إلى ريف دمشق.

شكرا هدى .. كنت صديقة عزيزة ، وكنت القوة الحقيقية
التي دفعتني لتحقيق طموحي .. وكل أزهار الحزن تنبت على حوافي
ابتسامتك الباهتة وأنت تنسل من حياتي بهدوء ، كما تسلت إليها
بهدوء أعمق .. فأنظر إلى عينيك ويدك المرتعشة تصافحني بارتباك
طفل حائر .

ستبقى يا غيث مشتولاً في كل شجرة ، وزهرة بذكراك ورائحة
عبقك في دفاتري وكتبي .

وتوارت قصة الحب البيضاء في طيات الزمن .. ونسيت
الشمس خمرتها على الغلالات الرمادية ، وأرض القرية تغرق في
بحيرة مغسولة بالصفاء .

لِمَ نسيت حياتنا أن تكون بلون العشب ؟ ..

ومازالت جروح الفراغ الذي خلفته لي دمعاً محترقاً . لمن
أعزف لحن قلبي الآن ؟ ..

وأنت كالطائر تغيب في بياض لا حدود له .. ويبقى وجهك
المألوف في أقصى المخيلة ، رغم أن الزمن يهرم ويختزن بقية
الكلمات ..

6- بقايا الحنان منك

غيث ..

أتوغل في طوفان صمتي .. وحدك أيتها الحروف زمني
الأبيض ووحدك يا هدى أفياء الراحة .. وظلال الخصرة

هدى ..

عيناك .. نظرة مجبولة بدمع عشب الحب ..
أطبق أجفاني على بقايا الحنان
صوتك .. يرندحني بأغنية الأمل
تبدد أحزاني ..
أسرق من الحياة غصنها المزهر
والقرية غارقة في دوار العشق
كل نجم يجري في فلك نجم
كل موجة تعانق الشاطئ
حتى السماء تلتقي بالأرض عند الأفق البعيد
إلا نحن الاثنين ..
هل يعود الهدوء إلى قلبي ؟
ربما ...

فأزهار الشجر لا تدوم إلا أياماً قلائل
رغم كل عناية ورعاية تلقيتها من خالتي وأمي أحياناً أحس
أني نقطة تائهة بينهما ..

هل أستطيع الرفض وعاطفة خالتي طغت على كل منطق .
هي محكومة بالعادات والتقاليد وتنفيذ وصية الجدة بأن تكون ابنة
خالتي زوجتي .. هي عنيدة في إصرارها وإلحاحها .. والذي يرغب
أن يفعل ما يرغب بفعله دون أن يحقق ما يريد ، يبقى في دوامة
الرغبة المكبوتة حتى تموت ولا تتحقق . وبذلك كنت أشعر بالحيرة
الدائمة والشقاء وأنا مسجون ضمن ما اختاروه لي من قرار مصيري
، وابتعدت عن هدى الرفيقة والجارة وجفّ نبع الحب البريء ،
ووالدتي بصوتها الهادئ وكأنها تحس بما أعاني تحاول أن تقنعني
بالزواج .. وتفشل كل محاولات رفضي وتأجيل الموضوع .. ريثما
أنهي دراستي الجامعية ...

تتكسر أهدابي ، ويرتسم وجهك يا أبي ..
كم أنا محتاج أن تساعدني ، وأن تحسم الموقف مع خالتي
وأمي ..

أنت هناك وعليّ أن أغلق بوابة الماضي .. وأطلّ من
الحاضر .. انظر إليّ ، أصبحت رجلاً لا يزحف بل يقطع الأشواك ،
وكما عشت بلا أب حكم عليّ أن أعيش بلا حبيبة .. هدى التي
كانت أميرة الحقول .. ومروج الليلك هدى الوفية التي وضعت النقاط

الأولى لسطور مستقبلي ، وزيتون العطاء ما زال ينزف من أصابع
حنانها ..

وكطائر برق يومض صوت ابنتي جمان يخترق وحدتي

- بابا .. بابا نجحت في البكالوريا

أضمها الى صدري بكل لهفة حرمت منها من أبوتك وشعرها

يتراقص على وجهي وتغرورق دموع الفرح ...

مبروك جمان ... والفرح يتطاير في هدوء الغرفة تجلس

قربي هامة :

- بابا - سوف ألتحق في كلية الفنون .

أنا أحب المسرح .. وأهوى التمثيل . ترحل ذاتي عني ..

ترحل إليك يا هدى .. أطفو وأصحو مع أفكارني .. أنا لم أستطع أن

أختار ، أو أعيش رغباتي .. وانسحبت من دفء حبك يا هدى ،

فابنتي سوف تختار ما ترغب ، رغم احتجاج والدتها واعتراضها .. أن

الأوان لنسف قيد المرأة . والخروج بها من المسلمات الاجتماعية

التقليدية . وهل يحق لي كوني رجلاً أن ألغي طموح ابنتي . وأظن

عدم تحقيق ما ترغب المرأة في سبيل مستقبلها وانطلاقها هو الخطيئة

الكبرى بحقها ، أليست المرأة تشارك الرجل في صفاتها الإنسانية

ومشاعرها ورغباتها ؟ إلى متى تبقى مدفونة في سجن المجتمع

والعرف والقوانين . جمان .. لا بد أن توظف كل طاقاتها لتحقيق

طموحها .. الى متى يبقى التخلف المرض الأساسي في الشرق ؟ ..

أليس هو العامل الرئيسي في اضطهاد المرأة ؟ .. ابنتي .. ستكون

مختلفة عن عصر أمي وجدتي . وكلّ اضطهاد للمرأة هو السبب في
عدم تطور المجتمع وتقدمه .

جمان .. يجب أن تكسر كل ما يحاصر رغباتها ، فالمرأة
الواعية ، المثقفة تعرف كيف تصون حرمتها .

هدى .. سامحيني .. أعتز بهزيمتي أمامك .. وحبنا الذي
ولد طفلاً قتل بأصابع المجتمع وأصوليته . أبكي كطفل .. حرمانني
منك .. وإهمال أبي لي .. جرحان يشريان من بئر القدر ..

كلّ الفراشات البيضاء من قريتنا تراقص الآن . الوهم .. وأنا
في خدر الكتابة ألمحك بعيدة كالنور الخفي .. شمعة الحب الذابلة
تنقط الحروف بانكسار يا هدى .. ويدي بيد العروس وتشتد ريح
الأفكار وتنطفئ الشمعة . دموع خالتي وأمي تزفّ الفرحة والزغاريد
تتعالى .. وتردد - الله يرحمك يا أمي .. عيونك تشوف مها وغيث
- ورائحة الحب تحترق كبخور المعابد . هل يحسّ أحد بي ؟ كم
تمنيت أن تكون قربي يا أبي .. أن تراني عريساً . أليس مؤلماً يا
أبي أن نفقد القدرة على أن نحب .

كيف غرست شوكة في مشاعرك نحوي ..

ومرت الأيام في ريف دمشق ، وأنا أبحث في المدينة عن
عمل .. أقرأ الإعلانات ، أتابع الصحف .. وهكذا الى أن التهبت
حروفاً تعلن عن مسابقة بالإذاعة وتقدمت بأوراق الثبوتية ، والمفاجأة
التي لا أنساها حين نجحت فيها ، وبدأت العمل ككفني في الإذاعة ..
وقررت أن أتابع دراستي الجامعية ، واضطرتت أن أتسجل في

جامعة حلب - لدراسة الأدب العربي - حين لم أقبل في جامعة دمشق .. ولأول مرة أسافر الى حلب ... هذه المدينة التي خلقت فيها ، وطبول الماضي تدق بصخب ونحن نقترّب من حلب ..
أنت هنا يا أبي مع أسرتك ، أتسكع في الشوارع . البشر مسرعون في الشوارع .. هل أراك في شارع ما ولكن هل تعرفني أنت ؟ أنظر الى صورتك في حقيبتك ربما أنا أعرفك .. أو ربما نلتقي كغرباء .. وبدأت أمحو الأفكار التي تشوشني وماذا يفيدني خراب الماضي وأنقاضه ؟ ..

وحين عدت الى دمشق بعد أن تسجلت في الجامعة كانت ظلال الغروب ، والقمر الشاحب في سماء خريفية وسحابة وردية ترافقتي وجراح الذكرى تبسم لجراحي ونحن نمر من مدينة حمص ، وملاحم قرينتنا هناك .. وصوت فيروز من المذيع ، فيروز رفيقة الطفولة والصبا تغني ..

أمس انتهينا .. لا كنا ولا كان

يا صاحب الوعد خلي الوعد نسيانا

كان الوداع ابتسامات مبللة

بالدمع حيناً . وبالتذكّار أحياناً .

غصة القلب تزهر براعم طفولتي وقريتي ، أحس بدمعة

هادئة .. هناك تمرّ جدتي .. وهناك هدى ..

هدى .. ربيع رجم بالبياض

فجر حزين كالشعر

هدى .. يasmine عطاء.. ودمعة وفاء
واجهني وجه أمي حين عدت إلى دمشق ، ونظرات
الاستفهام تلوح بعينيها .. تأخرت .. هل التقيت بأبيك ؟..
ابتسمت : أين ذهبت أفكارك يا أمي ؟ ..
- لا تقلقي .. حتى لوالثقتينا .. غرباء نلتقي مسحت دمعة
حزنها .. والجامعة ؟ .. باركيني .. ابنك الآن طالب
جامعي .. لو تدري أمي بحثت في الشوارع عن موقع منزلنا
القديم عن المشفى الذي ولدت فيه .. وكم تمنيت وأنا في
دوامة انفعالاتي أن أراه ..
الهدوء يلقني ، ودفتري في الضوء الشاحب ينتظرنني .
يؤلمني أن أرى ..
على قنديل المساء
فراشتين لا تفترقان بين الزهور
كالقمر البعيد ..
حلمي بطيء كصوت ناي جريح
أخرج اليوم ..
لغد جديد
ما زال .. الندى ..
والشوق
والحنين
ينهمر ..

زاداً للمسافات

7- حين ينهمر العمر

مريم -

مازلت خلف النافذة، أنتظر عودة غيث كلما سافر إلى حلب ،
تختلط الصور والذكريات ، وأواصل الحديث مع نفسي ، هل سيرى
أباه ؟ هل سيعرفه هل تتواصل الخيوط التي انقطعت منذ سنين
طويلة .. وكلما عاد صوته يطمئنني - أمي ممّ أنت خائفة أنا أعمل
، وأدرس . ولديّ أسرة ، ولن أتركك أبداً حتى لو التقيت به وهذا
مستبعد جداً .

ومضة فرح تشع بيننا :

- هل لي سواك لأتعلق به يا غيث ؟
- ويأخذ رشفته من فنجان قهوتي مبتسماً ، ويده تمتد ..
- هذه هدية لك ؟ ..
- من أين هذا المال ؟ ..
- هذا أول راتب من عملي .
- طفحت عيناى بدمع الشكر لله تعالى وأجفاني مثقلة بالتعب،
- فالمرض بدأ يتسرّب الى الجسد ..
- أمي .. ما بك ؟

هزرت رأسي مبتسمة .

- أتمنى أن أرى ولدًا لك يا غيث

- الله يمدك بالقوة وسترين أحفادي ، رضاك وصلواتك تباركني

.

ويربت غيث على وجهي كأنني طفلة صغيرة يداعبها ويتمنى

لي ليلة سعيدة ..

كيف يتغير مصير الإنسان وتقفز صورة هدى الى خيالي .

كنت أحس بالخيط السري الذي يشدها الى غيث وهدى أول زهرة

تفتحت في ربيعہ . لذلك كان يعلن دائماً عدم رغبته بالزواج ، وكأنه

يتمنى لو تغير أختي وفاء قرارها في زمن ما .. ويتزوج من يحب ..

وأعترف الآن بموقفي السلبي مع غيث ؟ اغفر لي يا غيث لأنني

خضعت مثل أختي لوصية الجدة .. وقتلنا الحب في مهده .. لماذا

أفكر بهذا الآن .. ربّما لأنني تمنيت أن أرى ولدًا لغيث . وهو الذي

كان يحلم بالحب .

أحسّ الآن بمدى العذاب الذي يتواصل في زحمة الأحداث

والذكريات .

يا لهذا الزمن المتغير كيف ترجعني إلى تفاصيل وتفاصيل

فقدت معناها في الحاضر .

8- بقي الشوق يتيماً

غيث ..

حالة من الفرح المدهش اخترقتني كسهم مجنح .. وصوت
المدير المسؤول انطلاقة لمستقبل جميل بعد تجربة العمل في المجال
الفني ..

- غيث هل ترغب أن تعمل مديعاً ؟

وغمرتني نظرتة الحانية كأب طيب ، ونشوة المفاجأة أذهلتني
، إنها فرصة عذبة ارتعش لها كياني وبدأت التدريب لفترة واجتزتها
بنجاح وإعجاب المسؤولين بصوتي وحنجرتي .

وأنت اللحظة الخارقة وصوتي من وراء الميكرفون يملأ
فراغات الأثير ، قلق .. وخوف . وموسيقى وترقب ، وغيمات من
فرح الدمع تغمر وجه أمي وهي تسمعني للمرة الأولى .. ولسانها
يمطر دعاء بريق يلتمع ويضيء بنبرات صوتي ، وتترلق اللغة مع
مدارج الموسيقى وإيقاعها ..

أعود للمنزل، أفرش كرتي، أحضر بأصابع السهر جهودي،
وأنا في غابة خضراء تتدلى منها أشجار اللغة، والنصوص ،

والشعر، تحاورني وأحاورها ، تأنس بي وما بيننا مودة وألفة . بعد أيام قلائل الأمتحان الأخير في الجامعة وهذه السنة سنة التخرج . في صباح اليوم التالي تقترب السيارة من مدينة حلب أطل على قلعتها الراسخة رسوخ الماضي في ذاتي أتأملها عن بعد ، كمن يبحث بين أحجارها عن حبيب مفقود .. وتوق غامض يشدني الى لقاء أبي ، ترى هل يسمع صوتي من الاذاعة ؟ هل تعرّف إليّ من اسمي ؟

ينتحب الحنين ، أتابع الكتابة ، والضوء يغمر صفحاتي بوضوح ، ولم أجد أحداً سوى الفجر المضيء حولي . وعصافير الشجر ترزق بفرحة . أحس رأسي مسكون بالصفاء كل أحلامي تتحقق ، وأنا أدفن الماضي بين الأوراق ، فأورقي هي التي تمحو ندوب جراحي ، وعذاباتي ..

حدثت لحظة الاختيار ودمع الشوق يتيمّ ، هل أستطيع أن ألتقط بحروفي تلك اللحظة الخارجة عن حصار الزمن، عن حصار المكان ..

وكيف اختبأت وراء جدار السنين ؟ ..

كنت جالساً في حديقة الجامعة، أنتظر موعد دخولنا للقاعة، اقتربت فتاة .. ألقّت التحية ابتسمت لها .. ترى من أين تعرفني ، وماذا تريد ؟.. بادرت :

- هل تسمح لي بكتابك للحظات ، آسفة نسيت كتابي .. وهناك فقرة سأؤكد منها ..

قدمت لها الكتاب وأنظر اليها بطرف عيني ترى هل ما قالته صحيحاً، أم أسلوباً لتتقرب مني.. ولكني لم أعرفها من قبل.. وكيف لي أن أعرفها وأنا فقط آتي في فترة الأمتحانات فجأة صحت من أفكارني ونظراتي تتركز على الأرض حيث وقعت صورة مع والدي من الكتاب مع بعض الأوراق . حملت بدهشة في وجهي .

- صورة من هذه ؟

- صورتي حين كنت صغيراً مع أبي .

ازدادت نظرات عينيها اضطراباً وهي تتأملني ..

اضطربت وسألتها :

- لم كل هذا الأستغراب ؟

- أحقاً هذا والدك ؟

وببرود قدمت لها بطاقتي الشخصية وأنا أشير إلى اسم أبي

وكنيته وأبتسم :

- هل صدقت الآن ؟

حان وقت الدخول الى القاعة وهي تهتف :

- انتظرنني .. بعد الأمتحان

ورقة الإجابة ترتجف بين أصابعي ، وأفكارني المشوشة

تغوص مع الأسئلة ، لماذا هذا الاضطراب ؟.. هذه الفتاة غريبة

الأطوار ماذا يهمها من أبي ؟ ..

وتمنيت أن أقفل كل الأجوبة ، أو أقدم الورقة بيضاء لأنها

أثارت فضولي ، واستغرابي .. لتكن ما تكون .. هذه سنة التخرج وما

شأني بها .. سأنهي الأجوبة وأخرج دون أن أنتظرها .. ربما فتاة فارغة تود أن تتسلى . وحين وضعت ورقة الامتحان وخرجت أحسست بأنها تتبطني ، وقفت خارج القاعة منفجلاً :

- ماذا تريدان .. أنا مشغول .. سأسافر الى دمشق .

قالت بصوت حازم :

- تعال .. اجلس معي في - الكافتريا - سوف أتحدث اليك .

غريب أمر هذه الفتاة، وكيف تملك هذه الجرأة وتحاصرني

- ابتسمت .. ان أعجبتيك ..

- لا وقت لدي للحب .. سأسافر..

لم ترد على مداعبتي وقادتنا الخطوات إلى الكافتيريا

وبصمت حاد نظرت في وجهي ، ثم قدمت لي هويها و .. صعقت

من المفاجأة ..

- ماذا .. ما .. ذا .. هل أنت أختي ؟

وتدفق من الدمع خنق الكلام بيننا ..

هل أنا واهم ؟ .. هل ما يحدث حلم أم واقع حقيقي ؟ هدأت

قليلاً وهي تمسح دمعها :

- وجهك يشبه وجه أبيك . أنت الوحيد شبيهه من أخوتي .

- وكم أخ لديك ..

- أخان .. وأنت ..

- أدس وجهي بين رفوف الماضي ، وتتساقط الرفوف رفاً رفاً

أمامي أحاول أن أعيد ترتيبها فأعثر في دوامة غامضة

وحين أنهيت رصف صفوف الماضي وأنا أرويها لها
بتسلسل زمني وكل ما مر بي وما عشته .. هتقت ..

- اطو الماضي .. دعه يرقد بين الأنقاض وتعال معي ..
سيفرح والدك بك .. تجمدت في مكاني :

- لا .. لا يا ليلي أرجو أن تكتمي الأمر . دعي لحظة لقائي
به للزمن لن أذهب ..

- لن أعود الى المنزل إلا معك ..

- مستحيل .. ربما وجودي يسبب آلاماً لوالدتك وهي التي
رفضتني صغيراً.. وأبعدته عني دعني أفكر بهدوء وسوف
أتصل بك .

ضممتها إلى صدري، وأهدابها الحزينة تذرف دموع الوداع ،
والسيارة تبتعد عن حلب ، ونظراتها اللاهثة تؤنس الطريق الطويل
وزخ الدمع يغسل المسافة .

أي شيء أكتبه لا يستطيع التعبير عن العذاب الذي يتحرك
بين ضلوعي. الآف الكلمات لا تكفي هذا الموقف الصعب، أغوص
في مقعدي والسيارة تنهب الطريق والقلق ينهب أفكارى المشتتة .

كيف سأقنع أمي بهذا الموقف؟.. ستغضب كثيراً، وسأسبب
لها آلاماً كانت دفينه في ذاتها الصابرة ، لا لن أقول لها شيئاً ،
سأخفي ما حصل ...

أنظر الى ظلال الغروب المهترئة على الطرقات ونظراتي
الزائفة بين الماضي والحاضر وما يخبئ المستقبل تستجوبني ماذا

سأفعل ؟ .. تتسلل صورة أختي - ليلي - وصوتها الممزق لهفة وحناناً وهي ترجوني وصورة أبي ترى هل يرفضني مرة أخرى ؟
هل كتمت ليلي السر ؟ كم تعذبني ليلي وهي تحوم كنجسة تومض بالأمل وتحاول أن تزرع نقاطاً مضيئة في عتمة الماضي . أصل دمشق .. والتعب يتغلغل إلى أعصابي أقرع باب المنزل ثلاث رنات متتالية على الجرس وإيقاعه مألوف لدى أسرتي صوت طفل يزعق من الداخل ، ترى من يزورنا في هذا المساء ؟ ..

تتناقل خطوات والدتي ، ثم تفتح الباب ووجهها طافح بفرح غريب
- غيث الحمد لله على سلامتك . غيث أسرع لقد رزقت طفلة حلوة .

يا إلهي .. المفاجآت تتفتح حولي ، ونداءات خفية تشدني إلى غرفة مها ، أتحسس شعرها وأطبع قبلة على جبينها مباركاً لها بالسلامة تنظر الى وجهي وكأنها خائفة من شيء ما وتهمس :

- أكنت ترغب أن يكون طفلاً؟ ..
- جمان ... أجمل هدية من السماء
صوت أمي مستغربٌ :
- ما معنى جمان ؟ اسم غريب ..
أبتسم ..
- جمان يا أمي لؤلؤة قادمة من بحار الزرقة والخير . جمان حيرة البياض اللؤلؤي .. جمان حبيبات تتساقط من حروف اسم جدتي - جميلة -

أخرج من الغرفة مع أمي وصوت الفرح يتمنى لهما ليلة سعيدة ، ألقى نظرة وديعة والطفلة ساجحة مع ملائكة النوم صحت من نممات الفرح والمفاجأة أنستني تعبني واضطرابي ووالدتي تردد .. لقد أصبحت أبا يا غيث ..

دخلنا غرفة الجلوس ، أحسست بالارتباك كيف أبدأ ؟ وهل تتقبل ما سوف أرويه لها ببساطة ، لا أظن ذلك وسوف أطفئ فرحتها بقدم الطفلة الأولى .. ولكن ماتعودت أن أخفي عنها التفاصيل التي تحدث معي . تنسكب أمواج الصمت بيننا للحظات ، تأمل الشارع من النافذة ، نوره متعب مثلي وأغرق في شرودي .

- غيث مابك ؟ البنات مثل الصبي في هذا الزمن والحمد لله
مها بخير .

ابتسمت لظنون أمي ، ومهما أقسمت لها لن تصدقني لا بد من التحدث إليها بما يشغلني ..

- أمي .. أنا أسعد مخلوق لأن المولود طفلة ..
قاطعتني بحلق كئيب :

- لن أصدقك .. وجهك يطفح بالهموم ..
- لست مهموماً ، إنما اعترضتني مفاجأة في حلب .
جمدت الكلمات على شفثيها ، ومن حنجرة مخنوقة بالألم :
- هل التقيت بوالدك ؟ ..

أتجاهل سؤالها.. وأروي لها كل تفاصيل لقائي مع أختي وهي تغوص في اضطرابها كموجة تروح وتجيء ..

- وهل ستذهب إليه في المرات القادمة ..
- القرار لك يا أمي ..
- كيف تعود لكائن أسقطك من وجوده سنوات طويلة أو ربما أقنع زوجته أنك غير موجود.. وقد يظن هو وزوجته أنك تطمع في ميراثه .. ثم ماذا سيمنحك الآن أو تمنحه ؟
أقاوم تعب عيوني المثقل ، وأعرف أنها ستنام الآن على كومة قلق مضمّن ..

- سأنسى كل ما حصل .. لن التقي به ..
بعجبني كبرياء أمي وحكمتها في تقييم الأمور.. أليست العدالة أعظم من الرحمة ؟ .. هل كنت يوماً عادلاً معي يا أبي؟ ..
أيتها المخلوقة الجريحة .. ما أعظمك .. نامي بسلام ..

تعدّل وضعي المادي بعد أن تقدمت بشهادتي الجامعية إلى مديري المسؤول .. وانقطعت من حلب فترة طويلة حتى لا أؤذي مشاعر الوالدة ، واستحوذت جمان على اهتمامها وأصبحت شغلها الشاغل وكأنها محت لها هموم العمر الطويل .

أحدق في وجه المدير وهو يسلمني أمر مهمة إذاعية إعلامية خاصة بمنظمات الاتحاد النسائي في حلب . تبعثر الدم في عروقي ، وتدفق التردد في كياني وأنا أتعثّر بالرد وصوت المدير يتابع :

- أنت وحدك القادر على إنجاز المهمة بنجاح .

- شكراً على ثقّتك بي ..

والتهبت اللحظات بعذابي، كيف أفنع والدتي بالسفر؟ تقفز
الكلمات مذعورة على شفّتي وتختفي ثم أقرأ لها نص المهمة وكأني
طفل مذنب أمامها ..

صمتت طويلاً ، ترى بماذا توسوس لها أفكارها ..

- سأقرأ الفاتحة حتى تعود بالسلامة..

- أتسافرين معي ؟ ..

- لا .. لن أترك جمان .. لا تتأخر.

لأول مرة أشعر بالتردد من هذه السفرة غير المتوقعة ولكن

هل أرفض رغبة مديري والذي منحني كل هذه الثقة؟..

دخلت مبنى الاتحاد النسائي في حلب ، استقبلتني سيدة
وقور مرحبة بي ، قدمت لها مهمتي الإعلامية تضاعل الزمن ، طال
، أو قصر وهي تتأمل الورقة ثم تضغط بأصابعها على زر كهربائي
، ونتابع الحديث بأشياء عامة مع أبخرة فنجان القهوة ..

وما هي إلا لحظات قليلة حتى دخلت سيدة في مقتبل

العمر، ألقت التحية وجلست .. قدمت لها رئيسة الاتحاد بطاقتي
الإعلامية وسألتها :

- هل هو قريب لك ؟ ..

تأملتني بصمت مقهور ونظراتها اللاهفة تحتلني وأنا في

دوار حيرتي لا أعرف ماذا يحدث ..

وتتلعثم الكلمات على شفثتها ودهشة اللحظة تغسل وجهها
بالدمع ..

- غيث .. غيث كيف لا أعرفه ..
هو ابن أخي ..

تراجع الزمن الى الورا طويلاً وأنا أجلس قريبا في منزلها،
ولذة محمومة تسري في أوصالي.. وهي تعانقني كأُم فقدت عزيزاً لها
.. وأقرأ في ركن عينيها ألف سؤال واستفسار ، وأرمي أمامها كل
أوراق الماضي ، ورقة ورقة وهي تنصت إليّ بكل إصغاء وتحتويني
بدموعها .

- غيث .. ما أضعف ذاكرة القلب البشري

- ماذا تقصدين ؟..

- انسَ ما حدث .. ودعنا ننظر إلى الغد لا بد أن ترى والدك.
صوتك في المذياع يوقظه كل صباح. يتابع برامجك ،
ويدفن دمه في ذاته المقهورة .

- اعذريني يا عمّة .. لن أذهب اليه .

لم تدعني أكمل ، وتركتني بين دوامة حيرتي واضطرابي هل
هو هنا ؟ .. لا يمكن ، ربما يسكن معها .. لا .. أختي ليلي
أفهمتي أنه معهم في المنزل .. وقطعت أفكار عمتي ...

- سيصل بعد قليل .

سامحيني يا أمي.. ربما في لقائي به عصيانا لأرادتك ..

ولكن موقفي محرج والقدر له قدرة نضعف أمامها كبشر فجأة انسكب الزمن دفعة واحدة بكل مرارته أمامي وعمتي ترحب بهم. نظرت اليه بذعر، وتردد وخوف وزوجته تتبعه وأخوتي يسرعون..

خرجنا من دائرة الزمن بين شوق ، وتلهف ، ودمع وقبل تضمنا ونحن نتعانق والوجع يسري بين اللحظات الملتهبة .. أحسست بصوت خفي يهتف بداخلي :

- اصفح عن رجل ضعيف مثله .. سامح قصوره بواجبه حين تجاهلني ..

ربما الآن وضع حملاً ثقيلاً على أكتافه. أتابع النظر إليه، رغم ثرثرة الأخوة وأحاديثهم المتفرقة.. أنظر إليه كما تنظر الفصول الى حقل جاف وتبتسم . ويرتسم وجه أمي بكل عنفوان . صمته وصبره وصور عذابي تتراعى على بقايا أبوته المريضة الجناح ، كل أولادك أحبوك من أجل ذواتهم ، أما أنا يا أبي أحببتك من أجل ذاتك أنت ...

وجه أمي يبتسم ويباركني ..

- قدم نفسك إليه على مائدة الحب والغفران .

تجلس قربي محملاً بثقل السنين ، وزوجتك تتأملني وأنا أمازح أخوتي ، أحس أنها تزفر أنفاساً متلاحقة ونظراتها حائرة بيننا .. ترى هل تظن أنني تعمدت التعرف عليه طمعاً في ميراثه ؟

من الممتع الآن أن أواجه الموقف وأنا أضحك هل هناك
خطأ أعظم من الشعور بأخطاء الآخرين وما أقسى الذي يعطيك من
جيبه ليأخذ من قلبك ..

كل منا يدور في فلك ذاته، وتتساقط الحروف على أوراقتي
نازفة الأعوام التي انصرفت ..

ودموعك تنزف في كياني ..

ترى هل هي دموع الندم ..

أم دموع الألم ..

أم دموع ضعفك أمام قوتي ..

نقي القلب وحده يغفر للإنسان ضعفه .. وفي أعماقي
الصامته كنت أفتش عن شجرة حب شاخت أغصانها ، لأقدم لك
غصناً أخضر من زيتون القلب ويهرب السؤال الملحاح من الجواب
في داخل ذاتي . ترى لو كنت في غير هذا الوضع الاجتماعي ، أي
أنسان فاشل .. مشرّد . فقير هل كان يتعرف عليّ أم يتهرب من
لقائي ؟.

9- محكومون بالفراق

غيث ..

كلما ثقلت الذاكرة بالأحمال .. أرمي أحطابها على الورق
وهو الوحيد الذي يساعدي ويتحمل معي بصمت جميل دون أن
يتذمر ..

صوت أختي ليلى لاهت على الهاتف :

- غيث .. لست أدري ماذا أقول لك ؟
- ليلى .. مابك .. هل حصلت مشكلة مع أمك بسبب التعرف
عليكم ..
- غيث .. فوجئت بعد سفرك أن أبي لم يشاركك في ميراثه
وتجاهل حقك معنا ..
- ابتسمت ببرود ..
- من قال لك يا أختي أنني بحاجة إلى ميراثه ؟.
- غيث هذا حقك مثلنا تماماً خاصة وأنتك حرمت الكثير يجب
أن تحادثه .. أن تذكره .
- طبعاً .. طبعاً لا تقلقي يا ليلى .

بعد فترة قصيرة اتصلت بأبي ، صوته المتعب مرحباً بي
تجاهلت ترحابه ..

- أبي .. كان لقائنا بداية الفراق .

كنت دائماً بعيداً عن العالم الذي أوجدتني فيه ورفضتني منه

..

لقد حولت إهمالك وتتكرك لي إلى طاقة مبدعة بالعمل ،
والدراسة ، والكفاح ..

لست محتاجاً إلى ميراثك . ولست محتاجاً إليك ..

وأغلقت سماعة الهاتف .. وعدت إلى عالمي الصغير وكما
بدأته بنقطة مضيئة في سماء معتمة ، نقطة كنجمة سرية تظللني
بنورها حتى كبرت .. إنها روحك يا أمي أنرف بسخاء دمعة حب
على قبرك الرخامي وأضع باقة من بنفسج حزني لترتوي من ترابك
الطيب ..

منذ خلقت يا أمي محكوم عليّ بالفراق عنه ما أشد غربتي
الآن بعد أن عرفته ..

أمسح سحابة الكآبة المبهمة وأمضي وحيداً ..

يعترض طريقي امرؤ القيس شاكياً ..

- أظن التقيت بك ، لماذا لم تستمع إليّ ؟

تأملته باستغراب كيف عاد في هذه اللحظة سأدير ظهري
وأمضي . لا أرغب بالحديث مع أحد .. وبقي صوته يغني على
إيقاع خطواتي ..

- ضيعني أبي صغيراً
وحملني دمه كبيراً
لا صحو اليوم .. ولا سكر غداً
اليوم خمر .. وغداً أمر
- حين عدت مساءً إلى منزلي .. صوت أخي على الهاتف :
- أهلاً .. كيف حالك ؟
 - غيث .. بخير .. نحن بخير ، ولكن ..
 - مابك .. ولكن ماذا ؟
 - لم أصدق ما سمعت
 - وماذا سمعت ؟
 - أن ابنتك - جمان - تعمل ممثلة ..
 - وهل لديك مانع ؟ ..
 - صوته الغاضب يهدر :
 - هذا يمس سمعة العائلة ، و .. و ..
 - لم أدعه يكمل ما تمليه عليه العادات والتقاليد المحنطة
 - فصرخ .. يعني ممثلة ..
 - وأحسست بغورة الدماء تغلي في عروقي ..
 - حين تستطيع أن تفهم معنى الفن أقول لك ماذا تعني الممثلة
 - وأظن أنها ابنتي ، ولا يحق لك التدخل في مستقبلها .
 - وابتدأت القطيعة بيننا ..

لماذا يحاول البعض نزع الظل من نضارته ، والوردة من عطرها ، والرغبة من داخل الذات الإنسانية وحين تمنح المرأة الواعية حريتها ألا تكون أكثر إخلاصاً لقيمها ومبادئها ، وإلى متى تبقى المرأة ملكاً للآخرين ، ومتى تملك ذاتها وتقرر ما تختار ؟ .. أليست الحرية مسؤولية كبيرة تجاه الفعل والفكر والكلمة والموقف . وهل هناك حرية إذا كان حولها ألف قيد من عالم لا مرئي .. أليس العقل الاجتماعي ، وأصولية بعض الأفكار المتوارثة تقمع المرأة وتحاصرها وتضطهدها ..

ومتى نجدد التقاليد المتوارثة والخاطئة في بعض المواقف وهي مجرد حصيلة باهتة لوجهات نظر الآخرين في زمن مضى . والفكر الأصيل ينبثق منا نحن بالنظر الى حقيقتنا كي نجدد ، ونتطور ..

10- ينهمر الغيم الأخضر

غيث ..

إذا أساء أحد إليك فأنت تقدر أن تنسى الإساءة ولكن إذا
أسأت أنت .. لا تنسى إساءتك .

أه أيتها الحياة .. كم تحملين إلينا من مفاجآت ..
نحن سجناء الضمير ..

السماء تمطر شرابينها النازفة ، وأصابعي تمطر حروفها .
كان لا بد أن أمزق الصلات التي تحاول أن تخرب عالمي .. وأغزل
بدقة تأملاتي على الصفحات الحانية . لست فيلسوفاً إنما سقراط
علمني :

- الدهشة مصدر الفلسفة ، وماهي الفلسفة ؟

أليست هي تجربة العيش أو تجربة الآخرين وحكمتها ..
وربما حكمة معابد أثينا قوة خارقة حين كتبت ..

○ أعرف نفسك

أي تحويل الأفكار من النفس البشرية إلى :

○ عقل . . . وفعل ... وجهد

ما أغربني يا عزيزي القارئ ، عندما أشكو ألماً فيه لذتي

وقوتي.

أليس للرجل القوي .. قلبان :

○ قلب يتألم .. وقلب يتأمل

والذي يستطيع أن يضع إصبعه على الخط الفاصل بين

الخير والشر يستطيع أن يلامس هذب الله .

حوادث الحياة تظهر غريبة أحياناً، رغم أن طبيعتها مغروسة في طبيعتنا ، ولكن جوهرها الحقيقي يرافق السنين والأجيال ..
بدأ الماضي يتراجع رويداً .. رويداً ، حتى يغدو نقطة ذهنية في سماء نورها الحرف .

أليست الكتابة هي حوار مع العالم الخارجي ومضمونها الجوهري رفض هذا العالم ؟ . ولكنها حوار مع الذات .. ومن الذات لنتجاوز العالم بالكتابة .

وربما في هذه الحكاية المغزى الحقيقي لكل ما كتبت .

تقول الحكاية :

أحد الرسامين قضى حوالي أربعين عاماً وهو يرسم . ذات يوم دخل المطعم الذي اعتاد التردد عليه وكان صاحب المطعم يعرف أنه مشهور . طلب منه أن يرسم له باقة ورد في مزهرية ليزين بها مطعمه .

رسمها له حسب طلبه ، وحين ذكر له المبلغ الذي ينبغي

دفعه ، اندهش صاحب المطعم قائلاً :

- كيف تطلب مني هذا المبلغ ؟ .. وأنت رسمتها في دقائق ؟

أجابه :

- صحيح رسمتها في دقائق لكنها تمثل تجربة أربعين سنة في

الرسم .

ترى هل نستطيع أن نكتب إلا إذا كنا في حالة حصار ..
سواء كان السجن نفسياً .. أو وهمياً .. أو حقيقياً ؟ ..

7	طفولة شاحبة	- 1
22	وتتحنى سنبله	- 2
36	قبل أن أنسى	- 3
58	تجربة الجروح	- 4
71	أنت .. أجمل من رأيت	- 5
75	بقايا حنان .. منك	- 6
81	حنين ينهمر العمر	- 7
83	بقي الشوق يتيما	- 8
85	محكومون بالفراق	- 9
95	وينهمر الغيم الأخضر	-10

حكمة طفل

- لم يبِدِ الإسكندر المقدوني في طفولته ترحيباً بانتصارات أبيه حتى أنه قال لرفاقه في اللعب :
- لن يبقى لي شيء أفعله .
 - أجابه رفاقه معترضين :
 - إنما يفعل كل هذا لأجلك .
 - رد عليهم غاضباً :
 - وماذا يعني أن يكون لدي إرث وليس لدي عمل ؟

* * *

ليلى مقدسي

لأننا.. لم نفترق

العنوان: لأننا.. لم نفترق
المؤلفة: ليلى مقدسي
الطبعة الأولى: 2003
حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة

دار المقدسي للطباعة والنشر والتوزيع
حلب -

معاناة كلمة

إهداء

«فيك الخصام. وأنت الخصم والحكم»

المتنبي

ربما لم تهجرني لأن ماضيك يقطن فيّ فكان
لا بد أن أغمّس القلم بدم القلب لأهب الماضي ما
ابتدعته في مواقف البائسة ، قد يكون أدباً غريباً ،
لأنه كتب في لحظات حصار . والحياة تمطر
شرايينها النازفة حولي ..

لكن المحبة والموت يغيران كل شيء .

لا تحزن

سأحاول أن أقود حياتي إلى النسيان

ليلي

القسم الأول

1- فحيح الكلمات 1969/10/16

ربما تكتشفين ذات يوم أن ليس لي قلب، وأنني خدعتك ببهاراتي اللفظية، حينها سأعطيك مسدساً لتعطيني نهايتي.

يمكنني اليوم وبعد أن احتلت قصتنا مساحة أكبر من الخيانة أن أقول: تخليت عن أسلحتي حين كنت أستطيع أن أواجهك بها، لأنني ضد كل فعل فيه ضرر لأي مخلوق، فكيف وقد جسدت فيك ذات يوم كل الكائنات..حنان القلم يتلمس جراحي ولا يشفيها، والعقل والمنطق يدفعاني إلى الهدوء لذا سأنقمص دور الراوية وأنا أكتب وقائع بعض الأحداث بشكل حيادي وموجز. وقد أمر بمرحلة النقاهة، ومخزون الذاكرة بعد ربع قرن ونيف يخرج فحيح الكلمات المخنوقة من تشعبات الأحداث الصعبة، ومجرى الصراعات الكثيرة، وشجرة عمري تنحني وترفض الموت إلا واقفة على قمم شموخها.

- كوني قوية.. حتى أستطيع أن أستمر..

صوتك معي يفجر حزن الليل، لن أخلعه عن ذاتي، وصوتي المخنوق يخذلني، فأجيبك بإشارة من رأسي والدموع

الحبيسة تنهمر.. أرسم لوحدي خرائط للمتاهاات، وثمة نداءات خاصة بي تشدني إلى هوة الانهيار، كل شيء ينهار في خندق ذاتي مما ليس له علاقة بالحب والوفاء، وجرح الجسد قد يبرأ، لكن هل يبرأ جرح الروح ووليمة الكرامة المطعونة التي التهمها لها الطعم المر؟!..

أعاود رشف قهوتي، كما كنا نرشفها معاً، وعودتني أن تحضرها كل صباح مشبعة بنكهة خاصة، دخان سجائري يحترق مع حروفي وضبابية أفكار وأفكار لن تنطفئ حرائقها، كما عودني حبك دائماً.. أحس إنني أتعثر بالكتابة، أتقلب كالطبيعة في برك ألوان متغيرة تحمل كل المتناقضات، كل الغرابة، كل رموز النرجسية، أيضاً كل العطاءات..

الذاكرة بدأت تمطر، ويمطر معها حزني الواكف، والجمل تتزاحم وتركض كركاب في محطة قطار، تضعني وجهاً لوجه معك.. مع وعودك، مع قسمك، مع أفكارك المثالية التي ترسمها في مسيرة حياتك، وفي كتبك، مع رسائلك المكدسة لي..

فاجاني الواقع الفعلي المتغير بعكس تيار ما تحمله من إبداع فكري فأحس أنني أهوي من شرفة ذهول الصدمة، والسؤال يتمطى ناهشاً قسوة الصمت حولي، ويلج علي: ما الذي يدفعك إلى الكتابة؟!..

الأجوبة تعري كلماتي الموجعة بين أصابعي النحيلة، وهي ترمي رماد السنين بين الصفحات، ثم أليست الروايات هي

الأجمل حين تكون تعرية للذات وتصويراً لأدق المشاعر في مجرى الأحداث؟.. فكيف والكتابة إليك ومنك، أليست هي قاتلة وصعبة كما كان حبك في زمن الحب بيننا؟.. ثم أليس من الضروري أن نغسل عكر الذات حتى نصبح أكثر صفاء؟.. وأكثر تسامحاً، أحتفظ بقوتي الذاتية الخارجية كقشور مزخرفة أمام الآخرين. أما الذات الداخلية فتتخاذل وتضعف كطفلة نزعوا منها كل شيء وتركوها وحيدة في غابة مهجورة، تبيكي الأشجار حولها رعباً وهواجس، فأتقلب وفق الأحداث. وبعض الأفكار تدس في ذاكرة متعبة، والأكثر يدفن في سرية الصمت مغلقاً بانفعالات كانت دوائرٍ لأيام مغلقة، أنظر إلى الخلف بلا انفعال، حتى بلا حقد أسود، ولابد من النظر إلى الخلف، لأن ذاكرة الكتابة مليئة بأشياء وأشياء ذات أهمية مما يحتفظ بها الإنسان ولا ينساها.. وتترأى لي طيفاً محبباً، قاسياً، بين الصفحات فأضم قلق أفكاري، بخوفي عليك.. وحزني عليك.. وحزني عليك.. أتابع القراءة لمقاطع من أحد كتبك وأنت تقول:

ألا تستطيع الأفكار صناعة حالات نفسية مطابقة لها؟.. فمن يستطيع تحديد كمية الغضب التي يجب أن تخرج من النفس للخلاص من القهر وتحقيق التوازن..؟
فنعرف القهر في البناء النفسي من أوسع الغرف التي يتألف منها هذا البناء.

وتتابع أفكارك التحليلية في فقرة أخرى:

من الطرافة المظلمة أن يتطابق كثيراً فعل - ساد - مع

المرض النفسي المشهور - سادي - وتتلقى الصدمات بصمت لتبدأ بالحفر لأوسع الغرف كماوى للقهر والهزيمة، فأى فكر بعد ذلك يستطيع أن يعيد إليك التوازن المطلوب؟ أليس عبثاً أن يتكى عليك وجدان الجريمة حين ينتهي من قتلك!؟

هل أناقتك بأقوالك المأثورة هذه، أم ألترم الصمت؟.. علي أن أقفل بوابات التناقض، وعلى مفتاحها أعلق سؤالى:

كم من غرف القهر في ذاتي في بنائي النفسي شرعت؟..

كم من صدمات حفر السادية تلقيت؟..

و بعد أن انتهى قتلى، ألم أترك على وجدان الجريمة متكئة وحدي؟.. والأهم من كل الأسئلة صعقة دهشة ذهولي، وعممة الحبر العتيق تفاجئني أن وثيقة وعدك والتي سجلت مضمونها في بداية الصفحة الأولى تحمل نفس تاريخ يوم وثيقة زواجك الثاني بـ 16/10/1997 لهذه التواريخ المتشابهة رغم بعدها الزمني تفسيراً لديك!؟

2- عبور الذهول

يا حبيبتي.. يا أمي.. يا ماضي وحاضري ومستقبلي، بكل حبي أطلب منك أن تنقذيني، فأنت إحدى الزوايا الأساسية في

قاعة الوجود، وحتى هذه اللحظة التي أكتب فيها الآن أقول:
بأنني لست جديراً بك، وهذا يعني أنني لا أستطيع الصعود إلى
قممك الشاهقة، خلصيني من تشردي، أكاد أجن.. اقترب من
الذهول المطلق !!

كنت أساس قاعة وجودك وفق ما تسطر لي يدك، فكيف
الآن وقد أعدتني أنقاضاً.. انتهت مهمتي معك؟..

وتتابع.. أنك ستبقى وحيداً، مشرداً، ضائعاً على أرصفة
الزمن فيما لو لم أتزوجك؟.. تزوجتك، فهل جعلتني جسراً
لعبورك الثاني.. كيف أنت الآن؟.. وكيف استطعت أن تفتت
الجسور التي حملتك وتعلقها خراباً على جدران ذاكرتك؟..

لا بد من فتح النافذة الأولى من قصتنا ذات الستائر البيضاء
بلون الوفاء، ليطل حبك كشيء خارق للعادة، ورسائل ودفاتر
معجونة بحروف أصابعك وأنت تتوجني - سيدة للتكوين - قديسة
لخلق أسمى معاني الحب والعطاء وبذل الذات.. كل ذلك حدث في
زمن خرافي وأنت تمارس لغتك السرية لتحريك المشاعر البريئة
الخائفة في نفسي الوادعة التي كانت لم تمتزج بالحياة بوعي
كامل.. ولأن شخصيتك مميزة، ولأني حاملة رومانسية رقيقة
عشت لحظة البدء معك، أو حالة الحب، حين بدأ القلب يتكلم فلم
يعد لائقاً أن يصدر العقل اعتراضات، وسادت ديكتاتورية القلب،
وفتحت في الروح البريئة بطهر الصفاء ثغرة وقفت عاجزة
أمامها كل قوى العقل والمنطق..

حدث في لحظة سكونية أخرى بيننا شرر التجاذب حين

أتيت مع أخي تائهاً، مشرداً ضائعاً، وقد نزعوا منك كل شيء، تقاسموا أملاكك، فتهدم مفهوم الأسرة لديك، وتوحدت بغربتك النفسية حين صدمت بمعنى القرابة الدموية، فنفضت مقابر حرماتك المرير، لتصنع فكرك الخاص مشعاً من الجبين الشامخ في رحلة كفاح متعبة ومتعثرة، لتبني تاريخك الشخصي والأدبي بمعطيات أخرى، مختلفة تماماً عن البيئة التي كان انتماؤك لها.. كان وجهك الهادي لوحة تحمل الجمال والعمق، ووقار الشموخ الغامض لرجولة متزنة متعالية، في البداية نفرت من تجهمك، من عبوسك من صمتك التأملي المخيف، ولم أدر أنك تترصدني، وبدأت أتحاشى كل الطرق المؤدية إليك، ثم أفاجأ برسائلك المغايرة تماماً لكل رسائل العشاق، وكانت ذات طابع فلسفي، وجداني، مصيري، مترابط بخيوط واهنة من العاطفة المشعة كحريق، دهشتي ارتباك وأنا أحملق في وجهك لأرسم على تقاطيعه جنوني، وتمردتي.. حالة اللحم التي رسمتها في خيالي لإنسان مثقف وصادق تحققت فيك فتوجتك حبيباً أسطورياً.. أنا التي كنت منفية بين دوائر تصنع محاورها الكتب والمطالعة، والعمل المبكر في مدرسة، وثقل المسؤولية لظروف عائلية تكبر حولي. كنت لا أعيش، كالفتيات في مثل سني، العقد الربيعي منه وكان أجمل ما فيك إصرارك العنيد، جرأتك القوية، صدقك الداخلي، ذهنك الوقاد.. لم تغير الصدق فيك؟..

وكان أقوى ما فيك جاذبية إقناع الآخر بكل ما ترغب حتى وقعت تحت سطوة هيمنتك وسحرك، فحملتني بين يديك كموقف رجولي لتصنع لي حكايتي التاريخية، كيف حدث يوماً وقد منحتك

كل ثقتي المطلقة؟.

كل براءتي الريفية، كل عفويتي الطبيعية، كل بداياتي مع عالم الرجل.. أكان حماقة أم جنونا؟.. أم كنت في مرحلة غير واعية؟.. هذا الحبيب الذي صنعته أوهامي على شاكلة الشعراء والأدباء الذين أقرأ لهم وأعيش معهم وحدتي، فأتفاعل وأنفعل بأفكارهم، بمعاناتهم، بأرائهم فكيف وقد تجسدت أمامي حقيقة ملموسة وفتت أمامها بخشوع مؤمن لأصنع أسطورتني كنت أرفض فكرة الزواج من كل من رغب واغتر بشكلي الخارجي:

أولاً - أحلم بالإنسان الذي يحتل مساحة النفس الخفية ويرافقني في رحلة طموحي الأدبي.

ثانياً- إثر خطأ ما مصدره جهل الأهل حين عدت إليهم من بيت جدي الريفي أفقدني الرؤية بالعين اليسرى والذي يراني قد لا يلح عاهتي، إنما هذه العاهة ساهمت في انزوائي وانكماشني على ذاتي، وحملت بعض الحقد الأبيض لأهلي، لأنني كأنتي أخشى أي مس قد يחדش طبيعتي المرهفة الحساسة ويشعرنني بعاهتي، فأخرجتني بقوة البطل والطبيب من دائرة النقص إلى محورية المواجهة، وخففت الكثير من إحراجي.. من خوفي.. من عزلتي الذاتية حين أنشدتني رائعة السياب:

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
عيناك حين تبسمان تورق الكروم
وتغرقان في ضباب من أسى شفيف

لم أكن أدري أن هذه العاهة ستكون بي قوة جبارة في

انتصاراتي المذهلة على الحياة، وتجعلني أجتاز الكثير من
الخييات والهزائم الذاتية وأنتصر في تحقيق طموحي بعد مراحل
التعثر والكفاح. وكأني أغادر منطقة العتمة لأرى الحياة بعينيك
أنت، ومن خلالك أمر بين فجوات النور الخفي.. هكذا بدأ الحب
بيننا في لحظة انجذاب غامضة، وانبتقت شرارته، وكان الزمن
كله تمهيد لهذا اللقاء.. وقد بدأ من لحظة سجل فيها أثره في
ذاكرتنا مع التوافق النفسي، والاختلاج الروحي، والحرمان
العاطفي وبقي هذا الأثر في خفايانا، ووجدت فيك الصدر الذي
افتقدته في أبي، والحنان الذي أغدقته أمي على أختي الذكور
فوجدت فيك الاطمئنان الأمن لي من حياة متعثرة.. والأسرة التي
تحتاجها أنت وجدتها في.. والمرأة التي أحبتك لشخصك فقط..
وشطبت كل مداخل الشروط التي تحددها المرأة الشرقية للرجل..

النعاس ينزلق إلى الوعي، فأنقاد إلى غيبوبة التخدير من
رسائلك التي تشكل في دفاترنا مجلداً لأروع قصة حب، ولأختم
قسماً للوعد بذكائك الحاد، ونظراتك الحزينة التي شوشت هدوء
نفسي، فتحولت هذه الطفلة البريئة بين يديك إلى امرأة، وعجنتها
بأصابعك بالشكل الذي ترغب.. وتغلغلت إلى أعماقي لتكشف
عالمي الطفولي الخفي وتكتب لي:

(يا أشقى طفلة في العالم، يا عالم الأطفال كم أحببته
وأيتت حاملة جذور صفائه.. سأكون أرضك فازرعني.. هذا كل
رجائي)

3- مغسولة بأجنحة الخوف

نصك يعلن:

(إن الفنان هو نبض دائم لقلب الكون الآتي، فهو يحزن لشيخوخة شجرة ويبكي كثيراً لسماعه أصواتاً يتعرف عليها أصحابها ولا يراهم، وكلما انحشد التاريخ وراء أحلامه يعبر حدائق المرايا الداخلية باحثاً عن وجهه المنسي في عيون حبيبته!)

نبضك الفني الأصيل ألا يحزن لإنسانة وليست لشجرة صنعت لها شيخوختها لتحميا أنت ربيبعك مع الأخرى؟.. لم نسيت وجهك في وجه ذاكرة تاريخنا ألهذا لا تقطع الصلة؟ وتمر على أرض الخراب كل صباح لتذرف دمعته الذكرى.. أين تبحث الآن عن وجهك المغبر بالشر وقد التصق بوجه له نسخ غريب، بعروق زرقاء يتشربه سواد استعمار مصغر لمنزلنا، لأسرتنا؟.. كيف لم تدافع عنه وكيف اغتسلت يداك بالخيانة حين احتلت أرضه وشردت ساكنيه؟.. كل أسلحتي كل حجرتي المنتفضة لم تقف في وقف الخطط الغادرة حتى مددتها أنت بالقوة فاحتلته وسبتك أسيراً أمامي وفقدت قدرتي وأنا أدافع برمقي الأخير جرحت كبطله في قلب أرضنا الطيبة وأعلنت احتجاجي أمام الملائك.. وصفحات التاريخ.. ولم لا تدافع القوانين عن البيوت المحتلة من هذا النوع الاستعماري الذي تجيد فنونه وأسلحته بعض النساء؟.. أليس هناك تشابه بين استعمار الأرض واستعمار البيوت؟.. وهل تعرفني أو تتعرف علي الآن وأنا أجوب خيام

تشردي بلا وطن آمن؟... أسمع صوت نحيب قوتي
المجروحة؟.. في أية مرآة تراني؟ وأين هو نص الفنان الحق
الذي تتحدث عنه في كتبك الملونة بالأفكار الزاهية؟.. هنيئاً لك
ببهارتك اللفظية يا سيد الوعي البشري، أكانت لغتك تؤسس
مضامينها الفكرية فقط؟.. وأنا التي تمسكت بحضوري معك لأنك
فنان، هل خدعني أفلاطون في حوارية المأدبة حين أمنت بها:

**(كان البشر مزدوجي الجنس، فقسّمهم الله إلى أنصاف
تهيم عبر العالم مفتشة عن بعضها البعض، فالحب هو إيجاد
النصف الآخر المفقود من أنفسنا)**

حين وجدتك النصف الذي انسلخ عني دخلت معك مملكة
الفرح، وغرسنا جذورنا معاً.. ولن أحسب إنني سأقتلع من الجذور
وأرمل غريبة... هل كان الحب بيننا حالة غير واعية حين
التقينا؟.. أم اخترعناه لأنك أنت تحتاج لي كصدر أمان واحتواء
وأسروي، وجوعي إلى الحنان كان شيئاً مخيفاً وموجعاً حين
وجدتني أقتات من جفاف ما حولي معلنة بحثي الدؤوب
والمتعطش، ذلك لأنني بعد مرحلة طفولتي المتأخرة، والتي توجت
فيها ملكة لكل دلال العالم، بين مراتع العز في قصر جدي الريفية
سابحة بنشوة حنانه التي وزعت على الأطفال لعادوا ملائكة
رحمة وحب حين كبرت أرغمت بالعودة لعند الأهل، أيضاً
اقتلعت من جذوري لأول مرة ولأجد نفسي في غربة مهملة
مركونة إلى جدران عزلة انطوائية على ذاتي لأنني فقدت معنى
انتمائي إلى الأهل، والذي مشغول ببطولاته العسكرية وانتصاراته
وتمر أيام وأيام لا أراه ولا أحس بوجوده..

أمي منهمة بأناقتها ورفاهيتها فخورة بمنصب والدي تكثر
من الولايم والضيوف والزيارات، وصدور قرار صارم ألا أخالط
أجواء الكبار محاطة بتربية جافة وتأمين طلباتي من الخدم
ومسؤولة عن أخوتي الصغار في غيابها عن المنزل، وكل هذا
أوجدني في غرفة صامتة محاطة بكتبي ولعبي أما مشاعري
وأحاسيسي بعاهتي التي ترعيني وتجلني لا أحد يحس بها.. لا أذكر
أن أحدهم قبلني بحنان، أو ضمني بلهفة الأهل، أو أسمعني كلمة
حلوة المذاق، أتذكر أول مرة قلت لي.. حبيبتي.. بكيت بشدة لأنني لم
اسمعها إلا منك مغمسة بحنان غريب احتلني فرحاً ودمعاً كل هذا
عمق إحساسي بأني يتيمة، أو غريبة عنهم وعن ميولهم وأفكارهم
وطريقة عيشهم.. إن طبيبتهم وكرمهم وحدها لا يكفي وطبق علي
قول الشاعر:

ليس اليتيم من مات أبواه من هم الحياة وخلفاه ذليلاً
إن اليتيم من تلق له أمّاً تخلت أو أباً مشغولاً

فأعطتني أنت ملامح الأمومة الحنونة، ورجولة الأبوة من
الحماية والأمان وأغدقت الكثير من خوابي عنايتك ودلالك حتى
وجدت فيك صورة جدي الذي فقدته، فكان انتمائي المتطرف إليك
ربما لأنك وضعت يديك على جراحي، وعم ذلك كنت مترددة
وخائفة من مغامرة الزواج معك. وتمنيت أن نبقي معاً دون
شروط أو ارتباط مدون في السجلات الرسمية، لأن الارتباط
يعكس ضده بحكم العادة والتكرار أو الاختيار اللاوعي. كنا نلتقي
على مقاعد الحديقة العامة، تقرأ لي من دفاترك رسائل حبك لي
نقترب ونبتعد، نخالف ونتفق، نغضب ونثور، أعود وتعود،

ولأني قليلة الخبرة بعالم الرجل، كنت أرتبك أمامك كتلميذة تجتاز امتحاناً صعباً، ومارست كل سحر لغتك لتجذبني أكثر، وكل أفكارك الخلاقة حتى اجتزت الامتحان معك بتفوق، وساعدني عنف موافقك، وقرارك الحازم، وأنت ترسم لي فضاءات وفضاءات لأحلام مستقبلية يرتسم بين ظلالها لهات الأمل للعيش في - باريس - منبت الأدب والفن والشعر. فتقلصت عائلتي في شخصك، ورحت أتفاني في إثبات شخصيتي كإنسانة قوية مثقفة ولنتعاون معاً ونؤسس من اللاشيء طموحنا، وكنت كعشتار بشخصيات متعددة، أتقلب وفق نزواتك ومزاجك فكنت - الأم.. والصديقة.. والأخت.. والحببية.. والزوجة، ونبذت عن الزوجة كل ما هو مألوف ومعتاد في تكوين المرأة من نزوع إلى التملك، والغيرة، وابتزاز المال، وغواية الرجل، وشطبت كل الأرقام التي تسجل من الذكر لتحمي مستقبلي معك، فالبداء كان كلمة وعد صادقة، ولم أتوقع أن تكون النهاية في نزعتك التناقضية والتي هي احتمال خفي في قدرتك المذهلة على تخطيها، والقدرة الأكبر لديك أنك تبحث عن تعويض لحرمانك وقهرك التاريخي فكان النزوع الأناني لكل شيء ترغب وثقله الأكبر حمل مبدأ لم تستطيع أن تحطمه في مواجهة الشهوة الجارفة التي كنت أجهلها فيك، ولم تزدها في النهاية إلا انحرافاً نهماً، لأنك بترت كل شيء في حياتك من أجل وجعك المنخور في جسدك ن وأنا التي عشت مراهنقتي في دير لراهبات وتطبعت بمعاني العفة والطهارة، وبذل الذات والتضحية، ومفهوم الخطيئة يكمن في القول. والفعل والفكر. فهل كان لحبنا أن يستمر؟..

4- ورقة للزمن

كيف استطاعت أنا ملك المعجونة بصلصال وجعي أن

تكتب:

(إن الإنسان يملك الحق أن يعتذر عن كافة الأخطاء التي يرتكبها، إلا أنه لا يملك القدرة، وليس له الحق في أن يعتذر عن الألم الذي يبعثه في نفس من يحب، حين يجن بحب هذه النفس)

كم من الزمن يلزمك لتحصي كمية الألم التي تركتها لي؟.. وأنت ترتكب ضدي ولأجلها أفسى جريمة إنسانية على مرأى من الجميع أنسيت قولك: (أبقتل الإنسان من أحبه؟..) وهل اعتذارك في كل زيارة صباحية لي يكفي لتعويضي أو لتخفيف آثار الجريمة التي كنت مسببها وتردد قولك.

- كوني قوية.. لن أتخلى عنك.. لن أمنحك ورقة الطلاق، ما أهمية هذه الورقة المسجلة رسمياً، والوهمية فعلياً.

ألا يمارس خلفها كل ما نرغبه؟.. ويلغيها الرجل بالسر والعلن متى يشاء؟.. وهل تعتقد إنني أستطيع التعايش مع تجربة أخرى، وقد أفقدتني كل مفاتيح الثقة من ذات شنتت قيماً عظيمة وكبيرة.. وقد اظلم الآخرين فيما لو قلت: كل الرجال الشرقي مضطرة من خلال تجربتي أن أختصرهم بشخصك أنت.

وكيف تريدني أن أكون قوية وقد جردت من كل أسوار قوتي؟.. من كل الأشياء. من أقدم الأشياء.. فما أشقائي وأنا

أجلس وحيدة أمام حقائق الحب المقفلة، وقد طردت بقرار ذكوري واعي معرفي إلى شرفة زمني الآخر وفقدت أعز الأشياء، وكل ما أمتلكه الآن ذاكرة تنوء بثقلها، ونصوص كتابك الإبداعي تقول:

(إن التوازن داخل الإنسان موجود ومفقود، موجود في الطبيعة، مفقود في القيمة، بسبب كثافة الوعي والحلم، فصور الرغبات المقموعة والأحلام المستحيلة التحقق تدفعه إلى التمرد)

أراني وجهك الآن، حرق في وجهي جيداً.. كم كان موجزاً في فرحة معي؟.. كم كان بخيلاً في هدوئه معي؟ كم كان مسترسلاً في غضبه وعبوسه، وكم أفقدتني متعتي بالأشياء، وحين طمس بصور عذابي أكاد الآن لا أعرفه.. وهذا النص الذي أخرجته ودونته أهو حيادي؟.. أنت عادل به؟.. إذن كم من الصور والرغبات والأحلام المقموعة خلفتها لي؟.. وبناءً على نصك المدون ألا تدفعني أنت إلى التمرد؟.. الأيام القاسية التي خلفتها لي تشهد إنني قريبة إلى حد الالتصاق بكل ما تصوره وتقرره بأفكارك الخلاقة، وبعيدة إلى حد مؤلم عن كل ما يمارس من حياة طبيعية بين زوجين، أكنت تنسى أن تعاملني كزوجة والأن تعلمت كيف تتنفس مناخها؟.. لا تقلق لن أطبق نصك، رغم من حقي أن أطبقه وأنت صانعه، إنما قاومت حتى مجرد الرغبة بالتمرد، بقرار ذاتي لاعتبارات أهمها:

أمومتي ووفائي لمبادئ، ولا تنسى أن المرأة المهجورة في

مجتمع شرقي أقل رغبة في التمرد، وأكثر صعوبة لن سياسة الرجل القمعية ما زالت تمارس في كثير من الأحيان.. ألا يهتز العالم لصوتي، ويغتسل وجودي بصمت الحزن، وأنت تجعلني أحيا في أغرب حدث يمر بأيام من تناقضات، وأناية، ودورك كالمفرج الشغوف بهذه الأحداث، قررت أن أتحاكى النظر من شرفة زمننا الآخر لأتابع الكتابة فنزيف الذاكرة لا يهدأ..

كيف أكتب وقد انتهى كل شيء وما أكتبه الآن ليس له علاقة بما كتبت وبما طبعت من كتب، لأن الحروف حية غاضبة ترتبط بالحدث، بالتاريخ، بالذاكرة، بالإنسان المثقف المحب.. وأهم ما ترتبط الجريمة النفسية.. وهل يروي حبر العالم ما يعترى الذات من غليان وقهر وانكسار؟.. أرتعش الآن من التعب، أرني وجهك أكثر لأنني اكتشفت وراء صمته المرعب خفايا أشياء وأشياء، وتخطيطاً بارعاً لأشياء كانت تحوم ضمن دائرتكما المشتركة بإتقان مذهل وواع للأحداث.. أهنتك.. وأهنتك بها.. كنت بارعاً في انقيادك إليها وهندسة المصير المستقبلي، وربما هي أكثر براعة وفطنة لأنها المستفيدة ولأنها تمثل معنى العدالة الإنسانية للمرأة المتزوجة المحتملة، ولكن كم ستظلم أبرياء في شهادة الحقوق التي ستهز العدالة لتحجرها العقلي والأناني وكما جعلتني يوماً أغادر منطقة العتمة من حياتي القديمة المنزوية أعدتني إليها الآن حاملة ثقل تجربتي معك، وثقل الزمن، وثقلك على سنواتي لتتحرر أنت وتخرج إليها بوجه أكثر مراهقة، وبقلب أكثر قسوة لا ترى أبعد من مشروعك الجسدي المغلف بوهم ثقافي معها.. لو صدرت الأحداث من جهلة يعيشون ظلمات

التخلف لعذرتهم أما أن تقطع ورقة من شجرة الفن المقدسة ليستر بها العري الذاتي، هذا انتهاك وظلم للفن، وأظن (سيمون دي بوفوار وسارتر) مؤسسي الوجودية لم يتعرضا لهذا الموقف اللاإنساني الموقف المغلوط لمعنى الحرية..

5- مسارات الوجد

حبيبتني

لم أشعر في حياتي بمثل فقدان الذي أشعر به اليوم،
بي شوق إليك يا مطهرتي، إني بحاجة ملحة إلى خناجرك
المقدسة.. يا الهتي.. سأغادر باريس يوم الاثنين.. سأركع على
قدميك أيتها المطهرة..

باريس/ السبت 21 تشرين 1970

أتحس الآن بمعنى فقدان الذي تحول لي من ذلك الزمن،
لا أظن وخناجرك المسمومة حول عنقي؟..

بعد تجربتي الطويلة وعيت هل كنا على طرفي نقيض؟..
وهل يبحث الإنسان عن نقيضه في لحظات ضعفه؟.. أم الضحية
تحوم حول قائلها؟.. دخلت مغامرة الزواج رغم المعارضة، رغم
صعوبة الظروف المادية.. وحققنا المعجزة في بيت صغير عتيق
لا يتسع إلا لأحلامنا، ومقاعد حبنا المهترئة. أثبت موقفي المتمرد
لأجلك ومعك. لأن روح المغامرة كروح الفن تنتقد في الظروف
الصعبة، وتشكل حرائقها أمام الملاء، متجاوزة كل العرف

والمعتقدات مسلوقة إلى خوض مغامرتي المجهولة والممتعة. فترة وجيزة معاً. ثم سافرت إلى باريس. لتحقق حلم العيش هناك وفق أوهامنا التي خططناها وبمساعدة أحد الأصدقاء رفضت والدتك وداعك بعقليتها البسيطة الطيبة ظناً منها أنك لن ترجع. أفاًجاً بعودتك السريعة قبل أن استلم رسائلك، لماذا يصير الدمع أن يحوم في مقلتي، لأنني أحمل مرثي الفجيعة؟.. أم لأن دوالي عناقيد عشقنا الأسطوري قطعت بلحظة مباغته؟ وقتها تسرب جنونك بقرار فاجأ صديقك وأنت تصر على العودة إلى الوطن رافضاً كل مغريات البقاء ريثما ألحق بك. صديقك مذهول أمام الرؤيا التي حدثته عنها، وألحت عليك بالرجوع الفوري. وعلى عتبة منزلنا وقفت مرتبكة أشهق بالدمع وأنا أراك أمامي لم تحتضني بشوق الغياب، بل مسقط سؤالك العجيب للحظة دهشتني، كيف أنت؟.. متى خرجت من المشفى؟.. أجمل ما انفرط من صور أمام ذهول دهشتي، حديثك عن الرؤيا الحلمية التي تراءت لك وكان ذلك واقعة حقيقية لي في المشفى.. أكان هذا التخاطر يتمشق صفاء روحينا عبر المسافات الشاسعة؟.. عدت بقوة دافعة، لتبدأ مرحلة العمر.. مرحلة العمل والكفاح. والضجة التي أثيرت حول زواجنا بدأت تهمد ثرثرتها قليلاً. وصمدت أمام كل ما حدث حولي بقوة مضاعفة لأنك معي. ولأنني أجد معك كل الأشياء الهامة القيم والأفكار. وأهم ما سوف أحققه شيئاً مقدس هو الحب المتسامي فالحب لدي فعل وموقف ثابت، وعاملتك بهذا المفهوم ووفق ما تشربت من تجربة (المسيح - بوذا - طاغور) وانتعشت بمعاني التضحية والعتاء والبذل لرغبات من نحب دون شروط وبذلك انتصرت على فكرة (الأنا) وهذا نابع من طيب

سمح في تكويني وعفوية طبيعية محاور الحب هذه أبعثتني عن التصنع والتكلف، وخبث المرأة الماكرة، وبدأت أجتاز معك مرحلة التلميذة المترددة في طقوس الجسد، وحدثك أدخلتني هذا العالم الغامض بمشاعر الخجل، والارتياح.. أو ربما أيضاً الغباء.

وكل محاولة للخروج من عالمي الطفولي فشل لي وبنعكس على سلوكي العفوي لأن هذا العالم هو أهم مرحلة وأحب مرحلة عشتها، وبقي منزوياً في عالم اللاشعور لا يكبر وحرصت على براءته والاحتفاظ به بقدر ما أحببته، لذا كان من الطبيعي إن اهتم باللعب التي تعيد لي هذا العالم المفقود والموجود، فحملت معي كل لعبي إلى منزلنا، كما تحمل أية فتاة ثروتها ومصاغها وجهاز عرسها ومازالت معي في منزلنا الحزين تنتظر معي ويحلو لي أن تخرج مني الطفلة المشاكسة معك لأنك عودتها أن تكون الصدر الحنون، والقلب الكبير الذي احتواها، وتفهم أدق أحاسيسها وسلوكها، وحين أحرد غاضبة تعود ومعك هدية صغيرة تقطع ثمنها من مصروفنا اليومي، فيبتسم في وجهي كل الصفاء من وجود أطفال العالم قلت لي:

- أما زلت محتفظة بزجاجة العطر هذه؟..

أجبتك:

- هديتك في أول عيد ميلاد لي بعد زواجنا

- لكنها فارغة..

- شذاها معي منذ ربع قرن.. ألا يتسرب إليك؟..

- حالة الخجل في بداية زواجي تربصتني عكس الفتيات

اللواتي يتبهين بهذه اللحظة ورافقت إحساسي حين حملت
بابنتي كنت أرتبك من بطني المكور هذه الحالة لم أتخلص منها
بسهولة وآثارها مستفحلة في شخصيتي وتعكس خلجي في
مواقف كثيرة كيف تغادرني الحروف؟.. كيف تحتل مساحة من
الصفحات؟.. ثم يعود القلب لاستحضارك رغم محاولاته ليفرغ
منك.

ليعذر القارئ تطرفي، فما أوجع أن أعود به إلى جثث
محنطة، بدل أن استدرجه ليقرأ أشياء حية ومشرقة.

مشاعري المنذورة للجنون تصادر حبر القلم وتعلم
الحروف، والأحاسيس الذائبة شموعاً للخجل وللرقة المفرطة كم
تعذبني، وكم عذبتني أنت لأنك لم تتغلغل إلى أشيائي الناعمة
الشفافة، وكلماتي المهذبة، ولا شيء يعينك خارج حدود مشاعرك
أنت، جسديك أنت، كلماتك أنت..

كيف أبدأ قصتي، أم إني بدأت؟.. إذن كيف تنتهي؟.. فأنا
مع فوضى الأفكار وشغب الذاكرة. واضطراب الأحداث، لأنني
لا أكتب قصة ولا رواية، ولا مذكرات إنما أكتب حياة بأكملها،
حياة بكل ما حملت من تناقض وعنف وقشل، وغرابة وغدر
وحب فمشروع كتابتي احتمالات لأي نص يتدرج بين الماضي
والحاضر والمستقبل الغامض الذي خلخل توازني النفسي.

حين أتحدث عنك إنما أتحدث عن نفسي التي قلبت لها
حياتها بعد ثمانية وعشرين عاماً، وتركنتني قبل النهاية، لتخلق
بداية أخرى لها نمطية الغرابة أكتب ليس لأتحدث عنك وعنك

والماضي بيننا، إنما أكتب الحالات التي تداخلت، وتفرعت، واشتبكت مع الحاضر، لأن الكتابة وحدها قادرة أن تصالحي مع العالم مع الأشياء ن مع نفسي التي تاهت في زحمة قطارات العمر. قد تدهشك كلماتي، وتروعك أرائي، وتحزنك لغتي، لا تستغرب فأنت الذي اخترت لي قدرتي المدهش هذا، وما زلت بإصرار تفتتح يومي بمجيبك، لتطمئن على حالتي، أو لتقيس مدى طاقتي في احتمال الصدمة وتملي على قائمة توصياتك المعتادة كأية سجينه مرهونه:

- اهتمي بصحتك .. كلي جيداً .. ككفي الدمع ..

وتختم قائمة التوصيات بتوقيع صك وعد جديد:

- أنا معك. لن أتخلي عنك ..

- ماذا بقي لم تتخل عنه؟.. وقد تخلت عن أعظم الأشياء، وأقدس الأشياء وأهم الأشياء بيننا؟.. ألم تحرق أوراق العمر وتزح مكاتي الأولى حين بدأت دهشة عشقك الشراري للأخرى؟

من منا أحببت؟.. لمن أخلصت؟.. لمن تمنح الآن؟ مع من تعيش؟.. أبسطة تستبدل حباً رعيناه طويلاً بحب طوقت به كالحصار فكنت المحتل والمستلب من منا الأصلية؟.. من منا المزورة؟.. أشهد التاريخ خراباً بأكثر من خرابنا؟.. أشهدت قصص الحب قصة أغرب من قصتنا؟..

أكان يفرحك دمعي الواكف، وصراخ احتجاجي الحاد، وصديقتك المقتحة تزداد التصاقاً بمنزلنا وتعلن موقعها رغماً عني:

- إنه صديقي الفكري ...

أنظر إليك برعب حقيقي وأنت تدعم موقفك معها:

- هل فقدت ثقتك بي؟.. إنها صديقة، وكابنتي تماماً.

أحقد فيك بدهشة، أكل ما أراه وكل ما يشاع، وكل ما يمارس بوجودي أو هام وأكاذيب؟ إذن أين الحقائق؟.. وهل الحالات الفكرية نفترض كل ما يحدث؟.. الثقة بدأت تفقد أركان ثباتها شيئاً فشيئاً مما اضطرني أن أفقد الثقة حتى بالذين احبهم والذين أمقتهم على السواء، لأنك أدخلتني مرحلة خطيرة من الشك بكل شيء..

وجهك الطيب المغسول بصفاء الصدق، تغير وأصبح يشبه وجهها تماماً.

وعكر الغدر يفصح تعابيره، وخطوط التآمر السرية ترتسم على معالمه كلما نظرت إليه الآن أستعيد ألم الطعنة وفيها نزيف دمعتي ودهشتي أين احتجب وجهك الواضح الذي ألفتة، ولم يزداد غموضاً واضطراباً، والقلق يتغلغل إلى صفائه؟..

وتدخلني في تشعب تفاصيل وتفاصيل لتبرير فعلك ولتقنعي بمفهوم صداقتك معها أليس تبرير الشيء يعني وجود خطأ فيه؟..

وكل تبريراتك اللامنطقية هل تغير الواقع؟.. إنها تزيد الأيام تعباً، واللحظات انفجاراً، وكأنني أتعرف عليك لأول مرة.. قلت ببساطة لي:

- أيقظ لأخيك أن يقيم في منزلنا، ولا يحق لصديقتي؟..

دهشتني تحاور وجهك الجامد بتعابير وهمية، هل لديك شرح مقنع لهذه المقارنة؟.. وأنا غير مصدقة ما يحدث؟.. وهل هناك ضرورة لتعلن تحديك لأسرة وأنت تطعمها بيديك، وتلتهمها بنظراتك طوال فترة وجبة الغداء؟.. وابتكت الجامعية تراقب المشهد الرومانسي باستغراب، وأخي الضيف يترك الطعام فجأة ويخرج لتعاشي لحظة الاصطدام معك، وتجيني بسخريتك الموجهة:

- إنه لم يحترم صديقتي كما يجب ...

كان حزني فريداً وفردياً كخيبتني معك، وسافر أخي بلا وداع، وازداد توترني من مواقفك المعلنة والغريبة، والأغرب أنك تطمس حقائقها إلى أي مدى أنا قادرة على محو تلك الأيام من ذاكرتي؟..

ومتى أستطيع أن أشفي من جروحي؟.. وحضورها الدائم في المنزل بدأ يؤثت، وحالتك النفسية بحضورها مدهشة بالفرح، ولغيابها طلاقات غضب عشوائية، والألم يضطرنني إلى الهبوط في أعماق الذات وأنا أجرد نفسي من كل المشاعر، مدحورة بنفاهة حياة يومية، مقببة، كنيبة ومرقمة.. لأنك بدأت تعطي بأرقامك المالية، ويديك تمتد مملوءة بغرور الكبرياء والتمنن، وزوبعة المال بدأت تحتل مساحة الخوف من حسابات غير متوازية، وغير عادلة وتحسني بحالة انكسار مزوجة بقشعريرة البرد الخالية من دفء عطائتك القديم، أي جدوى لعطاء الآن سأقدم

له مفردات الشكر والعرفان بالجميل لأنك صرفت على أسرتك، كم أصبحت متطرفاً وقواعدك بدأت تتزحزح مع حساباتك الدقيقة المشددة!.. وكنت قاسياً في الليالي التي تدور بك وتدور الخمرة برأسك وتجرح شفاه الساعات وتوقفني فغي منعطف زمن خطير ومرعب، وبدأت أحتمله بأعجوبة وأنا أخوض الزوابع والأعاصير.

هل الحب يعني أن نتخلي عن القيم، والعطاء، والقوة، وقوتك بدأت تضعف وتضعف حتى تتلاشى معها، وكيف انصعت لهذا الموقف الاستسلامي؟..

أين اخنفت حماقاتك، وعنادك، وجبروتك وأنت تتغير معها ولأجلها.. وهل الأشياء تغيرت أم أنت؟..

أجمع الجمل المقتضية وأعريها من التجريح وأنا أخرج بعض الصور التي تجعلني أحس أنني أعيش الحقيقة وأنا أكتب، عبارة قالها - كافكا - هذه العبارة ساحرة:

(ما معنى أن نعيش الحقيقة؟ معناه ألا نكذب، ألا تخفي، ألا نكتم، والعيش مع الحقيقة عدم الكذب على أنفسنا، أما على الآخرين غير ممكن إلا إذا عشنا بعيداً عن الناس)

ولأنني أعيش في بعدين عنك وعن الآخرين، التقط صوراً حية من منزل تحول إلى جحيم بوجودها، وتمارس فيه الحياة وفق تقلباتها المزاجية، واقتراحاتها العشوائية، وتنص القوانين وتصدر القرارات منها من أصغر شؤون المنزل إلى أكبرها أهمية، حتى لم يعد لي متسع فيه، وكأني عبء ثقيل مرفوض

وقدر أشعلته إلى حد لا يمكن التمييز بين الممكن والمستحيل، وبين المعقول اللامعقول فانزلق الألم إلى العين المريضة ليفجر بركانه خلال الأربع سنوات ومازال مستوطناً إلي الآن، هل هناك قوة لتمنع مفضوح الألم القاني بين رموش متهدلة علية كنت أسمع أن الإنسان يبكي من سكين الألم حين يفقد طاقة احتماله.

ربما لأم أصدق حينها هذه المبالغة إلا أن عشتها وبدأت تحضر بصماتها التي لا تنسى وقدر شكلت بنيتها تفاصيل الحروف السرية والاستفزازات المجنونة تمارسها صديقتك معي، وأنت تبررها وتبرئها، وأنا لا أسيء الظن ولكن أنت الفائل في فقرة من كتابك:

(لا يوجد سوء نية بريء، التعمد هو وعي معرفة سوء النية الممارس ذو دلالة كبيرة على وعي السلوك)

أليست النية مسبقة بمعرفة، فما هو تفسيرك الآن لما حدث؟.. ما زلت واقفة بين هزائمي غير مصدقة حدوث أشياء كهذه؟.. والقيم تنسف، والمفاهيم تتدهور، حتى توصلنا إلى الحد المخيف من اللاعقل، وتركت الجانب اللإنساني ينتصر، وأنت توقع لها صفقة مالية بارتباطها المشروط بك زاحفاً وراءها.

أكنت تختصر ثروتك لهذه المناسبة السعيدة؟.. أليست الأرقام لها ثقل ما حدث؟.. لو كنت بلا أرقام مالية وأنت في هذا السن هل تقبلك كما أنت؟..

لم تدخر لي البعض أو القليل حين اضطرت للسفر إلى باريس في محاولة لوقف نزيف الألم عند أحد اختصاصيي

العيون؟..

كنت بين ضباب دمعي أحمل بطاقة السفر من أخي،
وصديقتك عدلت موقفك معي قائلة:

- المفترض أن يساعدك أخوتك.. هو لا يملك ثمن علاجك

نظرت إلي بلاهة القسوة في وجهها، أجبته ببرود:

- من يعالج والدتك أثناء مرضها زوجها أم أخوتها؟..

ردت بحماقة أكبر:

- حين أتزوج من خلال تجربتي أعطيك الجواب.

ورفضت إعطائي أي مبلغ حتى لا تغضبها، مدعيًا أنك لا
تملك، واكتفيت أن أغدر المنزل محصنة بكبرياء القهر أن أتملك
بحزن عميق، وهي ملتفة حولك تزحف على قمم انتصارها، كم
أشفقت عليكما لهذا الضعف في لحظة العطاء الضرورية.

أعيش الذهول فيما حدث وبما فوجئت من وقائع، لهذا
كنت محتاجة إلى إنسان ما.. إلى قارئ ما.. لأفصي له، لأقرأ
قصتي في نفس غير نفسي، لأن نفسي كجدول فسدته ماؤه
وتعفن.. ربما أنا بحاجة إلى تجديد، إلى غسل كل الأدران، إلى
مصالحة مع نفسي العكرة رغم الصعوبة التي تعترضني في
السرود وتذكر أهم الأحداث..

6- الزائر الكريم

لا بد من العودة لمصيدة كلماتك التي تقول:

(كيف يشد الحبل حول عنقك؟.. كيف تفقد قدرة النظر إلى أبعد من لحظتك؟.. وكيف لا تستطيع الخروج مرة أخرى إلى الحياة؟.. وكيف تتراجع كمنذب يتمنى السماح خوفاً من عقوبة أكبر؟..)

تشعرنى بالخيبة وأنا أقرأ كلماتك، هل علمتك تزوير أفكارك وأنت تضع توقيك عليها، وتتركها أثراً للتاريخ.. أليس هذا مستغرباً؟..

كم من الحزن يحتلني لأن أفكارك لم تتطابق مع واقعنا المعش، ولم تساهم في شفائها من الأمراض النفسية؟.. أكنت مسكوناً بالذنب حين صممت أن تعاودني بزيارتك الصباحية، أم كان موضوع زيارتك خوفاً من عقوبة أكبر؟.. ولكن أليست عقوبة كبيرة لك أن تدمر هرم منزلك؟.. وأن يرتبط إنسان مثلك بإنسانة غير متطابقة معك؟..

وتفقد كل شيء معها وهل تستطيع مهما ملكت من قوة أن تعوضك عن الكل المفقود، ألم تعزلك عن الجميع وتنتزعك من أقرب الناس إليك؟.. وطابعك المربك أمامي بعيد كل البعد عن حقيقتك التي أعرفها، لا أظنها مثلك مسكونة بالذنب، بل بهواجس انتصارها وحماقاتنا المفضوحة للمجتمع والإنسانية، صحيح في هجمتها لحظة انتصار مشبعة بالأنانية ولكن هل فيها رائحة

مستقبل آمن؟..

صوتك يهاجر لحظة الغيبوبة ويمس ألمي الدفين..

- أنت معي.. لك جزء مقيم.. دائم في خيالي.. قلق
لوحدهك هذه.. لا بد من حل..

وتعلن انتهاء زيارتك المحددة بقبلة على جبيني، بعد أن
تضع لي الترتيب الذي يلهيني كطفلة - بعض الفاكهة، بعض
الكلمات الناعمة بعض علب الدخان، بعض النقود معونة شهرية
عوضاً عن اللعب والدمى، أتخاف أن تبكي الطفلة وحدثها؟..
وهل تغري اليتيمة بالحنان أم بأشياء مغرقة بماديتها؟.. أترجع
الآن كمذنب، وتحاول أن تفتح في نوافذك لوهم فرح لتتسبني
واقعي المعيش.. أشيعك صامته وفورة الدمع تسبقتني وأنت
تغادرنى إلى منزلك الجديد.

أكان وجعاً أشد لقصتنا من هذا اللقاء الغريب، والفراق كل
صباح وصور وصور تزيد كمية الدموع وتعادل الخمسين عاماً
في زمن لم أبك فيه، كدموع كبريائي الجريح الآن؟..

كم يلزمني لا غفر لك؟.. وكم يلزمك لتجعل تاريخاً جديداً
يولد بيننا؟ ترى أنخون زوجتك وأنت تنفرد بي كل صباح في جلسة
صداقة بريئة مع أبخرة فنجان قهوتنا القديم كطعم حينا المر مذاقها
الآن.. أيها الزائر الكريم كم بهرني الزمن بك ! فكيف الآن
تتجاهلني، وكيف لم تترك لي إلا حنانك الشاحب ليلتف على معصم
الساعات القليلة المتبقية لي منك؟.. لا أعتقد أن مشكلة التجربة التي
تعيشها جعلتك تكتشفي الآن، وكأنك لا تعرفني سنين وسنين طويلة،

وتتلمس المساحة المتبقية لي في ذاكرتك وتقول:

- كنت دائماً نبيلةً معي الأشياء التي كنت أنتظرها منك،
تولد دهشتها الآن وتأخرت كلماتك الناعمة كموسم الزيتون..

كل ما عايشته من زمن معك، وكل عرفته عنك، لم يولد
حالات الانسجام والود التي تولد الآن.. أنظر إليك بدمعة أم..
وظفلها الوحيد هارب أبداً..

كل صباح أرتدي جلباب حزني، وواكف دمعي يستقبلك،
لتهنيي آخر وأغرب قصص الجنون..

7- مساحة للأذب

ألست أنت القائل:

(الرغبة في تحقيق الرغبة لا تعني الحرية، ولا تعني أبداً
ممارسة الاختيار)

كيف لم تطابق مقولتك معي؟ ألم تتجاوز مفاهيم الرغبة
والحرية وممارسة الاختيار؟.. يذهلني هذا الكلام ويوصلني إلى
حد الشفقة عليك وأنت الذي ركض الزمن بك إلى موعد حب
وهمي، مبهر، استسلمت له بلا جدل وانحزت مطواعاً إلى تنفيذ

مقرراتها والشروط المقترحة لاستمراركما فهل كنت تحسب بدقة النتائج؟.. لا أتوقع ذلك لأنك كنت مندفعاً في اندارك دون الحذر من السقوط، والذاكرة تنبهني إلى بداية معرفتنا بها وسؤال أختها المتعجب، حتى الآن لم تحصلي على أي مبلغ؟..

تتشعب الصور بتطرف حتى تصل بي إلى حدود تحذيرك مما يخبئه الغد؟..

تراني من يومها بدأت أتوجس خفية؟.. وأية صداقة تلك التي تنتمي إلى الأخذ؟.. رفضك الحازم لصوتي تكور في غصة جامدة، وأنت تسخر غير مبالٍ بإشارات تحذيري، إلى أن ركضت الأيام ووجدت نفسي محاطة بالخاوف عليك، لأنها وصلت بك إلى أن تختار بين أمور ثلاثة إما أن تتزوجها، أو تنتحر، أو تصبح مجنوناً..

لحظات مراقبتي بصمتها الطويل تسجل مطاردتها لك بالأسئلة، ويورطك فضولها بالكشف عن أفكارك عن خصوصياتك عن مكونات حياتك وعلى هوامش أوراقها تسجل فصلاً منك وعنك، وتجمع في رواية قصيرة تطبع باسمها، مضمونها الحديث عنك، وفحواها أقولك وأفكارك.. والصفحة الأولى تحمل سيمفونية أزلهما العشقي لك ضمن إهداء بصوت معلن.. من حق الكتابة أن تبكي الزيف، من حق الصدق أن ينهار من حق الرموز أن تتزعزع، وللحب كل الحق أن ينتحر عزيز النفس.

قلت لك:

- قبلك لم تكن كاتبة روايات..

فاجأني استهتار جوابك أكثر من روايتها:

- ألا يحق لها أن تكتب عن إنسان مثلي؟..

أنت وكل سنوات عيشك معي لم تدفعك للكتابة عني !

- أيقق لنا أن نستعير أفكار غيرنا لنكتب؟..

يحزنني كيان الثقافة الأصيلة حين يتداخل في مفاهيم وأهمية لثقافة مكتسبة، ووفق هذه المعطيات علي أن أنهي الأسئلة حتى لا أتطرق لقسوة الأجوبة.. وبدأت أغوص في بحيرات صمت مرعبة وتيارات الاستغراب تلف هذا اللغظ الفكري والسلوكي الذي يزداد كل يوم، وأنت تزداد تشبهاً بها متجاوزاً كل حصانة للأسرة آمنة حين تطرفت أفكارها وفق منطق عبثي وانعكست على الحدود السلوكية اللامبالية قلت لها:

- خففي قليلاً هذه الحماقات المؤذية.

تأملنتي باستهتار، وبغياء الرد تقول:

- أنت دكتاتورية. إنني أمارس حريتي وليس من حقك

قمعي!..

لابد من أن أتحمّل وحدي مسؤولية هذا الانحدار العاطفي والسلوكي الذي يمارس لأنني معك لم أحمل أسلحة القمع، والسيطرة، والتملك، والغيرة العمياء كأغلب الزوجات، وكان آخر سلاح رميته هو عدم الضرر لكليهما

لذا كان لك الحق في مشروعية هذه الحرية. وتلك السلطة،
وكالطفل الوحيد لأهلها لا يبالغ في دلالة وتلبية رغباته وتعميق
إحساسه بالإنانية؟.. ولكن كإنسان مثقف ومبدع ألم تسيء معها
المفهوم الحرية؟.. ألم تتماذ في نفس أطر الحياة الزوجية؟..
جرحي بدأ يتوضح للجميع، خاصة بعد صدور قرارك الحاسم
بالتعاش معنا كصديقة، يزداد حزني لأنك أصبحت معطوباً مثلها
وقد قادتك إلى رهاها الطاحنة، وصوت أحد الأصدقاء ينبهك:

- بإمكانك الاستمرار معها بعيداً عن منزلك الزوجي.

أجبتّه بمنطق معاكس رافض أي حوار:

- هذه خصوصيتي، ولا أسمح لأحد بالتدخل..

وأصبح منزلنا يفتح تلقائياً لحضورها المستمر كفرد من
العائلة، ولم ترحم ما عثت فيه من خراب، وعقاب إصرارك
العنيد يجرح الأحاسيس ويعلن لي:

- معها خلفت من جديد

هذه الأحاسيس المعتلة أوصلتني إلى حد الغثيان، فلا أظن
أنها تستحق غيرتي.. وتملي علي قائمة جمالك:

- أعطيت الكثير من عمري وتعبني من حقي أن أعيش
حياتي وفق ما أرغب وتجربتنا الثقافية معاً سيتحدث عنها
التاريخ..

صوتي ضاع في متاهاتك وصداه يقول لك:

- ألتست ناففتها على الثقافة. وبعد طوافها الطويل حول الأءباء.. ووءءتك جاهزاً ومطواعاً..

- لا تكونى متخلفة.. إنها حالة حضارىة.

- أكل شىء نمارسه يءطى بصور خاطنة للحضارة. والتطور. والحرىة لقد وضعنا بالتناوب فى ءءىم كلىنا، والخطأ لىس صادراً منك ومنى، ولاعن مشاعرنا القابلة للتءىىر، إنما هو نئىءة موروث البىئة التى انطلقنا منها نحن الثلاثة..

فلابء من العوءة قلىلاً إلى فروىء وهو القائل:

(كلّ الأمراض العصابىة نئىءة كبت ما)

وىتابع اءلر:

(أن كل اءباط هو ءائماً وراء كل مشكلنة نفسىة عنء الإنسان وىءتقء أن كل علاءة صراع للتسلط، وهذا بىءأ بمركب نقص ولىء كل إنسان رءبة فى التعوىض عن شعوره بالنقص).

وعالم النفس المعاصر - سكنر - ىقول:

(إن الإنسان نئىءة ءتمىة لتأئىرات البىئة علىه، أو مباء التأئىر الفاعل للمءىط فهو موقف من قرر الانتظار لىرى ما تءبى له الءىاة كموقف متفرء. وكل شىء مقرر بمعزل عن إراءتنا)

(ما من شك أن فى نظرة كل من هؤلاء بعضاً من الءقىقة،

ولكن تبقى لكل منا قدراتنا الذاتية على تغيير كل ما يشوه داخلنا، وذلك بقدرة العيش الحر والقرار السليم واعتناق القيم ولأن الإنسان لا يرغب في حمل مسؤولية فشله، ويرعبه التهرب من هذه المسؤولية، فيرمي هذا الفشل على قوى يعجز عن التحكم بها تحت ستار القدر أو الصدفة، فهل كان التأثير الفاعل للمحيط له آثاره؟).

دفعني تصميمي أن أتصدى لكل ما يهدم علاقتي بك، ويزعزع منزلنا الآمن فأتحاشى كل موقف حاسم ينعكس سلبياً على - ابنتنا - وبمعرفتي المتواضعة أن الإنسان أسمى ما في الوجود، فكيف إذا كان هذا الإنسان - ولده - وهو مسؤول عن تواجده في الحياة وأظن بالفضيحة التي أثيرت ألغيت معها إنسانية الإنسان وتفاقم الأذى الذي سبب الضرر أولاً لأحاسيس هذا الإنسان، ثم حاول أن تحصي الأضرار التي تنتج عن تفكك روابط الأسرة مهما كانت الأسباب مبررة..

بدأت أشعر أنك مستلب، وأنت تهدم في عبورك الخطر غير ملتفت إلى الوراء، ولا ناظر إلى الأمام.

أخطر لك أن تعود إلى نقطة المركز التي كانت دواراً لعشقنا في أزمنة الخرافة. والوعد. والصدق ومع ذلك كان إصرارك أن تراني كل يوم في لحظة صباحية قصيرة، ألا تحس أن هذه اللحظة موجعة ونحن نراقب طيف الحب وهو يحتضر بيننا.

ونتلو معاً على مرايا الوجدان سورة البدء والخاتمة من

نصوص روحنا المشتركة. ونغب وهم الفرح المباغت من طفل
حزين مشرد بين مفردات الزمن البدئي المتفرد بتوحدنا.

ثم يحمل كل منا ضد ما يرغبه. ضد ما يتمناه وفي ضحى
النهار تمضي كغرباء في اتجاهين متعاكسين.

8- حطب مسافة أخرى..

(أحبيبتك لأنك زاهية الألوان كحبات التوت، مغمسة
بالسواد النقي محاطة بهالات التمازج الكوني كقوس قزح،
للأصفر منه نعومة الصبر الصيني، ولا شيء يملك قدرة إحراق
الحطب بالماء سواي جئت من عمق الظلام، من تيه الأنبياء،
أقسمت أن أحيا لا شيء يستطيع إيقاف عبورنا المكتسح)

1969/4/7

أكانت نبوءة كلماتك هذه، منذ ذلك التاريخ تصنع لمقاس
جسدي نعومة المعطف الصيني للصبر؟.. ولم أتوقع أن تفقد
خطواتك الجبارة مع الزمن قدرة إحراق حطب الصبر بالماء،
وفاكهة الصبر ألد وأنت تختصر ألوان حبات التوت بلوني
المغمس بالسواد الصباحي في كل زيارة لي وتقول:

- أنا قلق عليك، كوني قوية، حتى أستطيع أن أستم.

- الأفضل ألا تراني.. حتى تساعدني على النسيان
- هذا عذاب أشد لي.. رغبتني تدفني يوماً لأطمئن
عليك.

- حين تنتهي حياتي.. ستعرف حتماً.. لأنك لن تستطيع أن
تعوضني عن أي شيء.. وفر تعبك بالمجيء اللامجدي.. إنك
تزيد من تعذبي.

أظن تاهت رؤياك، في توهاني المضي حين وضعتني
على شرفة زمنية معتمة، وبقيت الستارة التي تلوح من
الماضي، وفقدت قوة بتر الماضي.. ولم تختصر بهاراتك اللفظية
وكل يوم ترش ملح الصبر على أصص وحدتي الجافة، لتنعش
موائد ضجري، وتطعم أعصابي بنهم الشهوة لحطب ذاكرتنا
العتيقة، فأواصل وداعك لكل يوم إلى الباب، وعلى وجهك تمازج
الأمي، لأن ابتسامتي مغمسة بالسواد النقي، فأغلق الباب دونك
ووجدتني تنتفض حولي مذعورة، وجلبابها الرحراح يحمو معالم
الأشياء حولي، لأن انفعالاتي بعد كل لقاء وفراق تهيب حواسها
لوليمة الحزن وأنا في غيبوبة الصحو، والتخدير، والشروذ،
وأمارس بقية يومي وفي كل مساء أقرأ على جدران غرفتي
المصدعة المنفردة لوحة تعترض حروفها أنانية الإنسان (ماذا
ينفع الإنسان لو ربح العالم وخسر نفسه) معاً على جسور
خسارتنا نتسكع.. معاً نتمزق.. معاً نحترق هل كنا متوازيين؟.. أم
منعكسين؟.. أم متباعدين؟.. مدفون قيمك، هرم إخلاصك،
كجثث تتواري في جفاف الحاضر، يبكيها حزن التراب، وكامرأة
شرقية أدفن حية في تابوت معطوب على مرأى من الجميع شيء

واحد يخرجني بقوة من فوضى مصيري، من ضياعي - السيزفي
- حين أستغرق في خلوتي الأدبية.. وحفيف صوت بعيد يوهج
أمومتي..

- هل أنت بخير؟.. اهتمتي بنفسك.. يا ماما..

وبذلك أحتمي من الرشق التدميري في أرض مخربة
بإشارات غدر براءة وقلبي فراغات، وفراغات تدور حولها
طواحين أفكار.. أحجب ذاتي عن الآخرين، حالة انكساري
تتبعي مع ثثرات لا مجدبة أزور أمي، يبكي صمتها، تطوقني
بحزنها، مرضها يحسنني بفقدان كل شيء.. لا تتعب في الحديث
عك كلما زرتها، تستحضرك وطبق فنجان قهوتها أبخرته نكهة
ذكريات طويلة لها، يلبسها حنينها فتوزعه على الأمها الحالية.

كما كانت فيما مضى تجد فيه تعبيراً عن اهتمامها بك في
حدود الأكل ومتطلبات نوبك، لأنها تدرك أن قضية الطعام خارج
حدود اهتمامي، قد لا تصدق الآن أن معنى هجرها للمطبخ،
واستسلامها للمرض، لتغريك بالعودة من جديد، ولا تنسى
صلواتها كل ليلة.. لا بد أن أوزع أحاجي الأسئلة، رغم معرفتي
بصعوبة الأجوبة:

- لم اخترتني للحياة، إن كنت ستقتل فيّ أسمى معاني
الحياة

- لم أمطر جدي طوفان حنانه ومراجيح دلالة إلى حد
الإدمان والترف ثم فجأة.. قاطعو الطرق نهبوا كل شيء مني..

وتركوني...

لم يستطع حنانه أن يحميني، ولم تستطع أنت أن تستبقيني، رغم إمضاء جرحك وجرحه على جبين أيامي.. حدث في زمن طفولي أن أغدق جدي كل حنانه الأرض حولي، أكان حدسه صافياً حتى قرأ طالع قدري القادم؟.. أم عليّ أن أصدق أنه كان عالماً بأسرار السحر والغيب كما يروى عنه من حكايا وأساطير؟.. لماذا أصر الآن أن يحتل مساحة من ذاكرتي؟.. فأراه أمامي وقد خذلته جدتي بإصرارها بالسهر خارج المنزل، ظناً منها أنني لن أستيقظ من نومي وسنواتي الخمس ستغفو بعمق الاطمئنان، خذلتها أنا، ولم أستعن بأحد حين اكتشفت غيابهما من غرفتي، فتسللت ليلاً في ساعة متأخرة منه، وكسرت قضبان القصب المعرشة بالزهور والتي تفصل بين حديقة كبيرة والباب الخارجي، ففتحت كوة تسعني وخرجت إلى شوارع القرية أبحث عنهما بعد أن تربص لي أحد الخدم ورافقتي.. فأعلن جدي غضبه المكهرب تقريعاً ولوماً لاذعاً لجدتي المسكينة، فاكتفت بدمعها الصامت لتتلافى شرر غضبه أو شكت أن أكون - سيدته الصغيرة - الأمرة الناهية، ولي الصدارة المرموقة، وهو يتربع في مضافته الواسعة وحوله عشرات الزوار كالعادة المتبعة كل مساء عند شيخ القرية وهو يمثلها مختالة فرحة بهذه العظمة، قابضة بحضنه أستمع إلى المساجلات الزجلية والشعرية وقرعة النرجيلة.

وتحلو لي مشاكستي الطفولية فأطلب منه أن أمتطي ظهره لنلعب معاً. ونظرات الدهشة تراقب هذا الكهل الوقور، الشاعر المجنون بحفيده، وقد ينسى معي شؤون قريته، ومشاكل العشائر

الأخرى، راضخاً لطلباتي، ورجباتي الصعبة والتي لا تنتهي.
كيف بقي صوتك الموجه برجائه، وأنت تقف أمام الطبيب
يوم تعسرت ولادتي إلى حد الخطر المحدق بحياتي وحين سألك
الطبيب:

- هل ترغب بالأم، أم الوليد؟..

وجهك المشحون بثقل الرعب، وبلا تردد أفرزت سياج
خوفك الملهوف لتتقدني أنا وتختارني للحياة، والعناية الإلهية
اختصرت كل لحظات الانفعال المشحون بالقلق - بأن أنقذتنا معاً
- وبقيت حالة الرعب ترافقتي لمرأى سيدة حامل..

جميلة تلك العواطف الغامضة، بقدر دفئها بقدر وجعها
الآن.. ألم تكن أنت فيّ - زمن الحب - تحمل لي بعضاً من
ملامحه الطيبة الريانة بالحنان الغرائبي إنما كيف نقط التاريخ
مصيركما المتشابه، رغم تباين الظروف والشخصية؟..

علي الآن أن أحزم صرة من أكوام الذكريات، لأصنع منها
لغة أتحدث بها مع نفسي.. معك.. أنت الصانع الحاذق لتفاصيل
وتفاصيل كثيرة وهل كنت في تعاريج غموضك غير حبة توت
طرية ناعمة صغيرة رموزها سكر طيب الحب، وإشارات مذاق
الحنان، ولونها ورود صفاء أرجوانية تلوح عبر هالات حرية
بيضاء ترسم أفكارني في فضاءات الفن...

يتوقف ذهني المحموم. لأنني بدأت أعني، كم تركت معطف
الصبر الصيني فضفاضاً على مقاس جسدي النحيل الواهن !

9- فرح حزن..

لابد من العودة إلى زمننا - زمن الحب الملحمي - فأقرأ:

(استمرار الحب يعني الخلق عن طريق الرؤى المتجددة
وكل الذين لا يستطيع الحب إن يغيرهم ليسوا محبين حقيقيين..
إنهم بكل بساطة محاسبون في شركة العواطف. وقد يخطنون
فيتحملون نتائج أخطائهم)

لأنني مضطرة لتعرية كلماتك الموجعة، أحس برعشة
خوف تحتلني بعد إن هجرتني فجأة، مخلفاً شهقة ذهولي.. أظن
كنت محبة حقيقية مع استمرار الحب على الخلق والتجدد، هل
حبك سيستمر معها؟.. ولو فرضنا استمراره هل استطعت بحبك
أن تغيرها؟ وهل كانت معك إلا محاسباً في شركة العواطف؟..
متى تتحمل نتيجة الخطأ الذي اقترفته؟.. ثم لماذا ترجع إليّ
وتصر على رؤيتي بالحاح؟.. وأنا المنفرجة المنبهة بفصول
حياتك، وأحس بحدسي الذي أوّمن به، أنك تخفني أشياء وأشياء
عن حياتك معها وتعلق بوابة الأسئلة والأجوبة حول نفسك وهذا
يعذبك أكثر، ولأنني مضطرة أن أترك لك الخيار.. تمشي.. تبطئ
تتلكأ.. تحزن.. يحتلك التفكير، كل هذا أحسسته لأنني لم أر مشهد
الفرح أو السعادة على وجهك المرهق دائماً.

فكان علي أن أوصد كل المغالق المؤدية إليك، لأحصي
حماقاتى ضد نفسي، ضد رغباتي، ضد إنسانيتي، ضد كرامتي..

كيف لم أحذر منك؟ كيف آمنت أن الفنان مفتاح إبداعه فسحات الحرية؟ فأبحت لك كل ما تشتهي لأنني مؤمنة بك. وكيف لم أحذر منها؟!.. حين أجلستها على جسر الأمان ورممت أجزاء نفسها المبعثرة، كم أنا حزينة الآن لأنني اكتشفت افتعال ما روته من قهر ومعاناة. فكيف انجرفت على منعطفها المخيف لمفهوم الصداقة ومقياسه الوفاء لأية جاهلة، فكيف تأتيني صعقة دمار الغدر من مثقفة عبثية لأهم قيم الوجود..

أحياناً يوصلني إحساسي الطيب إلى حد الشفقة على أكوام التناقض المتصلبة والمسكونة عقداً في ذاتها وأظن أن هناك استحالة في الشفاء وإن كنت أتمنى ذلك...

أطوف مع غضبي الآن، وقد امتلأت كل نوافذي ومداخلي منكما، وحين أغلقت النافذة الأخيرة، أوقفته في طريق قسوة حبك لها بعد الخمسين وجرفتني إلى متاهات، ومتاهات لم أتوقعها، وأغرب متاهة أن أكتشف أن الحب الأصيل بيننا لم يستوقفك، ولم يغير مجرى الأحداث التخريبية في مأساة حياتنا، كم كان يلزمني من القوة والصبر وأنا في معترك الخطر بينكما؟!.. وكم كان يلزمني من الدمع لأبكي هذا الحب الكبير النادر في ضريح الحزن العظيم، وكم كانت مدهشة خاتمنا إن كان هناك خاتمة حقاً وأنت عدت إلى نقطة البداية.. وكيف تحيا إحساسك القديم بي أبشعور السجين وحالات الفلق تعلن احتفاءها في رأسك، حين تغادرني مشيعاً بصمتي.. وتعود إليها..

نظريات - ديكارت - التي كونت حالة الشك في كل الأشياء، في كل من حولك، كيف أعلنت بركتها على أصابع ثقة

مطلقة بها، وهل بهذه السهولة تغير قناعاتك الثابتة معها، وتناقض نظرياتك وترفض كل البراهين مع ترتيب حياتها الغامض والمفضوح للآخرين؟..

حاول ألا تخفي ارتباكك، وأنت تقرأ سؤالي الصغير حين قلت لي يوماً:

- صديقتك فلانة، لن يتزوج أحد بناتها

- كيف استنتجت ذلك؟

مسحة الشك في صوتك تجيبني:

- ماضيها له شبهات وشكوك.. ولا شيء يمسح ذاكرة المجتمع.. وأظن لم تخرج أي فتاة من دائرة شكوكك..

أفكاري تنقلني من دهشة إلى أخرى، لأن أحكامك القاطعة التي طبقتها على الآخرين مغايرة تماماً معها ولم تكن أحلامك مجرد أفكار لتتغير وتبديل وفق التطور، المعرفي، بل كانت قواعد لها إصرارها العنيد في تكوينك، وبدأت ترفض الحوار في أي موضوع يحتاج إلى مرونة حتى الموازنة التوفيقية بين عملك وتجربتك الأدبية مرفوضة لأنها ساهمت بنتثبيت قناعتك أن الفنان لا يعمل.. وهذا نابع من إدراكها لكل شيء بعقل جامد.. ومنطق جاف، بحيث امتصت أحاسيسك من ذاتك الفلقة في معتركها الضبابي، وأفقدتك الاستمتاع بالأشياء استمتاعاً طوعياً، فكيف الآن تستمتع معها؟..

هل تغيرت؟ أم تغيرت هي؟.. ضمها إليك أكثر فأكثر فأنا

أضم الكثير والأكثر من ألامي منكما..

بدأت تنتشر جفاف العقل الصارم وتدقق في أتفه الأمور
وأبسط الأمور حتى بدأت الأشياء تفقد دهشة جمالها.. فاجئني
خاطر الآن:

قلت لابنتك يوماً

- هل تخلف نوبك عن سماع موسيقا (البياتو) إلى سماع
فيروز؟..

أحاطت ابنتك ذاتها بسرية الخوف وهي تواصل سماع ما
يحلو لها وتحيط بالذاكرة حادثة مناقضة تماماً صديقتك المثقفة
تضع في المسجل أغنية عاطفية لأحد المطربين الجدد في جلسة
شبه أدبية والصوت علق على كل جدار في الغرفة قلت لها:

- المسجل عاطل..

تصرفك المذهل لفت انتباه الجميع وأنت تحمل لها مسجلاً
أخراً. وحين غادرت صديقتك المنزل بعد أن حسمت الموقف
معها بانفعال غاضب، تبعتها وصوتك يعتذر لها، لتعود بها إلى
المنزل راضية، الانفعالات تهزني وأنا أتصور مشاعر ابنتك في
مثل هذه المواقف المتكررة فكيف يمكنني أن أحكم الآن؟..

وبدأ نمطك المتكرر في العيش الجديد بملامح صارمة
للوحة ثابتة ترسم معالم الشرود الذاتي، مع طاقة مذهلة في
الجلوس ساعات وساعات في المكان ذاته، وطاقة مرعبة من
الصمت هذه اللوحة التشكيلية لا تخرج من ألوانها القائمة إلا معها

وقد جعلتك كارهاً للآخرين، عدوانياً في الحوار معهم ويزداد تعلقك بها أمامهم والافتخار بها، وغيرتك تتلون حول مقاسها الرفيع الجميل.

هكذا بدأت أسجل فشلاً إثر فشل، في أية محاولة للخروج النهائي من هذا الجو المحموم.

10- زنبقة للحب

يا.. (حبيبتى.. الرياح وحيدة في الشوارع مثلنا، تغسل وجهها في محطات السواد حبيبتى.. إني عبت بحزنك المعنى الذي صار إله.. إني أحبك فأسمعي صوت الخوار، لكل ماضيها المعبأ في متاهات الدوار.. أحبك رقصة لرموز الانهيار)

أ سألك؟.. أم أسأل كلماتك، لم تركنتي وحيدة كالرياح في شوارع وحدتي؟.. ألم تسمع صوت خواري المجرح وهل يكفي أن يلهث بين محطات الصفحات المغسولة برحيق السواد؟..

أظن فلسفتك قادتك إلى المعرفة ومعرفتك سبقت الحب فأصبحت روحك مغرقة في الكآبة وكل رغبة لا تحقق لك تجعلني أتخبط طويلاً ثم أروضح تحاشياً للحظة اصطدام بيننا، والقشرة الخارجية تغلف سلوكك المنظم والهادئ ولكنها شطرت تكوينك إلى شطرين متناقضين فهل كنت تظن نفسك تملك عقاباً للفصول والسنوات وحياتي وحياتك، أم كان لقاؤنا مبنياً على الخطأ منذ البداية؟.. وأصبح العالم لك معتركاً منهكاً وفق تقلبات مزاجية

الغضب ومرآتك الداخلية لم تتكسر إنما أصابها الغبش وأنت تراقب الحاضر والمستقبل معها في هوة مخيفة من الأفكار، ونخر ما في تكوينك جعلك متحفزاً للانفجار في أشد لحظات الصفاء، هل الأفكار المستوردة من - السريالية - والدادائية. والوجودية جعلتك تنفصل معها عن العالم والبشر؟.. وهل الفلسفة مجرد آراء وأفكار تحليلية؟.. أظن أن الفلسفة الحقيقة هي تجربة العيش والثقافة سلوك حضاري يتبع التطور ويضبط بإيقاع الأخلاق، وتعمق إحساسي بالوحدة الذاتية، مما دفعني إلى التعويض الطبيعي مع الآخرين، وكل مناقشة تعني لحظة اصطدام.. وموقف صارم، وإصرار عنيف، وبقي قلبي وحده يتعاطف مع عذابك، وأعلنت فشلي في أية محاولة للخروج من هوتك الذاتية المخيفة أتابع التسكع بخطواتي المتعثرة بين أقبية الذاكرة العتيقة، فاقف مع ذكريات عزيزة ما زال حزنها يلتف حول قلبي المتعب. فأقف بعض الوقت مع ذاكرتي حين مجيء - طفلتنا - الذي انبثق مخاضاً لمسؤولية، وبدأت تسعى لاهناً لتوفر لها الكثير من التعب، والكثير من الرغبات، ولكن حبك الفائض لها أفقدها الثقة بنفسها بالاستلاب الداخلي (للأنا) فتمعمق إحساسها بالاتكالية والأفكار المثالية، والعزلة النفسية، فأبعدتها عن العالم في برج عاج مع أحلامها المكبوتة مكتفية بأفكارها السرية التي تحلق حول مجتمع مثالي ولم تساعد على اكتشافه، فحصل ضياعها فيك دون قصد منك، وأغدقت عليها مفاهيم الثقافة والفن والموسيقا حتى غدت لها مرضاً أبعدتها عن الحياة فتشربت حليب آرائك، اختياراتك، أفكارك، وتضخم وهم التفوق في دراستها، حتى بدأ يشكل لها معتزلاً للربع فيما لو فشلت. هذه الطاقة من

حبك المخيف سلب منها أحاسيسها كأنثى وأنت تنفرد بها وحدك لتصنعها أنت بصور أحلامك المستقبلية، صحيح لم تحرمها أي شيء.. ضمن أرقام صحيحة وذات قيمة رائعة، إنها تشبه الحب ولكن ليست هي الحب، فقد نسجها التملك، وصنعها إبداع النسخ المتكررة.. لماذا نصهر أولادنا في أصوليتنا؟!.. هل عندما نحب أولادنا معنى هذا أن يكونوا صورة طبق الأصل عنا؟!.. أظن من الأفضل أن يصبحوا أصدقاء بأفكار متجددة، بشخصية مستقلة، باختيارات حرة ورغم إنني مسمرة على رموز الأمومة، إلا أنك ألغيت ملامحي الطبيعية وتركتني كشبح هائم بينكما، كأية مربية حذر عليها التدخل..

وبقيت أفرز طاقات إضافية في نسيان ذاتي لتلبية رغباتكما وواجباتكما بدقة متناهية. حين وضعت في مواجهة الغربة عن الوطن والأهل.. بدأت تعي شخصيتها المسلوية والمصادرة، والذات المقموعة بدأت تصحو وهي تصطدم بالواقع، بالمجتمع، بالآخرين، وتلقت أشد صدمة لتزعزع ثقتها بالرجل، بعد أن عايشت أحداث المنزل المذهلة، وطردت منه لأنها اغضب صديقتك، والرغبة لديها المسجونة بالصمت في منطقة مجهولة كانت تشكل لها حزام الخوف والتردد والقتل، كيف حدث هذا؟!.. وقدرة الوعي التي تكبر مع الإنسان بالتدرج كانت مخزنة في العقل الباطن.

ألسنت؟!.. أنت القائل في نصوصك:

(مهما عرف الإنسان في المستقبل، فإنه لا يستطيع اقتلاع

ما خزن، لأن ما تم تخزينه هو الأنا المشخصة لهذا المخزون)

كان يحزنني تحايلها على مشاعرها وصديقتك تلتهمك أمامها، فاضطرت أن تتنازل عن أشياء وأشياء كانت ترغب أن ترفضها، إن تصرخ محتجة وكل مقاومة منها تعاقب بقسوتك الصارمة. لأنها أسيرتك المنقادة.

هذا العجز الخفي فاتك أن تراقبه بدقة، وأطرافها الواهنة لم تستطع أن تحميك وهي تشهد فصول احتلالك واغتصابك أمامها وتناسبت مشاعرها التي تموج بالغيرة والمرارة والحيرة لمشهد عالم لا تعرفه ويمارس أمامها لم تستطع وأنت مسلوب أن ترى في عينيها أكثر من الرفض، أكثر من اللوم، أكثر من الدمع، أكثر من غضب مقهور، فاقتلعت بهجرتها الزمان والمكان هرباً من المشهد الأخير للمأساة، وكان الأمر أكثر سهولة لو أبعدها عن محطات السواد وحين ملكت قدرة وعي ذاتها المبعثرة التجأت إليك كصديق، ووجدت الأخرى حلت مكانها فابتعدت تجتر رضوضها التي شكلت فصول تكوينها وصراعاتها حين صحت من تخديرك، بدأت تبحث عنها لتتخذها صديقة ولكن من الصعب أن تعثر عليها، ألسنت الآن في منزلك مع الأخرى؟.. وهل تشدها أسرة قد انهارت، وحين عادت في زيارة قصيرة للوطن.. كانت قسوتك مدمرة وأنت تراها كضيف فقط.. وتعود إلى منزلك لأن ابنتك لم تبارك لعروسك ورفضت أي إشارة إليها. فامتد شرخ الألم أكثر..

هكذا كان لكل مرحلة زمانها، ولكل تجربة نتائجها، وهل تستطيع أن تتغلب على ضعفك وتكون قوياً في حماية ابنتك؟..

ألسنا الآن نحن الثلاثة نرفض رقصة رموز الانبهار؟.. بعد
حطمت لنا أقدس الرموز وأثمنها، وعبأت الحاضر بمتاهات
غريبة لوحات حية تمر أمامي الآن ن تسير معي متلكئة بين
ممرات العمر فأتمسك بخيوط واهية لأعيد إليها الصفاء،
والاستقرار النفسي ولأمنحها قوة من ضعفي، هل أستطيع أن
أدرك أن هذه الذكريات ليست ندماً وإنما للآثار عميقة قد لا
يبتلعها الزمن وقد أفرزت حالات كثيرة لتعثرنا.. لحزننا..
لضياعنا.

كيف شردتنا صديقتك ببطولتها؟.. أما كنا سكان وطن
آمن؟.. لأنها لا تنتمي لوطن آمن كانت داهية في احتلال
وطننا؟.. ولكن هل الأصيل كالدخيل؟.. وكيف عبأت ماضينا في
متاهات الدوار؟..

11- وهن الكبت

تكتب لي:

- يا ابنة الصلاة -

صمتك المتكلم أحاطني برعب الهدوء، طافت جرار
الحب، وشواطئ الفرح، ولم أجد أبداً مثل: نقانك البكر، وصوتك
القدسي أنت شبيهه برموز السيد (المخلص) دائماً ملك صفاوك
قدرة لف التشوهات البشرية..

اعتادت ذاكرة القلب أن تمحو الكثير من الذكريات السيئة، وتزيد الذكريات المتبقية جمالاً. ربما بهذا الفرز توصلت إلى تحمل صعوبة الواقع أو أن الحياء أحياناً من مواجهة مصاعبنا أبرز فضائلنا الوعي لكننا لم يكن منسجماً مع الواقع، رغم إيماني أن هناك شيئاً جوهرياً بالنسبة لحياة كل إنسان، وهو الفعل الذي يحقق به ذاته، فهل حققت شيئاً من ذاتي أم كنت مسلوبة ومرغمة لرغباتك؟..

كل الأشياء الجميلة بدأت تفقد أهميتها، وحيويتها وتداخلت في ضبابية مبهمة الحدود، وحياتنا نمارسها وسط عالم السكون الخارجي وعلاقتنا التي نفترض الانسجام والتوافق في الأشياء الجوهرية انطوت واشتعل التوتر الذي فرغ الحياة من كل معنى، ودفع الأمور إلى نهاياتها، وعالمي النفسي بدأ يتعكر وكان ينتظر منك إن تضيئه بكلمة ناعمة، وتحييه بهمسة منعشة، أو أن تتفهمه بعمق أكثر وتعامله برقة أوسع.. بنعومة أرق كما يجد بإنسان واع مثلك.. ترى أكان الزواج ضرورياً لاستمرار علاقتنا؟!.. ربما كانت الأمور أفضل بكثير لو بقينا أصدقاء، ألا تشعر الآن بعد أن فقدتني كم عذبتني كزوجة، أكان علي أن أقدم أكثر مما قدمت من تنازلات لأحقق معجزة الاستمرار.. وحين بدأ أفكك يرتكز حول جدلية بعيدة عن الحياة الواقعية وأنت تقول:

(الفنان وحيد مع ذاته. يملك امتيازاً عن البشر وبعيداً عنهم).

ألانه متفرد يخلق دهشة للعالم بتخريب كل قيمه. وكل

أسسه وكل جماليته. وهل الفنان يتفوق في برجه العاجي وهل يكتب لنفسه؟..

ويقراً نص ذاته، متى تضع حداً بين الوهم والواقع؟ بين المعقول واللامعقول؟.. وهل يقفل الفنان مرحة ويحكم إغلاقه؟.. إلى متى تجعل الفن نزوعاً متعالياً عن الإنسان؟ وهكذا نستمر في حوار يتبعه حوار آخر، وأنت تفلسف الأمور برؤية خاصة بك ومتطرفة، وازداد ترسيخها نصره صديقتك لك وهي تتبع نظرياتك المنحرفة عن المسار الطبيعي، وتضع هذه النظريات الخالية في إطار التجميل والتعظيم ولتجعلك كالمبشر أو كالرسول وتعمق إحساسك بالغرور والأنا المعظمة. وتكثر من بهارتك اللغوية، لتدهشها أكثر بك، أو لتجعلها تلتصق بك أكثر وتؤسس معك إبداعها المدعوم بأفكارك وأقوالك وتردد كالبيغاء ما تقوله، أليس هذا دليلاً على أنها مهزوزة ثقافياً؟.. وأنها بارعة في أخذ كل الأشياء حتى الأفكار والنظريات والأقوال دون مناقشة؟.. وقد تشعب الحوار ذات مرة في موضوع آخر.. حين قلت لك:

- لماذا يلح البشر في البحث عن اللذة المسروقة؟..

أجبت:

- لأنها تمنحهم متعاً أشد فاعلية

رددت:

- ولكنهم أشد البشر شقاء، والشهوة تقتلع معظمهم.

أجبت:

- في النفس البشرية حالة جوع دائمة، وكبت يتفجر لأول

شرر

قلت:

- إذن، الجسد لديهم، له أكبر الأهمية

- هذا هو الطبيعي في الغرائز البشرية

- ماذا يحدث لو تزعزع الإيقاع الضابط للغرائز، ألا

يتخلل كل شيء؟..

- يتحقق فعل الحرية الذي يقود الإنسان إلى الطبيعة.

هذه الأشياء كم أفكر في غرابتها، ولم تتوضح حالة الجوع
النهم في أغلب العيون وتشكل كم هائل من التراكم القابل للانفجار
أمام أي لحظة إغراء وهنا تشكيل المصايد الخفية في جو موبوء
بالنفاق، بينما الحياة تحتاج إلى ضابط متوازن وإلى صدق عميق،
وانفتاح حر منتظم، وعدالة أكثر إنسانية خاصة للأنتى أما زال
مدهشاً مشهد امرأة تتبع زوجها في الخلف كالدجاجة الوديدة وهو
يمشي كالتاووس ونحن في القرن العشرين من التطور والتقدم
ولوائح حقوق الإنسان أين هي في شريعة الغابة؟.. أظن حتى
مجتمعنا مهتداً بالخطر، لأن الفضيلة بدأت تنام في سرير سري
لغانية. وتصبح فوق الشبهات.

الأفكار تتداعى.. وأنا أسترسل في صور تتراعى،

ويدهشني صوت صدبتك يقول:

- وهل للجسد كل هذه الأهمية، بالنسبة لي لا يشكل قيمة،

أستطيع أن أمنحه له إن شاء..

استغربت إلى حد الذهول هذا التقييم للجسد، أم أصبح الجسد أكثر بلاغة منها؟! والمرأة التي لا تحترم جسدها وتصونه كزهرة سرية ماذا تحترم؟..

وقفزت جملتك إلى ذهني وأنت القائل يوماً:

- لن أسمح أن يتطور المجتمع باتجاه الحرية، وتكون ابنتي أحد الجسور لعبور الآخرين..

إذن ما رأيك الآن وأنت تبدي إعجابك الصامت بآراء تلميذتك المتحررة إلى حد الإباحية بكل شيء؟.. وانحرف الحديث على إشارات تعلن الخطر وتذرنني بلمحات قلقية، وأنا أدقق النبرات المتشابهة في لغتكما في أفكاركما، هل بدأت تحصل حالة الذوبان أحدكما في الآخر، وبدأت أخاف وأنت تغيب وتغيب عن الأشياء الأصلية فيك، وحدي ينبئني وأرفض تصديقه بصور أرفضها واحتمالات لا أتوقعها، والآن وعيت معنى الأنوثة التي تشدك في الأنثى الغاوية التي تملك مصيدة الإشارات واللغة والفعل المتطرف وكان فعلاً من الصعوبة أن أتقنها، لأنني أحترم جسدي وحرיתי هي الحصانة الناصعة لفضيلته، رغم أنك لم تمنحني بركة الرضا عنه.. وكيف استطعت أن تتوصل إلى أفكار أنت ضدها.. ومواقف كنت ترفضها وألوان لا ترغب بها، ما معنى نفورك من السمراوات دائماً، وما معنى احترامك للمرأة التي تصون جسدها وتكون متزنة أبسطاً تغير ذاتك إرضاء لها.. أعلن تراجعني أمامكما، أتابع انسحابي المهزوم، ودمعي

دوار إلى أي أفكار ينحاز الآن وأنا أقرأ ما كتبتة أنت في نص كتابك:

(الجنس هو الثوب الأكثر رقة لادعاء الحب وللحصول عليه، فكل النساء والرجال يحبون بعضهم بطريقة مريعة، وحينما يحصلون على الجنس يفتر هذا الحب)

هل بدأ الآن يفتر حبك لها؟.. ولماذا تعود صباحاً لتتلمص على أصص حبنا الذابل أظن استمر لأنه في لحظة انجذابنا السرية، لم يدخل منطقة التوهج الجسدي فقط إنما نما.. وترعرع.. وكبر.. وشاخ.. وبقي طفلاً المدلل..

12- تشنج وهاد الصمت

للغزل منك سره الخاص وأنت القائل لي:

(أحب أن أعود إلى حيث تستقر جدانك، إلى حيث تمطرين بداخلي سلاماً وراحة. أحب أن يسمعني الوجود وأنا أناديك:

أين أنت؟.. تعالي افرشي وجودك علي، أخطر على أرض شواطئ الجوع المقدس، يسرقني الغياب، لأعود الظهور من جديد لحناً مجدولاً بفرح الأحلام سلام حقيقي من عينيك)

هل في الحياة ما يستحق أهمية خاصة إلا الحب؟.. والحب قبل كل شيء موهبة طبيعية إما أن نولد ونحن نعرف كيف نحب، وكيف نحقق رغبات من نحب بلا شروط ومقايضة، وإلا فأنا لا

نعرف أبدأ الحب الحقيقي، ترى هل بدأ الحب ينزاح من أعشاب قلبك النامية الطرية الحنونة حين بدأت المادة تخذله وتضعفه؟.. فأصبحت مصدر قوة لك ووسيلتك التي ضخمت حالة الملكية، وحالة الأنا المغلوطة فيك، وأتاح لك المال الحصول على ما ترغب ولكنه أدخلك منطقة الجفاف، وحرك فيك رغبة الاستحواذ على امرأة.. ستكون خائباً لأن المثل يستحيل إيجاده، وأثناء سعيك كأنك تكون وراء معرفة المعايير المشوهة في الأنثى ويشدك إليها الإصلاح اللامجدي في تكوينها، في موروثها، في انتزاعها من بيئة ما.. غرابتك تكمن دائماً وأنت تسعى عن هذا النوع في كونك متكتماً، متحفظاً وكأنك سكران من ضعفك الخاص، رغم أنك تعي ضعفك ولا تملك الإرادة في التصدي له، بل تسترسل وتتعب منتشياً به هذه الدائرة الوهمية تسكن الهدوء وتعبث به لتخرجك في محاولة لتغيرها.. سألتك:

- لماذا تغلف تصرفاتك باللامبالاة؟..

تراوغ بأجوبتك لأن الكذب يربحك، وتحاول أن تخفي اهتمامك، وهل يخفى ما تبوح به العينان، وما يمليه السلوك من تصرفات مفضوحة؟.. وغير متوقع أن تصدر منك فيعذبك صدقك الداخلي الذي يقف ضدك ويتخذ قراره بالصمت. مراوغة الأخرى حين تتخذ قرار الكذب، وترميني بنظرات فاحصة مستفسرة واحساس الذنب يجعلها عدوانية وهجومية أمام أي حوار أو موقف يتطلب الهدوء النسبي.

تعابير وجهي تساعدك على استيعاب ما أحسه، وما اكتشفه

ونظراتك زائفة كطفل مشنت في خوفه من مجهول لا يعرفه.
وتسحب من سيجارتك نفساً طويلاً وتخد هذا التكتم الصامت
بكؤوس مرعبة من الخمرة، غائباً مسلوباً مع ضبابية أفكارك
المبهمة، ويأتيني صوتك أشد دهشة:

- لا أتوقف عن التفكير بك لحظة واحدة..

تبدو هذه الجملة اعترافاً بآثار حب، وأقاوم رغبتني في مسح
جبينك المرهق كم أنت جديرٌ بالشفقة، وكم تعلقك بهذه الأشياء،
يسبب لك أضراراً ومع ذلك تسعى إليها بما بمازوكية المتعة
الذاتية.

أعيش تطور الأحداث اليومية، وأقنع نفسي أنها نزوة
فنان، أو لحظة شهوة لا أكثر وستنطفئ. وحزني الصامت ينبهني
- هل مساحة المنطق انزاحت من عقلك الجبار؟ .. - وكنت أتمنى
أن تتعافى من مرضك الأنّي، ولكنك بدأت تزداد انطواءً، ونفوراً
من كل شيء، وتعلق مساحاتي واحدة تلو الأخرى وتحجم مكانتي
وكأنّي ألغى بالتدريج لتقربها إليك أكثر فأكثر، والأيام الكالحة
فجرت عدوانيتكما ضدي، مما جعلني أدخل منطقة الرعب من
قسوة الحدث وأرتعب الآن أكثر من دهشة نسيانك لكل الأحداث.
أو تتكرر لها بافتعال ذكي حتى لا تعترف بعمق قسوتها وأنت
مساهم فيها. وكثير من الأشياء تتلاشى أو تقبع في مقر ذاكرة
الحزن كذكرى ضبابية. أو ترحل إلى زمن آخر لتصبح بعضاً من
النسيان هكذا بدأت أحمل متاعبي الثقيلة وحدي، وإعصاري
المجنون يعلن عصاينه على منعطفات الدمار. وكنسر جريح

انتشى بطيراني وأسئلتي المجنونة مطبقة بصمتها وهل الشكوى
مجدية؟.. هل تدخل الآخرين مجدٍ؟.. وأنت الجبار العنيد الحازم
والقانون له منطق ذكوري جامد لحمايتك في كل لحظة. ويبقى
إعصار الجرح يقهر سنابل دمي المتشطي توترات مرعبة. السنا
مسؤولين عن الآمنا وليس الله؟ المشورات السرية بينكما تكتب
بمواسم دهشتني، وأتلقى نبأ موتي كزوجة على أضرحة وجدان
التشرد، ولم أستطع أن أمنع حقدتي ولحظاته تبكي مرارتها، ولم
أكبح آلامي السرية وهي تلعن الطغيان الذكوري. ونرجسية
الأفعى الأثوية. وكان لا بد من اختراع أفكار وأفكار، وصنع
حالات للاقتناع بأن ما يحدث عابر ومحطة وقتية ومنها سأنفذ إلى
أفكار أخرى وربما إلى متهات أكثر صعوبة لأن للمجهول رعبه
الخاص..

13- ارتباك ضبابي

تقول في فقرة من كتابك:

(أن السيرة ليست إعادة لما عاشه الآخر معك، إنها ذلك
الخيط الرفيع الذي تلاحقه بين أنفاق وجودك باستمرار، مرة
يلتف حول عنقك، ومرة تلفه على أصابع يدك متباهياً، هذا
الخيط هو مجموع التحولات التي تطرأ على تفكيرك وخيالك.
وتضغط على ذاكرتك)

الوقت لم يعد فيه مكاناً للفرح، وعلى آخر بواباته أرسم

لوحات حزني بألوان تقبض على ألوان ذاتي المبعثرة والممزقة
بأصابعك الشرسة..

كيف تتجاهلني، أنا ابنة تاريخك المحنط بين شوارع تركت
خطواتنا على تفرعات التعب والمعاناة، آخر مزاريب له كسرهما
ثقل المطر حين ثقب ذاكرة عتيقة وجعل حبرها ينقط على دفاتر
الماضي، وبين أزقة العمر، ألتقط من أصابعك المرتعشة خيط
السيرة أظنه ملتقاً الآن حول عنقك، ويضغط قليلاً أو كثيراً على
تفكيرك وخيالك..

أتملئ الآن من نشوة أفراح حاضرك المخيف، بعد أن
أزحتني أنا وابنتي لتحيا وحدك؟.. أم تبكي أحزانه التي رسمتها
لنا؟.. ما زلت أعجب وحدي ثقله كبحر عميق وغصص الملوحة
المرة تعلن هزائمك السرية، وبإصرار بقيت الزائر الصباحي
لي، رغم إني أعلنت رغبتني الملحة في أن لا أراك، ترى أكنت
أرغب أن أرى صوراً تعذبني مرتسمة على قسماط وجهك؟ لماذا
بقي الزمن يبهرني بك؟.. لماذا تصر رغبتك برؤيتي وليس
واجبك أو شفقتك؟.. معك أرغب في البكاء كل مرة.. وكل
صباح، ورؤياك تفجر حزني، انفعالي قهري. وأنت أشد الناس
قسوة وأشدّها حناناً، والأشياء التي كنت أنتظرها منك بدأت الآن
تعلن لهفتها ولكنها أنت متأخرة.. ومتأخرة جداً.. أنت خائف
علي؟.. قلق لوحدي؟.. حزين من أجل صحتي وأعصابي؟..
كيف تقع في هذا الموقف المتناقض؟ وكيف تشح أجوبتك في
جيوب الصمت محاولة للهرب حين أحيطك بأسئلتني، ودائماً هناك
أشياء لا أعرفها إنما أحسسها ولا أعلن عنها. أظن مازلنا نستطيع

أن نفهم بعضنا دون كلام.. وتكرر سؤالك اليومي:

- متى تفقد زوبعة حزنك؟..
- بل قل وليمة الخيبة على موائد أيامي
- حاولي إن تصمدي.. ألامك تضعفني
- نوافذ القهر مشرعة.. في وجه أي تيار أصدد؟..
- أحاول الهروب من تعاريج لغتك، تعرية أعماقك، ما يصلني من معاني نظراتك المغرقة بدمع حبيس يختنق
- لماذا تصر على المجيء كل صباح؟..
- ينتفض صوتك ليتوحد بدهشة حزني
- لا أستطيع إلا أن أراك..
- لم تهرب من مسؤولية اختيارك بالعودة لي؟..
- سرقت منك كل شيء. ومازلت مستسلماً لضعفك تهرب إليها وتعود إلي و غضبي يعلن استفساره:
- ماذا تريد مني؟..
- أنت قيمة في حياتي. قوتك الخارقة تمدني بالاحتمال
- هل أنت مرغم على الاحتمال؟.. وأنت سيد الموقف..
- شيء ينهار في ذاتي يجلجل عقلي..
- ألم أطلب منك ألا تشاركني وليمة آلامي؟..
- لا أستطيع.. لا أرحب أن أسبب لك أي أذى..
- ماذا تريد أن تؤدي أكثر مما فعلت، هل بقي سوى

الموت؟..

ألم أزلزل اجتماعياً وعصبياً ونفسياً، وجسدياً.. بعد أن انبهرت إلى حد الجنون معها.. أتراني لمزيد من العذاب أم لمزيد من سعادتك في تعذيبي اليومي؟..

- من قال إني سعيد.. أعيش فقط.. وأتمنى موتي قبل موتك مدهش وأنت تستدرجني إلى ممرات الهدوء، وتحضر لي أنفاق فرح وهمي لأنشغل عن أحزاني، ألا تحس أن لقائي بك موجه، وموجعة أحاديثنا المشتبكة بلا معنى حقيقي، وموجعة كمرارة أيامنا.. وهل بقي مكانٌ في قلبي للغفران وقد تركته في بحيرة جراح نوافيرها أحزاني.. أليس أبداع حماقاتك أن تتصرف معي كزائر مخلص لمواعيده، وهل حواراتنا ستغير مجرى الحدث، ومجرى الحزن الذي يتشرب حزن جدران على شموخها أصابع وحدتي القاسية..

يا رجلاً احترق في محارق التناقض، يا رجلاً استلب لضغفه وأشعل خلفه ألسنة النار لوطن آمن، وأدخلتني أنا الشاهدة الوحيدة إلى زمن قلق الغرباء، وطوفان استجابي من أسئلة المجتمع.. وحاصرني في دائرة مغلقة..

مازلت أرفض الاستعانة بأحد. وما زلت أقاوم كل الاغراءات والمطامع لامرأة مهجورة مثلي، لن أنتقم منك بنفس تجربتك فالضعيف هو الذي ينتقم.. لكن لماذا إصرارك العنيد على ملاحقتي بين أنفاق وجودي؟.. وأنت الذي جعلتني ورقة لعواصف الزمن في مجتمع شرقي يمنعني أن أخلق لذاتي إرادة

حرة. وفسحة عيش وفق ما أرغب أقاوم بشدة أن يتحول حبي إلى شفقة، هذا يعني أنني لا أحب حقاً، فالشفقة شعور يوحى بالارتياح، ويعتبر أقل منزلة بين العواطف الإنسانية، ولا علاقة له بالحب إطلاقاً.

هل أستطيع أن أنسى أنك قلبت حياتي رأساً على عقب؟..
وإنكما بستار الثقافة مارستما أفسى لحظات جنونكما معي.

14- تمزق جسد الرعب

تقول:

(تسقط أهمية العيون حين توضع في غرفة مظلمة، وتتوارى قدراتك الفكرية حين تسأل فقط، وتتساقط أهميتك كلما بلك عرق الخوف وحين يطالبونك بكتابة كل شيء عن حياتك تتحول إلى روائي فاشل مات بطله في بداية الفصل الأول)

كم كان حدسك يغتسل بالصفاء وأنت تكتب هذا الكلام، كأنك تنتبأ لي لأني أحول الآن ما مر بحياتي إلى رواية فاشلة، أتعرف لماذا لأني مضطرة أن ألغي الكثير وأنا أكتب، وكل الأشياء لا تستطيع أن أعريها بدقائقها وتفصيلها حرصاً على زمننا الطويل.. ولأني أترفع عن مثل هذه التفاصيل فإن أساءت إليك أسيء لنفسي ولابنتي وأنت والدها.. أما هي فأنا أحاول أن أواريتها ما قبل الفصل الأول لأنها أصغر من أن أقف عند تفاصيلها والتي لا تصدر عن إنسانة عاقلة ناضجة، أنا أكتب نصاً

فيه احتمالات لأي نص أدبي دون أن أحدهه باسم ما، لأن ما أكتبه صورة مصغرة عن حياة طويلة حلت عليها لعنة صديقتك ووجهي ما زال يبيل بخوف الرعب، وخوف الخجل الأخلاقي، ومما شاهدت، ومما رأيت من دهشة الأحداث، فهل تتساقط أهميتي وأنا أكتب؟.. كما تساقطت أهميتي بينكما؟.. ويدهشني اعتبار الموقف حضارياً جداً وهل الحضارة الخاصة باختراعها تقتضي تخريب البيوت باقتحامها.. مازال صوتي الحاد يصرخ بها ماذا تريد بالتحديد؟.. وبمزيد من السخرية المرة من بلادة أحاسيسها تحدق في وجهي، ورجلها المتشنجة غضباً تهتز باستهتار متعمد فوق رجلها الثانية وفي عينها شرر التحدي:

- أريده هو.. رغباً عنك.. ولن أتركه مهما فرضت من مواقف..

إلى هذا الحد المخيف يطفو إجرامها في تعذيبي، وأنت في مركبة الصمت جامدٌ أمام استسلام ضعفك الخاص أمامها. حتى توصلت الأمور إلى الحد المخيف من خلل العقل، من انعدام الإنسانية. من اللامبالاة بأحاسيس الآخرين فأضطر إلى ممارسة فعل خرج عن طور أخلاقيتي - وهو طردها - تتماذى أكثر وترد

- أنا في بيت صديقي. ولا يحق لك طردي.. أرتجف من صخب توتري، أفقد الوعي، تتهدم آخر طاقة لاحتمالي.. فيبدأ تسللها الخفي في غيابي إلى منزلك.. وتستعيد لها كرامتها حين تذهب إليها وتستعطفها راجياً لتعود بها، فأعيش خيبيتي وأتلقى الصدمات دفعة واحدة في غرفتي المظلمة فأشعر فعلاً أن لا

أهمية للعيون..

غراب الحزن الأسود يبكي قدرتي الخارقة على احتمال
مالا يحتمل، فترتعد كل شرايين التعذيب في العالم وتتسرب إلى
شراييني.. وهل هناك مثل أو معادل لقصتنا في المجتمعات
المتحضرة، وفي تاريخ قصص العباقرة والمفكرين؟..

- أنت.. أنا.. إنسانان مسكينان..

بدأنا حياتنا بمغامرة بطولية، وأحيينا الأيام بقوة حبنا وقد
كانت تحتضر في طور النزاع على زوايا فقرنا، وتعبنا، وكفاحنا،
وإخلاصنا، وصدقنا. قوة الحب الأصيلة تسرق كل لحظة ضعف
فينا.. ويبدو أننا منذورون للتعاسة والفقدان المرير، حين استطعنا
أن نجتاز جسور التعب وبدأنا الحياة.. تسربت إلى هذه الحياة
لتجتاحها وتهرب بك.. وأنا مسعورة أحمي ما تبقى.. من تراب
هذه الأرض بدموعي، كم أحاول أن أمحو ذاكرة أحلام ماضينا،
صفاء ماضينا، هو معلق الآن في ذاكرتي قهري، أضحك الآن أم
أبكي؟.. وغضبي كطفل شرس انتزعوا منه أعز لعبة، هكذا
حادثة تمر بالذاكرة الآن وخربشة الجروح تفتح على اضطراب
القلم، حين غابت عناوين محببة إلي من كتبي - وبقي لومي
يلاحقك حين بعث في ليلة كالحة بفقرها مكتبة القديمة فرحل بوذا
حزيناً، وطاغور مشرداً، و... و، وألسنة الزرقة تحترق بدخان
قلبي والشحوب يخطط غربتي المتفردة عنهم. ربما نظرة
اعتذارك الودية في تلك الليلة بعد أشهر من زواجنا، أنفقت الكثير
من غضبي وثقل حزني إن لأصابع الزمن إيقاعاً روتينياً مملاً في

مملكة الزواج البراقة، والحب يموت كل ليلة بفعل التقادم، وينبغي إعادة بنائه كل يوم، ولكنني تحايّلت عليه وجعلته يحيا حباً وديعاً متجدداً بيننا، وفق كل رغبة تسعدك، وكل حاجة تمتعك، دهشة الحاضر تجعلني أستعيد أشياء وأشياء كنت تناسيتها وأهملتها، الآن أعبرها وليس لدي الرغبة أن أقف معها.. ولا أريد التحدث عن كمية الرغبات التي دفنت في ذاتي ولم ترعها أو تهتم بها.. لذلك الأشياء التي كنت أرغبها أتت الآن منك متأخرة كثيراً، وقد ماتت دهشتها، فلا تحاول أن ترتبها لي الآن بدقة، تذكر كم وكم حرمتني منها طويلاً، مشكلتي مع الواقع، مع التاريخ، أو ربما مع الأشياء التي تهمني إنني لا أنسى منها شيئاً، وأهمل السيئ منها.. ترى هل في زمن افتراقنا يحاصرك وهج الحب قتلهمني به؟! لا أظن أنك تخترعه وأنت تواجه مغامرتك الجديدة؟ إنما ماذا يمنحني الآن؟.. أحقق بوجه الحاضر الشرس، تهتز الأرض تحت ثقل أفكارى المتداعية فلا ضرورة للنظر إلى الشمس لأنها باتت متعبة وهي تنام على السهل تحت ظل شجرة منعزلة، وأوراقها الصفراء وتنساقط في فناء عمري مع تلكؤ الأشعة الأخيرة لأنوارنا.. وهمسات الضياء التي تحاول أن تغريني بها تنزوي خائفة من شحوبي، والسؤال لذاكرتك الوجدانية وربما جوابك أصعب من سؤالي - لماذا كنت معي جاف الطباع، قاسي اللسان؟.. وكم كنت تفتعل خلافات لا لأهمية لها ومتحزراً للهجوم الدائم، فأرتجف كورقة، وينعقد لساني هارباً إلى أحمصي، وأعصابي كم فجرتها على مواعد الأيام، وفي حريق السنوات؟.. هل كان ضعفاً أم صمتاً أم ضعف طبيعتي المرنة السمحة؟ وكما قالت جورج صاند:

في تجربة زواجها حين تزوجت واكتشفت بعداً بينها وبين زوجها، وأنها على طرفي نقيض فهمي تحب الحياة الروحية وهو يهوى الحياة الجسدية فقالت:

(من واجب أحد الزوجين أن ينكر نفسه تماماً، ولا يتخلى عن إرادته فقط بل عن رأيه أيضاً كي تظل حياتهما مستمرة)

أحملتني فيك الآن غير مصدقة أنك تغيرت، وأن بركة هدوء الحكمة، واتزان الأعصاب، وعذوبة اللطف، حلت عليك، يا للغرابة لم جعلتني اجتاز معك أصعب المراحل، ووجدتك هي جاهزاً، وتمر بمرحلة الهدوء النفسي، والاستقرار الذهني، ومرحلة من السن متأخرة، أو ربما لأنك استسلمت لها في البداية دون مقاومة - كما استسلمت لك يوماً - فازدادت قوتها وطغيان تسلطها، وقد استنفزت كل قوتك معي. فأرغمت على الانصياع لصفقاتها السرية.

مشاهد وصور تتراءى أمامي، لو مارستها معك بنفس الطريقة التي تمارسها هي لتلقيت منك الصفع حتماً، أو التقريع اللاذع، والتأنيب الشديد. بقي الآن لك أن تحتفظ بجملتك التي حددت اتهامي الخطير والكبير وتلاحقني به، وتحملني مسؤولية مغامرتك العيشية وهي أن أهم أخطائي محبتي للناس وكرمي الشديد في العطاء.. هل هذه حالة ضعف تستوجب الانتقام مني؟.. أليس غريباً هذا الاتهام؟.. هل المحبة كارثة، والكرم جريمة؟.. وإني عرقلت تجربتك الثقافية. من كان يمنعك من الكتابة، أهنئك غير العمل والسفر؟ وهل نسيت ذاكرتك كم كنت ألح في كل

عطلة، وفراغ لديك أن تقرا وتكتب وتجيّب: أجمل ما كتبت ابنتي هي قصيدتي الوحيدة. وهل تنسى كيف جمعت قصائدك في (خطي) وساهمت بطباعته كتابك وحين تعثر سافرت إلى الناشر قلت له: كتابه قبل كتابي - ولكن يا عزيزي أليست المعاناة لغز إبداع الفنان.. والمبدع يسرق زمنه ليكتب في أسوأ الظروف.. ولكنك الآن بعد أن بدأت تظهر علائم الفشل تحاول أن تحملني أخطاء أنت المسؤول الأول والأخير عنها.. ولماذا لم تناقشني في هذه الأخطاء الجسيمة؟.. وهل تصمت عليها ربع قرن ثم بصمت تتخذ قرارك التدميري؟.. وهكذا تصحح الأخطاء بخطأ أكبر وأضخم؟.. وهل الانتقام من أخلاقية الفنان؟ هل تدقق معها في مصروف المنزل وراتبها كما كنت تفعل معي، أما زالت توفره في صندوق البريد؟.. من يصرف عليها الآن؟..

وقبل معرفتك بها لماذا لم تناقشني بهذه الأخطاء والاتهامات؟.. أنسيت كم ساهمت أنت في العطاء ومساعدة الآخرين؟.. ولكنها أدخلتك معها منطقة المادة، ومنطقة الفوقية، وممارسة التمييز العنصري بين النخبة والعامّة من البشر، وإلغاء الآخر، وهل ستبقى حالة الغرور المتفاقمة والمشوهة متضخمة؟.. وكيف تساهم في تخريب الأشياء الجميلة وأنت تنحدر معها هذا الانحدار المروع؟.. لن أستعرض ما فعلته مع الآخرين من سلوك عدواني وهجومي، وتفاصيل التفاصيل لن أرميها في جيوب القراء حرصاً على أعصابهم، ولأنني لا أُرغب بإطلاق رصاص التشهير بها، ويكفيها ايدانة المجتمع لها.. وبقدر المستطاع أختصر الأحداث، وإن انزلت بعض صورها رغماً عني ربما

لأشفي من نخب بكائي العاجز وأنا ضحية جبابرة أقوياء وربما لأنني دائماً أخاف الأحكام والمواقف الصادرة من قلوب متحجرة، وعقول محشوة بالقسوة الظالمة، وقعت تحت سطوتها، والشرخ يزداد عمقاً في اللامرئي من أحاسيسي، والندوب تحفر في قاع ذاكرتي العتيقة أخاديد التعب ويدهشني الآن كيف كان لي القدرة على احتمال هذا الجو المحموم معكما؟.. يا رجلاً مفكراً، يا رجلاً متسلحاً بالمنطق والوعي مخضراً بالطيب والتسامح، كيف تم انجرافك وجرفت مع إصارك جنونك معها كل الأشياء.. ونسفت كل القيم.

يا حبيباً، وأباً وضعت فيك ثقتي لمستقبل آمن أبدي.. يا رجلاً صدقته بكل شيء، وأبحت له كل الأشياء، لأنه مبدع.. مفكر.. نبيل.. صادق.. أهكذا يضيع الفنان الثقة؟.. وقد بدأت الإشارات التوضيحية لقصتي معك تحدد أبعادها.. وكنت مدهشاً في تمثلك.. وفي قسوتك، وكأنت بارعة في فتنة سايتها، دهشة غدرها كم يلزمني من الصبر لأتوازن.. وكم يلزمني من هدوء الغفران لأهنتك بزوجتك الحضارية المثقفة!..

15- حشرة غيمة

تقول..

(أليس مبكياً أن يأكل قلبك شخص كربه فلا تتألم، ويلمس الشر وجهك فتضحك أو يخذل إلى الراحة في صدرك دخان احتراق

العالم فلا تتعجب ألا تبكي حينما تعلق الصراصير لحملك بهدوء
الأحبة؟..)

بعد أن أكلت قلبي كم يلزمني من البكاء والألم، والشر الذي
يلمس وجهك الآن ألا يجعلك تضحك. أتشهد دخان احتراق منزلك
ولا تتعجب لا تبكي وأنت في سريرها حتى لا تفسد هدوء
الوجدان؟..

أليس الرجوع إلى الوراء يجلب التعاسة؟.. هذا المنزل
الحصين المميز، كيف احترق بعد دست له شرر شرّها؟..

أرى الآن أن ثمة فاصلاً على حلبة الزمن يتوقف، هذا
الفاصل موجود إزائي رغم أن نهر الزمن يجري، وقصص الناس
لا تنفك تتحدث عن ضفافه، وما أن تحدث قصة حتى تنسى في
القد، إلا قصتنا فقد تفرعت، وتطرفت، وكبرت ولم تصغر، لذا
أحس بحزن مضاعف وأهميتي لا كزوجة وأم بل كإنسانة تتلاشى
وأقف دور المتفرج على مسرحية غير مسموح لي بالتعبير عن
إحساسي بها أو رفض بعض فصولها، وحذف فصول الإجرام
الإنساني منها.. لذا كل شيء يودع أوراق الزمن ويبقى الخيط
الوهمي يشدني إلى الحياة رغم الأسود المعتم حولي بدأت فكرة
أن لا أعمل تستدعي حالة قلقي، معركتي معك ذاتية، وأبعدت عن
ذهني قرار الذكورة بشكل وبأخر، وأنت تقنعني أن أتخذ قراراً
مصيرياً اختيارياً بينك وبين عملي وضعني في منطقة خطيرة،
وبموجبه أصبح بمثابة عبء ثقيل كأي زوجة شرقية لا تعمل
وتستهلك زوجها بطلباتها التي لا تحد ومقياس حبه لها تلبية
رغباتها، هل أكون في هذا الموقف الذي حاربته كثيراً ورفضته

بشدة.. أما أسباب اتخاذك هذا القرار فكان له أسبابه ولا حاجة لإيضاحها أنت تعرفها وهذا يكفي، وأرغمت أن أطوي سني العمل الطويلة بورقة استقالتي من مدرستي، وبقي منديل دمعي الأبيض يلوح لبشر عشت معهم خمساً وعشرين عاماً، في البداية أحسست أنني حمامة سجينة في قفص منزلها ففتحت غرفة موصدة من غرفتي المغلقة على قهرها، وبدأت أشن حملة على الملل والفراغ، وأخرج الدفاتر والأوراق المختلطة بشحوبها عبر سنوات عمري وكانت هجرة من المقابر الصامتة، أزحت التراب الغباري عن حلم قديم ركن في زوايا العمر، وأشعرتني بحاجتي إلى الانطلاق، لأصل إلى طموح دفن في رهبة القرارات، لاعتبارات وحجج لن أدخل في حيثياتها، ووجدت صعوبة وجهوداً مضاعفة في جمع أشنات الأوراق التي شابت بين السنين وكانت الخطوة الأولى قفزة جبارة حين طبع كتابي الأول بأحاسيس فتاة ربيعية نشر بعد ربع قرن وقد انسل الخريف إلى عمرها.. وكم من السعادة منحنتني وأنت تطبع التهئة على خدي، أكانت إشارة لآخر لحظة حب بيننا!..

هذا الكتاب طردني إلى ساحة الألم، فوقفت غريبة على رصيف الزمن لأن الأشياء بدأت تنتزع مني حين فتح نافذة لتسلل صدقيتك من خلاله إلى منزلي وتتخذ الباب الخلفي لتحوز بك، فشرعت العواصف، وهدمت الجسور، وعبثت بأصالة الثقافة، لتبني جسورها على ساعديك وتمتد إلى احتلال القلاع بدأت قصتنا من نقطة نشر كتابي الأول، وكتابك أنت، وتمددت نقاط استفهام كثيرة حول تسربها المتأمر، وبدأت أتوجس شراً من

مؤشرات هذا الخراب المتطرف والذي بدأ يخطط علامات دمارنا.. لم أنفرد بهذه الفجائع منذ بداية مراهقتي؟.. هناك أصعب من العيش بعين واحدة؟.. هناك أمر من الحياة التي سرقت مني كل الأحبة؟.. والتجارب والمسؤولية التي أثقلت كاهلي وتتنوع وتكونت في أنفاق حياتي ألم أكن فيها ضد نفسي، ومسلوبة من الآخرين ولأجل إنعاش حياة الآخرين، ربما وعبت قضيتي مؤخراً، وماذا يفيد جمع الغضب وهو يلتمع الآن ليشتعل في ثقوب الذاكرة أما الندم فليس ذا قيمة وتسقط أهميته حين نبدأ في وعي ما كان.. وبدأت أدرك أكثر لماذا يخشى البعض الزواج حين يتخذ بمفهومه الخفي والمبطن شكل صفقة في مؤسسة صغيرة تحمي الميراث والموروث والنسل ليتكاثر المجتمع والارتباط بهذا الشكل يشكل حالات الصراع والتملك والأنانية لأن لحظة الاختيار، فيه ليست ناضجة ولا واعية، فيتوزع الأولاد ضحايا لأخطاء الكبار، ألم أكن في ذات يوم إحدى ضحاياه، وقد عايشت فشل ارتباط أبي وأمي لاختلاف البيئة والانسجام والسن، مما أدى إلى تخريب ثرواتهم، وضياع أراضيهم، وحملنا ثمرة هذه الأخطاء وعاشناها وربما في المجتمع الشرقي تتحمل المرأة الفشل وثقله، لأن الرجل هو الأقوى وما يبزر له يحظر عليها، هل تستطيع المرأة أن تتبادل دورها مع الرجل وتمارس حريتها واختيارها مثله، ألا ترجم في وضوح النهار بقانون ذكوري وتبريري، ألا ينم زوجي في أحضان زوجته الآن، وأخي في أحضان عشيقته؟.. وجاري مع صديقته من يعترض؟..

هل أستطيع الآن أن أطرد طيفك من سريري وطواف
الهاجس يدور بي ويلتف حول ملاءة أحزاني السوداء ضمن
مساحة القيود وأنت معها بمساحة حريتك على سرير البياض؟..
أحاول أن أمنع عناكب الحقد من تخريش صفائي القديم.

ولا أستطيع أن أواجه الموقف بغفران حقيقي.. وهل أتوقع
حدوث أشياء أكثر أهمية مما حدث معي.. ربما سفر حياتنا فصوله
للدهشة والغرابة..

16- توهج القلق

تقول:

(لكم هي حزينة تلك الصحارى التي خانتها الأشجار،
ونبتت فيها الهضاب من الذي يقطع غصناً من شجرة ولا يشعر
بحزنها، لأن اللغة التي تتحدث بها الأشجار لا يعرفها...)

كم هي كمية حزنك وأنت تخون إنسانة لا شجرة،
وغصني المذبوح ألا يتحدث فوق خرابك الجميل؟.. هل تحس
بحزنها؟.. وأنت الذي قطعته بقسوة أليس أقسى حالة للألم أن
نرقص على إيقاع نافورة الدم بعد أن ذبحنا بسكين الأحبة؟..
ولغتي التي أتحدث بها تعرفها دون أن أتكلم تحسها بالإشارة،
وليس هي مثل لغة الأشجار التي لا تعرفها.

أظن حين كنا معاً لم نتعرف على ذاتنا كما يجب، كي

نحب بعضنا كما يجب، لكن في الحدود الوهمية التي صنعها الغياب بقيت منطقة الجاذبية تشدنا لأن الصفاء شريان مشترك بيننا مستحيل أن يقطعه العكر الذي حدث، وعلينا أن نغادر أو هامنا الباقية ونحن نتمتع في هذا الخراب الحزين.. أحاول أن أقوم الدمع كي أعيش فوق درجات الخطر، رغم إنني أحس الآن أن الواحد يعيش مع الآخر رغم انفصالنا، وهذه الألفة المحببة ما زالت تحمل ملامح حب هادئ لعمر طويل، ولم نحاول أن نطرح أي سؤال لأن كلاً منا فضل أن يجهل الجواب. ويبدو أن مقولتك تلامس حالتنا الحالية وأنت تقول:

(الرقيب المعرفي الكامن فينا، أقوى بكثير من الرقيب الخارجي)

لا بد أن أطوي الأوراق الناشفة اصفرارها الشره يغيب من أيامي التي خلعت ألوان الفرح، والشمس الواهنة ما عادت سخية بالدفء لأنها عصبت على كتل الجليد، والمفترض أن تخف وطأة المصيبة مع الزمن ولكنها ما زالت تشدد وتطحن روحي المتعبة، وجسدي المتشنج يحترق بين جمر الأحداث فأنفض من تعب إلى تعب أشد وقعاً كالمسوعة وصوت زوجتك على الهاتف يشكل دهشتي - إنه مرتبط بك عاطفياً. أنت تحتلين حياتنا - أغلق السماعة لن أستمع للمزيد، لساني يُعقد على حبل الاستغراب، ومحبرة الدمع تغسل الأسلاك، فيغيب صوت القسوة الذي وتر انفعالي، والروح تقدح بشرر الخوف والتلهف الحزين، لماذا تلاحقني دائماً؟ لماذا تتربص لي بعد أن أغلقت بابك خلفي، لماذا لا تحاول نسياني، قتلي النهائي هجري. إنكاري من وجودك؟..

أنتألم الآن معاً دون أن يشير أحدنا للآخر بكمية الألم؟.. وسيل الأيام والذكريات. وإلفة السنين، أنحن عاجزون عن إيقافها؟..

كان المفروض ألا تراني، ألا ترجع إلي، حتى أضع قصتي على نار هادئة لتصبح رماداً. وحتى أستطيع أن أواجه المصاعب بابتسامة أكثر قوة كي لا أعطي فرصة لشماتة أحد فالحياة يجب أن تعاش حين نتسلح بالشجاعة لنكتشف عظمة الإنسان في مواجهتها، فالحياة رغم تحولاتها الأليمة، في المقبرة دائماً يخيم شبح الخوف من العظام، ومن حفر التراب العدمية، أليس مستغرباً أن تأتينا الحكمة عندما تصبح عديمة الجدوى؟.. ويبقى في الذات ذلك الحب الإنساني، لأن كل معاناة يعيشها الإنسان تنم عن حيوية جديرة بالاهتمام.

الأفكار تتبع الأفكار، وتتأبط حقائب وهم الحب، أو احتضار الحب في الذات المغلقة لذا أمضي مع هذه الحروف عبر الاخضرار الباهت المتبقي على صفحات الأيام الرمادية، وربما أنا الفاشلة الكبيرة، لأن طاقاتي الإنسانية لم يستطع وبر الشر أن يتخلل إليها، وما زالت تستحم بكل صفاء أطفال العالم. وكم أراوغ على الذات المشتتة، حتى أجعل الليل يضل طريقه عنها وعني ولكن يبدو لي أنه يتابع ترتيب إخلاصه معي.

17- من ضفيرة المطر

كتبت لي: حين كنا نمرح في حقول الحب..

(سأكون ابناً لراعية حقول الضوء، وحبیباً في عربة
المجد المتجه إلى مدارات الروى إليك يا.. يا ابنة زوايع الحب،
خذي حارساً لأبواب الفتنة التي تجلسين وراءها خجولة).

كيف استطعت أن تتركني في حقول عارية إلا من
عتمتها؟.. ألم تكن لي ابناً لحقول الضوء؟.. هل يفصل الابن عن
أمه مهما كان ضالاً في ظلمات التيه؟.. ألسنا في حالة ضياع وكل
منا اتجاهه مختلف عن الآخر، أتصدق إنني لم ألمح لحظة استقرار
في عينيك بعد انفصالنا، وكيف مارس الجنون تلصصه وتورطت
للإنتماء إلى منزل آخر تعرف أنك مستعار فيه، هل في ذاتك
خُصلاً رخوة من الأعشاب البحرية؟.. حتى جعلتك تتراخي
وتضعف، أم هو خلل ما في تكوينك؟.. أم قلة خبرة في تكوين
عالم المرأة المبطن بالخداع؟.. حتى استطعت أن تنقاد إليها
بطواعية وقد أندحر كل شيء مع اندفاعك الصاعق، منذ أن
حملت أحاسيسي الحذر منها وهي تراقب كل شيء بعينها
البلهاوين، وتخطط ضمن سواد الحدقة لحظوظ اقتحام البياض
بفعل خطير قادم، حذرتك بحدسي حين ضغط قلبي وأصابني
الخوف الذي لم أحس بمثله مع أي أنثى أخرى، هذه الأنثى
مسمومة بمفاهيم خاطئة عن التمرد، والعبث، والتركيز على الأنا
الضخمة وإلغاء الآخر مهما كانت مكانته ودرجة قرابته،
وبأصابعها المتطاولة تملك قدرة رهيبية في كسر أفعال تحصينات
عائلية واجتماعية، وترسم كل صور الشر في الأماكن التي تكون
أكثر هدوءاً ومحبة وانسجاماً. هل للأسماء تأثير على الشخصية؟..
هل البيئة؟.. هل الثقافة؟.. لماذا يحلو لها أن تقفز في الممرات

السرية وتهرب من الشوارع الواضحة، ثم تفاجئ الآخر بالانقضاء غير مبالية بالعواقب، وربما حين تلقت صفة الخيانة من أختها بعد أن تزوجت من صديقها المقرب جداً إليها، فأيقظها الواقع إنها الأكبر وقد عُدر بها من أقرب الناس إليها، فردت الغدر بنفس السلاح، وصوت أخيها يهزأ بها - أنت عانس - نسخة مشوهة لن يتزوجك أحد.. فتكسد الحقد والانتقام والغيرة والأنانية مزيجاً مختلطاً لإثبات وجودها، فتحول إلى عاصفة شرسة لتنهشك بقوة، فأنت الوحيد الذي رضيت أنت تقف معها وأنت الذي منحتها قوتها الشريرة لتداهم منزلنا الأمن بعنف من فقد معاني الإنسانية لتختبر أنوثتها المنبوذة معك، وتلغي لقب عانس، بلقب سيدة.. وتواجه أختها بموقف أكثر تحدياً لتشكل حضورها الاجتماعي، ولكن هل حققت مكانتها الحقيقية وهي مهزوزة بفعل الأذى من الداخل؟.. وحين بدأت لحظة الاصطدام وعلاقتكما تدخل مرحلة الخطورة، دفعنتي بعنف لأنهض من مكاني وبدأت تحتله هي منطقة أثر الأخرى، وأنت تتخاذل وتراجع ودخلت معها مرحلة التخدير العقلي والتشويه الروحي، والرضوخ إلى فلسفتها المتفردة عن كل فلسفات العالم وهل الفلسفة ضد إنسانية الإنسان، وهل هي نظريات تهديمية للقيم والأخلاق نظرت إليك وجهك الذي ألقته طويلاً تغير، تبدل، أراك إنساناً آخر وديدان الليالي تقف من نزاعاتنا الطويلة وتفتح جروحها لأربع سنوات متتالية ولسانك يتحول إلى لغة باردة، وإصرار عنيد، ورفض مطلق لأي قرار، إلا قرارك معها ولأجلها، وبذلك ازداد سلوكها الاستفزازي غرابة خاصة في مواجهة الآخرين، لأنها تشكو ضعفاً وجبناً في داخلها المشوه،

وأنت بدل أن تشفيها كنت تضي عليها هالات الكمال، بكمية أكبر مما يحتمله عقلها.. وأنت الذي كنت ترى كل شيء.. وتدفق في كل الأشياء، ولا تتساهل في أي شيء. فأصبحت لا ترى شيئاً ولا تسمع شيئاً، واختصرت العالم في شخصها وأمن منزلنا في تواجدها معنا هناك أرقى حضارياً من نظرية تفررت بعد مشورتكما معاً أن تعيش الصديقة - عفواً - مع الزوجة، ووجودها اليومي ضرورة لا تقبل الجدل ولا الاعتراض وتلبسني ثوباً مستعاراً من صداقتها لتواجه الآخرين وكنت تنسى أنه لا يبرر أثناء غيابي وسفري عن المنزل، وكيف تنسى احتجاج صوت صرخة ابنتك:

- حريتك تقتضي عدم فرضها على المنزل

وهذا الرفض يقابل بغضب شديد، وتعنيف أشد.. ومع ذلك لم أفقد مرونتي أمام الحدث الجديد، وعصيانك المدمر يتركز على كل أيامنا..

كيف انتصرت عليك حتى جعلتك تدفن أحاسيسك كأب وكزوج، وكيف وسعت لها مساحات احتلالك - التكويني والوجودي - والفكري. والعائلي؟..

مساحات تتسع لتبني غرف قهري، وكل يوم صدمة جديدة ومفاجأة أكبر.. وموقف أعنف.. وأدهش.

يا امرأة من نسل - ساد - كان اقتحامك، وكانت أحكامك فيها قسوة الجبابة، وخبت المرأة الطاغية.. كم ترعيني هذه النوعية من النساء وكم أفقد قدراتي في التكيف أو المرونة للتعامل مع هذه

النماذج المرعبة من النساء والتي تؤدي إلى حروب منزلية هي جزء من حروب مصيرية حزني المطلق يتضاعف لن أدهش بالآخرين، وتمنيت صدرأ حنوناً واحداً أستطيع أن أضمه برأسي المرهق لأبكي عليه لحظات ضعفي هزائمي تتكاثر، أتراجع، أتقهقر، وأنتما تركضان بسرعة فوق جسوري بنسف مدمر دون الالتفات إلى الخلف أضعف بذعر مرير.. وانهياراتي الاضطرابية سببها تلك المنتقمة لكل تاريخها بشخصي أنا.. بمنزلي أنا.. بك أنت. كياني الإنساني يتشنج.. ومساحاتها تكبر في منزلنا.. وأبذل جهوداً أكبر لا تغلب على أشباح الكراهية والحقد التي بدأت ترتسم على زوايا النفس.. لأنها لا تستحق حتى هذه الأحاسيس وحجمها يتضاعف ترتدي ملاءات السواد.. مساحات الفراغ تكبر. قاعات اليأس فيها أكثر من صدمة. وأكثر من مفاجأة.

18- غائرة في سحب الرماد

اغتسلت أصابعك الآن من حبر وعدك الأبدي؟ أم بدأ يشيخ على أوراق اصفرار الغدر؟.. ولكنه ما زال بين سطورك أفكك حروفه في ذاكرتي العتيقة، حبر ثابت لن تمحوه الأحداث، ألسنت أنت القائل لي:

(أيتها المخلصة الرائعة، سنحقق أبدية الحب، والانصهار المتعمق حتى أعماق الأعماق لكل دماننا الفوارة بأصفي مشاعر العطاء، ألسنا نحن اللذين قررا أن يعيشا الأبدية، وإنها لمحمتنا الخالدة، هذه الأبدية الخلاقة هي من مسارح آلهة

(الإغريق)

الضعيف يصرخ عالياً، أما القوي فهو الذي يبقى متمسكاً في أشد المواقف عنفاً وكذلك الإنسان عندما يكون قلبه سعيداً يصبح لصوته نبرة حرارة أكثر، ولوجهه صورة أكثر إشراقاً، لذلك كنت أراك تصرخ صراخاً داخلياً رغم ضوابط سلوكك الخارجي، والمخزون العاطفي لاهتاً متعباً حزيناً.

أليس الحب المطلق يعلمنا القوة في أزمنة المستحيل. وفي لحظات الضعف؟..

بدأت تجتاز تجربة خطيرة وتفضل أن توقف حبك الشامل لأسرتك الصغيرة، لتتوهم حباً أكثر أنانية، وأكثر تخاذلاً وقد ركز عليها وحدها. وعلاقتك بها انبهاراً متبادلاً أنياً، والعلاقة العنيفة تقتصر مدتها بحكم شراستها، ولكن هل يستطيع قلبك أن يتطابق بإحكام على قلب فتاة متهورة أنانية مادية وغير جديرة بالثقة والأمان.. وغير قابلة للتغيير..

أغلق باب المعرفة لتفتح أبوابك للجهل الخاطئ؟.. أتريد أن تثبت خطأ الصواب؟.. لتسعى إلى حب في أتون جسد مدرّب طري وهل مات في داخلك المراقب المتمرس؟.. وانبهار الأنا أفقدك قدرتك كرجل مفكر دخل بوابات المعرفة الواسعة وثانياً كإنسان له من النبيل والطيب الشيء المكنون في الذات الخفية التي عايشتها وعرفتها، لذلك بدأت تقطع كل صلة بالعالم الخارجي وقلبك يعتز به الصدا، حتى غلف كل الأحاسيس، كل الالتزامات، وكل فرح للحياة ويكفي أن ينتقل الإنسان من صعوبة إلى صعوبة

حتى يصل إلى اللحظة التي يتلاشى خلالها مفهوم الصعوبة نفسه بقوة فعل التكرار. فالكائن البشري محدود بينما الصعوبة لا حدود لها والكائن هو الذي يذعن ويستلم هكذا كنت مندفعاً إلى حماسها بتهورها ولتشهر سلاح التحدي بوجهي الذي فقد المقاومة، وسكن ضجيج الهدوء ضمن حزنه الصامت.

وغاب طيف الحنان الوحيد لي من وجه - ابنتي - التي سافرت لتتلاشى رؤية الحريق الذي سيجتاح منزلنا الأمن، وكى لا ترى موت الأحبة بين ألسنة اللهب، فعدوت كالشجرة المقطوعة في وحشه حقل تعبت به العواصف وربما تعليم الأنباء له حسناته وسيئاته، فالإنسان يضحى بكل شيء كي يتيح لهم إنهاء دراستهم، قد يستغلون ذلك للفرار من الأسرة.

هكذا نحن نتبادل الأنخاب بكؤوس فارغة، ونمثل من عصير الحزن الذائب في قلقنا، وأحاول أن أنتزع نفسي من حالة فقدان التي هي كالدوار البحري وصوت أمومي يتلوى أنيناً خافتاً، والتلج الوحشي يجمد الأحاسيس ثم يزحف على رؤوس أصابعه ليخدر إلى نهاياتي المتجمدة، ولكن مهما ثقل فوق شجر الصنوبر وأضناه لن يفقده عظمته، لا بد أن يذوب عنه، فيرفع رأسه إلى فوق ويستعيد شموخه.. أنا شقية إلى هذا الحد؟.. والابتسام يضمحل والهدوء يحتد، أنقب السواد الملتف حول الأيام لا تلمس بعض نفحات البياض وحبال القوة لأحمي نفسي من ثغرات الضعف والتخاذل والانهيارات، استغرب أن يوجد في العالم نسل خاص أو عرق مميز من الأشرار، وأنا التي حلمت ببشرية طيبة محبة، صوت صديقتك يرن الآن في أذني بغرابة

اقتراحه، لم لا تبحثين عن صديق؟..

كانت لحظات جنون تعبرني وتكاد تفقدني السيطرة على أعصابي، وأنا أتلقى هذه الصفحة التي أفقدتني كل شهية للكلام، وكنت أنتظر منك أن ترد على إهانتها وأنا أتأملك بحزن، وشروك المستعرق بأفكارك يجعلك كالمترجح الذي لا يعنيه من مصيري شيئاً، من يشفع لي عندك في تلك اللحظة وإزاء صمتك رددت عليها ببرود:

- ألنحقق حالة حضارية من التعادل؟..

دائماً كنت مؤمنة بأن الحب له قوة فعالة في اقتلاع الشر الكائن في بعض النفوس المشوهة ولكن يبدو أن أفكاري بدأت تغير ترتيب الأشياء.. أفكاري الآن تتداعى في حركة مد وجذر في الذات الخاسرة كجندي مهزوم من معركة وقد فقد سلاحه.. فيكون إحساسه مرعباً لفقدان معنى كرامته ومعنى رموزه، هكذا بدأت أخرج من دائرة الحياة وألتف حول حبال رجة الأعصاب والجسد يعتل ويندهور ويفقد المقاومة ورأسي مثقل باستسلام إرغامي فهل أستطيع أن أتصدى وحدي لقضية مصيرية في مجتمع شرقي، أليس هي أكبر من أن أواجهها بمفردي، وأوراقى الكثيرة تتساقط من شجرة ذاتي وتتوارى في همود الشوارع الوحيدة. وكلما أعلنت صرخة الرفض، يعلن لي الإنذار العاجل جداً والذي يحدد كل شيء بورقة زواج غير مسجلة في السجلات الرسمية، ولكن باستطاعتها أن تحقق المصير بتوقيع شاهد على صرير الظلم، ومازال جوابك الضجر يقذف في وجهي وأنت

تغلق أبواب الشك:

- إحساسك بالغيرة.. يضخم ظنونك كأية امرأة متخلفة.

يتلبسني الذهول وأنا أنظر إليك، أكلّ ما يمارس بحضوري، وكل ما يعلن من نصوص لإلغائي كإنسانة لا كزوجة هو ظنون فقط؟! وهل المرأة المتحضرة خالية من الأحاسيس؟!.. أليس من حقي كزوجة أن أحمي أسرتي؟!..

كنت أعرف أنك تفتعل الكذب، ودورك كممثل يدهشني وكأنك تطبق نصاً كتبته:

(الخافية هي إحدى لعب الواعية التي تمارس من خلالها إخفاء ما تريد أن لا يعرفه أحد، ومهارة الممثلين كافية في القدرة على إخفاء شخصياتهم الحقيقية من خلال امتلائهم بالشخصية المراد عرضها أو تقديمها)

كان الحب أكثر وجعاً في مرحلته الأخيرة، والثقة بدأت تفقد ثباتها، والمقاومة تتصدع مما اضطرني أن أفقد الثقة بكل الذين أحببتهم، وبكل الذين أمقتهم على السواء لأنني دخلت مرحلة الشك في كل الأشياء.. بعد أن انهارت أهم الأشياء وأعظمها..

والمهارة بالتمثيل، ولعب الخافية بدأت تتوضح وتعلن مفاجئات أكثر مما توقفت، وهذه الحالة جعلتني أغرق في العدم الإيجابي والزمن يستحيل إلى لوحة كئيبة عبثية التشكيل بينما زنار إنسانيتي شوهته الرقع، ولون السواد كان حداداً على نفسي المخدوعة، وبدأت أتألف مع العذاب اليومي حتى لم يعد يثير فيّ

أكثر من شهية تأمل مجرى الأحداث المؤلمة وصوتها المخادع
يأتيني...

- لن أتزوجه.. وأتحول إلى ممرضة له..

أنظر إلى وجهها الذي ينطق بأخر كذبة، وآخر خدعة من
هذا الوجه الماكر ألا تتسع تعابيره القلقة لمساحة صغيرة جداً
ليغتسل بصفاء وصدق الأطفال؟..

19- وشم وهاذ الصمت

من مقولات نصوصك:

(من المتناقضات تنتج في أغلب الأحيان ما يسمى بسوء
النية المتعمد فلا يوجد سوء نية بريء. وهي مؤثر ذو دلالة
كبيرة على وعي السلوك.. ثم تتابع في فقرة أخرى المنطق يحدد
طريقة وعينا للأشياء، وليس معرفتها. وحين أغلق باب الجهل
أفتح باب المعرفة الخاطي)

كيف استطعت التسلل معها لتمارس طريقة وعيها لتخطيط
بارع، ومدروس بدقة أغلق كل الأبواب لمعرفتي بما يحدث، هل
كانت تسرق زمني بسوء نية بريء أو متعمد؟.. فطالما لا يوجد
سوء نية بريء، كل ما تم تنفيذه كان سوء نية متعمد،
والمستغرب أنك استطعت أن تتحمل ثقل صمتك وتحترف عينك
نظرات البراءة بمقاومة مضاعفة حتى لا تفضح الأمور أمامي،

كيف تثق بإنسانة أتقنت دورها ببراعة مذهلة؟.. ومع ذلك كل يوم تأكل على مائدتي وعلى وجهها ألوان الحياض الإيجابي..

لماذا لم يغازني صفائي الداخلي، وكيف لم يستطيع أن يكف عن دوره الفعال ورغم أن حشد الأفكار يتوزع على تفرعات الشك والظنون وأقاوم الاستجابة لها. والذي يدهشني أكثر أن صدقك المعتاد معي لم يعرك هذه المرة كيف احتملت كذبك الغريب؟.. ولأنني كنت أثق بك وبصدقك لم أستطع كشف اللعبة الموجهة ضدي، في ذلك الشهر الخريفي التشريني، والذي كان أشد ظلاماً وهو ينقط تاريخه لزمن فجيعتي بك والتي تحمل مؤشرات الأذى إلى حد القتل لي أيمن إن تستبدل هالات الصفاء الجميلة بهذه السرعة لتتبع غواية الشر المتعمد في إيذائي وطردني من حياتك؟..

أسألك بمرارة:

- لو تبادلنا الأدوار، كيف تكون ردود الفعل؟..

أثقل باب الجهل لتفتح باب المعرفة الخاطئ؟.. كيف لم تستطع إغلاقه لحظة الخطر المحدقة بك؟.. فتورطت في الخروج منه أليها؟..

صوت على الهاتف ينبهني محذراً:

- اشترى لها منزلاً.. عنوانه.. سوف يتزوجا.

اختصرت دهشتي بكلمة - مبارك - وأخذتني حالة غيبوبة، حين أفقت لم تفقدك حالتني المتدهورة توازنك بل أجببت باقتضاب:

- هذا افتراء.. المقصود إثارة أعصابك..

تواصلت معك بذهولي، مع آخر لحظات صدقك المخادع في جوابك، والخدعة الأشد تبريرك لغيابها عن منزلنا، بسبب حدوث حالة وفاة في أسرتها.. لماذا ترغمني دائماً على فتح قطب الذاكرة كلما حاولت أن أمسحها بعملية تخيل فكرية ارغامية فيما لو توقفت الأحداث، ولكن منعطفات كثيرة بدأت تغير محاور الأشياء، وتفجر قدرة احتمالي، حين بدأت الذات المغدورة ترجم بحجارة الغادرة والمغدور المرغم على غدري، والأمور تتطور، ودوائر تتسع لغيابك عن المنزل، وباب غرفتي المنتحب يوقظني، وكهارب تحذير غامضة تلسع أعصابي المتشنجة، أستنجد بك في أوج لحظات ضعفي، بكل دعوات الرحمة الإنسانية أن تحمي (مستقبل ابنتك) أن لا تعرضها لهزة في غربتها صمت حاد مكثف يجعلني مذعورة منك إلى حد النسيان التخديري وتهول حولي الطيور البدئية بمناقيرها الحادة ذات الصياح المرعب.. وتواكبني نباتات شريرة تتكاثر أشواكها مجدولة حولي، وقد وعيت غيابك المتسلل كان تأثيثاً لمنزلك القادم السري، كياني ينشطر بين طفلة الغدر وصعقة الكرامة، وهل الثأر أعظم أم صوت الأمومة أجدر وأنبل؟!..

صوت أخي ينذرني بالخطر، أوقفه عن محاولة التدخل لأنني أخشى أن أدخلك غزو الخطر بأسلحة لا تليق بك كأب وكإنسان تائه في العماء ابتعد عنكما.. دون أن ألقت إلى الخلف وبدأتما تسقطان أمامي في هاوية تعري الحقيقة الصارخة بوجهي.. وأحاول أن أتجاهل ما أعرفه وأسألك - ألا تقف هذه

المهزلة التي بدأت تتسع وتشيع؟..

تجيب بغضك المعهود:

- أنا ألعيت المجتمع عني وعنهما.. لا يحق لأحد التدخل في حريتنا الشخصية.. الآن سأعيش لنفسي فقط..

أنظر إليك بحزن مضاعف.. مدهش وهي تدخلك معها إلى مفاهيم حريتها المباحة لكل الأشياء.. ولكل المحرمات المفترض مع تقدم السن والتجربة أن نزداد عمقاً وتأسلاً بإنسانيتنا لم ضاقت المساحة المتبقية في داخلك وبدأت تنتزع خصائصك الإنسانية؟.. وحل مكانها غوغائية الآراء.. والمقترحات والأفكار المشوهة.. لا جدوى من الأسئلة.. ولا جدوى من الأجوبة، ولا جدوى أيضاً من أي موقف يصدر مني للضرر بك.. فقررت أن أتكوم في قاعات الانتظار المتبقية مع حقائب صمتي.. لأنني مؤمنة إيماناً مبهماً بأشياء وأشياء قد تكون سهلة الحل على الآخرين، أما أنا فعليّ أن أكون على مستوى أفكاري وأترقي وأترفع أكثر وأشطب بأصابع الصبر كل فظاظات المرأة الجاهلة فيما لو احتلت موقعي ألا تدافع بكل شراسة حقدتها وعدوانيتها؟.. طوفان الوقائع يحمل كمية من الأفكار المزدحمة والتي تثقل ضجيجها في رأسي، وشرابين الأعصاب تنتفض وتكاد تضعفني فأنماسك قدر طاقتي حتى لا أتخاذل في هوة التلاشي.. وبقيت في منطقة الحصار أقاوم كالشبح الهارب في حركة المد والجزر وأنتما تجولان بسخرية من الآمي وكأنكما نسيتما هويتي وتكويني..

كل مساء يمر بي وليس كسائر الأماسي.. لأن الكلام أصبح
مستعصياً وتحفظك محزناً في ليالي الصمت الأخيرة بيننا إلا من
هذياني ودمعي.. وتحولت أحاسيسك إلى صخر قاسٍ أو كأنك
تشعر معي بالإثم، والخوف، والقلق، وكل منا يغيم على قلبه عالم
مبهم من الأفكار والمشاعر الغاضبة.

معاً نمتص برودة الزمن.. ورياح الزمن التي نسفت لنا كل
شيء.. معاً متربصون على جسور الترقب.. وحذري اليقظ مازال
يتنبأ بكل شكل من الأشكال التقريبية لما حدث.

20- تغلغل في مساحة العبث

نصك الشعري:

(شيدوا أكواخاً في ذاكرة الألم، هؤلاء المغامرون بمعنى الحزن واصلوا رحليهم القادم نحو العري الذي كان يعبرني حين مستني الأفعى النرجسية من حصون العهر.. ألوح بها في وجه القادم).

من المدهش حقاً أن تكتب عن نبوءة القادم من بداية البدء لقصتنا، كيف واصلت رحيلك نحو العري معهم حين مستك الأفعى النرجسية، وبألوانها المتغيرة حدثت عملية الامتصاص الكامل لذاتك الهشة. وريح العبث تفكك عري فساتينها الملونة، وهي تخرب الأشياء الجميلة، وتتخطى بتسللها المخطط بدقة الحدود الأمانة لمقدساتنا، أليس من الأفضل إعلان الحداد، وننكس رايات الحرية حين نلونها بألوان براقعة لا تحمل أي معنى للقيم النبيلة، والحرية أليست هي أصالة الالتزام بالموقف والمسؤولية واحترام حقوق الآخر وعدم إغائه؟.. كان لا بد من أن أكتب عن العبث التخريبي لكائنة تلبدت أحاسيسها وجفت سوائل الحنان من عينها، أليست الأنثى شجرة وليست امرأة فقط؟.. وبوهم إلحاحها تقنعك أنها سوف تغادر إن لم تفعل موقفاً مصيرياً لها.. فهي تخشى على سمعتها، غريب كيف جازفت بسمعتها قبلك في منزل وآخر احتلته ثلاث سنوات وليس له أسرة مثلك؟.. وبدأت تحملك

مسؤولية أضخم من طاقتك وقد طمست وعيك بأفكارها الحالمة،
فانطمرت معرفتك بالآتي، حتى بدت كائنة مخيفة وهي تغز
مناقير الألم في كياني ببريق التحدي الملتع في عينيها وبقيت
نظراتك الذليلة المستعطفة كلما بدلت لون جلدها تشاد في ذاكرة
الألم بعد أن تعبت ذاكرتي، فأغب دمعي، وأخرج من خرافة
الصبر وأنظر إليك مسترحمة:

أوقف هذه الحرائق.. وكف عن جلدي بحوارك اللامجدي،
وأنت تريدنا معاً.. ضمن طوق ملكيتك.. تريدني للأمان والرعاية
كطفل مدلل كما عودتك وتريدها لأشياء أخرى..
يأتيني صوتك من أغوار تعذبي:

- لا حل خارج ورقة تشرع علاقتي بها
- هل أشهد بتوقيعي على دمارك؟..
- أنت لا ترفضين في رغبة.. هكذا تعودت معك !..
- هذه ليست رغبة جريمة إنسانية كارثة
- وتزداد درجات التحجر الأناني، ضمن أقبية فسوتك
معها، وأنت تتحتها كصخور من خوفاً ونحيبي وصدمتي فيك
وقد زعزعت كل قيمك أمامي.. وتتابع بنبرة حزن راجياً..
- سنسكن معك.. أنت كبرت سرعاً..
- وهل أنت تصغر الآن؟ هل أرف.. ابني وابنتي.. صوتها
سادي النبرة، ولقسوته صرير في أعصابي المنهارة.
- كنت أتوقع أن تستقبلي الخبر بفرح.. إنها حالة مميزة
للتقافة..

ضح مستحيل الفرح، فورة دمع على وجهي الشاحب،
وطنين الهواجس يعتصر الشرايين ويدوخ الرأس المثقل لواقع
الظلم الهادر.. أتابع النظر في وجهك المغضن بجمود عناده،
وتكبر وتتسع دوائر المغالطات والأفكار المشوشة التي حوصرت
بها، كيف ينسف العالم الطيب بمخالب حادة. وكيف يفتح في
الجسد ثقباً لمسامير القهر؟ تتأكل الأشهر بين أفواه حوارات
غوغائية، تعلو وتخفت، وتنوس بالوقت بين النفي والملموس
المثبت، واهتزازاتي بين غيبوبة الانهيارات المبهمة والأرض
تدور بي دوامة بين ذعر الفراغات، ومماطلة الأسئلة والأجوبة
التي تصنع ضجيجها حولي. وهبوط التوترات الانفعالية في ذات
تحترق كجناحي شمع في فسوة شمس ملتتهبة، وأتابع بلهجة اليأس
التي ترشف آخر قطرة من حزن الأمل:

- هل الأديب الحقيقي يحتاج لجدار أنثى ليدعم أدبه؟..

وهل تتسع ذاكرة الأدب والإبداع لقائمة تزاوج كل أديب
وشاعر أعجب بها ألا يعلن الأدب انتحاره أمام شرفات البيوت
الزوجية؟.. وجهك المرهق يغرق أكثر فأكثر في بؤس الأجوبة،
وتعكره تجاعيد الكذب كنت أتوقع أن تعالجها كإنسانة مشوهة،
وترعاها كأب وتعاملها كإنسانة رفضها المجتمع ويوقظني صوت
أخيك من أفكاري وهو يعلو بمحاولة أخيرة لاقناعك عن
إصرارك هذا. ويختلق صوتي بين ضجيج الغضب والرفض
والألم الشره وأنت تمثال منحوت تحلق بنا ورياحك الهوج
تقدفنا.. أأنك إنسان ضعيف كنت عاجزاً عن الحب الأصيل؟..
فاندفعت لتمارس معها تشويه الحب المفتعل بينكما.. وكيف

استطعت أن تسلب حقوقي كزوجة وإنسانة؟.. وأنا التي كنت أعتقد منذ علاقتك بها أن بك خلافاً فيزيولوجياً فاحترمت حالتك التي أشرت إليها، وأفاجأ بأنكما في سرير مشترك، رجل موفور الصحة وكيف اقتلعت أعز الأشياء.. وأنبل الأشياء.

أليست هي المنتصرة الوحيدة في معركتنا؟.. وإلى متى تضمن معها لعبة الزمن يا عزيزي المراهق؟.. ماذا تركت لابنتك؟.. وهل تعطيني الحق بأن أراهق مثلك؟.. تراوغ في الأجوبة.. وتتهرب من المواجهة.. وأحاول أن أستعيد توازني في دعر الفراغات التي يصنع ضجيج العذاب حولي..

21- وحدة القلب العنكبوتية

حين كان زمن الحب لي كتبت:

(أريد أن تعلمي عمق الوحدة التي أعيشها حين نفترق، ليس لي صديقة ولا عائلة، ولا بيت، منذ فتحت أجناني عرفت هذه الوحدة ومر تاريخ حياتي ولم يكن فيه غير لوحة واحدة تتكرر باستمرار..

إنني عبثاً أحاول جرع هذه الوحدة، قصصاً عنيفة.. أحداثاً رهيباً عشتها بعمق وأصالة من أجل التخلص من وحشي المرعب الوحدة خلصيني من وحدتي)

في زمني استغثت بي وجدنتي لك ومعك، في زمنك

استغثت بك وجدتك تتخلى عني، أنت رجل لم تتحمل وحدتك، أنا امرأة، وفي مدينة غريبة لا أقرباء لي، كيف تتحمل لي هذه الوحدة؟.. لم سرقنتني بملحمة حبك، لِمَ وقعت رسائلك لي بتواريخها وقسمك الأبدي بصمة تاريخ طويل عليها؟..

وحين آمنت بك أميراً أسطورياً، وتمردت على كل ضعف، وكل صعوبة وكل ما مر بنا من فقر، وألغيت قوانين الأسرة، والأرض، والغرف والدين، وتمسكت بك رغماً عنهم أكثر فأكثر، وأخرجتك من وحدتك وأنت برجاء حزين تناديني حتى استدرجتني إلى حصانك الأبيض المسحور وطرنا معاً عبر أروسة الزمن نتسكع، وشوارع كفاحنا المريرة تشهد على قصتنا الغريبة، الآن وبكل وفاء العمر لي، تدخلني مغاور رعب وحدتي مهجورة إلا من أطيايف ذكريات التعثر. والفرح والحزن والصدمة الأخيرة، رهينة لأموستي، لأمضي ما بقي لي من عمر مع كلب صغير وفيّ على باب كهفي يحميني بذراعيه، ويخفف رعب الوحدة من حولي هل تعتقد إنني أستطيع النهوض بسهولة من هذه الصدمة التي لم أحصن نفسي ضدها.. كيف حدث هذا؟.. فتحت معك كل حقائق العمر، وحقيبة الغدر لم أرها وفيها كان مصيري المختبئ.. أشرب معها الآن نخب وحدة صمتي، نخب غجري، نخب ثقافتكما الرفيعة المستوى، نخب الأبوة، والكرامة المطمورة بقهري.. ويبقى صوتها الحاد يحدث دويه في وجودي.

ولن أتخلى عنه.. سأتزوجه رغماً عنك.. لقد تركنا لك المنزل.. لم أسقط حتى الآن كالنسر الجريح أقاوم بعنف جبار، ومازال صوتك محتفظاً بأشياء لي.. بإمانك القادم.. بأموستي..

لست أدري وهو يعلن: لن أمنحك ورقة الطلاق.. أنت قيمة احترمها.. الضحك أحياناً يجرح أكثر من الحزن، هذه القيمة ماذا احترمت فيها؟.. بعد أن أفقدتها أعز الأشياء. وأحلى الأشياء وتركتها في آخر محطة للعمر ولم تجد أحداً ينتظرها.. أتذكر حين سألتك:

- لماذا رفضت زواج ابنتك ممن يكبرها سناً؟.. أين تدفن جوابك المرتبك، لأنه لا يملك مالاً رغم ثقافته الواسعة ولم يستطع أن يشتريها كما فعلت أنت؟..

مازلت أثبت قوتي كامرأة بعملية تفجير الحروف في المساحة المتسعة لي والمكتفة لقصتي معك ولا بد من تفجير طاقات القهر بأي وسيلة لأنني ضقت من معتقل التعذيب الافرادي، وصوتك الصباحي اليومي يمرر مفتاحه على زنزانتي قائلاً:

- كيف أنت اليوم.. أحتاجين لشيء؟..

مازلت صامدة في وجه الأيام.. ولم أعلن إضرابي بعد عن الطعام الآن تأتيني عريساً مختالاً، وظلالك الحمراء، والسوداء، والرمادية تلتهب حولي، أسدل ستائر معتمة على عمر كان لك ومعك، وأنا الباقية عذراء مندورة عروساً لإله من رخام، وستائر طهر الغيب تحجبني لأنها تخشى حديث المرأة في ذاتي، فالسما لا تعرف غضباً أشد من حب امرأة انقلب إلي بغضاء، ولن يعرف الجحيم روحاً منقمة كروح امرأة مزدرة على جدار صدعه القهر، لن أنتقم لأن فكرة الانتقام أكبر من أن تنحدر من

ذاتي. وربما الانتقام الطبيعي لي حين وقفت ضد نفسك وهدّمت
قيمك، وقتلت عظمتك كرجل نبيل بهزيمتك معها، وخسرت
ذاتك أولاً. وخسرت كل من حولك.. أليس هذا انتقاماً من العناية
الإلهية؟! وأصابع الاتهام تشير إليكما من كل المحيطين بقصتنا..
فمن منا خسائره أكبر.. وسقوطه الاجتماعي أكثر؟..

أنا الآن أبكي صديقاً كبيراً.. أباً مقدساً، إنساناً نبيلاً،
ومازلت في حاضري ولم تغادره لأنه غرر بك كطفل فضلت
في عراء ذاتك معها وحين يلفحك زمننا تسرع إلي، لتقضي
ساعة الصباح معي، رغم حزنها بقي طعامها من أصالة منزلنا
الجميل.

صوت أخي يضح بقهره:

- لا بد من ورقة طلاقك.. من حقك أن تعيش.

أنكوم كقطعة أليفة وقاعات الحيرة تردد مع حزني، هل
أملك قوة اقتلاعك من تاريخي بنفس السهولة التي اقتلعتني بها،
أتابع النظر إليك وصور الضرر التي أحاطتني ترتسم في وجهك
المغلف بالهدوء كم من الأذى سيحدث لك ولابتنتنا فيما لو
تصرفت كامرأة حمقاء.

ماذا سيكون رد فعلها - وهي الوحيدة لنا - لو رأت لكل منا
أسرة جديدة؟! وموروث أخطائنا سيلحق بها مستقبلاً، ما زلت
أتمسك بقوة الحب وإن ضعفت فيك بقيت قوية في ذاتي في زمن
الغرابة المستحيل..

ابن معاذ يدق إيقاعه في رأسي المصطخب قائلاً:

**(منقال خردلة من الحب.. أحب إلي من عبادة سبعين سنة
بلا حب).**

وكم هي كمية الوعي التي احتاجها لأدرك أن ثقافة الإنسان ومعرفته لا تقدر بعدد الكتب التي قرأها. ولا بالنظريات الفلسفية التي اكتشفها ولا بألوان مذهلة للوحات الأخلاق وقيمها، إنما تقدر بتجارب العيش وبالفعل الذي يصدر منه. ومعادلة تطبيق الأفكار مع الواقع المعاش.

وقد يكون هناك أمراً خفياً يحدد القدر بشكل مسبق، فيبقى الإنسان ضعيفاً حيال هذا العجز الطبيعي تماماً، كما يبقى مستكيناً عند مباغطة المرض أو الموت، أو حدوث تغيير جذري في حياته..

أليست ورقة الزواج غير عادلة؟!.. أنت بورقة غير رسمية تحيا حياتك بأفق جديد، وأنا بورقة رسمية تغلق حولي الأفاق.. أيهما أرحم وأكثر عدلاً؟!.. أنت في نقاطك البيضاء المشرقة لأنك رجل.. وأنا في منطقة نقاط السواد لأنني امرأة.. أحس الآن أن المرأة في شرقنا ضعيفة حتى بقوتها، حتى بتقافتها، حتى بأخلاقها وقيمها.. دائماً يقرر مصيرها من الذكر. من المجتمع الذي دائماً يحمي الرجل في كثرة زلاته ولا يحمي المرأة لزلة واحدة.. هل تستطيع أن تحمي نفسها دون وصاية وحماية من الرجل؟!.. ودائماً مطوقة باللسنة الثرثرة، خاصة إذا كانت لا تملك أماناً اقتصادياً، وهل تملك المرأة الحق في ممارسة حريتها

كإنسانة كما يفعل الرجل؟..

لابد من إحداث فعل قوي يغير كل الأشياء، وإلا ستبقى نظرية المساواة مصنفة في اللوائح الشفوية وما أكثرها..

تبقى جلستنا الصباحية هادئة إن تمسكنا بحكمة الصمت، ولكن زوبعة نبش الأوراق لابد منها لأننا نلتقي عكس المؤلف الاجتماعي.. وفي ذات صباح باغتك سؤالي الساخر المؤلم، ما هي الجريمة الأكثر إبلاماً للإنسان النفسية أم الجسدية، أليس المجتمع بحاجة إلى قانون يمنع الجريمة النفسية، كما يعاقب على الجريمة الجسدية؟.. ثم لماذا يحمي القانون الرجل في حالة (فورة الدم). ولا يحمي المرأة، هل ليس فيها دم يفور مثله في لحظة الخيانة؟.. وفي شيب الذاكرة أتذكر قولاً جميلاً للسيد المسيح:

(لا تخافوا ممن يقتل الجسد.. بل خافوا ممن يقتل الروح)

أحاول أن ألغي من ذاكرتي كل أثر سيئ خلفته الأحداث، ولكن زيارتك الصباحية توقظ الصور فتنهمر الكلمات وجعا نازفاً، رغم أنني أقرر ألف مرة أن أترك الوجد محتضراً في ذاكرتنا المتألّمة.

ربما أي إنسان لن يستطيع أن يقرأ في عيني أفكاره الحقيقية، أو ربما لا يستوعبها بكل أحاسيسها وقد يرفضها فمن الصعب نقل المشاعر بنفس انفعالاتها في صور الأحداث المريرة التي عايشتها. إنما أترك الأثر من التجربة والمعنى للتفاعل مع هذا الأثر، أو استنباط الحكمة من هذه التجربة مهما كان حجمها ولكن هل تبقى السنديانة صلبة؟..

22- صحوۃ التخذير

تكتب لي:

(الجسد اللين المنساب في معابر الألوان يسقط مساحات الدم المجنون، يهوي بوعي حبيبي إلى كهوف الغياب المطلق، العويل الخارجي المحموم يعمق إحساس الغياب، أين أنت؟.. تعالي أفرشي وجودك علي، أخطو على شواطئ الجوع المقدس. يسرقني الغياب لأعاود الظهور من جديد لحنا مجدولاً بفرح الأحلام)

هل كنت تدرك أنك ستسقط في مساحات الدم المجنون؟.. أتسمع الآن العويل المحموم والغياب الطويل الحزين بعد أن سرقك تعاود الظهور في وجودي، وعلى جدران وحدتي ترسم مدارات القلق، ولحنك في زمن الفجعة مجدولاً بحزن العالم حولي. أقرأ في هذا الزمن المعتم كلماتك والتي شكلت تاريخاً لشواطئ عمري فأرقص الآن على إيقاعها الجنائزي في مهرجان الذهول..

أعتقد أن أعظم حقيقة يتجاهلها الإنسان أن كل ما نفكر فيه، وكل ما نكتبه غير موثوق. ولأن رسائلنا كانت تاريخاً لبدائيتي لن أجعلها محارق لنهايتي وبعد أن جردتني من أبدية الأشياء تمسكت برسائلنا وفتحت حقائبها في تاريخي الذي بدأ يسطر خطوط الآتي.. ولاشيء ثابت ومتين في الحياة.

ومازلت أتسكع مع زمن القلق والخوف عليك، ومصيرك هذا يعتم منقبضا في توترات تحوم في ذاتي، وكل انفعالاتي الحماسية لن تغير الواقع، لأنه سبب لي أضرارا مضاعفة، وتحتلني دهشتي المسعورة لتحرق كل جفاف المنزل الباهت وكأنه يحتضر في مراحلهِ الأخيرة، ويقبض بسواد حالك على ضعف قلبي وقد صنع له غيابك يوما كاملا عن المنزل جريمة سرية، وبدأ الرعب ينتفض على الجدران، والغرف، وأطوف به هائمة، وصوتي على الهاتف يستفسر عن غيابك خائفاً من حدث ما، وكان اختفاء زعرني، وكل معتقات التعذيب في العالم لم تشهد عذاباً أشد من عذابي، وقلقي وخوفي في ذلك اليوم المشهود والشاهد على قلتي، وقد خرجت عن نطاق الكون ولم يعثر على أثر لك، وأرتعد المنزل لقدمك المفاجئ مساءً، وشعرات رأسك ازدادت بياضاً ككل الألوان التي تبهت في لون وحشي يذكّرني بالكفن ويخيفني وأنا أتهاوى في هوة عدم سديمية، وهلوسة التفكير جعلتني مسحوقة أمام الكابوس الذي أعيشه وهو أشد الحقائق واقعية وأنت تنطق لدهشتي الملتاعة بالرعب:

- تم كل شيء

- هل هي كذبة أخرى لتختبر قوتي؟..

يردد صوتك المخنوق بدمع مغرغر بحزنه جملة واحدة..
وعد آخر انبهاري..

- كوني قوية.. لن أتخلى عنك.

لقد اشتهيت كل شيء، وعاشت كل شيء، واغتالت كل
أشياء، أكانت تترصدني؟! .. أكانت تحسني؟! وينحشد انهباري في
مأساة مصيرية أكثر هولاً ورهبة مما توقعت، وكيف استطاعت
أن توجهك نحو النفي، نفي أقدس الأشياء فاعلية، أكلُّ الأشياء
أصبحت لها حتى أنت؟! .. بدأت أدخل حالة غيبوبة الصدمة،
وصوت أخيك يأتيني متوتراً حزيناً لمصيري:

- مزق الورقة.. إنها غير رسمية

ويتبلعك الصمت الصموت بنوافر الحزن، وأشعر أننا
نطوق صمتك بغضبنا بؤسنا، ودوائر مغلقة من الحوار المقفل
وأنت تتجه إلى اتجاه آخر إلى اتجاه لوطن غير آمن.. وإحساسك
بالذنب يتبدى في بؤس ضميرك المستعر، وصفقة التورط تجعلك
قلقاً.. مسلوباً..

كرهتك بشراسة حبي وأنت تنطق بعقد زواجك، أكان حبها
لك مزاداً علنياً لقضيتها الفكرية معك، وصوتها يأتيني ويغلي في
دمي:

- إنها حالة حضارية مميزة

ما هو شكل الحضارة في زواجكما؟.. ز ليس هو أسوء
تخلف في هذا الزمن الذي بدأ يحبو على خطوات التطور؟! ..
صمتك الشارد يخفق جوابك ولبينا الفاصل بين العتمة والنور
يسيل جروحاً تلطخ الجدران..

كأننا قلبان يبكيان كل على حدة.. وإيقاع صمتك يردد نغمي

الحزين:

- كوني قوية.. حتى استمر..

هل القوة فعل تقريري، إنها كذبة أخرى لتضمن في روعي
فكرة أكثر سمواً.. وضمن أمن حين تفشل، وعدلاً لما اقترفت..

- لقد خسرتك كل شيء.. وربحتك هي..

لايد أن أجزر أوجاع الصدمة، وأخرج عارية بلا قيم
الآن أثوابها بدأت تتمزق وقد نهشتها أنياب العدم، هل يحكم علي
بالجنون أم بالقتل المتعمد؟.. بقايا دمع محبوس يغوص في مآقينا
الملتهبة كالجمر، ووجهك يرسم متاهات لخراطم زمننا المرتبك،
لزمنا الهستيرى، لزمنا الانتحاري.. أعرف أنك تتألم لأجلي،
وأحس أنك تتلوى صراحاً ورفضاً غير معن ورطتك معها أكبر
من أن تحتملها وأنت الشارد المعاند بين فكرك وقلبك بين
الرافض والمرفوض.. بين الحارق والمحروق، وتستمع إلى
هذياني بصمت صبور، واستمع إلى ضجيج صمتك القاتل وأنت
تكسر أحاسيسك على صخر لا يرحمني، هل أخاطبك؟.. هل
أخاطب الله؟.. هل أخاطب نفسي هل أفجر ذاتي حقداً وأخاطبها..
ربما معاً كنا نتخاطب بلغة الدمع والجمر والفقدان.. مازلت غير
مصدقة ما يحدث، ثقتي التي تحدث الجميع وقاومت الجميع،
ورفضت آراء الجميع، تركض في سراديب وحولي كوابيس
رعب فجيعتي فيك، تلاحقني فأهرب وأهرب منها.. وإليك
منها.. تتركني فريسة لها.. تغادرني ببساطة، تحرقني بورقة
حددت لها خارطة اغتالي الشرعي، فأخرج مرغمة عن أرض

خضراء طيبة زرعتها شبراً شبراً.. وذرة ذرة نسغي في ترابها
بيروي الدمع ويرويني. أهكذا جعلها الأقوى، المنتصرة، وتبيح
لها احتلال أحب الأشياء، وأقدس الأشياء،، أعز الأشياء.. أنظر
إليك مبهورة وصوت عذابي يتكلم على صفحات وجهك المُعذب:

- كم أنا حزينة لمصيرك.. دون غفران حقيقي..

وكيف احتملت أن تبقى معي أياماً ثلاثة، ألتراقب
احتضاري الواهن وأنا أتأجج بين حرائق الشر والأذى؟.. وكيف
احتملت قسوتك أن تشهد حالات انهيارى؟.. أما ازداد ثقل
الجريمة على قلبك؟.. أما شعرت كم حملتني من أكوام القهر
وأنت تراقبني أكنت تنتظر ساعة موت غير معلنة؟..

- أرجوك غادر المنزل.. العروس تنتظرك !!

وانهارت أمام قصص الحب العظيمة لتصبح خرافة
وتضليلاً، وتتنحى عن وجودي هاربة إلى اللامعنى.. وتضخم
إحساسي بأن كل نساء الأرض فيهن مس من الأفعى وكل رجال
الشرق تتساقط أمامي، واختلط النبيل بالمسيء. والمتقف
بالمتخلف، والشرير بالطيب، واللئيم بالوفي و..

ولكن هل تستحق انهيارى؟.. وسأبقى صيحة وذاتي
المطعونة تنزوي في مراكن خبيتها، وفي صبيحة اليوم الرابع،
ورقة صغيرة تنتظرني على الطاولة وتعلن حروفها - أنك لن
تعود اليوم - وكانت كذبة أخرى لأنني عرفت أنك تسلت إلى
منزلك الجديد ولن تعود.. وكانت آخر رمية من حجارتك الفاسية
وأنا أنتفض على قضبان الجنون، ووجدت الأرصفة تركض بي

ودموعي تغسل وجهي الشاحب المرتعد.. وتلاحقني الحشود
والمواكب من الذكريات من الصور المرعبة، من الوجوه
الظالمة، من القلوب المتحجرة..

في حديقتنا القديمة، وعلى ذات المقعد الذي تعرفه ارتديت
ثوب الحداد عليك وتابعت طوافي في مدينة الهجرة والشوارع
تبكي معي إيقاع أمطار غزيرة كطوفان حزني، أكلنا نشترك في
وليمة الزفان الباكي وذلك يوم الأحد 19/10/1997 الليلة
الأولى وليمة دموع لوليمتك السعيدة، وزغاريد الجنون ألا تسمعها
في سرير البياض؟.. ألا ترتعد من ظلمك وأنت تضمها إليك الآن
وأشعر برهبة مرعبة وأنا أدخل منزلاً فقد كل الذين أحببتهم
وعايشتهم.. المساء الأول يلين الحجارة وقد وضعت حاجزاً بيني
وبين العالم الخارجي، وسأحتفل بهذه الليلة الاستثنائية وحدي إنها
ليلة لا تنسى ومع زغاريد الفرح ألم تظن حولك زغاريد حزني من
هواجس ملسوعة؟.. وكيف تستطيع أن تمارس طقوس المباركة
وأبي قلب استعرت، وأي ضمير تغفو معه في أحضانها؟.. نباح
كلبي الصغير صوت حزن آخر يفتقدك ينتظرك يبكي ليلة فرك
منظره يحرق الدمع في مقلي أكثر، وهكذا بدأ الحريق في الأيام
المتتالية يشند والدخان الأسود يعكس كل سواد في وجهي أحاول
أن أنهض بجهد ثقيل، ودوائر الفراغات، وموت الرغبة في الحياة
يتسع هديره في النفس الملتاعة فأتقلب على سرير الألم والصراخ،
وتتقلب معها على سرير اللذة والمتعة..

انكساري.. خيالي، قلقي يغضب ذاتي وألتوي على سعير
الوحدة كأنه امرأة مهجورة بقرار ذكوري ظالم لا تبرير له سوى

فعل الخيانة المتعمد.كم يرعبني وأنا أزف نهايتي وقد أهديتني ثوب الغدر الفضايف، ووجوه المنزل الغائبة الحاضرة تجعلني أرتعد في هذياني، وصوتي يحدث صوتي، وقلبي لا يشفق على قلبي. ورفضت الاستعانة بأي مخلوق..

هل يمكن للمرء أن يودع كل شيء بسهولة؟.. أن ينتزع كل شيء.. هل أودع الماضي بسهولة؟.. هل أودع منزلاً هجره أحبته؟.. والماضي أليس هو مستقبل أت؟..

كيف استطعت أن تتعري أمام الفضيحة التي أعلنت ضجتها في الظلمة وفي وضح الشمس؟.. لماذا تركت منزلك مجهولاً مخفياً خلف انعكاسات حجب قاتمة؟.. أظن كل هذا لأنك معها لا تستطيع مواجهة الموقف الصعب، ولا تملك أي سلاح لتقاوم كل ما أثير من غضب ضدكما بقي الزمن وحده يحترق ويحرقني وبين أصابعي دخان الجسد الأسود كم ستكونان وحدين إلى حد الانبهار بالفجيعة، وكم سيسقط كل منكما حين يتحرر اللحم من جبروت الواقع، وهذا التخريب الذي حدث في ذاتك وفي أساس منزلك العائلي الآمن، سيصبح عارياً، متجرداً، مثقوباً وإلى متى ستبقى مخفياً؟ الأفضل لو واجهت جريمتك بقوة أكبر.. لقد شربت كأس السم باختيارك في نفس المكان الذي ضمنا، وفي زمن العربي الفاضح الذي مزقنا. الحريق الأحمر يتوهج، وألق كائنات إنسانية طيبة محبة من كل الأرجاء.. تهاتفني، تقف معي، تناشدني القوة تثب السلوى في نفسي، أليس هذا الرصيد من الحب له قوة بي؟ وتتوسع دائرة الماضي لتحتل الحاضر الشرس، ويدثرني المنزل المعطوب بصقيع جامد من ذكريات تتهاطل من

الجدران، وتفتح مزاريب الغرف الصامتة، وأوسع دائرة الابتهاال في خلوتي لأهرب من هدير الجحيم الذي يطوقني..

ما أصعب أن أواجه مصيركما بهذا الواقع المؤلم بتناقضه، بظلمه بقسوته، وكيف أواجهه بشهوة اللهب المتأجج، أم بحريق الفكر الإنساني الذي ينتحر حزيناً في ذاتي؟..

23- غبش الحياة

ربما في الشرق لا نحب، إنما نعيش حالة حب وهمية بسبب انعدام الوعي العاطفي أو نتيجة حتمية للكبت الجسدي، ولمؤثرات التربية الخاطئة، والأمراض النفسية الموروثة من البيئة والتي تنمو في تكويننا وتصبح مرضاً مستعصماً يصعب علاجه كذلك موروثة المجتمع ومقياسه على سلم التقاليد، وذكورة الرجل الحاكم.

كل ذلك يضع الأنثى في قوالب جاهزة الصنع، مهمتها غواية الرجل حتى تستحوذ عليه، لأنها لا تستطيع أن تحيا حياتها الطبيعية كإنسانة لها حق الحياة إلا بحماية رجل، لذلك العاطفة المختزنة، والحاجة الجسدية والضرورة الاجتماعية ولتختصر النزف من خوابي حرمانها، تفتش عن الأمان والاستقرار والضمان المادي فتندفع المرأة بتهور وتنطف على متعرجات غير مستقيمة لتضمن لذاتها حق العيش واندفاعها ضمن الحالة الحلمية لمفهوم الحب الحقيقي، لهذا كان شعار شرقنا (الحب أعمى). وهذا العماء يستهوينا فنغوص فيه بحيث تختلط الإيجابيات بالسلبيات لتخلق للمحبوب صورة عاجية من الكمال..

فينساق الحب ذليلاً مسلوب الإرادة ليتخذ وسيلة للعيش، وسيلة للأمان.. بصفقة رابحة سواء كان منصباً مرموقاً، أو مكانة أدبية، أو ثراء فاحشاً، فيصبح الحب رهينة حتى ينفذ الآخر الشروط، وتتم الاتفاقات، وتحدث المقايضة لكل سن أنثوي ثمنه ولكل جمال صفقته، والتي تجاوزت السن المعتاد والجمال الذي لم يخلقه الإله. تبقى منبوذة وتتحول إلى مربية وممرضة وشغالة لأفراد أسرتها وتوايعهم هذا ما يؤدي إلى اندفاع الأنثى الطائش والمتهور ورغبة الأهل في تقرير مصيرها، لذلك يندم الصدق وتغلق أبواب الوضوح ويتم إتقان الأدوار ببراعة مذهلة من التمثيل المتقن، فتصبح الأنثى البطلة الساحرة الغاوية المبهرجة، فينهار أساس الحب ليصبح صورة وهمية أو جسراً للعبور إلى شاطئ الأمان وسرعان ما ينقلب إلى زوبعة مدمرة لكل الأحلام والأخيلة.. هذه اللوحات التشكيلية سريالية من نوع آخر تكثر في هذا العصر، وتتقن الأدوار بأثواب الثقافة والتحرر والإبداع وحين ترفع الستارة بعد الزواج تكون لحظة اصطدام حاسمة لأنها تدخل منطقة الكشف الحقيقية وتبدأ المشاحنات، وتكثر الخلافات، وتظهر السليبيات إلى أن تتكدس الأكوام من الأخطاء والنزاع فيسقط الحب في مقابر الوهم، وتولد حالات التملك والسيطرة والغيرة العمياء وتتشعب الأنانية في أساليب مختلفة، وهذا الصراع بعد مرحلة الكشف الحقيقية تؤدي إلى بدء العد التنازلي وتكثر عبارات الندم وتقدم قرابين الأضاحي لاعتبارات ضرورية في حالة وجود أطفال. وبذلك تبدأ الحياة الزوجية تفقد الأسس وتنسف الجسور ليحدث الخراب والتدمير الذي يظهر شرره على وجوه أطفال أبرياء، قد يكررون في المستقبل

موروث الأخطاء التي تشربوها وعاشوها، وبذلك يتم الانحراف في صور مشوهة اجتماعية وما أكثر عدد ضحاياها.

وقد كتب يونغ عالم النفس الشهير:

(كلما أطلقنا الدعوة إلى الولوج في أعماق الخبرة الداخلية عندنا إلى المحور الأساسي لشخصينا تملكنا الرعب، وتهرب العديد منا، فالمغامرة في الولوج إلى خبرتنا الداخلية مغامرة الروح وتبقى خارج متناول أغلبية الناس وكل إنسان فريد في ذاته، وفي مشاكله النفسية وكل إحباط في رغبة هو وراء كل مشكلة نفسية عند الإنسان وكذلك الإنسان نتيجة حتمية لتأثيرات البيئة عليه، ويلجأ إلى تبرير أخطائه إلى الهروب من مواجهة ذاته طالما أنه يملك القدرة على اتخاذ القرارات أما تغيير حياته تعني نبذ ما أحدثه الآخرون وما تلقاه من التربية فالوعي يتبع المنطق والعقل حتى يحمي الذات من الانحراف وراء منعطفات العاطفة والتي تتغير وتبديل باستمرار وتتقلب مع تقلب القلب)

تتداعى الأفكار في فضاءات الوحدة، والصدأ النفسي يزداد عكراً فأشعر أن العلاقة الإنسانية الصميمية يطبق فيها الجوهر الإنساني في السلوك والمواقف وهذا الزمن يمر بضبابية مكثفة ضمن انهيارات العلاقات الإنسانية الصادقة والإنسان يتخبط فيها لأن المادة تحولت إلى شيء يشبه العبادة وأصبحت هي الغاية القصوى التي يسعى إليها، وليست الوسيلة للعيش، فكثر النزاعات والصراعات واهتزت كل الروابط الإنسانية في هذا

الزمن الاستهلاكي، ولأن مغريات الحضارة براقاة أصبح جسد المرأة يفقد حصانته واحترامه ويتبذل لغايات وشعارات الروح توسوس بالشر والجسد ينخر بالأنانية فاحتجبت القيم الأصلية وتحول المجتمع إلى قيم مستوردة، أدت إلى التقليد الأعمى باسم التطور والتقدم والحرية والثقافة.

والأنثى العصرية تمردت على بيئتها، وتكررت لعائلتها المتخلفة وخرجت إلى معترك الصراع مع الحياة، وبذلك أساءت إلى فهم حريتها وخلعت عنها الرادع الأخلاقي لتمارس مغريات الآخر بأنوثتها وتنوع تجاربها الخاطئة وفي النهاية تعثر على زوج كهل وثري وهي محصنة بالعفة الوهمية المتعارف عليها، فيسقط منصاعاً لشروطها ويبيده مفاتيح صباها بعدد المبالغ التي تصرف لأجل متعته وإعادة صباه. فيعيش الوهم البراق الأنثى على حساب أسرته وأولاده.

لأن الشباب المكافح لا يضمن لها بحبوحة العيش كما ترغب ولا يرضى أن يحمل إرث ماضيها المتحرر، وكأننا نطبق الحكمة القائلة:

(ما لست ما أريده إياه أفعل، فالإنسان لا يريد أن يكون مجرمًا)

ويرتكب الجريمة لا يريد أن يكون منافقاً ويتقن فنون النفاق ولا يريد أن يكون ظالماً ومع ذلك يظلم ليس في داخل الإنسان وحش متيقظ دائماً للشر؟.. هذه الانتهاكات المحرمة تجعله عدواً لنفسه قبل الآخرين وعدوانيته نراها في السلوك والفعل والموقف

وفي حالة الاضطراب النفسي والقلق والضياع والمتعثر في كل مراحل حياته.

وقد حددت مفاهيم الرذائل الكلاسيكية بالتالي:

- المرأة. القمار. الخمر -

الأوليان هما أكثر إعاقة للذكاء الإنساني من الثالث.

والحب الخاطئ متى تأصل في الجسد يدفع المرء إلى مصير سيئ، لأنه يبدأ بالانحراف ويحرر نفسه من أي ارتباط ويبرر كل الأشياء ليعيش نزوته الجسدية وبذلك يسخر من القانون الأخلاقي والإنساني ويدمر كل شيء في سبيل تحقيق أغراضه وفعله الذاتي الغرائزي والمراقبة فيه نسيج إخفاق وندم. ويخالطه غم وانفعال وتشنج.. هل أنا أكتب أم أصرخ؟..

ربما التجربة القاسية التي قادتني إلى فلسفة الأمور وما أنا بفيلسوفة، وأحاول أن أعمل فرزاً لأخرج الأشياء بصورة واضحة من خلط الأحداث، وأنقل الصور المختصرة عن الواقع بحذر شديد وقدرة المستطاع أتجنب الإساءة إلى أحد وقد يتمركز القارئ معي في الهم الوجودي هم الحرية. هم الثقافة، هم التطور. والتمرد والحداثة الحضارية إنما أليست كل الأشياء تمارس ضد الإنسانية المضطهدة؟..

24- من حقيبة كلماتك

تكتب لي:

(إنني أحبك.. إنني أحبك افعلي ما تشائين. فكل حركاتك سلام للنقاء الذي يجب أن يهتدي به الآخرون من غير لون وجهك؟.. من أخفى شعاع عينيك بستار الدموع؟.. من أسرى تيار الحزن في أحاسيسك الناعمة؟.. من سرق جدائل الفرح بسريتها المقدسة؟..)

إنني أعيش منذ أن تركتك رعباً عجبياً متأتياً عما يشبه الإحساس بالموت إنني لم أعد أستطيع أن أطلب منك أن تسامحني..)

تخرج إلي من حقيبة رسائلك تلك الالهفة الملفوفة بحروفك، بصوتك، فتراني أعود لذاك الزمن الأصيل لأقفز من جديد على حرائر حنانك ولكن الكلمات الآن تتجمع لتشكل غصة في الحلق.. ألسنت أنت الآن السارق كل أحاسيسي وكل فرحي لترميني في قسوة القلق، وقوة الرعب، هذه الأسئلة مفعولها أشد وقعاً في زمني الحاضر كما أعلنته عام 969، وتحدثت نفس الضجة عام 998 علي أن أغلق الحقيبة المعبأة برائحتك الصافية لأنني أخشى أن يعطبها العكر أكثر فأكثر سأحتفظ بحفنة قليلة باقية لي منها.. وأسألك بكل صفاء الحب:

- أيهما أكثر فاعلية وصدقاً ذاك التاريخ الذي كان يكبر معنا كنبئة أسطورية أم تاريخك الآن؟..

ما أفسى القلب البشري وما أضعف ذاكرة العمر التي ثقبها نسيان القسوة وعلي أن أختم طقسنا الجميل - في ملحمة الحب - ليس ببركة الغفران لأنني لست في حالة صفاء تامة، إنما بحالة بحزن لأن غفراني غير صادق.. وغير حقيقي، ولن أخدع قلباً أحببته ذات يوم في مشهد تاريخي رائع بنيله وتفانيه..

وتتابع خدعك اللفظية وتعلن لي:

- إنها طيبة.. تحبك كثيراً وإحساسها تجاهك أنك نادرة..

أن تحبها أنت ليس معنى هذا أن تخدعني ببهارة حبها الظالم، وهناك فرق كبير بين تقييمها لي وبين مشاعرها وأتتني أن توضح لي:

- هل بإمكان إنسان لا قيم له.. ولا أحاسيس إنسانية أن يكون طيباً ويحب؟..

أتابع انحداري في مواقع الخيبة النفسية والعاطفية، وأختتم هذا الانحدار قبل أن أهوي على حوافي الانكسار: بحزني عليك.. بخوفي عليك.. بقلقي عليك لأنك استطعت أن تقنع نفسك بأشياء سطحية وتصدقها، فهل يستطيع أي قلب بشري أن يحطم قلباً آخرأً ليحيا هو ويمد جسر سعادته على أنقاضه، ثم يحب ذلك الآخر بطيبة وعفوية وصدق؟.. الأسئلة تشكل إرتسامات على حجارة منزل مهجورة في تهاجر وحدتي، وتنقط حزنها الأسود في أزمنة اعتمت مضمون الحب، أليس وعدك الأبدى يحتضر الآن كشهقة الأبد، وأنت ترسم لقلب بريء ببديك نبضه المقهور؟.. وأين سيبلغ بي هذا الشرود المتشطي بالصدمة؟.. يمر نهار، ويتبعه

مساءً.. وآخر.. وآخر وأنا محملة بحشود مكتظة من مشاعري
المحتركة في موقد الغضب والفقدان، ولم غادرني الابتسام؟..
وأيامي الخاوية تمر بلا أنفاس، بلا خطوات.. بلا حركة. بلا
صوت يؤنسي، لقد فتك فرحي بأصابعك ووشمتني بالحزن، وثوبه
فضفاض على قامتي النحيلة، ثم رحلت لتتعانق وتحب وترسم
وعدك لحب آخر أكثر إغراء وجاذبية!..

صوتي يبتلعه هدير الصمت وصوراً معتمة تبهر الليالي
فترتسم النقاط، والتواريخ والوعود، والرسائل، والسنوات
الطويلة. كل هذا أفرشه في حاضري الآن.. لا شيء يقتل روح
الإنسان مثل ارتعاد الظلم، وهل بقي ما يحميني من هجرتي مع
ذاتي المنكسرة، وقد خلع الخريف عمرك على بوابة شتاء غادر
بعد أسبوع تخصصي مميز من أيام عرسك، تأتيني ويرتج
صوتك مفعماً بالتمزق، بالاضطراب، لأنك قلق من أجل
وحدتي، ويرسم صوتك وعداً أعلل به، ويضح القهر في خلوتي:

- كوني قوية.. أنا معك دائماً..

شعرت أن الله اقترب مني لامسني، منحني قلباً أكثر صفاءً
وهدوءاً وكان النبض أصبح له قوة أكثر ثباتاً وأنا أحقق بك
مشدوها:

- مع من يتكلم هذا المخلوق الغريب؟..

هل هو موثوق لانفعاله الفائق، أبحس ببرد الرعب؟.. بمعنى
الضرر الذي حل علي؟ أم أنه يخفي نشوة الزواج السعيد بهذا
الإبداع التمثيلي، وكيف استطاع أن يملك قوة إضافية ليواجهني،

ليراني.. ليحدثني؟..

كلما فقدت المعنى، ربما هي دليل تفهقره تخاذله. أو بقية من أحلام لياليه السبع؟.. تسمرت في مكاني، وكأن الله كان معي حنوناً يمدني بقوة مضاعفة من الهدوء وأنا أنقلب في بحيرة صمت صاخب، إنما الدموع وقفت ضدي وانسالت تجرف كلماتي مع شهقات احتضار من الجريمة التي حدثت، وتبتلع بقية الكلام من الشفاه المرتعشة، يده الحنونة كحنان هروبه السري حين غادرني تربت على رأسي وسؤال أكثر غرابة من حنان يده:

- لماذا أنت حزينة؟..

أذهلني السؤال بدهشة، وكأنه يتلغم بكلمات باردة لتشعل زوبعة في نفسي أشد هولاً من الدمع، فاكتمت كل الأجوبة الباهتة بصرخة مقهورة تعلن احتجاجي:

- غادر المنزل فوراً.. لا أريد أن أراك..

وهل تملك قدرة تلاقينا بصفاء؟.. ويتقلب على شفتيك الاطمئنان الأمن لي:

- أنا معك.. كوني قوية.. حتى أستطيع أن استمر..

من فرض عليك حالة الاستمرارية هذه؟.. أليست هي اختيارك وقرارك.. وكيف تستمد القوة من التي صنعت لها حالة انهيار تدمري؟.. ينهشنا ضياع الأجوبة ويتآكلك الصمت، تخنفي به مني، وطوفان من دمك المحترق ينفجر، يتبعه زوابع من دمعي، وطوفان يتبعه آخر.. وهكذا الأيام.. وللأشهر.. والزمن لا

أعرفه.. إلى متى يبقى قلبي يكرر فصوله من التمزق معك كل صباح؟.. حتى جعلتني أحس أن الذي حصل وهماً نتلهى به، أما كنا نتحدث البارحة، وقبل البارحة وفي كل الأيام؟.. وحين يصحو صوتي خارجاً من منطقة الوهم اكتشف إنني أصحو وأغيب، وصحواتي المتقطعة لا تستطيع أن تحدد لي كم مضى على غيابك؟.. وهل كنت غائباً فعلاً؟.. أظن أنك مسافر وسوف تعود في موعد غير معلن، هل كنت أتألم وحدي؟.. وأنت تقاوم بطرق متنوعة وبكلام متناقض وسيول من حزنك ودمعتك تطوقني، ألا يتألم معنا النسيان المتمرد؟.. ونحن نعبر ممرات الخيبة، ووهن الأعصاب، وطوفان الدمع يغسل صفاء ماضيها بحتان العتاب المقهور، وحزنه غير معلن.

صوتك يجرح كياني في كل زيارة صباحية..

- كوني قوية.. حزنك قاتل لي.. لا أرغب بإيذائك..

أجيبك مذعورة..

- من أين استمد قوتي؟.. وكل هذا الأذى من المسؤول

عنه؟..

ويبقى لصوتك مذاق الدمع السري بين أجفان محمرة بجمر الرجولة المذبوح:

- أنت لي وعد أبدي.. أنت معي تحتلين أفكارني..

أنت الأصل والجوهر والمعنى.. وسوف تعطيني عمري باحتمالك وصبرك، وتعطي ابنتك قوة أكبر في غربتها.. حافية بين

ممرات التعب، والإرهاق، ويشند صراعي معك مع ذاتي ووجع
شراسة كلماتي مؤلماً لك:

- لو كنت أنا أنت وتبادلنا الأدوار هل تستطيع أن تراني،
وتتقبل الموقف بقوة؟.. أم كيف تتصرف معي كرجل؟..

لم تتلفظ برد، لأنك لا تملك الرد المنطقي، دائماً بتملك قدرة
خارقة في إخفاء مشاعرك دون أن ينعكس ذلك على قسماات
وجهك، أعترف أنك تتقن أدوارك ببراعة أكثر مما أتوقع، هل
احترفت معها مهنة البراعة المسرحية، حين كانت في ذات يوم
تمارس هواية التمثيل المسرحي وفشلت.. وكيف نسيت أن الشهوة
فقيرة لأنها لا تملك الأمل؟..

وأبقى على شاطئ الدهشة موجة زهول ممطرة.. موجه
طوفان الدمع بيننا.. يتبعه زوابع وطوفان آخر وآخر.. هل قلبي
يتكرر؟..

متى أخرج من حالة الوهم وأصدق ما حصل؟.. يبدو أن
صوتي حزني.. دهشتي.. كلهم دخلوا غيبوبة الوهم لا أخرج من
شراسة الواقع المؤلم..

25- الخطايا تلتف على معصم القسم

من صفحة قسمك الأبدي:

(يا شجرة النزف.. يا حبيبتي..)

أقسم بكل ما أملكه في هذا الكون بأني لن أتركك، فعبير الصمت أنت الكلام، وعبر كل الحزن أنت الفرح، وعبر كل كيائي أنت أنا...

صراخ حناك المهجور يوقظني عليك، كيف لا تنسي وحدتي السابقة، وكل غريب يفصلني عنك يعيدني إلى تلك الوحدة، إلى ذلك الغروب الحقيقي عن الحياة.. لذلك أكره الكل..)

قسمك الأبدي ألا يفتت الآن جنبات الكون؟ لأنك تركتني حين عبرت إلى كيائك الهش وانتزعتني منه بقسوة عبر صمت حزني في قوقعة صبره، ماذا بقي لي الآن بعد تركت كل شيء ولحقت بها؟.. أزيارة صباحية كضيف غريب لتطمئن علي وحدتي، ولماذا أبحث لهذه الغريبة المحتملة أن تفصلني عنك؟.. ألا تحس الآن بغروب الحياة. ألا تكرهها، وهي جزء من الكل؟..

لقد اجتزت جسر سنواتي لتعبر منها إلى مملكة أحلامك الحمراء، ولم أكن أتصور أنك بيدك تضعني في انحدارات غروب حقيقية وموجعة وبعيدة عن الحياة، أنك نسيت كم بذلت لأخرجك من انحداراتك؟.. وحروفك الشاهد الوحيد عليك هل يوقظك الآن صراخ حناني المهجور من سريرك الصباحي وأنت تعد لها فنجان القهوة؟.. وتعيد لها لغة الحب والوعد والقسم، كم تبرعت في شرايبيني حتى شاببت على أغصان الروح العتيقة، ما

أغرب اللغة التي نحب بها، ونخرب بها حدودنا الآمنة،
ساحرة لغتك، ومساحر أنت بضعفك الداخلي المتسالك في ذاتك
الطيبة الوديعه التي ترق لدمعة أي امرأة حزينة إلا دمعتي !..
هذه الذات تخرج إلى منعطفات غير آمنة ليضيع منها وعيك
المنطقي.

أغتيل النهار من أيامي، بقي لي منه ساعة صباحية تفتحها
بقدمك ككل يوم.. وكل صباح.. بعد زواجك.. وما يحدث الآن
في صباحاتنا غرابتها أم نزيها؟.. أكان علينا أن نلتقي لنجمع
أجزاء، وأجزاء من تاريخنا لتمنع هذا الحب من التلاشي؟.. وما
زلنا نرعى نبتته معاً وتشدنا إليها.. مهما حاولنا أن نخرج من هذا
التاريخ ثمرته متأرجحة بيننا وهل نستطيع أن ننسى تفاصيل
عمري وعمرك رغم أننا نخطو فوق أرض الخراب ومازلنا نتلو
أناشيد الخرافة لملحمة حب احتلت حيزاً كبيراً من سنواتنا..
وكاننا نخضع لضعف خاص بنا، ونفقد أوهام القوة ونصالح معاً.
وعكس كل القصص المشابهة من حيث الشكل لقصتنا. لأنني
مسكونة في تكوينك وأنت مسكون بذاكرتي. وفشلنا معاً أن نغلق
كل بوابات النسيان.. حريق لا يطفئ في كل ليالي وحدتي، في
كل الصباحات التي نلتقي بها ندخل زمناً للتلاقي بنمط آخر
كأصدقاء مقربين، وكأحبة متباعدين، لكن ما يحدث الآن هو
اللحظة الأخيرة للحب، هل هي لحظة منبعثة من العود الأبدي
بعثت بيننا، بعد أن كانت موجعة جثة الحب ونحن نحرس
ضريحها الحزين، أقاوم بكل عنف دفنها، وأفضل أن أحنطها بلا
مشيعيين ونواحيين. أما القلب يعلن حداده بأثواب كل ليالي عمتي

المدلهمة.. لأن مقياس حزني يعادل بميزاته ثقل الحب الطويل الذي كان.. ثم يبدأ حزني يتحول إلى إطار جذاب حول جمال ألفاظك اليومية مع كل وداع..

- كوني قوية.. صحتك تهمني.. أنت قيمة أحترمها..
ضعفك يسرع في موتي..

هذا الزمن الذي اخترعته للتلاقي الاضطراري يتقطع على حدود الأعصاب المتوترة مع كل لقاء وفراق، وزمنك معها يولد فرحته، وزمني المتفرد بالغرابة يعطل حزنه الدامع، هكذا نتشابك مع كل الأزمنة وككل المتناقضات في صعوبة هذا الواقع الذي اخترته لي، ربما عوضتك عن أشياء ثانوية وليست ذات قيمة، ولكن هل تستطيع أن تستعير قلباً قناطره رخام الإخلاص الأبيض وعرشه صدر الأمومة المقدس؟..

أحاول أن أنتزع من ذاكرتي كل ما يمكن أن يغتال نسياني، وتبقى في غفوة السنين محاطاً بخوفي عليك.. بحزني عليك.. ونبقى في صمتنا المزدوج، وعناقنا الأخرس دون أن تتلامس.. وحسيس حنان ناعم شبيه بحفيف الشجر لأغاني ربيع مغادر حزين يلف لقاؤنا الصباحي..

- زواجي صورة شكلية.. لا حل سواه لأعيش معها..

أحيس نفسي من الأوجاع التي تعاود ظهورها في كل حوار بيننا حتى لا أصرخ:

- لكنه زواج ومضمونه فعلي ويمارس بكل حقوقه

وواجباته.. متى تخرج من لعبة العبث باللغة؟..

وشر لغتك دائماً جاثم على قلبي.. أهنالك لغة منافقة جذابة ولغة أكثر جدية وأقل تناقضاً وإلى متى تتفنن إغواء لغتك معي، وتبريراتك التي لا تغير أحداث الواقع الذي تلبسني وأصارعه ويصارعني؟.. وهل تبحث عن السلوى أم الواجب أم الحب معي؟.. وتجب محتجاً:

- زيارتي ليست واجباً.. رغبة اشتياق لك..
- أبقى محاصرة بك؟.. ورقتك لي تحسم الموقف بيننا..
- ورقة طلاقك مني تعني إعلان نهايتي..

أنتغلب على تعبي، أنظر إليك بوهن أم مرهقة مع ابن ضل عنها، وبخوف الصديقة، وحزن الحبيبة، ولوعة الأخت أتخاذل.. لأنني يستحيل أن أستعمل سلاحك ذاته.. سلاحي أبيض شغاف رغم غبار الحزن سلاح الحب الهادئ أهنالك أجمل من أن أحاربك بالحب بدل العنف؟..

وكعصفور جريح أرقص على إيقاع الصبر الفضفاض ، ربما لأنني أصبحت كتلة متهدمة، فقدت إيمانها وثقتها بكل ما هو عظيم وذو قيمة، أو ربما لأنني بدأت أرى ما حولي بأفكار جديدة.. أكثر حذراً، وأكثر وعياً. وأكثر دقة كل هذا جعلني ازداد عزلة، وانطواءً على ذاتي.. وتحضرنى رابعة العدوية حين اختارت خلوتها وارتفعت في ولهها بعد عودتها من رحلة شاقة مضنية مع الحياة والحب، لأن القلب لا يخطئ أبداً، ومن امتلأ قلبه بالحب الحقيقي شعر أن ملاذه ليس في هذه الأرض أو عليها

!.. إنما الحب في حياة غير هذه الحياة وكما قال السيد المسيح

- مملكتي ليست من هذا العالم -

دخلنا أزمنة التلاقي بنمط آخر.. والليل حولي خائفاً يرقبني لأن ما يحدث الآن هو اللحظة الأخيرة للحب.. وهل بدأ حزني يتحول إلى إطار جذاب من جمال أفاظك؟!.. ولغة صراخك المخزونة في وحدتك توقظني، تشعل حريقها الأحمر في ليالي المتابعة.. وصباحاتي المتتابعة.. أحبس نفسي في الأوجاع حتى لا أصرخ ربما نخضع لضعف خاص، ونفقد كل أوهام القوة لتتصالح مع الأشخاص الذين سكنوا ذاكرتنا.. وتكويننا ونغلق بوابات النسيان.. أتقلب على تعبي أنظر إليك بوهن أم أ وصديقة والأشياء الغربية تتمزق حولي.. وإيماني يغوص في أبدية الحب المطلق.. مات الفرح.. انتحر الحب قوياً.. وبقي وجهي منهكاً بتاريخك.. وورقتك ليست ذات أهمية.. لأنني صمت المجهول الذي ستفجر في زمن له بُعد آخر.. سأنتظره مدعورة ولن ينتهي زمن خريفي المنكسر!..

26- ورقة أخيرة

ترى أمامي ورقة أخيرة من حقيبة رسائلك وتكتب لي:

(جرح الصمت العوائى الموحش ينز سواداً مظلماً، دمامل الأجداب الصفراء تتفجر في داخلي، لتفرش دروب الرؤيا قيماً إنسانية تعيد الأصول أشعر الآن بغضبك المألوف بالحزن.. وأنت تقرأ من كلماتي الأخيرة..)

ألمس جرح صمت بداخلي الآن؟ وقد اعتمدت لي الدروب التي زرعتها بمكانتي الثابتة عندك، ودخلت في فوضى الأحداث، فوضى العواطف فوضى الذات فوضى المواقف الغوغائية.. أحس بفوضى غضبك ولكن سأتابع:

(أنا التي رأيت كل شيء، وأمنت بكل شيء ذي قيمة إنسانية. وأهم شيء قيمة الحب السامية، أحترق الآن بكل الأشياء، وأتابع خطواتي المتعثرة بين رماد متتابع يغمر الفكر.. والقلب.. والحب.. والوعي.. والجسد والمال. فتتداخل كل هذه القيم بين زمن هجراتنا المستحيلة..)

هل بدأت الأعصاب تتماسك؟.. هل بدأت القوة تستعيد حيويتها في ذاتي وأنا أخرج ببطء من بوابة الجحيم الكوني الذي وضعتني فيه، متأبطة دفترتي وحقيبة رسائلك، وأحس أن بعض البشر لا يغيرهم الحزن العظيم ولا الفرح الكبير، لأنهم دائماً يلفعون أحاسيسهم بضباب كثيف، ويخرجون من حدائق الذات وصدورهم تنفض الدخان وحشد غضبي يستفز ويعلن الصباح قدومك المعتاد وصوتك المتهدج يقول:

- ما حدث أمر عادي.. يجب أن نعيد التوازن للأشياء.. لتلافي أي خلل بيننا؟..

ونبقى نحن الثلاثة أصدقاء.. وحدثك تؤرقني.. لا بد من حل لها.. نحن نحيا حالة فكرية مميزة وسنكون أسرة ونرعاك.. تراني تعلمت التريث من جنوني؟.. وتعلمت أن أتهدج لغة العقل على جدران الجنون!.. أكل الأشياء تتقاطع وتناقش وتقرر

ببساطة مختصرة؟.. اقتراحاتك. إلى متى تجتاحني؟.. إلى متى تمد جسورك على مساحات أيامي؟.. إلى متى تهزمني، وتسطو على أشيائي هل بهذا القدر الهائل من الإنسانية؟..

ولم تنظر إلي بمنظار الشيخوخة وهل أنتما في ريعان الورود؟.. هل لأنني جئت قبلها إليك، تتناول على كياني.. وكرامتي وأحاسيسي وتمتد إلى عمري..

من قال إنني بحاجة أن أموت؟ من قال إنني بحاجة أن أشيخ بقرار منكما؟.. وحده جوابي يعلن رفضه، تعلمت ألا اغتال بسهولة مرة أخرى، وقد تقبت عرى القلب وحشوته بحفنات ضرورية من الحذر والتيقظ والقسوة.. وما أحمله الآن من ثقل كبريائي الجريح يعلن رفض كل الاقتراحات ولكن هل سيأتينا يوماً النسيان المنطقي؟.. أو يلزمني أن أتابع بقية الأحداث في جزء آخر قادم أو ربما يلزمني أكثر من جزء طالما أننا لم نفترق.. ولم ننس.. ولم نملك القوة على ذبح الحب الذي شاخ على أصابعنا..

ربما يسامحني القارئ.. عن كمل ما قلته، كل ما كتبتة، ولا يظن أنه تجديف أو غضب، كل الظنون، وكل أقلام النقد التي ستشهر لن تمنعني من البكاء.. من الرثاء لهذا القلب البشري المعذب.. ولن تعلمني لغة الكره والانتقام..

(فالخلود كالحلم أما أن يكون مشتركاً أولاً يكون)

إقرار..

أنا التي عربت نفسي من كل الأشياء، من معنى ولا معنى
الأشياء..هوامة مع احتراق حروفي وزمني، على أرصفة
الحصى أزحف وأقاوم السقوط، لأنني أمقت المساعدة.. أرفض
الاستسلام ولا أحتمل الشحوب في مراثٍ تمتص معنى الأمل من
أيامي الباقية..ولأنني مؤمنة بقول لسيد المحبة الإنسانية الذي كان
مثلي الأعلى..

(اغفر لهم يا إلهي.. لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون)

قد يكون فشلي كبيراً واحترافي أكبر وأشد.. لأنني تعلمت
أن أتوضأ في معابد الحب المطلق.. أتراني نبئة أسطورية لبعض
ملامحه الطيبة؟.. وتلك مسؤوليتي..

27- اتهام للتبرير

يا سيد العبور..

أثناء زيارتك لي بعد زواجك المبارك، كنت تحاول دائماً
تبرير فعلك وتبرير الفعل اعتراف بوجود خطأ ما.. أو خلل ما..
أو ضرر ما وهذا التبرير اقترن بعدة اتهامات وجهت لي،

واعتبرت اتهاماتك لي السبب المباشر الذي دفعك إلى هذا الفعل الاختياري.

بما أنني متهمة - المتهم بريء حتى تثبت إدانته - ولن ألتجئ إلى شهود وأدلة وبراهين كما هو متبع في المحاكم، لي شاهد وحيد أستحلفه هو - ضميرك - لأن اتهامك لي لا يبرر فعلك..

سيدي الكريم..

بعد كل ما خلفته لي من صدمة. وبعد أن جعلتني هشة لا أحتمل المزيد. أسمع صوتي الصارخ من كهوف القهر لا تغضب لأنك حولتني إلى كتلة أعصاب تحترق.. وأكوام الأحداث يتراكم في جدران وحدتي. فأرجو أن تسمع هذياني الأخير. ولا أقول دفاعي وشكراً..

العبور الأول:

أترك لك هذا الكم من الرسائل بخط يدك.. من حقبة السنين حين حاصرته بحبك الجارف. وكرستني.. قديسة مطهرة. ومنقذة لك، وإن لم أتزوجك الموت مصيرك، ولا أحد أحبك.. ولا أحد فهمك مثلي.. لقد أخطأت حين أنقذتك بحبي.. ألسنت مُديناً لي بحياتك؟.. فهل أستحق انتقامك هذا؟..

وأنت ابنتنا - ابنة الحب البكر - كما سميتها أنت وكنت سيدة التكوين هكذا كان العبور الأول..

العبور الثاني:

ربما اكتشفت إني إنسانة غير التي توقعت، ولكن لماذا لم تكتشف هذا السر الخطير خلال علاقتنا قبل الزواج وبعد زواج استمر ثمانية وعشرين عاماً ألم أكن معك كتاباً مفتوحاً بكل التفاصيل؟.. أدق التفاصيل.

ألم أقدم الكثير من التنازلات لنستمر معاً؟.. وبما أن نوعية المرأة التي تجذبك مغايرة لي تماماً لم اخترتني أنا؟.. هل تستطيع أن تنكر إني أثبت فعل محبتي بتطبيق مبدأ أو من به:

(أقتل طفلاً في مهده.. ولا تقتل رغبة عند الإنسان)

العبور الثالث:

تتهمني بالتبذير والكرم وعدم الحرص على أموالك، أستحلفك بكل ما هو مقدس لديك.. كم من الثروات والأراضي كنت تملك؟.. أنسيت سنوات الفقر والكفاح والعمل.. وأنت القائل:

سأعوضك عن كل ما احتملت يا ذات الأقدام التعبى..

وهل كنت أعرف أسرارك المالية حين أصبحت ثرياً؟.. وهل كنت أملك غير مصروف المنزل؟.. أكنت سيدة متبهجة؟..

هل غادرنا المدينة إلى مصيف ما؟.. إلى سهرة ما في مكان عام؟.. هل وهبت ثروائك لأحد؟.. أما كنت برغبتك تستعد أمي المريضة ألم تكن إنسانياً في مواقفك أكثر مني؟.. لكن أعتقد أن المال قلبٌ موازين الأمور وحين ملكته بعد حرماننا الطويل،

كان تعويضك لي رائعاً اشتريت به عروساً ومنزلاً.. وخسرنتني أنا..

العبور الرابع:

أهتم بالآخرين وأساعدهم بكل شيء.. أولاً من هم الآخرون؟.. ليسوا أقرباء من كلا الوالدين فالعلاقة منفصلة معهم، وأنت تعرف السبب وهل بعض العلاقات الاجتماعية والعائلية والأدبية حدث خارق وهل فرضتهم تجاوزاً لأرادتك؟.. وهل هناك أسرة تعيش منفصلة عن العالم؟.. ألم أثبت لك بأكثر من موقف إنني أتخلى عن الجميع إلا أنت!..

العبور الخامس:

هل كان يحق لي أن أفرض صديقاً خاصاً على جو الأسرة؟.. وهل يسمح لي أن أتزوجه واستمر معك؟..

لماذا لم تثبت صديقتك أفكارها المتحررة عن الأهل. والمجتمع.. والتقاليد وجعلتك ترضخ لتوقيع صفقة زواج رابحة لضمان مستقبلها وحضورها الاجتماعي؟.. هل سمحت لأهلي أن يساوموك وأنا وحيدتهم ولا ضماناً لي. ولا أرث منك شيئاً. وقد تم زواجنا دون شروط مساومة.. رغم الاختلاف الديني..

لماذا أستغل حبك وأوقعك على ألف شرط؟.. وكنت مستعداً أن توافق على كل شيء؟.. دون مناقشة.

وكيف تطبق نصاً شرعياً كنت تعتبره ظمناً للمرأة وفيه سيطرة الذكورة ألم تقطع علاقتك بكل مخلوق تزوج مرة ثانية

ولم تدر له أسبابه أهذا نتيجة منطقية للأفكار المتحررة والمتطورة، وما قيمتها إن لم تطبق على صعيد الواقع؟..

العبور السادس:

من بعض قراراتك التي صدرت أنك لا تستطيع النوم إلا في غرفة منفردة. واحترمت رغبتك. أفاجأ أنك مع - العروس - بغرفة واحدة وسرير واحد..

أهكذا كنت تلغي أوثقي وفق رغباتك، هل تملك طاقة أن تراني مع رجل آخر ونحن في قمة نشوة الانتصار عليك بالسن التي تختارها؟.. من حقك أن تمارس رغباتك وتشتري فتاة أصغر منك بمالك، ترى هل لو كانت كبيرة بالسن تختارها، وهل لو كنت فقيراً تختارك هي؟.. ألا تحتاج المرأة التي تخلق عنها زوجها إلى حزن رجل لتمارس حقها الطبيعي؟.. من تختار لي يا زوجي العزيز؟.. أأست إنسانة مثلك؟.. أأست إنسانة مثلك؟..

العبور السابع:

وتأتيني ككل صباح هل لتطمئن على أعصابي أو لتحرق أعصابي، وتحاول أن تربط بيننا خط وهمي من الود.. وتكرر.. إنها تحيك.. حزينة لأجل وحدتك ترغب أن ترعاك.. هل تعتقد أن الضعيف والخائن يستطيع أن يحب حقاً؟ إنها ترغب أن تكفر عن الأذى والضرر، وترغب أن تخلق من خلالي حضورها الاجتماعي. ألا تكفيني مرحلة التعذيب خلال سنوات الصراع معها ومعك؟.. وهل بسهولة أستطيع أن أمحو آثار الجراح النفسية وهل تستطيع أن تعيد لي صحتي.. وأعصابي التي احترقت؟..

لو كانت تحب كلينا فعلاً لما فعلت ما فعلت، فالتضحية أعظم من الحب. تستطيع أن تحبك مدى الحياة وتكون إنسانة فعلاً مخلصه لو حافظت على أسرتك أنا أحترم مشاعر الحب مهما كان نوعها ومبرراتها. ولكن هل هي حالة حب؟.. إني لست بحاجة إلى تعويض. ولا مساعدة. ولا رعاية من أحد..

يا سيد العبور الأخير..

هل تستطيع أن تفهمني كإنسانة لا كزوجة؟..

هل تستطيع المرأة المتقدمة في السن أن تشتري بما لها زوجاً أصغر منها؟.. ولماذا تصر وبرغبة حقيقية أن تحتفظ بنا معاً.. تريدني وتريدها وتريد أن نعيش معاً.. ما تفسير هذه الحالة التي تخطط لها معها؟..

لقد قدمت أدلة هدياني، فأرجو منك قرار حكمك العادل بعد أن تضع حسناتي وسلبياتي بميزان المنطق والضمير الذي عرفته فيك وأرجو أن تحكم كإنسان وتنسى أنك طرف في القضية، كإنسان استثنائي مفكر.. ومثقف.. ومحرر.. وليس كزوج.. أترك بعد ذلك الحكم للقارئ..

وأرضى بعدالته..

القسم الثاني

رسائله

النور الخفي

1- صديقتي الحزينة..

ليس لنا أن نختار.. ليس لنا أن نختار ما نريد، هكذا أشعر

بينما أحاول إيجاد التعابير التي تعبر عن حالتني.

حسناً - ليا -

كل شيء سيسير إلى النهاية التي أراها الآن، وأرجو أن تتأكدي ألمني شعور واحد حين خرجت من حلب أن لي -صديقة حقيقية -أطلب منك بإصرار أن تهتمي بصحتك، وأن تدركي إصراري نابع من رغبة عميقة تعيش في داخلي منذ أمد بعيد.. لأن صحتك هي الشيء الوحيد الذي أهتم به الآن. تحياتي إلى النفس التي رأيتها قد حطمت وإلى الأبد جدار الأنانية السخيف ووقفت في قلب العطاء..

بيروت 1968/6/15

2- ليا - تحية الشقاء المشترك..

أود أن تقرئي معي أيامنا في هذه المدينة المجنونة، إنني أعيش حدثاً ينبئني أنك شعرت ببعض المشاعر الغربية تنهرس في كيانك المرهف. وإن حدسي يقول أنك عايشتني بهذه المشاعر الغربية عنك غربة الشعور أمام وضوح العقليات، هكذا أحس وأنا أكتب -يا ليا -إليك الآن وسط عالم ذهول الراحلين نزلنا من القطار، تلفحنا رياح الغياب عن بساتين الصمت المأكولة بنهم الرغبة في الإنسياب عبر صواري الفرج.. لحظات ولحظات تتطاول بعناء وتحدي.

تحية لك.. وأجد إلى جانبك معنى الصداقة.. حدثيني عن كل شيء. وعما يجول في خاطرك الحالم، وتطلعاتك القدسية، احكي عن دروب الوجدان، عن سماوات الصمت الحزين.

إنني أرى الآن وجهك الصارخ بوجه الوحدة، ففي قليلاً أيتها الوحدة الداخلية عن أكلي وأرى يديك الطيبتين تبعدان شبح الخوف عن المستقبل.

إلى اللقاء مع كلماتك التي اشتقت إليها كثيراً..

بيروت 1968/7/18

3- ليا..

بكاد منجل كلماتك الممزقة يحصد بقايا الورود في
أعماقك، قفي قليلاً أيتها المجنونة الشقية قفي لحظة تأمل، هنيهة
انبثاق، قفي على أقدامك التعبى، وانظري بملء عينيك
الحزينتين إلى المستقبل، وبكل وساعة صدرك الإنساني قاتلي
الجنوح الداخلي إلى الظلام قفي ليا..

أين أنت؟!.. هكذا يتوارى الصمود الذي وعدتني به،
وبكل السرعة الرهيبة تصلين إلى حافة النكوص، إلى بعض ديار
الله التعبى. أين إلهك الخاص؟.. أين دماؤه الحارة أين اللهيبة
الخمري الذي كان يبرق في عينيك، أين كل شيء؟.. لم ذهب مع
الريح أغنيات الراحلين عن صحارى اليأس؟.. إنني لا أريدك،
وسأرفض مع الصديق -كلود- سلوكك المتهاوي إلى أعماق
التشرد الداخلي القاتل، وسنرفض معاً ليا -الحاضرة.. ليا
المأكولة بنهم الفقدان.. ليا الأكلة ذاتها.. والمطعمّة ببقايا وجدان
أخضر وأقولها للمرة الأخيرة -يا ليا قفي!.. لم صفعتك الذكريات
فأذابت وعيك؟.. الشارع السخيف. أجبي ذاتك هل نحن في
الجانب الآخر من الحياة، هل طمسنا الموت.. لا يا ليا.. وها
كلماتي تشهد على ذلك.. ثقي إنني أود أن أكون مخطئاً فيما
سأقول:

إن معاشرة الحزن لأمد بعيد تعكس الصورة الداخلية
للسعادة، فيبدو الحزن هو الباعث الوحيد للراحة وأنت كذلك..

هذه حقيقة مؤكدة من تاريخ الإنسان النفسي وأود ألا تكوني
كذلك..

بيروت 1968/7/30

4- ليا الطيبة..

كلنا وحيدون بشكل أو بآخر. تكبر هذه الوحدة أو تصغر
حسب تعمقنا الفردي ببعض مشاكل الحياة. كلنا مأكولون بنهم
الرغبة الجائعة والمندسة في أعماقنا، لذلك أشعر أنه من
الضروري مجابهة كل ذلك بشيء واحد نملكه ويجب أن نستمر
في ملكيته بقوة وهو: الوعي، الفعل، الانتباه الدائم. إنني أعلم يا
ليا أن الوعي يتراجع في بعض الأحيان مفسحاً المجال لطغيان
المشاعر، ماذا يحصل بعد ذلك؟!.. شيء شبيه بالموت يتغلغل في
الأشياء، يبعدها عن إمكانية ملكها. لذلك أصر على ضرورة
وجود الوعي في الرؤيا، أشعر الآن بعد أن بدأت كتابة القليل من
الصفحات في قصتنا أن ثمة شيئاً سنفعله في الحياة. حاولي أن
تأتي ولا تنسي أن تحملي معك صورة ليا التي كنت على موعد
دائم معها في شوارع مدينتنا الهادئة..

إلى اللقاء..

أفبك.. لا تغضبي لأنها ستكون على جبينك.

بيروت 1968/8/3

5- ليا..

إنني لا أريد أن أسمع بعد الآن شيئاً عن القصة التافهة - الطبيب والمريضة - كما أنني نسيت كل الجو السخيف الذي تعيشين فيه، ونسيت أنك وحيدة، ونسيت كل شيء، وإنني جد مرتاح هنا. ولأنك لن تحتاجي بعد الآن إلى إنسان تتكئين عليه كعكاز..

أعرف أنك قوية، وتتحملين كل مصاعب الحياة وحدك مع لياليك التي تمتلكينها لذاتك التعبى.. كل هذا رائع. إنك الآن أشبهه بباخرة جبارة تعبر المحيطات، حسناً أود أن أقول لك إنك لم تعرفي شيئاً واحداً هو أنك لا تعرفينني، ولا تعرفين كلود أيضاً. وربما دفعك عنادك إلى أن تقولي: نعم لا أعرفكما. أعود فأقول حسناً يا ليا.. إذا قتلت أوهامك، وحطمت إلى الأبد روعة الوهم حينما يعاش فحسناً فعلت. نعم إنني متفرج أعد الطعنات وجد سعيد بهنائي ونسياني بؤسك، سأذهب غداً لأبحث عن مدرسة أتلقى فيها دروساً حول معنى البؤس والشقاء كي أستطيع فهمك. والآن أنا جد حزين لأنك قلت ما قلته. إنني لا أحب قطعاً أية علاقة قائمة على أساس الذكاء. وإنك كنت ذكية جداً حينما ذكرتني وأنت تفرئين -رواية المحمومون -إننا أصدقاء إن كنت تذكرين المعنى الذي اتفقنا عليه حول الصداقة. إنني لا أريد أن أناقشك الآن في أي موضوع، أنتظر فقط رسالة منك حتى أعرف كيف أتحدث إليك، أعود فأقول أنني لا أحب الذكاء في الصداقة يدفعني إلى هذا القول غضبك من قبلاتنا قبل السفر.

ورغبتك في صفعي. هناك وجهان قد تفهم من خلالهما القبلات:
الوجه الأول: هو أنك صديقة فأستطيع تقبيلك بود وإن أغضبك ذلك.

الوجه الثاني: إذا فهمت قبلاتي من خلال الرسائل على نحو آخر ورفضتها وغضبت منها فلا أستطيع أن أقول لك سوى أنك طفلة لا تعرف الحب.

أخيراً أحب أن تعلمي أنني أذكر جيداً تاريخ رسالتك الأولى وكانت 1968/7/24 ، وتاريخ رسالتي إليك 1968/7/30 . وهذا يعني أنني أجبتك في نفس اليوم الذي وصلت فيه رسالتك. وذلك يرغمني على قول الحقيقة التي عشناها أنا وكلود وهي قلق مستمر مزعج إلى حد بعيد..

لم لم تكتب ليا!..

هو يقول لا بد من ثمة حادث منعها من الكتابة، ورحنا نتخيل ما يمكن أن يحدث. إن كلود مزعج جداً ويقول:

- لا أعذرهما على هذا التأخير.

أما أنا فماذا أقول:

- حسناً كل ما فعلت.. وكل ما كتبت.. بكل غضبك وثورتك..

تحياتي مع القبل شئت أم لم تشائي..

بيروت 1968/8/15

6- ليا..

لست أدري متى ستعبرين منافي التساؤلات، ومتى ستخرجين من غرف انعدام الممكن، هذا ما لا يعلمه إلا الشيطان، الحقيقة أنني هذا الانطمار في مهاوي الاستحالات يا ليا..

قد نكون منابع الضلال، قد يكون الحزن دربنا الأبدى، قد يكون لنا في المستقبل تكرار الماضي وقد تلفنا الظلمة، إنني إنسان له حدود الأعصاب والتفكير والتخيل، وأنا بكل بساطة أحب أن أقدم ما يملكه هذا الحب. وليس في موقفي أكثر من ذلك ولا أقل، وإن لم تلبني هذا الطلب عن قناعة وفهم عميقين فهذا يعني خلق عثرات خطيرة في حياتي، أهمها أنني لا أستطيع أن أتصور أن أعيش وكأني لست محباً وهذا يعني في المستقبل أشياء كثيرة فكوني لست محباً لك شيء لا أستطيع تصوره. وبعد ما قلته الآن ستفرغ جعبتي الكلامية وسأعرف كيف أعاملك؟..

بيروت 1968/8/30

7- ليا..

لست أدري عن ماذا أحدثك؟.. كنت أعتقد أن الكلمات مطواعة بين يدي أرسم بها ما أشاء من الصور والأفكار والأحلام، كنت أرى في انفلاتات الغروب أكبر المشاعر شحوباً، وفي ابتسامات الفرح أعنف الآلام. وفجأة غيبيني الذهول في جدار الصمت الكونية، وارتكاسات المعنى المفقود في الضمير البشري، وهكذا حملني التيه في بطن الأوار، ولم أجد ثمة ما يقال بعد هذا الانفصام الانهدامي بين نصفي الطريق إلى الحقيقة.

تمالكي أعصابك يا ليا -فثمة اندهاش خلف النتوات الإنسانية التي نتعامل معها. ثمة بعد آخر في الوجه الذي ترين فيه دائماً. وهذا البعد هو إمكان التغيير المتضمن كل نفس بشرية، والرعب الذي يهز وجودنا باستمرار هذا اللامكان الذي لا نكف لحظة واحدة عن الشعور به. أراني الآن مشدوداً إلى تاريخي الشخصي قابلاً في زواياه العتيقة أفتش في ضوء الانبهار وفي العيون التي تحرق بي. لم أكن أعلم في ذلك الزمن الضبابي الأحمق أن كل ما أبحث عنه موجود فيّ، مزروع في شرايبي وما علي إلا أن أرقب المنظر الداخلي الذي أحمله في أعماقي كأني إنسان. وهذا المنظر بحاجة إلى موجه. وحين علمت كل هذه الأشياء كان الأكلون قد انتهوا من طعامهم. فوجدتني كتلة عظام ررضتها أضراس الوحوش. وهكذا سرت عارياً أمام نفسي على كل الدروب أنسج من عناكب الوعي ثوبي الذي أريد..

8- ليا..

تحية الصداقة الطافحة بالحماقات التي تثيرنا إحداها إلى حد بعيد فنغضب، ونرفض، ونحزن. ولكن سرعان ما تتبخر هذه المشاعر المؤقتة والتي يكون السبب الأكبر في وجودها طبيعة الحياة الشقية التي نحياها. إنك تعرفين حبي للمباشرة، والابتعاد عن التخطيط حيال أي شيء وفي كل المواقف وذلك لن يتم إلا بعد وجود صداقة قائمة على أساس المحاولة لمعرفة طبيعة كل الأطراف المرتبطين بهذه الصداقة. وكل ذلك لغاية واحدة وهي تقديم المساعدة إذا أمكن بناء على هذه المعرفة. إن رسالتك لم تقتعني لحظة واحدة حول مقاصدك في الرسالة السابقة، وهذه الرسالة أكدت كل ظنوني، إلا أنني رأيت شيئاً من الإقرار غير المباشر حول ما جاء في رسالتك السابقة، وهذا الإقرار صفي إلى حد بعيد كل الشوائب، إنني أستطيع أن أقدر وحدتك، وعدم ثقتك بالحب والمحبين، ولقد خلقت وحدة خانقة سياجها الصمت والألم وهذا ما يؤلمني جداً.. والآن أود أن أسمع في رسالتك القادمة حديثاً طويلاً عن حياتك عن كتبك التي تقرئين، عن قصائدك التي تسطرين، عن مشاريعك الدراسية، وبعضاً عن حوادث العائلة. والكثير الكثير عن لوعة فقدان، وحرقة الألم التي تعذب المستقبل وخوفك منها وكيف ستعيشينها.. لا جديد في حياتنا.

كلود ينتظر عملاً جديداً، أما أنا فأكتب قليلاً، وأقرأ أقل لعدم وجود الكتب، ولكني أفكر كثيراً في كل شيء.. وهناك

صعوبة حالياً في إيجاد عمل لي.. منذ مدة رأينا فلم -الحياة من أجل الحياة -وكان جيداً جداً حاولي مشاهدته إن أتى إلى حلب، كلود مزعوج جداً وإلى حد بعيد لأسباب كثيرة أكبرها أنك لم تستطيعي أن تنفذي شيئاً واحداً من أقوالك ووعودك، وبقيت خائفة من وضعك الصحي، وما سيحدث من عتمة مخيفة في مستقبلك، وضياح أحلامك أمام هجمات الألم، والقلق الذي خلفه لك الأطباء.

لك تحياتنا بلا قبلاات حتى لا تغضبي..

ملاحظة: هذه الرسالة متأخرة لأن موزع البريد مريض..

فعدراً...

1968/9/30

9- ليا..

يا صديقة الوجدانات المنفية إلى جسور العبور، لا تسأمي من تتابع لحظات الانتظار، ولا تحزني لنفينا ففيه الخلاص الحقيقي، فإن لم نكن منفيين فكيف نكون؟..

أؤكد لك أن الحياة هي تلك اللحظات المعتمة، والتي ننفي فيها ومن خلالها إمكان انبثاق النور بل شمول هذا النور، وإضاءة عتمة الكون، لست أزعم التفاؤل، بل أريد فقط تسجيل وعيي لتجربة الحياة التي أعيشها، هناك حقيقة ليست حقيقية وهي أن الجوع المادي لا يمكن حسب ما يتصور ويعتقد معظم البشر أن يشبعه الوعي الممتلئ بقيم الإشباع، إذا امتلئ الوعي بها

تستطيع أن تحدث الشبع الداخلي، والذي بدوره بنويماً في الأخذ والعطاء ونحن نعيش لحظات الوعي الممتلئ..

يا ابنة الصلاة.. صمتك المتكلم أحاطني برعب الهدوء، ماذا تقولين بتلك الصور التي يتبدى فيها وجهك؟ أشعر في بعض الأحيان أنني سأدوب من الخوف عليك في وجهك صورة الفراق إحساس مذبوح، نواح المبعدين، صرخات المهاجرين. وجهك الصامت يقول لي: مئات الجبال سنصعدھا قیل أن نلتقي.. حكايات وجهك الصامت تعيشين قساوتها بصميمية تكاد تمزقني، إن كان التاريخ الذي عشته يقول لك واقع ذلك من خلال صمتك إنه من المستحيل أن نلتقي، فهناك أنقال لا نملك القدرة على حملها. لذا فأنت تعيشين معي في حلم مبتعدة عن كل مكان يتحقق فيه عيشنا معاً. شعورك صادق ولكن لم يخرج من دائرته، ولم لا نحطم هذه الدائرة؟..

فأنت لست وحيدة يا صديقتي ! يا منبع الضوء في عيني، لست وحيدة، ربما يوحى إليك واقعي بأنني لا أستطيع الآن فعل أشياء حاسمة كالتخلص من أثقالنا المادية، ولكن ثقي أنني سأفعل شيئاً ما سيكون فيه خلاصنا، ثقي يا زهرة الغضب، ثقي بلحظات اللامكان المبدع. ثقي بأنني سأفعل شيئاً ما.. لا تسأليني ماذا سأفعل؟.. لأنني لا أعلم بالتحديد كيف ومن أي النقاط سأنتقل، إلا أنني سأنتقل، ليس كلامي من قبيل التشجيع، لا ولا هو اندفاع عاطفي أمام صمتك الذي حرقني.

إنني يا حبيبتي سأفعل أي شيء من أجل خلاصنا، وأرجو أن تثقي أنني لن أرتكب أية حماقة، أو أي فعل لا

أخلاقي، فأنا كما قلت لك مراراً لا أعرف هذه الأساليب وأرفضها وأرفض حتى التفكير فيها. لأنك تعرفين صدقي وأمانتي الخاصة لمبادئني..
اطمئني يا عيوني..

حلب 1969/1/1

10- ليا..

الجسد اللين المنساب في معابر الألوان يسقط في مساحات الدم المجنون، يهوي بوعي حبيبتي إلى كهوف الغياب المطلق، العويل الخارجي المحموم يعمق إحساس الغياب، ينشر اللاتزامن في رؤى الأعصاب المصروعة. الآفاق المنقوعة في مجد الصفاء تطل من خلال منافذ الحزن باحثة عنه. وتتسلل الالهفة الداخلية بصموت مخمور أين أنت؟.. تعالي افرشي وجودك علي.. لحظات أخطو خلالها على أرض شواطئ الجوع المقدس ويسرقني الغياب لأعواد الظهور من جديد لحناً مجدولاً بفرح الأحلام.. إنني أقسمت أن أسرق الحزن والجنون من وجودك، كدت أهمني دموعاً، كدت أهمني صراخاً وتقتناً وتماسكت أمام بحيرات السلام العجيبة.. سلام حقيقي في عينيك.

1969/1/12

11- ليا..

يبدو لي أننا أبناء زمن واحد، ربما يكون في ضمير

الماضي البعيد أو في المستقبل، إن الأشياء والعالم والإنسان وكل ما هنالك من تسميات نحس بها ونراها بشكل يختلف تماماً عن كل الأشياء التي يراها بها الآخرون، ليس لأننا غرباء، وليس لأننا متشائمون ولا لأننا سئمون.. إن كل ما في الأمر أن هذا العالم هو الغريب الحقيقي عن العالم.

فالحياة في جوهرها ليست أبداً هذا التابع العادي المستمر لعالم الرغبات اللاواعية وإشباعها إنها تملك مبدأً حياتياً آخر هذه الحياة يا صديقة.. ففي كل ذرة منها عالم عجيب يبحث عن منفذ للخروج..

1969/1/23

12- ليا..

لا شيء يستطيع إحلال السلام في عالمي. إن كل ما أطمح له بعيد جداً بحيث أنني أبدو أمام نفسي في بعض اللحظات أبله، فقد قدراته التحليلية بشكل نهائي، إنني لا أعرف السبب، ويخيل لي أنني أعرف حتى بعد الموت، إنني غريبة أخذت تتأمل ذاتها منذ زمن بعيد سأروي لك حكاية تغوص الآن في ماضي بهدوء حاملة معها رمز الحياة بمعناها الطبيعي إلى أبعد زوايا نفسي، كان ذلك منذ اثنتي عشرة سنة أو أكثر، في ذلك الزمان كان وجهي نضراً وكذلك نفسي، وأشياء عديدة فيّ كانت نضرة وكنت لم أسأل بعد إن كنت أحب الحياة أم لا؟..

و لم أسأل أيضاً عن سبب الرعب الذي كنت أعيشه بشكل

عام كنت أحيًا كشاب فيه بعض الأسرار. وكان ثمة حالة واحدة فقدتها الآن هي أن الأسرار لم تجبرني يوماً على التأمل فيها، أسرار سأتكلم عنها في وقت آخر، إلا أنني أحب أن أقول لك الآن إنها ساعدت إلى حد كبير على عيش الحكاية التي سأرويها لك:

كان ذلك في أيام الصيف، وكنت حينها قد بدأت أجد الحديث مع أصدقائي الذين يحيطون بي. لذلك كنت أشعر ببعض الامتياز عليهم، ولقد لعب هذا الامتياز دوراً كبيراً في حكايتي لأنه منحني نوعاً من السيطرة التي كنت أجد استعمالها. لم أكن ديكتاتورياً، كنت أملك قدرة الإقناع بما أريد أن يقتنع به محدثي. وأعتقد أنني لا أزال كذلك حتى الآن..

1969/1/28

13- صديقتي..

حينما يفقد الإنسان قدرة التحكم في ظرف مجهول، أو بتعبير أدق حينما يعطي المجهول قرار الوقوف اللامحدود حين ذلك تبدو القضايا المطروحة في مشروع المستقبل وكأنها لبست ثوب التجربة الفكري الخالص لتفقد بعد ذلك تلك الحرارة التي تستثير المشاعر والخيال، نضوب متكاثف في جسد العقل وجفاف ملحني في شرايين الكلمة، لست أدري كيف ترى عينيّ بعد ذلك شيئاً آخر في وجوه الناس، وأرض الشوارع، ولوحات المخازن. وأدور بوجهي على مرايا الماضي باحثاً عن شكل النور في عينيّ. وعبثاً أدور بهذا الوجه الماضي. أو حكاية السر الصغير الذي نحبه مرغمين فقد جاذبية السر، قبل أن أخطو خطواتي الأولى على مرايا الفعل الإنساني كنت تكتلاً جسدياً يعوم على سطح الأشياء. يسجل بخوف انبهاتي أبله بعض الارتطامات المجنونة على مسافة الشعور اللامتناهية، في ذلك الزمن الفائض في الوجود النفسي عندي. كنت أرى الأشياء كما هي دون أي نزيه معرفي، دون أية هندسة فلسفية، لذلك لم أعلم أنني أعيش، وأن لهذا العيش معنى ما. أكبر الحوادث الخارجية كانت شبيهة بنشوة كأس الخمر أو بحرق على الجلد تنتهي ضمن مسافة زمنية تطول أو تقصر، ولم يكن هنالك وجود لأبسط أنواع التأمل للعلاقة الموجودة بين الحادث الخارجي وأثره في النفس، وعلاقة هذا الأثر بالمستقبل.

عشت سنين عديدة بذاك التكتل الجسدي الغارق في

الجسدية، ولم أكن أعلم ما معنى السعادة ولا معنى الألم، ولا تلك اللحظة الواقعة بين حديهما، ورغم كل ذلك أستطيع أن أقول الآن أنني كنت عائشاً، وقبل أن أعرف شيئاً عن معاني كلمات الخلق والإبداع والهدف والحرية والمسؤولية .. و.. والقيمة والسؤال. كان ثمة ظلال من رعب تنتثرها في أوهامي الشاحبة شياطين مجنونة كانت تحوم في أجواء سهرتنا. والرعب هو أول محدث للحظات التأمل التي عشتها بكل ثقلها الخانق ولم يكن هناك أي منفذ للخروج من حالة الرعب هذه، ومع مرور الزمن ودون وعي لهذا المرور راحت تتخثر في شراييني النفسية أبخرة المجهول، وكان لا بد من عيش حالة السؤال ضمن هذا الإطار الخرافي..

1969/2/5

14- ليا.. صديقتي..

أترين.. أتسمعين غثيان أبله كاد أن يطمر أحاسيسي، هذا الشطط النفسي في الحركات، وهذه اللغة المجنونة بترهلات هستيرية ماذا حدث؟.. انهدام الكون.. مادت شوارع الحلم. انصهرت إلى الأبد لحظات الحب في طواحين الهواء لماذا حدث؟.. لم يحدث شيء، سوى أن صانعي تماثيل العبادة يحطمون هذه التماثيل في معابد الخواء العاطفي المبتورة من هنيئات جنون أحرق.

يا ليا..

غمرني إحساس بالإشمزاز من كل مكان يحيط بي،
ولولا عيناك اللتان كانتا تتذكراني في بعض الأحيان لسقطت في
مناهة الدوار..

1969/2/9

15- ليا..

سأعود لمتابعة الحديث السابق بعد الانتهاء من تسجيل ما
يدور في رأسي الآن من أفكار، الساعة الآن تجاوزت الثانية
والنصف بعد منتصف الليل. إنني قلق جداً، والنوم قد هرب من
عيوني بسبب الأفكار والصور التي راحت تتوالى في خيالي
وأنت فيها بمثابة محور تدور حولك..

تذكرت الحديث الطويل في البيت مع والدة تلميذتك،
وتذكرت الاندفاع والحرارة اللذين كنت تتكلمين بهما وسألت
نفسي: بماذا تشعرين وأنت تتكلمين؟.. وطال البحث ولم أعثر
سوى على شعور واحد وأؤكد أنك كنت تشعرين به، وهو أنك
موجودة وأن الكل يستمعون إليك بشغف وامتعة، إنني أحب أن
أقول لك عفواً قبل أن أتابع لأن مثل هذه التحاليل مزعجة جداً
حتى ولو أنت مني..

ليا..

بعد غياب طويل أراني مضطراً للعودة إلى الحديث عنك

كفنانة، وهذا الحديث سيدور حولك من وجهة نظر نقدية عبثاً حاولت أن أجد فيك لحظة كنت خلالها تبحثين عن بعض الأشياء في الوجود، عن الوجود ذاته، عن المعنى عن كل ما بحث عنه الآخرون.. إن كل أحاديثنا تدور حول نقطتين:

إما أنا وأنت، وإما حول المشاكل المحيطة بكل منا.

إن لم نتحدث حول هذه الأشياء تصمتين وأبدأ أنا بسخاقتي، إنني أعرف أجوبتك سلفاً ستقولين إنني مرهقة من العمل من المسؤولية من كل شيء وليس هناك كما تعلم لحظة هدوء وسلام من خلالها أستطيع الاهتمام بالأشياء التي أريدها، وحتى الأحلام التي أرغب بتحقيقها ليس في حياتي غير ما أقرأ وأكتب. حسناً إذن يجب أن أصمت وأن لا أتحدث بعد الآن حول هذه المواضيع حتى تغمرنا السعادة. حين ذاك سنتوجهين فقط إلى عالمك إلى الكتب والحوارات.

ثقي يا ليا.. أنك ستشعرين بتفاهة كل العالم حينما تكونين سعيدة.

1969/2/12

16- ليا..

بين الأمس واليوم جدار من الهواء، وبين كل التاريخ البشري الحاضر جدار آخر من الهواء.

يبدو أن لا شيء يملك القدرة على توضيح السمات

الأساسية لمعنى عالم الفكر لديك فأنت رضيت بمصير البطلة..
ولم تطمحي لمصير المبدعة..

1969/2/14

17- ليا..

الجدران المصنوعة من الفقدان تتعملق حولي، والأبواب
الداخلية أغلقت ولست أدري كيف أصف الانهدام المتواصل في
مسارات الوعي..

ليا..

الصمت مملكة عجيبة يتعمق إحساسي بها يوماً بعد يوم،
والحزن من أروع حالات السكر حينما يندس في أقدس
المشاعر.. أنت مريضة.. هرتك وحيدة على الأرض. في عينيك
شيئاً آخر أوقد في أعماقي شموع الابتهاال والرجاء، وفي سواد
هذه الليلة الخالص أجلس كهرتك، في كل وجهك لون حضارة
الصين يكدس في كياني معاني: الصبر الصمت الوحدة ومن
خلال كُليتك تعبر صلوات الهدوء إلى خلايا الرهبة الراكضة في
شراييني.

أنت وأندلق في بهو السؤال لأعبر مضاجع الحيرة إلى قاعة
الصمت المليئة بقبور الدموع. مدي إلى صمتي خيوط النور..
مزقي العبور..

حبيبتي.. والدرب عض الريح.. جن بوحدتي..

ليا..

يكاد الدوار يلقيني بعاصفة من الطين، يوديان من الصمغ
هناك حيث عمّد الألم وجود الظلام.

1969/2/18

18- ليا..

لم لا يستطيع الإنسان أن يوقف حماقاته في بعض الأحيان؟..
بل لم يشعر بلذة إطلاق هذه الحماقات؟.. ولم يعتاد على الندم بعد كل
ذلك؟..

لا شك أن هذه الأسئلة هي الوحيدة التي يطلقها أحدنا بعد
أي حادث يعيشه مع الآخر فبعد كل ما أحببت أن تسميه معركة
يشعر أحدنا بضرورة طرح هذه الأسئلة.

إن الموقف الذي حدث اليوم بيننا هز كياني بشكل عنيف
جداً، خلخل نقاطه المنطبقة في قواعد تفكيري، زعزع وجودي
الذي صار متماسكاً منذ أن أحببتك.

ليس حزناً ما أشعر به الآن.. ولا ألماً ولا تمزقاً ولا فقداناً..
إنه حالة انطفاء عجيب.

1969/2/20

19- ليا..

صوت عوائي صحراوي بعيد يصيح، وأجداب تاريخي متآكل
يتنامى في دائرة الصمت التي تُلْفني، وأكبو على نفسي، انسحب
باتجاه الدوار.. إرهاق، تعب، شحوب، نضوب، وألف وشاح من
تمزق تنفذ من خلالها نظراتك الملتاعة الحزينة. لتحوم في وجداني
غمامات فرح بوجودنا المتداخل.

1969/2/25

20- ليا..

ماذا نفعل بقوانا الممتدة بأبعاد الكون؟ أنتركها هكذا تتغلغل
وحيدة في خفايا السكون؟ وإلى متى نظل مراقبين حذرين من
جنون الشظايا التي تتطاير في أجواء حدائقنا الملقية على أطراف
مدينتنا الناعسة ماذا نفعل؟.. سؤال يتمطى فيه خوار التحدي الذي
يجب أن نتصدى له بكل عمق الصمت الذي يلف وجودنا، يجب
أن نغلق مدار السؤال ونحطم أفاقه المجهولة.

1969/2/26

21- ليا..

جرح الصمت العوائي الموحش ينز سواداً مظلماً،
ودمامل الأجداب الصفراء تتفجر في داخلي لتفرش دروب
الرؤيا قيماً إنسانية تعيد الأصول، أشعر الآن بغضبك الملفوف

بالحزن، وأنت تقرئين كلماتي الأخيرة، وأستطيع أن أتصور نظراتك المتهمة وكيف ستوجهينها نحو أعماقي، وأستطيع أن أتخيل غمامات بيضاء تسبح في سماء عينيك منذرة بالدموع. ولكني لا أستطيع أن أتصور مشاعرك لحظة واحدة. تعيشين خلالها وبشكل حقيقي أنني انفصلت طرداً من طريق الخلاص لأعود إلى شوارع الملايين، إلى حيث زمن كف عن الموت بداخلي، وعاد ليحيا ضمن ساعات الآخرين يوماً وكلاماً وأصداء وجود..

أواه ليا.. أشعر بضرورة التحدث عن كل المشاعر التي تنتابني، عاد الزمن وبدأت أشعر بتوالي الأيام. واختفت صورتي كوجود متسرب في الكون. بدأت أحس بإمكان خروجي من وديان الفراغ الممتلئ الذي نخلقه للأسئلة الأساسية في الكيان.

1969/3/2

22- ليا..

أحب أن أعود بنا من ذلك الزمان إلى حيث تستقر جدائلك، إلى حيث تمطرين بداخلي سلاماً وراحة. أحب أن يسمعي الوجود وأنا أناديك يا ليا..

صفي الحزن في أصيص الورد
صفي الصمت في نافذة الصلاة
و ضعني في أرجوحة أغانيك..
علنا ننبت على جبين الحضارة مسيحاً جديداً.

1969/3/5

23- ليا..

يحلو لي أن أتغزل بك هذه الليلة كما تراك عيناى
المغمستان بخمر من الصفاء المتفجر في كيائك الانفعالي الواعي.
هذا الكيان المهجور في أقبية العطاء المطلق وأحب أن أسقط فيه
أن أنساب في زواياه المعتمة حيث اللحظة في خلاياه انبثاق
أسطوري يطل على شطآن الصمت المسحور، هناك كنا يا
حبيبتى رمز التراجع نحو الخلق.. نحو بدء كوني.

ألا تذكرين كيف كنا نغير الريح بمركبة الشمس متجهين
نحو قمم الضباب حيث تسكن أمسيات العاشقين، ألا تذكرين كيف
أمسكنا بوديان الحب، وكيف رحنا نصنع منها سواقي للعطاش.

أواه !.. من تلك الأيام، ويا لعظمة سر الكون إنها تعود
الآن حاملة معها رطوبة السحر الذي كنا نحياه.

1969/3/8

24- يا أشقى طفلة في العالم:

ليا.. عيناى لم تصدقا.. ووجهي حار بين عوالم التعبير
ماذا!.. لقد عدنا لتتابعنا الصعود إلى حيث يغفو جسد الزنيق. هناك
واحات الخلاص تمتد بتراخ طفولي عجيب، الهم ينسكب منك جرار
الخور في الوجدان تضطرب، خيال زمننا الغافي على وجه الغياب
عليك يا نهد الجروح وبسمة السم الغريق بنهر أعصابي، إليك أتيت.
ومنك إلى الفقدان أرتحل.. وفي الألام أنصهر.. كوديان من الأمطار
تغتسل. من الحمى تردم الحب. وتنتظر..

1969/3/10

25- صديقتي الحزينة..

لست أدري بأي لغة أتحدث إليك، إن تصرفاتك الأخيرة
تشير بوضوح محزن أن شيئاً ما بداخلك يحاول اغتصاب
وجودي، إنني أتألم لأنك تسمحين باغتصابي، وذلك حين تستقبلين
أعين السواد. إنني حزين جداً يا صديقتي لأنك فقدت كل شيء
حتى أنا. لا تحاولي أن تفهمي كما تريدين الآن، إنني أحاول الكف
عن كوني صديقاً لا يغيره أي شيء.

إنني كما عرفتني في زماننا الشقي، ولن أتغير لأنني لم أكن
مغامراً ولن أكون، فلقد وعيت عمق صداقتنا وستعرفين ذلك بعد
سنين طويلة، أعود إلى القول إنني حزين جداً، وأشعر أنني قد
أسأت إليك حينما حاولت أن أدخلك إلى عالم الحقيقة، وما يعزيني
أنني واثق من أنك ستسامحين من حاول أن يقدم لك شيئاً من

الواقع. لقد قلت أنك تعبى إلى أبعد الحدود من الحياة، ومن المسؤوليات الملقاة على عاتقك والجميع يطالبونك، والجميع ينتظرون عطاءك لاستمرارهم في الحياة.
أسألك الآن:

- الأزلت تعتقد إنني لم أعد أعرفك؟..

لم أكن أعلم أنك حين ستفهمين وضعي ستسمحين لأيدي الظلام أن تدخل إلى أعماقك لإخفائي من عالمك المليء بالحزن، والحب، والعطاء. أعتقد أن طريقنا لم ينته بعد.. لذلك أستطيع القول اليوم ستهمي كل الزهور في كل أيام عامك الجديد. زجاجة عطر هدية ربيع أيامي معك.. كل عام وأنت.. حبيبتي وصديقتي. وكل شيء في وجودي..

11 آذار 1969

26- ليا..

لقد عدنا يا حبيبتي.. بعد أن بددت نظراتك المسائية كل الرعب الذي تغلغل في كياني وعدنا إلى حيث تجلسين في أعماقي زهرة تتفتح. لم كانت نظراتك بمنتهى القوة؟.. حتى بسمه الوداع التي حبيبتي بها كانت قوية. إنني الآن أتعجل مجيء موعدا علي أعرف هدف هذه القوة رغم أن حبي يوحي إلي أن هذه القوة لن تكون لغير صيانة حبنا العظيم. إلا أنني لم أستطع أن لا أخاف.

1969/3/12

27- ليا..

يبدو أنني لن أنام هذه الليلة.. ولن تعود إلى هنيهات الصفاء
الذهني، ولن أركب معك مركبة المهاجرين إلى جزر الغابات
المضفورة بالفرح..

1969/3/15

28- ليا..

أدور.. أدور على وجه العصور، أدور مثلما الدنيا تدور،
في الصمت في الأحلام في الرؤيا أدور. محطم كالأرباب في
نداءات العبور، متماسك كالتنين، لي معنى الصخور..
ليلة الليالي.. حبيبتي..

لا شيء في الكون يستطيع أن يمنحني قدرة التعبير كرمز
يتراقص في أعماقي، جنية من ألف ألف عام. جاءت إلي من عمق
الظلام، من تيه رؤيا الأنبياء لملمت سلام. ولا شيء يملك قدرة
إحراق الحطب بالماء سواي.. لذا أراني مهجوراً في الحضور..

ليا.. أقسمت باسم النحل.. أن نحيا.. ولا شيء يستطيع
إيقاف عبورنا المكتسح.

1969/4/2

29- ليا..

أحببتك لأنك زاهية الألوان كحبات التوت.. مغمسة بالسواد النقي، محاطة بهالات التمازج الكوني كقوس قزح. وللأصفر منه نعومة الصبر الصيني.

1969/4/7

30- ليا..

لا أحد يبحث عني في الطرقات المهجورة، أسير حاملاً وحدثي لألتمس من خلالها طريقي المنفي بين أجساد الظلمة، عشت كل أيامي أبحث عن الأحلام والسحر والإيمان بهما كم هي يابسة تأوهاتني تكاد تجرح رئتِي.. لم حطمت أوهامي دفعة واحدة، وتركتني أشعر بتفجر عيني، ودموعي، لأن لا أحد يسأل عني حتى أنت يا ليا..

أواه.. أخيراً جاء المنقذ.. أهلاً بك أيها الموت.. أهلاً بأيديك السوداوين تعال واحملني بلطف، تعال يا صديق المعذبين.. تعال يا أرجوحة العدم. واقذف بي على شواطئ السلام المطلق، هناك إلى جوار الأبدية الصامتة حيث تنام بهدوء أحلام الأطفال..

1969/4/10

31- ليا..

يبدو أن كل المهام التي يجب أن نتصدى لها بكل تحد وقوة ليست أكثر أهمية مما كنا يجب أن نفعله في الماضي دائماً وأبداً حتى اللانهاية.. كلمات لا تحمل في حد ذاتها أكثر من رموز يلتقطها الإنسان ليشير بها إلى ما يشعر به من مشاعر وأحاسيس تجاه قضاياها الخاصة. وأريد منك أن تجدي التعابير التي تملك وساعة استيعاب المشاعر التي تعيش في كيانك وأريد منك أن تفعلي ذلك بشكل دقيق وواضح جداً أمامك، أطلب منك ذلك ليس لأنني أشعر أنك تقولين غير ما تشعرين به، بل لأنني لا أريد أن تعذبي نفسك بلا مبرر.. فأنت في هذا الصباح بدوت أمامي كمن فقد كل شيء، أو كمن يشعر بإمكان فقدان كل شيء.

ولماذا كل هذه المشاعر لأنك لم تكوني نبية وتكشفي الغيب الذي اختبأ به. ولأنك لست نبية يجب أن تتألّمي وتشعري بإمكان فقدان كل شيء.. ما يدهشني وسوف يدهشني أيضاً عمق التناقض الذي تعيشه هذه المشكلة حينما أسألك:

- لماذا فعلت كل ما فعلت بنفسك ومستقبلك وطموحك

و تحيبي:

- إنني لم أكن أتصور أن لي مستقبلاً، ومستقبلي الوحيد موجود أمام تمثال السيدة العذراء في دير ناعٍ.

حيث أجد عمق التجربة الروحية المتغلغلة في كياني وأحياها. وتعمقين في شرح وتحليل شخصيتك إلى درجة تقنع

الشياطين معي. ولكن قولي بحق كل شيء لم لا أقتنع بما تقولين، ومتى تكفين عن هذا التعذيب لنفسك؟..

ليا..

أرجوك كفي عن التفكير بكل الماضي وما تحملت من الآلامه ومشاقه ومسؤولياته وأولي اهتمامك للحاضر، وما يجب وما يمكن أن نفعله كي نملكه..

1969/4/15

32- ليا..

لكل شيء في هذا العالم منطقته الخاص. ولكل منطق أصوله في اللائج، وتنفيذ هذا اللائج متوقف على عمق وأصالة الشعور بها، وعن طبيعة الحياة القائمة على أساس التناقض وأنها لا تتوافق دائماً في مسارها مع الإنسان، فليس طبيعياً قطعاً أن يأخذ الإنسان كل ما يريد، لأنه لو تم ذلك لتوقفت الحياة عن الاستمرار، لذلك أرى من الضروري أن لا نغيب في مزح الأمانى في الوقت الذي تقدم لنا الحياة ضرورة البكاء أو الصمت، إنني عرفت من خلال تجربتي الخاصة أن فهم الحياة يتيح تخفيف وقع ضرباتها علينا، كما يتيح إمكان تجنب هذه الضربات في بعض الأحيان والنفس البشرية بعد أن عمق تاريخها هذه التناقضات بداخلها فقدت الكثير من إمكان تنفيذ اللائج التي يملئها المنطق، ونحن يا ليا، لنا قدرنا الخاص بمعنى أن لنا مع الحياة تناقضاتنا الخاصة، وقد تكون من أعمق أنواع التناقضات، وقد يحمل أحدنا هذه التناقضات إمكان قتلنا. وتبرز الآن

ضرورة البحث عن اللائحب الخاصة بنا، ولو انطلقنا في البحث عن هذه اللائحب من خلال تجربة الحب فلسوف تأتي هكذا: أولاً يجب أن يتنامى هذا الحب. ويجب أن يكون استمراره الهدف الأكبر في حياتنا، والغريب حقاً أن الحب يتنامى في أهلك ظروف الحياة، ويستمر في أشدها قسوة. لأن الحب كجوهـر شبيهه جداً بتلك الزهور المنبثقة من تشققات الصخور، ولأن مشاعر الحب هي من الأصالة والعمق في النفس البشرية بحيث كل التشويهاـت لم تستطع قتلها يا ليا -منذ مدة ونفسي مسروقة مني ملقية في أتون طواحين الهجران الفكرية. فلقد قمت بملايين الدراسات ولم أصل إلى نتيجة غير التي أشعر بها كلما تطلين علي ماذا؟!.. الراحة والسلام وأنت..

1969/4/18

33- ليا..

أن نكون أو لا نكون هي القضية الأساسية في هذا التحدي الوجودي الذي يحاول أن يتعملق علينا. ففي الجملة الأولى كما قال وأكد كل الفلاسفة عبر التاريخ يكمن سر الحياة في التحدي وهو الجوهر الذي تظهر به الحياة بكل أشكالها، بكل أبعادها. فإما أن يجابه الإنسان هذا التحدي وإما أن يهرب. والتجربة الفكرية الطويلة التي عاشها الإنسان تشير إلى ثلاث ممكنات أثبتت حسبما أعتقد بطلان اثنين منهما:

الأول: أن يجابه هذا التحدي بالحب. والثاني: بتحد أحـمق. والثالث: بتحدٍ واع لجوهر التحدي الحياتي العام. وأنت حاولت أن

تجاهي التحدي بالحب المطلق للجميع. والبذل ونكران ذاتك
فحققت انتصارات مذهلة في الفشل.

1969/4/20

34- ليا..

لم يبق غيرك.. انسحب المتفرجون من مسرحي كانت
المسرحية تتحدث عن الفشل لذا أسدلت الستارة بعد الكلمات
الأولى من الفصل الأول، انسحب المتفرجون ولم يبق غيرك..

منذ وطأت أقدامي دارة الصمت حاولت أن أخلق صوتاً،
ومنذ أن تكونت في خيالي أول الصور حاولت أن أخلق آخرها.
وكانت بادرة نبيلة مني أن أحاول هذا آخر ما يمكن أن أقوله.
أشعر الآن أنني لا يمكن أن أخلق أي شيء لأنني قامرت بكل
شيء من أجل الحصول على كل شيء. فخسرت كل شيء..

و لم يبق غيرك سؤال يلح علي منذ مدة طويلة، لماذا وقف
الحب أمامي وسد علي كل الطرق لماذا لم يدعني في تشردي
وبؤسي وضياعي. لماذا أهل أجبنتي حقاً يا ليا!..

أنا إنسان أخذ منه كل شيء، ولم يعد لديه شيء يقدمه لك.
إن دموعي التي تحرق عيني الآن لا تستطيع أن ترد عنك أي
شيء.. وحببي لك هو المكان الوحيد الذي أشعر من خلاله أنني
لست فاشلاً. ولكن هذا الحب، وهذه الدموع لا يملكان القدرة على
تحطيم حزنك الرهيب والصامت في عينيك المقهورتين.

1969/4/23

35- خواطر التمام:

و لمت شعرها السابح
في تماوج السحر المذهر
وغاصت في الرمال تعذها
وبقرب الوقوع: تعابرنا
كنقاط تتعابر في الكلمات
نحن الكلام الآتي
في الكلمات
ارفع أشرعتك..
امضي..
يا ضياء..

أعمدة مرمدة في التيه
مسفوحة على امتداد العودة
محظوظ وجهها في اللحظة
متروك على شرفة الهاوية
أدخنة تعبق برائحة البلور
و تتراقص في التواسع
أنا.. انهيار البدء الرصين
هكذا قالت
عجوز الأخيذة المفكفة

1969/4/28

-36

1- في غمرة الجلوس
بين مزارع التوحيد
و حيث ينمو المطر
كان وجهي لوجهي وجهاً
تعارفنا في تواجد الوجد
الذاهب إلى وجده
هناك حيث أشرعة البرق مفتوحة
على تمايل المطر
و حيث روح الأرض ملموسة
بتمام الكلمة.

2- صار النور نخباً في سراديب النكهة..
كما المراد صار مريداً
و تمايلنا
على رؤوس الرعشات
نتناظم في اللعبة
يا حسرة التحاسر على الانحسار
أفيقي من مخشى البقاء
و أتطابير في تعفن الأتربة
و أكون

-3
أنا صانع الفتون المرعب مدتنا..
و من الملح تعالي
أنا ابتعاد الليل..
يا أنا..

1969/5/2

-37

-1
أنا منجي السحر المزهر..
أنا تفادح الغياب
تفوحوا.. فوحوا
في تسابحي

-2
أنا فحيح اللوعة إلى السر
أنا انطماس التتادهر
فيّ أراكم
أنا من مدّ السؤال
آه..

-3

تتلاعب فيّ الدهشات
و أسكرها..
و ترنحني بها

1969/5/8

38- ليا..

مئات الصور والكلمات والشوارع والناس تشير إلى
المنحنى الوحيد الذي أقيم عنده. هذا المنحنى هو البعد الأول الذي
لا أستطيع تجاوزه.. لأنني ابن شرعي له..
إنني لا أرمز إلى أشياء مجهولة..

1969/5/15

39- ليا..

الشارع يمتد في قلب المكان، والأنوار المنتشية بعيوننا
تداعب أرضه بظلالنا السكرى بخمرة الإحساس بالمكان. الشعر
يتطاير من أفواهنا وحركاتنا، والشعراء فرحون بفعل عبور
أحاسيسهم إلينا، واتجاهها إلى المكان. لما التقت عيوننا ترنح
المكان مؤكداً وجودنا الزمان يا حبيبتى.. وسرنا على الأقدام،
على الأرض التي صارت من سيرنا أحلام..
أنت وأنا نسير في المكان.

1969/6/16

40- ليا..

تدور في عينيّ حبات دمع محرقة تبحث عن منفذ،
أحسست أنني لا أستطيع أن ألمسك حتى أن أتطلع إليك لا
أستطيع.. وسقطت من عينيّ دمعتان حزينتان، سيأخذونك مني يا
ليا، وسيجرموني من حبك المخلص، وحملني سقف البيت،
ودارت بي الأصوات وترنحت ماذا؟.. ليا أمامي.. وأصابعها
المحروقة بنار الشوق تنظر إلي..

1969/6/20

41- ليا..

من هناك أي من المكان القابع في اللامكان، حيث لا أستطيع
أن أحدد وأفهم من هناك، يقترب ضباب مخملي تسبح في أبعاده
دماء الرعب، هذه الغيوم المرشوشة بالوقوف والحزن تقترب، كل
هذا إلى هناك يقترب بهدوء كالظلام، بحيرة صمت تحوم على
وجهها، زوارق الدموع حاملة جيوش المقهورين. شكل خرافي من
الأفكار، يؤطر وساعة المعرفة، وينسج حول اللامكان شباكاً
عنكبوتية ماذا؟.. حالة سؤالية يضج الإبهام في أعماقها لتلف
الحركة التلقائية بحبال التجمد.. أنت !.. حضور ينفذ إلى خلايا
ضياعي المنهوك، ضياعي المهاجر في ضمير الفقدان، ووجود
من الإرهاص والنكوص المتتابع.. أنت.. أنت.. أنت وانغمس
بهنيتها من الحمى اللزجة، في رأسي مساحات مهجورة، منفي أنا
كفعل فيها.. ملقى على ثلج السلب هنا حيث لا شعور باللاوجود،

ولا انفصال عن الوجود.

نحن.. نحن.. حبلا عطالة ممتدان في الفراغ.. يا عرافة
الظلام..

1969/7/7

42- ليا..

تحية لصبودك الإنساني الذي جسد أمامي تجربة مسيحية
عنيفة، لأنت يا صديقتي لا بد أن تكوني -وردة غضب -يفوح
النزق منها باستمرار، لسبب بسيط هو أنك لم تختاري هذه
التجربة أنك وجدت نفسك ضمنها فعشتها بتحدٍ قوي ففعلت فيك
كل ما يمكن أن تفعله تجربة من هذا النوع. إن حياتك استطاعت
أن تأكل الأمل، والوهم، والخيال عندك. امتصت كأسفنجة كل
الروائح العطرة من حولك. أود أن أسجل هنا احترامي الشديد
لهذه التجربة، كما أود أن أسجل أيضاً اعتراضي عليها، أشياء
كثيرة لا تعرفها يا صديقتي ولك الحق أن تتصوري مدى
أهميتها لأنك لن تستطيعي أن تحددتي ما يمكن أن تحدثه في
نفسك معرفتها، فأنت مؤمنة وبعمر القيم الإنسانية المسيحية أنني
أحترم هذه القيم، وأحترم إيمانك بها، ولكن هناك قاعدة حياتية لا
بد من الإقرار بها بعد معرفتها وهي: حتى نشعر أننا موجودون
لا بد أن نعيش العصر الذي نحن موجودون فيه. وهذا يعني بكل
وضوح وبساطة أن لكل عصر قيمته ومعتقداته وأصول عيشه
ومن لا يعرف ذلك فسيعيش حالة انفصال في حياته. فليس من

قبيل الحقد والكرهية والترفع ما أحدثك به دائماً حول تفاهة الإنسان في بلدنا ومجتمعنا. إنني أحب إنسان بلدنا، ولكن ذلك لا يمنع من إظهار حقيقة أن الإنسان في مجتمعنا دون أي ظلم له لا يحمل هوية واضحة فهو تقدمي في بعض الأمور، ورجعي في الأخلاق، خلوق كمظهر، إباحي كسلوك، كريم في الشكل، بخيل وأناي جداً في المحتوى، ولا أريد الآن سرد مقارنات محزنة حول لا وضوح الهوية لإنساننا الحاضر من هنا ينبع اعتراضاتي على كل ما خلفته فيك تجربتك وقيمك.

إنني أجدك إنسانة ستجد السعادة المطلقة فيما لو عاشت في القرن الخامس عشر حيث القيمة السلوكية كانت كما أنت.. وكان المجتمع سيرى فيك قمة تجسيد لقيمه العليا.

1969/7/18

43- ليا..

لم أكن أملك قدرة التصور، لم أكن أملك حتى أن أتخيل أنني سأجلس ذات يوم أمام وجه طافح بكل تعابير الحب يرسمها بلا تردد أمام عينيّ التعبتين من رؤية القساوة، ليقول لي من خلال هذه الصور النورانية.. أنت بقيت الأمل المضني لوجودي الآتي.

1969/7/28

44- ليا..

أراني بعدما كنت أتحدث عن فرحي الكبير تائهاً مغروراً
ينظر إلى نفسه من خلال مرآة مصنوعة من الوهم. أواه ما
أصعب تسرب القلق إلى نفسي المطمئنة، وما أصعب أن يتم ذلك
عن طريق من هي -عيناى- لست أدري ماذا أكتب؟!.. لسبب
بسيط هو أن من أكتب إليه يفصلني عنه قلقي عليه، ليس سهلاً أن
يسير الإنسان طبيعة الأشياء إنها عملية معقدة، وتخضع لقانون
الرغبات الذي يملك قدرة تجميل وتقبيح كل شيء..

إن الوحش الذي أعيشه ويعيشني شديد اليأس يملك قدرة
إقناعي بالسير في الطريق يروي ظمأه القلق يا صديقتي أداة إثارة
عجيبة لهذا الوحش، ومن الصعب أن أتصدى له بقدرتي الواعية
قبل أن تمرى في مخيلتي كنت أكتب بكلمات مطروشة بعطر
السلام وكنت أجمع أنفاس السعادة التي غلفت حديثنا الأمس فجأة
أجدني قلقاً، وتضيع في خيالاتي المعاني، وينتفض بداخلي شعور
بالقهر وأحاول قتل هذه الحالة، بعد قليل ربما تتصل بي، ويمر
هذا القليل من الزمن وأقول: بعد قليل سألتقي بها في الشارع،
ويمر هذا القليل أيضاً مصحوباً بلهيب الشمس ولم ألتق بك.
وأقول لا بد أنها اتصلت بي وربما كنت في الشارع، وأسأل وإذا
بك لم تتصلي أيضاً. إذاً لا بد أن هناك شيئاً ما قد جرى وحال
دون سماع صوتك أو لقائي بك. سأعرف ذلك بعد قليل من
الزمن.. ربما لن أعرف، وربما يكون هروباً أو خوفاً، وإذا كان
كذلك، وهذا ما أتمنى أن لا يكون قثمة جدار بدأ يرتفع بيننا..

1969/7/29

45- ليا..

خرجنا من أروقة عيوننا.. يلفنا صمت الخيال.. تتنادى في أعماقنا هسهسات الوداعة.. ويتناغم في وجداننا معنى أن نكون..

1970/2/25

46- ليا..

إلى هناك هاربة يا طفلي الصبية محمولة على أودع النغمات، وأشدها تعبيراً عن معنى الطريق المؤدي إلى الداخل، وغابت ليلاي الصبية وراء أستار غمامية، وراء عدو الأطفال في دروب الكروم ولم أكن أتصور أنك طفلة بهذا الكبر، وبهذا التجسيد المتسكب في حقول عينيك الغائمتين على مروج المطر. أواه منك!.. يا حديقة أشجار التين، ويا ابنة خوابي العسل المحمولة على رؤوس القرويات. أواه! كدت أهمي ندىً على شواطئ أحلامك الحمراء المليئة بالأصداف العجيبة..

1970/3/4

47- يا شجرة النزق يا حبيتي..

أقسم بكل ما أملكه، وما يمكن أن أملكه في هذا الكون بأنني لن أتركك، فعبير كل الصمت أنت الكلام، وعبر كل الحزن أنت الفرح، وعبر كل كياني أنت أنا، إنني لن أعدك بأنني لا أتركك،

بل سادعك تشاهدين حقيقتي في الواقع.. سنعيش معاً.. للحب..
للحزن.. للسمت.. للفرح.. لكل شيء سنعيش، فلا تخافي أي
شيء.. إنني أحببت فيك ليا -المبدعة لي وجودي. وجع النداء
يؤلمني، وصراخ حنانك المهجور يوقظني عليك وبدأ وجود يموء
في فقدان يحملني إليك.. تعالي.. أكاد أشم رائحة الحريق.

1970/4/4

48- صديقتي وحبيبتي..

طالما وقفت على وجهي أصلي للعابرين على دروب الحزن.
وطالما بكيت على موائدهم الصامتة. فكيف بي معك يا جرار
الطفولة المملوءة بخمر الصفاء. إنني أريد أن أدخل معك فسحة
رؤيا، وأريد أن تشرب معاً من خمر تجلينا المعنق في شرايين
النبوة.

أه !.. ما أعذب مياه الكشف الروحي، إنها تغسل الطهر،
أريد وتظنين ما أريده حياة لا أريد أن أكون عبر شرارات الضوء
الأبيض معك.

حبيبتى المطلقة..

كيف لا تنسين وحدتي السابقة، وكل غريب يفصلني عنك
ويعيدني إلى تلك الوحدة إلى ذلك الغروب الحقيقي عن الحياة.
لذلك أكره الكل..

1970/5/11

رسائل بلا تواریخ

1970

49- ليا..

لم أصحو بعد من خطر الانعتاق الداخلي الذي مسني بعد حادث الفيض الرؤوي وتكورت في فراشي ألتمس الدفاء والعودة إلى تتابع الفراغ المنطقي الذي أعيش من ظلاله مع الآخرين وخطر لي أنني أبود كأحد المجذوبين.

عبثاً أحاول الخروج بك من دائرة العذاب التي تلفنا، وعبثاً أمنع نفسي من الذوبان في طهرهك المقدس فمئذ تعارفنا غرقت فيك، إن الفشل الذي لا يكف لحظة واحدة عن ملاحقتي طوال تاريخي والذي أحاول دائماً إيجاد المبررات له يخنقني في بعض اللحظات وأشعر بالموت حينما أرى في وجهك علامات الوحدة، إنك تتهميني بعدم فهمي لك، وكانت هذه التهمة تظهر على فترات متباعدة أما الآن فإنها دائمة الوجود في كلماتك، قد أكون في بعض الأحيان بعيد عن فهم لحظة معينة ولكني واثق من أن حبي الكبير لك قادر على جعلني أفهمك، أرجو أن تخرجني هذه الفكرة من رأسك الجميل، إنني مؤمن بأنك تملكين طاقة هائلة من الوعي ومؤمن أيضاً بأنك المخلوق الوحيد الذي استطاع الدخول إلى أعماقي لأنك الوحيدة التي أحببتي بكل صدق.

إنني اليوم فقدت قدرتي على السيطرة على انفعالاتي بسبب الحزن العجيب الذي أخذ وجهك يحرقني به ومن آثار كل هذا الحزن هو أنا، وليس طبعاً بقصد إيلاكم، وإنما كوني قد مزقت كيانك إذأ أنا السبب في إثارة حزنك لهذا جننت وفقدت أعصابي، وهذا كشف لي بدوره أنني السبب الأول والأخير في كل آلامك،

طبعاً ليس أنا كخلال وإنما أنا كأوضاع وحياة وأدركت كل ذلك في لحظة واحدة جبلت رغبتني في إثارة كرهك لي فتصرفت وقلت ما قلت فقط من أجل أن تكرهيني وبذلك أريحك من هذا العذاب الذي أسببه لك نتيجة كل أوضاعي. إن أشد ما أكره في هذه الحياة - الموت - إنه حقير وتافه لأنه حالة العدم الخفية التي يمكن أن يتصورها الإنسان، إنني أحلم أن أعيش معك ملايين السنين ورغم كل ذلك فكرت اليوم في الموت بشكل جدي لأنني فقدت قدرة رؤية وجهك الحزين وفقدت قدرة تحمل مسؤولية هذا الحزن لأنني لا أستطيع الاقتناع لحظة واحدة بأنني لست السبب في كل هذا الألم الذي تعانين منه والذي يحضر في كياني قبوراً صغيرة، ونظرت إلى وجهك وكلمات وداعك ودموعك التي صفعنتني ملايين الصفعات.

و بكيت و بدموعنا المصفورة بدمنا النقي غسلت أفكارني من الموت وعدت إلى يديك قديساً يطلب العبادة في ظليلهما الإلهي. غداً لن أراك.. لماذا؟!.. لن أراك وتطلّ من عيني الدموع وتنطفئ في قلبي شموع، وأدوب حناناً إليك يا كل الخشوع.. غداً لن أراك ميلاداً أسود في ميلادي وأشباح عماء في صلواتي.. وغداً لن أراك..

وحدي مع الشوارع.. وحدي مع العذاب.. وحدي مع الدموع.. ولماذا لن أراك يا كل أحلامي يا نبع الصفاء بكل أيامي، لأن الشقاء موعدي والنار والأحزان وسائدي وأنت بعيدة عن موعدي.. أبكي، وأبكي، وأبكي وأنت بعيدة عن موعدي. يا مسكرتي العميقة، يا دهشتي.. يا مولدي.. يا أنت يا حبيبتي،

استباحني الشوق ومضغني وفي روعي إلى أقدامك التعبي حنين،
لن أراك يا ليا.. أبهذا أنت تؤمنين؟..

يا مسيحيّ، سجد اليسوع في وجهك، وبكى لأنك لن تأتي.
أحن إليك.. أذوب في قدميك. كل الأبواب مغلقة، يا دروب
الجلجلة، أنت بابي الوحيد. ورغم ذلك لن تأتيين.. أحبك.. أحبك..

50- حبييتي.. حبييتي..

رغم كل شيء..

أين صوتك، أين كلماتك؟.. كيف غبت، كيف هوت من
تحت أقدامك الوثوق، كيف حدث كل ذلك. استطاع اليأس المتجمد
في نظراتك أن يشل القدرة التحليلية لديّ، لم أعزي هذا الانهدام
الكياني الذي أصابك بقسوة، إن أشد ما أخافه يا حبييتي هو أن
يستطيع هذا الانهدام التغلغل في علاقتنا، لأنك قد ترين من خلاله
إمكان تحطمننا، وتريديين في أبسط الحالات إمكان ابتعادي عنك،
من أجل ذلك يا حبييتي المقدسة أنا خائف..

أشعر الآن أن العالم سينتلعني في مطاويه الحجرية إذا ابتعدت
عني.

يا حبييتي الشبيهة بلون الدموع، ويا مالكة وجودي أكثر
من كل المعاني الفلسفية..

السحر أنت يا حبيبة وأنا من ابتدع رموزه، أنسيتني أن لنا
في صمت المستقبل حكاية أيتها الساحرة المجيدة، إن في بعض

جوانبك الزوبعية يكمن معنى الخلق أنسيت ذلك؟..

أواه منك يا حبيبة أعراسي النشوانة، إن جسد الكون يناديك، ورياح الأرض المصبوبة في تماثيل الجمال تنظر إليك، فكي غلالات الأساطير، وانزعي عباة الخرافة وستري أن السحر أنت، ومعنى الفجر أنت، وحكايا الأطفال أنت، كلماتي تخرج من صمتك، ندائي يسبقه ندائك، والنور يطل من الظلمات، قرأت بعينيك أحلى الكلمات، رأيت بوجهي معانيها، أنت في المعبد تنتحبين وأنا بجوارك ساجد النور يفوح من الآهات، ليخمر حباً صار حياة، هات أصابعك التعبى أقتلع بها كل عيوني، فأنا لا أملك أن ألمسها وحدي إن أنت تركتها وحيدة. فالיום ولأول مرة تركتها وحيدة أصابعك التعبى بين أصابعي.. يا ليا الحب بوجهي يبكي، وحنيني إليك يوزعني بين الطرقات المهجورة إن أنت فقدت -ليا- فأنا حتماً مفقود..

و الآن يا حبيبتي الوادعة وداعة الندى أقسم بحبي وأقسم بك يا ضميري الواعي أننا سنكون معاً خلال الشهرين القادمين ولو كلفني ذلك أن أفعل كل شيء. معاً سنكون أقوى على مجابهة كل شيء.. معاً وإلى اللحظة التي تلفظ فيها أنفاسنا الأخيرة سنبدع عالماً الذي نحب، خطر لي فكرة وقد تكون هي الحقيقة، إن جدتك بعد أن عرفت تقريباً كل شيء جلست تفكر كعادتها فيما يمكن أن تفعله كي تحول بيننا وطبعاً قد تعرفي الأسباب ولا حاجة لقول أي شيء. وحينما ضاق بها تفكيرها عن إيجاد حل يحقق لها رغباتها بعيداً عن إيدانك بشكل مباشر مثل طرح الموضوع أمام أبيك والمديرة والناس الذين تعتقد أنهم يستطيعون

إيجاد حل عند هذا الحد لم يبق لديها من حل غير اللجوء إلى فكرة السحر عليها تستطيع أن تحقق نتيجة وراء كل الأحاديث التي تنقلها لك عن مشاهدتها من حرق أوراق، أو صب ماء من صنع خيالها. وإن كانت مثلاً تجد ما تحدثك عنه فهي صانعة كل ذلك. هذا مجرد رأي أرجو أن تفكري به قليلاً، وإنك تعلمي أن السحر إيهام أكثر من حقيقة.

51- حبيتي

الساعة تجاوزت الثالثة بعد منتصف الليل، قرأت كلماتك، قرأت كيانك المسجي عبر آلامي لأنك تقتربين من المرض، لاشيء يستطيع إقناعي باستمرار هذا البعد، إن الزمن القادم إلينا في صفحات التاريخ يعزف الآن ألحانه الأخيرة ليقدم إلينا بعضنا، تركنا انتظاراً في حمى ضجيج الحياة، عانقنا بعضكما.. أدخلنا بعضكما..

ليا.. إنني أحبك.. إنني أحبك، إفعلي ما تشائين فكل حركاتك سلام للقاء الذي يجب أن يهتدي به الآخرون -ليا- إنني خائف وقلق على عنقك الزنبقي، كيف حاله الآن؟.. إن صورتك وأنت تنظرين إلي من مكانك العالي حملت إلي الراحة، في هذه الليلة إن تحية المساء في هذه الليلة.. وعد أبدي مصنوع من القبل..

52- حبيتي...

عبر كل متاهات الدوار، وعبر كل الصراع المحيط بنا

سنولد، وسنكون أجمل طفلان أتينا إلى هذا العالم مرة ثانية، لسنا نحن اللذان قررا أن نعيشا الأبدية لا وأقسم على ذلك بكل الجلال الذي تحمله ملحمتنا الخالدة، إن الذي أعطانا لبعضنا لكي نعيش هذه الأبدية الخلاقة هو على التوالي مسارح آلهة الإغريق، وأروقة فلسفاتهم، وعربات الشمس التي تجرها النجوم، إنني أذكر حينما أنظر إلى وجهك كيف بارك السيد المسيح حبنا، وأذكر جيداً كيف حملنا أطيافاً للإله باخوس، يعفطنا بنبیذه المعتق بالصفاء.

ألا تذكرين كيف وقفت -أفروديت -خجلى حين أمسكت بيدي وأخذت ترقصين على سفوح الضباب هناك على قمة الفرح.. أه يا ليا.. ما أروع حكاية تاريخنا التي سنعيشها أمام البشر، سامحيني الآن لأنني أسرع في الطريق إليك، وسامحي تعثري في بعض الأحيان من شدة السرعة، إن تحية المساء في هذه الليلة أيتها الحبيبة الفاتنة.. اعتذار مطلق.

53- ليا

من غير لون وجهك؟! من أخفى شعاع عينيك بستار الدموع، من أسرى تيار الحزن في أحاسيسك الناعمة؟! من سرق جدائل الفرح من خطبتنا الرائعة بسريرتها المقدسة؟ من فعل كل ذلك؟! إنني أحجل أن أقول: أنا وكلماتي الحمقى، وعيوني البلهاء، إنني أعيش منذ أن تركتك رعباً عجبياً متأتياً عما يشبه الإحساس بالموت، إنني لم أعد أستطيع أن أطلب منك أن

تسامحيني، إنني خجل إلى حدٍ لا أستطيع أن أنظر إلى وجهي بوجهي، لا أملك الجرأة على مناقشة كلماتك فكيف أستطيع الرد عليك حينما قلت:

- إنني تعودت على العطاء فلا أعلم الآن كيف آخذ؟..

إنني لا أصدق نفسي كيف استطاعت أن تسمع هذه الكلمات الإنجيلية، كما أنني لا أملك قدرة التصور كيف استطعت أن أستمر في جلستي معك حينما قلت:

- إنني سأتركك لأني..

وسكت معنيةً بهذا السكوت أنك لست أهلاً لي.. إن هذه الكلمات التي قلتها وعانيت ما عانيت بها وبسكوتك جديرة بأن تقال من آهة الإله، وليس لصعلوك مثلي.. لست أدري إن كنت تسمحين لي أن أناديك بـيا حبيبة.. يا مطهرتي.. يا حنجرة صوتي الداخلي، يا أنغام مطري أيها الوجه الذي تعالي حتى ملك قدرة واستطاعة أن يبارك، باركينني، وامسحي بزيتك المقدس كل العفونة التي تطوقني أكاد أختنق أمام تساميك المطلق يا ليا.. عودي إلي إن دموعي تناديك، إن دموعي الآن تحاول غسلني.. حبيبتي!.. هل أستطيع أن أقولها أمامك؟ وهل سيعيش من جديد وجهك الأسطوري أنغام كلمتي الأزلية التي لا أملك غيرها..

حبيبتي.. حبيبتني.. إنني لا أملك غير هذه الكلمة، إن دموعي تعاود غسلني من جديد أكاد أتطهر أرجوك إقبليني طفلاً صغيراً، لعبة ضيعوا وجهها، إقبليني.. ودعيني أناديك: حبيبتني.. مطهرتي.. صامتهً إعجاز العصر.

من دموعي أنسج لك في هذه الليلة الباردة غطاء، وبهذه
الدموع سأغسل أقدامك ومنها سأصنع جبل اعتذار أقدمه تحيةً
لهذه الليلة..

54- ليا..

إنني لا أريدك أن تنصهري فيّ لأنني بعد ذلك لن أستطيع
أن أشعر بوجودك وأريد العكس كما أنني أعتقد أن عملية
الانصهار هذه مستحيلة فأنت بناء نفسي وفكري تم عبر ظروف
مختلفة عن ظروفِي وظروف أي إنسان آخر، كما أنك تحملين
طاقات تختلف من حيث التوتر والانسجام عن أي وجود آخر
أيضاً، فأنت وجود قابل للانسجام وليس للانصهار وهذه القابلية
هي جوهر السبب الذي دفع علاقتنا إلى مطاق الحب.

إنني يا صديقتي ضد عملية الذوبان في الحب لأنها ستكون
على حساب أحد الطرفين، ومن الطبيعي أن الإنسان لا يملك
القدرة على تخطيط مسار عواطفه ولكنه يملك إمكان مراقبتها
وهذا الإمكان يساعد إلى حدٍ على وعي حقيقة الاتجاه الذي سارت
إليه العاطفة، وهذا الوعي بقمة فرحه تعميق وفهم التبادل العاطفي
المتبلور بصورة الحب، والفنان يا ليا.. هو الإنسان الوحيد الذي
ينقض الانصهار لأنه يرفض التخلي عن تفرده، وإن كل ما أود
أن ندركه هو جوهر وشكل تفرّدك، إنني أرفض بقوة أن يجري
التخلي عن تفرّدك الذي قد يتيح لك فيما لو تعمق فهمك له بعض
الرؤى الجديدة للحياة، فأنت بحاجة ملحة للقيام بعملية تركيز
محصورة على تأكيد حالة واحدة هي أنك لست كالأخرين ومعرفة

سبب ذلك إذا عرفنا حقيقة تفردنا عرفنا حقيقة جديدة عن الحياة علينا مهمة إخراجها في شكل من الأشكال، قد يبدو الكلام حتى الآن شبيهاً بأي تسلسل منطقي لمسألة رياضية، والحقيقة يا ليا.. تأخذ دائماً هذا الشكل ولكن ليس من الضروري أن تقاس بهذا الشكل. بعد هذا العرض الموجز لإحدى المشاكل الرئيسية في حياتك كما أراها أنا، مضطراً للإقرار معك بأنك تعيشين حالة مجنونة في الحياة قد تحيل وإلى حد بعيد بينك وبين عالمك الغني، وبعد كل ذلك أرى أنه قد يكون من الصعب جداً في ظروف الجنون التافهة هذه لا تملكين حالة نفسية وفكرية تسمح لك بوعي ما أريد قوله فيما يلي: لذلك سأرجئ طرح أفكارى الموضحة لتأكيد الارتباط بين خيار الفنان وإنتاجه إلى وقت آخر..

55- حبيبتى..

رغم كل التلال الوهمية التي قد تبدو أمامك من خلال التعب والأجواء الخانقة التي تعيشين فيها مرغمة، رغم كل ذلك أيتها المخلصة الرائعة سنحقق أبدية الحب والانصهار المتعمق حتى أعماق الأعماق بكل دماننا الفوارة بأصفي مشاعر العطاء..

56- حبيبتى..

منذ ليال بعيدة وأنا أعيش انجرافاً هائلاً في تيار وجودي الداخلي، أتذكرين أحاديثي الطويلة عن تلك المساحة اللعينة التي كانت تفصلني عن الأشياء المحيطة بي، وتذكرين أقوالي كيف

كنت أنسى شعوري في هذه المساحة حينما نكون معاً يا حبيبتى الكونية !.. إن فرحتي تكاد تفقدني توازني العقلي لأن شعوري اللعين بالمسافة قد تحطم وإلى الأبد يا ليا.. صرت أحس بالشوارع والأشجار والناس وكل شيء، إن الوجود عاد ليتدفق في كياني إن سعادتي لا يمكن أن يتصورها إنسان سواك، لأنك يا نبل هذا الكون أنت من حطم هذا الشعور نعم يا ليا.. أنت المحطمة الرائعة وسأحكي عن هذه المراحل النفسية التي عشتها في أعمالي القادمة.

إن مئات الصفحات ستمتلئ بحرارتك الرهيبة التي استطاعت أن تعيد الغليان إلى داخلي.. يا حبيبتى يا زهرة الغضب الحقيقي أن شعوري ممتلئ بالوجود من خالك..

سنعيش معاً.. وإن ذلك لن يكلفنا سوى الهزء بكل من لا يستطيع أن يفهمنا..

إنني أشعر الآن بأنني أستطيع كتابة الآلاف من الصفحات التي تحكي وتشرح وتوضح كل الأفكار التي توصلت إليها، وإنني أشعر أيضاً أن صفاء نفسك العجيب قادر أن يمنحني الراحة الفكرية التي أستطيع أن أكتب من خلالها بعد أن أعادتني إلى الحياة. كل ما كتبته حتى الآن لا يساوي الحوار الداخلي الذي يعيش بداخلي الآن، فاسمعي يا حبيبة كيف تتحدث الأشياء بداخلي.. حبيبتى.. وتتهاطل من عينيك زوابع العطاء لتحملني لعوالم سحرية أغفو فيها لأعود بعد لحظات وأردد.. حبيبتى.. وأحس بصوتك يتناغم مع أصوات الكون المجهول، وأشعر أن اليد التي طالما تحدث عنها الأنبياء تقترب وأدوب من رعب

الفرح الكبير، وأحسني ذلك الندب الذي لا بد أن ينهمر على أقدامك
وترفعين رأسي بتلك اليد النبوية يدك وتقولين:

الشمس انظمت في حمى الحب، إرفع رأسك، الريح تولد
فرحة وأجيب يا بسمه القلب نحن أتينا من أكواخ الفجر لنعانق
أحلاماً نديانة.. يا ليا.. يا ليا مرجانة تذوب، تذوب للقيانا.. يا ليا
القوية إن هذا الحوار لم ينتهي ولن ينتهي وسننقله للعالم من خلال
أعمالنا القادمة.

إن قلبي يخرج الآن من كياني ليقول لك:

إننا حقيقيون كالبدء الأكبر في هذا الوجود. وقريباً
سنباشر أعمالنا العظيمة، يا طالما حلمت بالمعنى يتدفق عنيفاً
من شقوق الشفاه المتعبة، ويا طالما سجدت في معابد الكلمات
المرموزة أحلم بشعاعات أنوارها المسحورة، بصدق انفعالها
الكبير.

حبيبي..

أنت قارئ المخبئي في أعماق الأرض، وكما تتحدث
الأساطير ستخرجين عروساً من أعماق المحيطات ليستقبلك
زورقي المتواضع، قد لا أكون رباناً جيداً في زحمة الأمواج
فسامحيني إن مال بنا الخرف.

57- حبيبي

النجوم تكاد أن تنسحق بين يدي وحبيبي تقفو وحيدة،

والله يسجد راجياً الحديث عنه، وأنا أتحدث بقلبي عن أقدام حبيبتى.. الله يصرخ بداخلي طالباً أن أتكلم عن اسمه، وأنا أتكلم عن الرائحة الخالصة من بين أصابع أقدام حبيبي.

حبيبتى ليا..

إن التوحد الصوفي الذي يريد الله الكون، أن أعيش روعته لا يساوي الوجد الفيضي الذي نعطيه لتربة الأرض.

حبيبتى ليا..

حبيبتى.. إنني عبدت بحزنك المعنى الذي صار إله.. إنني أحبك فاسمعي صوت الخوار، لكل ماضينا المعبئ في متاهات الدوار، إنني أحبك: رقصة تأتي في وجه النهار لتغازل الظمأ الحنون إلى رموز الانبهار، سامحي غضبي المحب، أرجوك أحيي ذاتك التي أنا ذائبٌ فيها.

حبيبتى..

لست أدري إن كنت ستفضلين رائحة الشمس التي ستنصهر بين يديك على رائحة الياسمين التي ستضمحل لقائنا الأبدى.. كما أنني لا أستطيع التنبؤ بأثر الفرح الذي سنعيشه من خلال لقائنا الأسطوري، وأنت أيتها الرائحة القادمة من عمق الزمن لا أعلم إن كنت ورأسي سنحتمل قوتك، لأنك أيتها الحبيبة الجوهر الخالص لرائحة الوجود أكاد أدوب وأنا أتصور لأن ضخامة القدر الذي سيجتو أمام تصوفنا الإنساني، أيتها البركان الانفعالي الصامت إن زمن التعبير أنت ولكم هو رائع حينما سيخرج من ثنايا ثوبك

الأبيض ليعلن النبأ العظيم علينا، إليكما بعضكما.

حببتي ليا..

لا شيء يستطيع إقناعي بتأخير زواجنا، إنني مصرٌّ على أن يتم بأسرع وقت ممكن وبكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، لأن استمرار عيشك بين هؤلاء سيؤدي بك إلى الموت حتماً، وهذا يعني بشكل واضح موتي الأكيد، إننا يجب أن نتزوج وليأت الطوفان بعد ذلك، لأن موتنا ونحن معاً أهون ملايين المرات من أن يموت كل منا بعيد عن الآخر.

يا ليا.. إن ما حدث في هذه الليلة ما هو إلا تأكيد قاطع على عمق الحماسة المجرمة في كل النفوس، إنني لا أقول جديداً، لأنك تعرفين ذلك.

58- ليا..

إن كل الأحداث التي تطالعنا بها القمص المروعة حقيقة إلى أبعد ما نستطيع تصويره، ولو اطلعت على تفاصيل الأخ الكبير في حياتي _ دومستوفيسكي _ إمبراطور الألم لخيّل إليك أنك تقرئين عن عالم الأساطير المذهل، فهذا الإنسان يا حبيبتي عاش مع حبيبته الزوجة ست سنوات أو أكثر من التشرّد الحقيقي بين مدن ألمانيا وبعض الدول السلافية، تصوري إن أعظم أعماله كتبه خلال /11/ يوماً وهو الأخوة كرامازوف -من أجل الإسراع بامتلاك بعض المال لأن زوجته تنتظر أحد أولادها الثلاثة.. يا ليا.. إنني قلت لك مئات المرات أن الإنسان الحقيقي

هو الذي يستمد قيمته من نفسه وهذا يعني أنه يخلق سعادته من خلال القيم التي يخلقها، يا حبيبتي إنني أستطيع أن أتصور كبير وضخامة التجربة التي سنمر بها، وأملك القدرة على فهم الزوايا المعتمة التي قد تطرحها هذه التجربة الجديدة كلينا على كلينا، فلست الوحيدة التي تشعر بكل جديد في هذه التجربة، فأنا يا ليا إنسان أشعر بنفس شعورك تجاه هذا الجديد الذي ينتظرنا وننتظره، والآن أريد أن أقول لك أنني زعلان منك لأنك تحتملين من خلال شكك إمكان انهدام بعض أحجار الجسر وتصلين إلى احتمال أن أتركك في يوم من الأيام، يا ليا.. عشت معي خلال تجربتي مع السيد -كلود -وثقي أنني تعرضت للموت من الجوع ولم أتخلى عنه، وتحملت منه أشياء لا يستطيع أي إنسان أن يتصورها ورغم كل ذلك لم أفكر لحظة بأن أتركه ليلقى مصير الموت، إنك تعرفين كل ذلك، وتعلمين أنني لم أحب أي شيء في هذا الكون كما أحبك فكيف تتصورين إمكان أن أتخلى عنك..

يا ليا.. يجب أن تعلمي أن كل ذرة من كيائك تمنحني وجوداً جديداً في كل لحظة وإلى الأبد، إن الشيء الوحيد الذي يعزينا عن كل شيء هو أنني سأضع رأسك الجميل بوجهه المحب على كتفي كل مساء، وأمرر يدي على شعرك المقدس حتى تنامي.

يا حبيبتي..

إن طفلك المدلل ذو الوجه الشبيه بلعب الأطفال يطلب منك بخشوع المتصوفة أن تفكري به كل ليلة، وسوف لن تطول تلك

الليلة التي نكف فيها عن التفكير ونعيش ما نفكر فيه، إنها تقترب من جوهنا نقول ذلك، وأيدينا ترسم الآن لوحة لقائنا الأول..

قبلاتي الأبدية..
كحبنا..

59- صديقتي..

لاشك أنك الآن حزينة تنتظرين قدومي بتلك اللهفة المقدسة التي أعرفها، ولاشك أنك غاضبة مني ولتعلمي أنني غاضب من نفسي لأن شيئاً واحداً أنا لا أستطيع تحديده بدقة حال دون مجيئي، إنني شعرت أن بي رغبة عنيفة للكتابة، وشعرت أنني بحاجة للوحدة، للتفكير للبحث عن الزوايا المعتمة في مستقبلنا، وخرجت من البيت لا أدري ماذا أفعل؟.. جلست في المقهى قليلاً ومضغت تفاهة الجو بقرف عجيب وبعد قليل من الوقت خرجت أبحث عن مكان، أنا الآن على أحد مقاعد الحديقة أفكر وأكتب وأتصور خطواتك النزقة على الأرض، قبل قليل لفني شعور باليأس صرت كمن فقد معنى اللحظات، وعدت ولكن لست أدري إلى ماذا؟.. من الصعب جداً أنني لا أعلم.. قلت من الصعب جداً.. إن موعد الغروب لا يختلف عن موعد الشروق كما أن النور لا يختلف عن الظلام، والحقيقة لا تختلف عن اللاحقيقة لأن بعض الصمت معبر أكثر من الكلام، وجوه الناس المصنوعة من

الانتظار أشد حزناً من ينابيع النور المهجورة، ألمسها الآن بنظراتي، أرى الصفصاف بشكل متضخم في نظراتها الضائعة، التاريخ الإنساني هو ذلك البحث المضني عن الألوهية.. أنا وأنت أبناء تاريخ مقهور، أبناء لحظات مصروعة من الجنون في دوامات البحث.. ما أقسى أن تكون الحرية هي الله، وإن مات الله ماتت الحرية.

صديقتي..

إن لم تستطع الحرية أن تخلق شيئاً من العدم فهي ليست حرية، الله هو الكائن الوحيد الذي احترمه الإنسان وأعطاه الحرية، وهاهو الإنسان يحاول أن يسترد ما أعطاه في لحظات خوفه الرهيب، منذ بعيد تعيش هذه الأفكار بداخلي وكلما حاولت تسجيلها تهرب مني، وأراني الآن ملكت القدرة على تسجيلها كما أريد.

صديقتي..

ما معنى الفعل الحر؟.. ثم كيف نستطيع أن نؤكد على أن هذا الفعل هو وذاك ليس فعل حر، أسئلة تدفعني للبحث عن معنى الحرية الأول وكيف عرفت في الأبحاث الفلسفية ثمة حرية حينما تتقدم الرغبة في الحركة، وبما أن الرغبة وجود لا إرادي في الإنسان فكيف نستطيع أن نتصور انعدامها في السلوك، ثمة سؤال اعتراني يكمل البحث: لم أذهب إلى الحرب وأترك والدتي أو بالعكس ويسحرنني فعل حركتي هذه اختياراً في حالتي الذهاب أو

عدمه، ولست أدري كيف يسمون هذه الأفعال اختياراً، كأن الإنسان وحيد في هذا العالم، إنه ليس وحيداً ولو كان وحيداً لما تحرك من مكانه، لأنه في حالة كونه وحيداً لا وجود للحرب أو لوالدته أما قلت لك:

- إن التاريخ البشري بحث مضني عن الألوهة والإنسان..

والآن يحاول الإنسان أن يقفز قفزة خطيرة ولكنه لا يستطيع فلقد استطاع أن يقتل الله ولكنه لم يستطع أن يجلس مكانه، لذلك هو قلق ومتشائم وتافه، لست أدري كيف يعيش الإنسان أعنف حالة تناقض في الوجود، وهي أنه قتل الله ويبحث من خلال مضامين ألوهية عن طرق الوصول إلى الله..

صديقتي.. أكاد أجن من اكتشافاتي، أكاد أهمني في شراييني الصمت ذرات فراغ وأشعر الآن بمطارق الفجيرة تهرسني يكاد رأسي يتفجر، لبيته يتفجر، أشعر أنني فقدت عفوية الرغبة في حركتي.. آواه!.. من النار التي احترقت فيها أجساد الفنانين أحس الآن برغبة عنيفة بالبكاء عليها، كانت صخرة عنيفة حملوها على وجوههم وساروا يحاولون عبور ما سموه المجهول.. آواه من عظمة الآمهم، هذه الصخرة وهذا المجهول هما ذلك الزمن النبوي في حياة الإنسان، كيف استطاع المسيح أن يرى من خلال الجدران؟.. وكيف استطاع بوذا أن يصنع معجزاته؟.. وكيف حملوا هذه الصخرة، هذا المجهول وساروا..

آواه ! إن حرارة دمائهم وهي تفتح على النار رائحة قدسية والجواب يا صديقتي: هو صوت المطارق تحطمني، لا أريد أن

يقنع به أي إنسان لأنني لا أريد أن يفقد العفوية في سير حركته،
والآن يا صديقتي وقد توقف النزيف، وانتهت غيمة النار من
حرفي بلهيبها الثلجي أعود إلى كثافة العفوية المتراكمة في
كينونتك العجيبة أعود مثقلاً بنضوج الهموم مغلفاً بغللات
أرادتك الوردية لأتبع العيش في حكاية الضباب المتناثر على
وجه مستقبلنا، لينة هذه الأمسية كعيون القصائد وأثناء قصص
الحب ترش الحليب على وجهي لأنني لم أعلم الرضاعة بعد، عبثاً
أحاول الاستمرار بالإمساك بحلمة الضوء..

60- صديقتي !..

الأحداث الخارجية المتتابعة بتوتر محموم تستطيع أن تخدر
القدرة الذاتية في الحكم في بعض الأحيان إن سحر التحدي
المبتدي وراء كل زاوية من زوايا الأحداث يفعل فعله في النفس
كأفراد تنطبق عليهم صيغة الوجود المادي، إنهم بشر فيهم
أحاسيس الألم والفرح، والتحدي والخذلان والانتصار ولهم
رغبات إنسانية، ورغبات وحشية، إنهم بشكل عام مثلي، مثلك لهم
أهدافهم ولهم تاريخهم ومن خلال مجموع هذه الحقائق أستطيع أن
أستخلص نتيجة يؤمن بها عدداً كبيراً جداً من الناس وهي أن
الإنسان واحد ولا فرق بين البشر لا تندهشي إذا قلت إنني لا
أؤمن بهذه النتيجة لأنها أولاً ليست حقيقة، ولأن طلائع الإنسانية
تحاول أن تحققها في الواقع وإنها استطاعت أن تحقق بعض
النجاح، ثمة فارق أريد أن أقوله لك وهو بكل بساطة بأن القسم
الأكبر من البشر يعيش وعيها في حدود مجموع الرغبات

المنطلقة من عالم الغرائز، لذلك فهي لا تعرف مثلاً أنها تعرف، ولم يخطر لها أن تتساءل لماذا هي كذلك؟..

طبعاً هي ليست مسؤولة عن حالتها هذه، وتحمل في الوقت نفسه إمكان تصعيد هذه القدرة البسيطة من وعيها، وهناك عوائق تحول دون ذلك، والمثول الدائم أمام أي تقدم يطويها في نسبتها البسيطة من الوعي إلى أن تموت، وجمل الأحداث التي تنطلق من هذه النسب البسيطة من الوعي تشكل حركة المجتمع إذاً من الضرورة أن تعيش شكلاً من التماس المباشر والغير مباشر مع هذه الحركة ونكون في بعض الأحيان مراقبين، وفي البعض الآخر محشورين قصراً في صميم هذه الحركة ولكنني لم أشعر يوماً أنني جزء من أجزاء هذه الحركة، إن شعوري يتصاعد لأنني الجزء الذي يحاول أن يغير في مسار هذه الحركة وأني أريد أن تحققي رغبتك الملحة في أن تكوني مثلي، وقد تشعرين بأن ليس هناك أي مبرر لسرد كل هذا الكلام وربما تتساءلين عن السبب الذي دفعني للكتابة، وقبل أن أجيبك أحب أن أسألك بعض الأسئلة، هل تعتقدين أنه من الضروري أن أتألم من الأحداث التي تؤلم الآخرين لأنني أحمل مشاعراً تتألم، وهل من الضروري أن أكره ما يكرهه الآخرون، وأن أحب ما يحبه الآخرون.. طبعاً ستجيبين بلا على السؤالين الآخرين، وأتصورك ستحارين أمام السؤال الأول، ستحارين لأن آلام المسيح جديرة بأن تؤلمنا، وأن الآلام التي خلفتها سياط السيد المسيح على أجساد تلامذته في المعبد ألا تؤلمنا؟.. وحتى نتخلص من هذه الحيرة يجب أن ندرك نسبة الوعي لمشاعر الألم عن الآخرين عند الذين يتألمون،

سأسألك الآن سؤالاً أخيراً:

- لماذا لا تزرعين بعض الابتسامات في حديقة آلامك في بعض الأحيان لأنك لو أظهرتها لمات كل الرجاء في أن يتخلص هذا الإنسان أو ذاك من آلامه أليس كذلك؟..

لاشك إننا مسؤولون عن البشر ولكن هذه المسؤولية لا تعني أن أتحمل أنا مسؤولية أخطاء الآخرين ولو كان الأمر كذلك لمات كل الذين نحبه من العظماء في أول حياتهم أمام أول حادثة صادفوها، إن مسؤوليتنا عن البشر تدفعنا لأن نبحث عن الأسباب الكامنة وراء أخطار الحركة الإنسانية ومن ثم إزالتها، يلوح لي إنني غامرت مغامرة خطيرة بكتابة ما أكتب ولكن لا بأس في أن أغامر من أجل تأكيد شرعية الوراثة التي تحملها في دماغك لشعراء الأولمب.

سيدتي!.. أطلب منك أن تدركي أبعاد مهامك في هذه الحياة، وأطلب منك أن تتحملي مسؤولية هذه المهمة، واعذريني لأنني حينما أخاطب تفردك الفني لا أستطيع أن أقول سوى سيدتي، والآن سأتابع مغامرتي على ثنايا الانفعالات الهستيرية التي تحيط بنا.. ليا.. ربما نكون خطى سواد في لوحة الوجود، إن ذلك لا يمنعنا من أن نعيش هذان الخطان من السواد بكل حب ووعي وحميمية وربما نكون العكس، والمهم هو أننا نعلم أننا نشكل بعض الخطوط العريضة في مساحات الألوان المنتشرة حولنا.

يا ليا.. إن مشهد الدماء المسفوحة من جراح الآخرين يحزننا

ولكننا ندرك أننا حزينون وهذا الإدراك يتيح لنا أن نضمد بعض الجراح، إننا ندرك كل الانفعالات التي نعيشها وعلينا أن لا نسمح لهذه الانفعالات أن تحولنا إلى منفعلين، لأنها لو استطاعت أن تفعل ذلك لسقطنا في مآهات الحركة الإنسانية المليئة بالسير المتعكس، وذلك يعني أننا ضيعنا كل شيء، أشعر أن مراكب الحزن المبحرة باتجاه الصوت النبوي إلى أن نستطيع أن نجعل من سلوكنا العفوي استجابات مخصصة لكل نداءات الإنسان الذي نحبه، سنفقد الكثير من حبنا له، وحتى نخرج من دوائر الشخصية التي بناها لنا ماضيها المتعب يجب أن نعلم أن الحب حالة تهديم بناءة لكل الكيان الذي ترسبت ذواتنا فيه، فليس طبيعياً أن تستمر أناي قبل الحب في وجودي بعده، فالحب لا يمكن أن يعيش ضمن النفس التي أُنبتق منها إنه دائماً الخروج والعودة ففي كل عودة شكلاً جديداً من الرؤى للأشياء، ولا بد لهذا الجديد من أن يحدث أثره في الكيان، واستمرار الحب يعني الخلق عن طريق الرؤى المتجددة وكل الذي لا يستطيع الحب أن يغيرهم ليسوا محبين حقيقيين، إنهم بكل بساطة محاسبون في شركة العواطف، قد يخطئون فيتحملون نتائج خطأهم وقد لا يخطئون.

والآن وقد أصبح في اللوحة العامة للعواطف بعض وضوح أستطيع القول أنني أمر في مرحلة البله الطفولي، وقد أكون من الذين لا يملكون القدرة على من هذه المرحلة.

لذلك فقد كأى طفل سيطر عليه بلهه سيبيكي بنزق إذا حاولوا إخراجه قسراً، إن أشد ما يثيرني بحثك الدقيق في كلماتي عن الصورة التي أحملها في أعماقي عنك، ومنبع إثارتي هو أن

هذا البحث يبعثك شئت أم أبيت عن المقاصد التي أريد أن تعرفيها، أرقب الآن عقارب الزمن كيف تعبرني والأشياء بلا مبالاة شبيهة بتحطيم الأمواج على الشواطئ الصخرية، أرقب هذا العبور وكأنني أحد التماثيل الأسطورية الملقاة في متاحف الذاكرة.

61- صديقتي !..

الجسد اللين المنساب في معابر الألوان يسقط في مساحات الدم المجنون، يهوي بوعي حبيبتني إلى كهوف الغياب المطلق، العويل الخارجي المحموم يعمق إحساس الغياب، ينشر اللازمن في رؤى الأعصاب المصروعة، الأقسام المنقوعة في ماء الصفاء تطل من خلال منافذ الحزن باحثة عني، وتسال اللهفة الداخلية عني بصوت نبوي مخمور.. أين أنت؟.. تعالي افرشي وجودك علي، لحظات أخطو خلالها شواطئ الجوع المقدس، يسرقتني الغياب لأعاود الظهور من جديد لحناً مجدولاً بفرح الأحلام.

إنني أقسمت أن أسرق الحزن والجنون من وجودك، كدت أهمل دموعاً، كدت أهمل صراخاً ونفثتاً وتماسكت أمام بحيرات السلام العجيبة، سلام حقيقي في عينيك، التافهون يضحكون.. ولأنني لست إبناً شرعياً للورد والمطر والرياح لم نلتق اليوم، لأن الشمس لا تشرق في وجه الشمس لم نلتق اليوم؟.. ولأنني أرى في الأحلام مصيري مكتوباً بلغات مجهولة على أكفان الموتى لم نلتق اليوم.

في حديث البارحة كنت كمن يتقب السكون بحثاً عن

الحركة، عبثاً حاولت استرقاق السمع لموسيقى الأعراس، وتركتني في الشارع أبحث في وجه الحجارة والأرصفة والعين الحاقدة التي تتطلع بسخرية عما فقدته، أكدت لي أنك في لحظات غضبك تستطيعين أن تحطمني.. أن تقدميني طعاماً معلوكاً لتلك الأفواه التي تنتظرنني في زوايا المقاهي.

62- ليا...

إن الإنسان يملك الحق في أن يعتذر عن كافة الأخطاء التي يرتكبها، إلا أنه لا يملك القدرة وليس الحق فقط في أن يعتذر عن الألم الذي يبعثه في نفس المحب حينما يجن بحب هذه النفس، إنني لا أستطيع أن أطلب منك أن تسامحيني عن جنون حبي، كما أنني لا أستطيع أن أراك تتألمين لما يفعله هذا الجنون في، وإنني لا أطلب أي حل، إن جنوني يتصاعد كما تتصاعدان في عالمي زهرة - لوتس وجمال - في هذه الليلة سأعود كما وعدتك إلى محاورتك علني أستطيع الدخول أكثر بين أبعاد ذاتك اللامتناهية والتغلغل بين روائح غابتك البنية، حبيبتني !.. في المحاورات يجب إبعاد العواطف كما يقال ولكنني لا أستطيع، الله !. كما فهمته من خلال الديانات السماوية مختلف عنه كما هو عند البوذيين وكل الأديان الهندوسية والقدماء الإغريق والفراعنة، وأفضل مناقشة الله والحرية كما في الديانات السماوية.

ليا.. أشعر بحاجة عجيبة للحظات الهدوء المبدعة التي يمنحني إياها وجودك حينما نكون معاً.. وأؤمن منذ أن إنسربت من زوايا نظراتك قطرات المحبة إنني سأحقق كل أحلامي فكيف

بي الآن وقد أغرقتني هذه القطرات؟.. أنا واثق أنك متلهفة جداً لسماع ما دار بيني وبين الأب -انطوان -من حديث اليوم، قد لا تتصورين خجله الذي تكرر ثلاث مرات حينما وعى بعضاً من أبعاد معرفتي بفكرة الإيمان بالله، وشعر أكثر من مرة بأنني لست بحاجة إلى معرفة أي شيء ما عدا طبعاً بعض الطقوس، وعلى الرغم من كل ذلك لست أدري لماذا أصر على اللقاءات الأسبوعية، ربما لأن كل شيء في هذا العالم يخاف من لقائنا الحتمي، والآن أيتها الحبيبة التي ستبدع كل ما سأفعله.. علينا أن نقوي من اتحادنا لنجابه بحبنا الكوني كل خوف الحياة منا.

63- ليا

عبر صمت كلامك الداخلي المنقوع بالمأساة، وعبر كل الانهدام الذي يعشش بأعماقك والذي أفقدك كل قدرة على التركيز، عبر كل ذلك سأمشي في هذه الليلة علني أستطيع أن أرفع الغطاء عن النقاط المعتمة التي تُسيّر حركتك الخارجية والتي تصنع الغبش أمام كل رؤيا في حياتك. يحكى أن سيدة اختارتها الحياة لتكون رمزاً لمعنى فعل التكوين، وبما أن قصة الاختيار لا يستطيع أي إنسان أن يبررها لذا لم نقل الحكاية لم اختارت الحياة هذه السيدة لتكون الرمز، قد تتساءلين ولماذا لا يستطيع الإنسان تبرير قصة الاختيار وقد يكون من غير المناسب أن أجبك الآن، وبسبب حبك للحرية، ولسبب آخر هو أن الحديث يدور حول هذه السيدة التي أريد لها أن تمثل رمزاً لفعل التكوين، ولكني أجد من زاوية أخرى، وسأحتفظ بها لنفسى ضرورة

الإجابة.

سيدتي.. لو استطعنا أن نسأل لماذا أتوا بنا إلى هذه الحياة؟.. وأود أن يكون السؤال موجهاً إلى الله والطبيعة، وأظنك تعرفين إجابة الطبيعة وهي تتلخص في أن ليس هناك من مجيب وخير جواب هو عتالة الطبيعة كأجزاء، إن كل أحجار العالم وكل ذرات الكون لا تستطيع أن تقول أية كلمة في هذا المجال.

والعلم يؤكد أننا على نتاج لعمليات الصراع في المادة، وأن ليس هناك من غاية لوجودنا جننا لننفذها، إذن نحن لم نقرر أو نختار مجيئنا، وهذه أول ضربة تتلقاها فكرة الحرية من العلم، وطبعاً لا بد من استعراض الخط البياني الذي رسمه العلم لطبيعة التكوين الفيزيولوجي لنا إننا جننا إلى الحياة وفيها عدداً من الغرائز علينا مهمة إشباعها، إذن نحن محكومون بفعل أي شيء من أجل إشباع هذه الغرائز ومن لا يريد إشباعها سيأكله الموت، قد تعترضين على كلمة -لا يريد- لأنها تعني أن الإنسان يستطيع أن يريد وأن لا يريد وهذا معناه وجود الحرية والاختيار، وأعتقد أنه يحق لي الآن أن أطرح عليك السؤال التالي:

- هل تستطيعين عندما تعيشين حالة أنك تريدني أن تعيش حالة أنك لا تريدني؟..

ويخطر لي جوابك سيكون لا.. ثم أن هناك سؤالاً آخرًا:

- لم عشت حالة أنك تريدني؟..

وأعتقد أنك تعرفين الجواب، أرى أنه لا معنى من ترديد

كلمة الحرية والإختيار إذا آمن الإنسان أو رأى أن رأي العلم منطقي إلى هذا الحد أو ذاك وخطر لي خاطر الآن وهو طريف وأحب أن أسرده ولو أنه يخرجني عن الموضوع، أستطيع الآن تصور الأفكار الجانية التي قد تأتيك ويخيل إلي أنها ستأتي بهذا الشكل ها قد عاد إلي أسلوب الإقناع ليفرض علي أنه لاوجود للحرية إذا ما آمنت بذلك حققت له كل رغباته على حساب حريتي.

يا ليا.. لا بأس في كل هذه الخواطر التي قد تقفز إلى سطح تفكيرك، أستطيع الآن أن ألخص كل ما أردت قوله: وهو أن الرغبة في تحقيق الرغبة لا يعني الحرية، ولا يعني أبداً ممارسة الإختيار.

بي رغبة للقراءة وأمامي عدد لا بأس به من الكتب وتوجد في هذه الكتب كل الموضوعات من الفلسفة إلى الشعر مروراً بكل الموضوعات، وحينما آخذ مثلاً كتاباً يتحدث عن قصة الفلسفة أكون قد قمت بتحقيق رغبتني بقراءة الفلسفة، وهذا لا يعني أبداً أنني اخترت كتاب الفلسفة إن تاريخي الفكري هو الذي دفعني لأن آخذ كتاب الفلسفة وليس أي كتاب آخر وهذا المثال من الممكن تعميمه على كافة أنواع السلوك الإنساني.

سيدتي.. في الليلة القادمة سأحدث عن موت الحرية مع وجود الله، فإلى الليلة القادمة يا سيدة التكوين.

وحينما أنهى حديث الليلة القادمة سأبدأ عرضي لقصة سيدة التكوين وحتى هذا الموعد أرجو أن تقتربي مني لتمسحي الزبد

عن وجهي.

64- ليا..

شقية هذه الليلة كوجهي، والنوم بعيد عني كأحلامي، ملفوف بنداء الحنان أبحث عن وجهك المستجيب، كيف حدث ما حدث، وكيف تبادلنا صفعات حقيقية، وكيف رميت طفلك المشرد وكيف سمحت للحظات الغموض أن تغلف كيائك الطفولي فيهتز ويصعق ويتجمد، وأدوب في الوقت الذي لا يحق لي حتى أن أنحشر، أواه!.. يا أم الليل وملايين الأهات المحرقة لا تستطيع أن تطهر حنجرتي، إننا تمادينا في تجريح أجسادنا الروحية، كان يجب أن أرح جسدي فقط طالما أشهرت أسلحتي، وما أسخف هذه اللابجب لأنها لم تحقق في لحظتها المبدعة، وكأي متعب بوذي سأعلن جسدي ونفسي عن طريق التعذيب الإرادي، كيف يجب أن يصونا كبرياء الزنبق. إن الجسد تافه والنفس أتفه بكثير والإنسان بصورة الفعل الحقيقي كامن في وعيه القادر على السيطرة على هذه التوافه، لن أطلب الغفران الآن لأنني لا أستحقه، إن الغفران بحاجة لمن يدركه، ولن يدركه إلا حينما أنتهي من بقايا الوحشية في كينونتي، ولن يتم ذلك إلا بواسطة التعذيب الارادي الذي بدأت منذ الآن بممارسته..

ليا.. أعود الآن ولست أدري السبب إلى أعوام طفولتي الأولى، كانت أمي تعنتني جداً بشعري الطويل، وكانت تلبسني أزياء البنات لترضي شيئاً خاصاً بها، وكانوا يحدثوني دائماً بصيغة المؤنث، وكنت الطفل وحيداً ومهملاً كما هو الآن، وحينما

حان موعد دخولي إلى المدرسة أجلت أكثر من شهرين أو ثلاثة بسبب شعري وثيابي، وأخيراً تقرر أن أذهب إلى المدرسة وأصبحت الصبي المهجور أكثر، كانوا يتحدثون باستمرار عني وكأنني البنت وتعمقت وحدتي، كان حدثاً مروعاً أن أخرج من هذه الوحدة حينما دخلت في كيائي، إنني أتحد بك وحينما سأنتهي من دروسي الخاصة سأعرف كيف أحافظ على تمزق هذه الوحدة، وكيف أصون وحدتنا وبالتأكيد سأعرف كيف أحافظ وأصون، لاشك أنني سأفقد كل قدرة على التصور بأنني إنسان إذا ما جال بخيالي فقط أنه من الممكن أن تتبعتني عني، لسبب جوهرني وأساسي هو أنك أعدت إلي عالم الإنسان حينما يعيش معنى الحياة، وبذلك عدت إنساناً يحيا.

يا ليا.. إنك تذكرين ولاشك تلك الحالة النفسية التي كنت أسميها دائماً _ ثمة فواصل بيني وبين الأشياء _ إنك وحبك الخالق استطاعا تحطيم هذه الدائرة التي كنت أعيش بداخلها، وربما لن تصدقي أن من عمق هذه الحالة في كيائي فيما معنى من حياتي علاقتي بالسيد -ك- وإن من ملك قدرة إنهاؤها أنت.

وكنت أتصور أنك لاحظت تغيب هذه الحالة في الشهور الأخيرة وأعتقد أخيراً أنك عرفت من لعب الدور الأكبر وإلى الأبد في وجودي، إنك أنت قاتل تعاستي ومبدعة فرحي، وسبب حزني اليوم هو مفاجأتي بأنك من المحتمل قد نسيت كل ذلك لذا قلت: أن ثمة إمكان بأن تهجرني بعد عام لتعود إلي.. إضافة إلى كل ذلك وضعني كلامك في موقف من يستطيع أي كائن أن يغرر به، وكأنني إنسان ساذج لم تعطه حياته وتجاربه أية خبرة،

لذا حزننت وفكرت بالموت للحظات، وانهزم كل الحزن والتفكير
بالموت أمام صمود حبك أمام حبي.

وضحكنا ضحكة الانتصار على كل شيء، وتعانقت أيدينا
بحرارة عجيبة.

65- ليا..

الصحارى المجدبة تترامى في أفاق خيالي المحموم عبثاً
تحاول إيقافه نحو الحلم، إنني يا شهيدة العطاء مولود جديد أتاك
مع أشرعة الضباب المبحرة باتجاه شواطئك، فلتخفف شمسك
الملتبهة حرارة الرمال إن جسدي غضة كرواك الآتية من منافذ
المجد.. أنت يا ساحرة كل العيون التي أرى بها الحياة دخلت
كياني عبرت كل قدراتي، تغلغلت بعيداً في خلايا دمي وبكل ذلك
تحطمت حريتي إنني لم أعد أكثر من حالة حب، وكل الكون لن
يستطيع إعادة هذه الحرية البلاء إلى سلوكي إنني مهما بلغت من
ضخامة التعبير لن أستطع تصوير التمزق الذي أعيشه حينما تبدأ
شفتاك الكونيتان بالارتجاف معلنتان بدء الدموع إن هذا البدء
يعيدني إلى كهوفي المظلمة هناك حيث الرعب الأسطوري
باننتظاري، دموعك يا ليلي أنياب حادة تنغرس في لحمي تقتلع
عيوني.

ليا.. قلت لك مراراً أنك مطهرتي لأنك استطعت أن تعيدي
إلي براءة الإنسان البدني حينما أكون معك أفقد معنى الزمن،
والحركة، والحوادث، وكل ما يوحي بالتغيير، أعيش معنى الثبات
الأبدي الذي تحدث عنه المتصوفة.

يا حبيبتي المنحوتة من كينونة المعنى، أرجو أن تفهمي
معنى العذاب الذي أعانيه لأنني لا أستطيع أن أفعل كل شيء،
ولأنني لم أستطع أن أحطم الحواجز مرة واحدة وإلى الأبد وبكل
السرعة.

ثقي أنني أعيش في بعض الأيام ساعات من الجنون
الحقيقي، ولولاك لسمحت لهذا الجنون بالامتداد إلى عمري، نعم
يا حبيبتي نعم.. الجنون يترصدني في كل مكان، في كل لحظة،
يكفي أن أتصورك في الشارع معرضة للقاء أي قدر حتى أفقد
أعصابي ويسقط خيالي في حوض التشتت.. إنني أعتذر لأنني
يجب أن لا أرفع صوتي أمامك وأن لا أقول كلمة إزعاج..
سامحيني أيتها القديسة.

66- ليا..

إني لك الماضي والحاضر والمستقبل، لك بكل ما
استطاعت هذه الأزمنة أن تجعل مني، لك بكل إجرامي وقسوتي
وظفولتي، وعمق حرمانني وفلسفتي ومشاعريتي.. إني أعطيك أنا
بعد أن غسلت بأطهر دموع الحب، يبدو لي من خلال تفجرات
صمتك في بعض اللحظات أنك تدركين أبعاد الله _ كما قدمه
الدين، ولذلك سأعود إلى الحديث بعد أن أكمل حكايا سيدة
التكوين، وسيكون القسم الأول من الحكايا موضعاً لمجمل
الصفات التي تتمتع بها هذه السيدة النبيلة.

على مقربة من جبل الأولمب، وبينما الأرض تنفث أبخرة
أسطورية والسماء تزدهم في أجوائها عربات الشمس تجرها

خيول خيالية جاءت من أقاصي منافذ الكون لتحضر الاحتفال
بمنح سيدة التكوين قدرة خلق الخلق، ومن أصوات الرعد الآتية
من أعماق المجهول لتبارك بربها المبدع هذا العرس الملحمي،
اكتملت لوحة البدء، ها هي تخرج من باطن الأرض ملفوفة
بالبخار، كان في وجهها نار، وفي عينيها ماء، وفي يديها تراب،
وحين تم خروجها من الأرض كانت الشمس قد ركعت عند
قدميها، ولم أدرك كيف استطعت أن تخلفيني بهذه السرعة يا
سيدتي الآتية من كل زمن، والمصنوعة من كل حنان الكون
وطهره، وأخذت أرقب خلفي بدهشة، وإنني لا أزال أذكر رغم
مرور ملايين السنين على هذا الحادث كيف لفتني نيران وجهك،
وكيف غسلتني مياه عينيك.

أنت يا ليا.. من فعل كل ذلك في كل الأزمان عبر ماضيها
ومستقبلها، إنك تعلمين أن ليس للأسطورة نهاية لأنها تستمر في
الوجود من الوجود الذي تمنحه لنفسها في ذرات كل من حاولوا
معرفتها، ولتعلمي أنك أسطورتني.

عبر عتبات الألحان الفرشة أكثر من عدم صغير في
مسافات الشعور أنظر إليك، حبيبتي.. أعطني غلالة حزنك
الدافئة، إن روعي تقشع من برد البعد. حبيبتي.. إنني أضع كل
فلسفات العصور تحت أقدامك، إن جوهر الموسيقى والشعر
الخالص بعض من عوالم براءتك الأسطورية.

67- ليا..

لمعنى التعب، لمعنى الغضب، لمعنى الأنوثة وراء عيونك،

أحبك يا جسد الزيتون تعنتق في ابتسامات السلام المسيحية،
أعطني الخوف علي وخذييني إلى بعض عطاياك السخية..

حبييتي.. إن أجمل إتهام وجهته لي هو أنني قليل الكلام..
يا ليا.. إنك رائعة حتى حين تتهميني، إن أشد ما يؤلمني هو هذا
البعد الذي لا أجد له أي مبرر، ولكن ثقي أن لاشيء في هذا
الكون يملك قدرة إيقاف لقائنا القريب جداً..

حبييتي.. إن الالهفة التي أعيش بداخلها هي تمنعني من
التفكير بأي شيء، لهفتي إليك، أكاد أجن يا ليا.. إن الدموع في
عيوني تتحول إلى جمرات وتحرقها، إنني أبكي كما لم يبكي أي
إنسان في هذا الكون، أبكي حنيناً يا ليا، أبكي خوفاً عليك،
وأبكي، وأبكي، وسأظل أبكي إلى أن نلتقي أيتها الحبيبة، وحينما
أتصور وحدتك في هذا الجو المليء بالتفاهة لا أملك إلا أن أبكي،
وحين أتخيلك بجانبني لا أملك إلا أن أبكي.. سامحيني يا ليا
أرجوك.

68- حبييتي...

الساعة الآن تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليل، أنهيت
قبل لحظات قراءة كلماتك المنفية، وجمرات ملتبهة، كادت أن
تحرق أعصابي، إن الإيمان يا ليا عالم أكثر من داخلي يعيش في
أعماق الإنسان، ومهما كبرت مقدرة الإنسان الفكرية بأنه لا
يستطيع أن يعرف هذا الإيمان، لذلك فأنا عاجز عن تعريف
إيماني بحبك، أو بتعبير أدق بحننا، نحن شبيهان جداً بفكرتي النار
والحطب، فلا النار موجودة دون الحطب ولا الحطب موجود

دون النار، عالمان يكمل بعضهما الآخر لإيجاد الدفء أو السلام أو الإيمان، أنا يا ليا أشعر منذ زمن بعيد أن شيئاً من خلال - أنشودة مطرنا -الرائعة شعرت أن عملية الانبثاق قد تمت، كنت أقرأ في وجهك وأنا أتحدث عن -مطر السياب -مطر كلمات من سفر التكوين، ربما لا تصدقي أنني الآن أعود إلى الوراء لأسترجع تلك الدغدغة العجيبة التي كانت تلامس خفايا شعوري، أتذكرين كيف كنت أقوك لك: لم تنظرين إلي بهذا الشكل؟.. كان في كلماتي هذه شعوراً بالخوف شبيهاً بخوف الفرح الجديد.

69- حبيتي...

أرجوك أن تفهمي حقيقتي النفسية في حالة الغضب، إنني لا أملك القدرة على تصورك هدفاً حتى لبراعم الورد، فكيف أستطيع تصورك هدفاً لأنياب الحقد والتفاهة والحقارة، أرجوك أن تفهمي ذلك، إنني أقدم فيك كل شيء.. وثقي إنني أفهم حقيقتك الطاهرة، في كل مواقفك، ولكني أغضب ليس منك بل من فهمك للناس، وما يمكن أن يفهمه الناس منك، وما قد يترتب على هذا الفهم الخاطئ من قبل الناس لك من مواقف، هذه هي حقيقة كل شعوري، وأنا لم أخطئ فهمك في حياتي، لأنني ذبت من زمن بعيد في كل خلايا دمك الصافي، حبيتي.. سأعصر لك قلبي ذات يوم لتشربي كل النبيذ الذي سكبته فيه بوجهك.. وكلماتك.. وأسطورتك..

70- ليا..

مبكراً عدت إلى البيت، ومبكراً جاء الحزن في هذه الليلة،
لاشك أنك لم تنامي بعد، وربما في هذه اللحظة تكتبين إلي عن
الجوع الخيالي الذي نعيشه الآن بهذا البعد الظالم.

أواه يا ليا.. لاشيء يستطيع أن يمنحني الدفاء. دفاء
صوتك إلا صوتك، ولا شيء يساقط المطر في حقولي المحترقة
إلا نظراتك التي أغيب فيها، تهتز في كياني أسرع زورقنا
الحنون تحت ضغط رياح الشوق، إنني أكاد أهني أنغاماً مجنونة
في وساعة كيائك المصطفى من جوهر المعنى، لم أكن أعلم أنني
سأكون ابناً لراعية حقول الضوء، ولا حبيباً في عربة المجد
المتجه إلى مدارات الرؤى يا ليا.. يا ابنة زوابع الحب.. خذيني
حارساً لأبواب الفتنة التي تجلسين وراءها خجولة..

71- حبيتي...

يا عالم الأطفال كم أحببته، ولكم حلمت بزعره بحياتي،
وأنتيت حاملة جذور صفاءه، سأكون أرضك فازرعيني وهذا كل
رجائي، ليا.. هذا انفعالي وأنا أصنع لغتنا بانشداه في قلبي، يجب
أن لا يغيب من ذهنك أبداً معرفتك العميقة لي أثناء تبادل أي
حديث في كل المواقف، شعرت بضرورة هذا التنبيه حينما
تذكرت أسلوبك الاستفزازي بطرح الأمور ومعالجتها، إنني لم
أعد أستطع أن ألقى عليك محاضرات لأنك متضمنة في
تعاييري، وسابحة في أجواني الفكرية، ومتسربة في أحاسيسي،

لم يعد بيننا ما نختلف عليه غير جفونك التي أعبد لو استطعت حبها عن الذين لا يفهمونها.

حبيبتي؟.. لك قلبي.. لك أيتها الوديدة كأحلام الأطفال كل أغصان شجرتي، إن ضلال هذه الشجرة ستغمرك قريباً، وستنعمين بدفنها إلى الأبد.. فتشت كل مخابئ الكلمات عبر امتداداتها المنقوبة في الزمن، طفت كل جزر الحب، وشواطئ الفرح لم أجد، ولن أجد أبداً مثل نقاء البكر، وصوتك القدسي، أنت شبيهة جداً برموز السيد المخلص دائماً ملك صفائك قدرة لف التشويهاة البشرية.

ظنوا إنني خرجت من أتربة الدهشة فأغمدوا في وجهي نظراتهم، وحينما عجزوا عن إدخالني في حوض اللوعة لأن الإنسان لا يدخل في نفسه أكثر من مرة، شدوني من شعري على سفوح الفرار من سكاكين الرؤية، الوجود مراوحيه مدركة بانتظار المصير، المعنى محاولة لإيجاد اللامكان، واللامكان موجود في المحاولة.. نحن محاولون، والفرار طمس للقصد الشعوري، يتساقط الموت من كلماتي كما تتساقط الثمار الناضجة، الشمس مضمورة بالدم، والموت الراءف حياً.. يا زائري الكريم أهلاً بك محروفاً بالأنعام.. مصنوعاً من نبض الدهشة.

72- ليا...

لست أدري لماذا نحن وضعنا هدفاً للرياح المسمومة، الكلمات تختنق في حنجرتي، إنني لا أملك القدرة على الاقتناع بأن وجهك هو وجهك الذي عرفته وأحبيته، لقد تغيرت كل

ملامحه إلى حد أخافني حينما قال صوتك بنبرة أمره، اذهب من هنا أفضل ومن شدة الانشداه والخوف لم أستطع الرد على تحينك، ولم حدث ذلك ربما الشيطان، ونزعاتي الشريرة التي لم تستطعي أن تريها أقل من شريرة وفاسقة، ربما تكتشفين ذات يوم أن ليس لي قلب، وإنني خدعتك ببهاراتي اللفظية، وحينها سأعطيك مسدساً لتعطيني نهايتي.

إنني حتى الآن لم أفعل لك شيئاً جديراً بالاحترام والحب، وإنني باستمرار أرى نفسي من خلالك وجهاً لا يعرف الرحمة مليئاً بالتعقيد، سادي السلوك بشكل عام، إن الطريقة التي ذهبت بها اليوم، والصمت المفعل الذي مارسته طوال الطريق أشعروني بأني مذنب، وإنني أسأت إليك، وإنني.. أحمل كل الصفات التي تكرهينها، من أجل كل ما تقدم أرى لزاماً علي أن أكف عن الكلام وإبداء الرأي والتصرف وفق كل الرغبات التي تريدينها.

يا ليا.. إن الأحلام التي أخطط لتحقيقها تفرش في وجداني كل ترف الجمال، ربما أنك سيدة كل هذه الأحلام وترفها الجمالي، أطلب منك عرضي الأخير بإعطائك دفعة القيادة لسفينتنا لأنني أمنت أخيراً أن أحلامنا أكبر بكثير من عظمة القيادة، ولأنني أمنت أيضاً باستحالة المشاركة في القيادة، والحقيقة أنك عملياً ترتضي أي اقتراح أو طلب ولكنني أشعر وهذه حقيقة أخرى حسبما أرى أنك إذ تلبين رغباتي فليس ذلك عن قناعة منك بل من أجل عدم إزعاجي، وهذا يفسر أنها مس لنفسك كالجنون، وإنه ليس بالجنون بل هو حالة تناقض لا تستطيعين احتمالها،

الحب !.. ولست أبغي إعطاءك درساً فيه فأنت معلمة كبيرة فيه، وثقي أن هذا رأي الحقيقي بك وأحب أن أطرح وجهة نظر قد تساعدنا على التعمق في معرفة مشاعرنا، إن الحب في تحقّقه المطلق يمحي من عوالم النفس ولو إلى حين كل التعقيدات التي تحملها نفس المحب، ويخلق سلوكاً فيه معرفة شبه مطلقة لشخص المحبوب، لذا يتم الحلول الرائع الجمال لكلا العاشقين، وحينما خرجت من مدرستك لفني حنان مشوب بالرعب عليك، لذلك اتصلت بك حالماً بابتسامة الفرح على وجهك، وبتلك القفزات الشابة وبألف حركة تدل على سعادتك إذ بك تأتين، وأظنك تعرفين البقية.

إن السلوك العفوي ممثلاً بالوعي، وهذا الامتلاء يأتي عن طريق العادة، وحينما يحب الإنسان يمتلئ السلوك العفوي بالحب المتضمن كل الوعي مضافاً إليه ذلك النور المبهر الذي يكشف باستمرار كل زوايا الجمال وعند هذا الحد يتحول السلوك العفوي إلى محاولة للذوبان في النور المقابل، وإنه لحلم عظيم أن نضيء الكون ذات يوم، ولأجل هذا اليوم وهذا لحلم أحياناً.

يا ليا.. إن لم تقولي كل ما يخطر ببالك وما يصوره خيالك لي فلن يستطيع حبك لي الدخول في سلوكك العفوي، يا ليا.. لا بد أن هناك مئات المناقشات تجريها كل يوم في خيالك سيحلو لك أن تتهميني بعدم الثقة وستكونين جميلة حينما ستضحكين بعد هذا الاتهام.

أستطيع أن أكتب كثيراً جداً في هذه الليلة وحول كل الاحتمالات التي أتصورها في خيالك ولكني والموسيقا التي

أسمعها الآن -هدوء الليل صديقك المحب -قررنا الاستمرار في تأمل الصورة التي رسمناها لوجهك الطفوح بالغضب الحزين، إن الألحان الكنائسية التي أسمعها الآن عمقت الصورة ووسعت أبعادها بحيث أراك الآن بجانبني نسير باتجاه المذبح ليباركنا صديقنا المصلوب في أعماق الألم، ومع هذه الصورة المقدسة سأغفو.. في زمن الأساطير كان أحدهم يعصر النبيذ للآلهة، ولما انتهى هذا الزمن ظل الآلهة في سكرهم، يا زائري الكريم سأكتشف ذات يوم معنى زيارتك المفاجئة، النار تطمس في رمادها.. كما يغيب الانفعال في معناه.. وإلى أن ينتهي أنين اليقظة سأستمر في صناعة البله.

19 و1969/10/20

73- ليا...

أعود الآن للكتابة عن المشاعر الحانقة التي غلفت كياني منذ ذهابي إلى النوم، كان نوماً مضطرباً صحت منه أكثر من مرة، إني البكاء في النوم شيء لا بأس به يريح النفس..

حبيبتى.. الرياح وحيدة في الشوارع مثلنا، تغسل وجهها في محطات السواد.

حبيبتى.. إني عبدت بحزنك المعنى الذي صار إله، إني أحبك فاسمعي صوت الخوار، لكل ما فينا المعبأ في متاهات الدوار، إني أحبك رقصة تأتي على وجه النهار لنازل الظمأ الحنون إلى رموز الانبهار، وحيد في فراغات الكون أبحث عن

الموت للمرة الأولى أعود إلى عالم الوحدة المطلق، أعود محمولاً على أيدي الخيبة، أعود تاركاً ورائي جسد الوجود، واستطعت أن أشعر بفرح اللانهاية التي تقذفني إليها نظراتك، كيف أن تحملي وجه اللامبالاة أمامي، وكيف استطعت أن تعزفي لحن الجمود وأنت تتحدثين، إنني لا أخاف الحقيقة يا صديقتي فلقد حملت فجيعتها معي طوال سنين عمري، وخيل إلي أنك ستخلفين لي حقيقة جديدة، خيل إلي أنني سأحب للمرة الأولى في حياتي، وكنت حقاً أتخيل إنني أشعر أنني محبوب حينما أرى أبواب نفسك مفتوحة أمامي، وحينما أراني أركض مع خلايا شرايينك.

آه يا ليا !!.. أأست ذلك النبع الذي تتدافع في تدفقه الأبدى أفكارك، ثقي أنني إذا استطعت أن أفعل شيئاً ذات يوم فلن أرضى بغير تحطيم الكون لأنني فقط نقيضه الأبدى..

74- ليا..

تقترب الساعة الآن من الثالثة بعد منتصف الليل، بعد عدد هائل من كؤوس العرق أنا لا أزال بكامل صحتي تتناوبني بين الحين والآخر تفجرات داخلية أفقد خلالها كل قدرة على وعي أي شيء، ما عدا الخروج.

ليا.. حبيبتي.. وكيانى القادم، إنني أتمزق بشكل حقيقي، إلى حد صرت فيه أرى أشلائي تتناثر أمام عيني، أنت الأرض التي تقع عليها هذه الأشلاء.

يا ليا.. إن لم تلبى نداء قلبي، إن لم تحققي احتوائي فإنني

سأخرج من الذي عرفته وأحببته.

ليا.. أريد أن تعلمي عمق الوحدة التي أعيشها حين نفترق..
ليس لي صديقة، ولا عائلة، ولا بيت، ومنذ أن فتحت أفجاني
عرفت هذه الوحدة، ومر تاريخ حياتي ولم يكن فيه غير لوحة
واحدة تتكرر باستمرار، إنني عبثاً أحول جرع هذه الوحدة،
قصصاً عنيفة، وأحداث رهيبة عشتها بعمق وأصالة من أجل
التخلص من وحشي المرعب الوحدة، ولم أستطع أن أحقق ذلك
ولطالما ضحيت وطالما أعطيت وكانت النتيجة دائماً واحدة،
تتكرر بوعي لها يكبر، وهكذا مرت الأعوام الطويلة من عمري
هرباً من الوحدة، وبحثاً عن الاتحاد، وأخيراً جئت من وراء الكون
وأعماقه من كل ذراته المبدعة، من أصلاته الحيوية، ومن روح
العطاء، من جسد الحب، من جوهر الطهر، جئت هكذا مصلبة
نقية، إنني لا أزال أعتقد حتى هذه اللحظة التي أكتب فيها الآن
بأنني لست جديراً بك، قد يغضبك قلبي هذا ولكن مهلاً.. فأنا لست
أكثر من إحدى الزوايا الأساسية في قاعة الوجود، وهذا يعني أنني
لا أستطيع الصعود إلى قمم الشاهقة، والآن اسمحي لي أن أتقدم
إليك طالباً باسم زهرات الياسمين، وعمق صدقي، خلصيني من
وحدتي، خلصيني من تشردي، أغلقي عينيك على رؤاي، أكاد
أجن، أقترب من الدهول المطلق.

يا حبيبتي.. يا أمي.. يا ماضي، وحاضري، ومستقبلي، إن
الدموع تملأ عيوني.. وبكل حبي أطلب منك إن تنقذيني.. دموع..
دموع.. دموع.. ليا.. ليا.. ليا..

1970/1/13

75- ليا..

إنني لا أستطيع أن أفهم لَمَ لم يسأم الله من الأبدية؟..

هل تسمعين لحن اغتراب الصمت في درس المسافة،
أرأيت انسكاب العبور بوجه صناع الخرافة، أقرأت كل خطايا من
تأهوا بأحلام الضجر.. روعي بعيداً.. عمقي البعد.. ف-(نحن)
ضاعت.. نحن هدمها الصيام عن لحظة غابت بموت عرافات
أبعاد الظلام، مات الكلام، وتكسرت أنوار أعراس الجنون
وتطامرت في الطيف أفراح العبور وغدونا نحيا بلا جسور..
حبيبتني سابدأ وجه آخر للحقيقة، لم أشعر في حياتي بمثل فقدان
الذي أشعر به اليوم، وكما قلت لك لقد تفرغت كلمات الاعتزاز
وطلب الرحمة والمسامحة من فحواها، إنني لم أعد أشعر
بجدارتي أمامك.

يا ليا.. إنك فقدت قدرة التحدي والمجابهة وأبسط الأمور
تخيفك.. إنك مهزوزة من الداخل.

1 شباط 1970

76- حبيبتني..

ها إن المعجزات تتوالى في حياتنا مؤكدة ألوهية حبنا

المقدس، ومعقدة هذه الألوهية إلى أبعاد الفرح النابع من عينيك
المفطورتين على السلام، يا ليا.. إن كؤوس خمر هذه الليلة
استحالت وجوداً مفعماً بالراحة والحب، بالطهر والصلاة، إن
الفرح يكاد يطمرني بالفرح. إننا انتصرنا، المستقبل لك..

إن بي شوقاً إليك يا مطهرتي بقلب شوق الله إلى تحقيق
وجوده في الكون.

5 شباط 1970

77- ليا..

إن جراحاتك لجسدي الداخلي عمقت طهري، زرعت في
وجداني أنا الذي أحب، جرحتني يا ليا.. إن الدماء التي تنزف من
كياني تغسل كل وجودي، تعيدني إلى برائي الأول.. أنت معلمتي،
أنت مربيتي، وأنت قاتلتني من أجل إبدائي من جديد، إنني بحاجة
ملحة إلى خناجرك المقدسة.. ليا إلهتي..

6 شباط 1970

78- المكان

ساحة خلف الأنوار. الزمن ثبات. صوت الانشدها يردد
ويقود جوقة المصلين.. العيون متجهة نحو.. امسكنا يا رعد..
نوبنا في أمطارك. بلل ادمعنا بضيائك.

لا تسرق من وجهي وجهي.. لا تسرق جوعي يا جوعي..
لا بد أن نملك القدرة على توضيح كل شيء.. بدءاً من لقائنا

المغلف بالحدود الخارجية التي كنا نعيش قسوتها المقيتة إلى الآن حيث يغدو وجهاً واحداً لمصير واحد. أنت وأنا ملعونان بالصدق والحب والعتاء. ولقد شبهونا كرغبات منذ أن أتينا إلى الحياة..

79- ليا...

أقلعت الطائرة وهي نفثة من مطار بيروت في الرابعة وخمس دقائق. وبعد مطار قبرص وصلنا إلى مطار يوغسلافيا، لنقلع بعدها إلى برلين الشرقية، إن ركوب الطائرة لا يعني أي شيء. فلقد قدموا لنا عشاء فاحراً في الطائرة. وصلت باريس نزلت عند صديقي.. ثم في اليوم التالي بدأت العمل. كان منهكاً تقريباً / 11 / ساعة. وصلت البيت في الثانية والنصف بعد منتصف الليل وبعد أن دخلت سيجارة انبثقت ليا - الحبيبة في كياني كالرعد. إنهز وجودي.. بعد ما يقرب من / 12 / يوماً لم أحتمل أكثر فقررت في الخامسة والنصف صباحاً أن أعود إلى حلب. لأراك أيتها القديسة.. تكلمت مع صديقي وبعد أحاديث طويلة أعلن عن تفهم وضعي وتقديم بطاقة الطائرة لي. ولأن غداً هو الأحد فسأعادر إلى باريس يوم الاثنين في الواحدة بعد الظهر إلى بيروت.. وسأركع على أقدامك أيتها المطهرة..

السبت 21 تشرين الثاني 1970

80- ليا...

مضينا الأحد في زيارة متحف الرسامين الانطباعيين. وحدائق التوليري. في المساء ذهبنا إلى البيت حيث حزمت

أمتعتي وتناولت بعض الطعام. وسمعنا بعض الموسيقى، وأعلنت صديقة صديقي عن أسفها الشديد لذهابي وقالت: هكذا يكون الحب!..

في الصباح حجزنا بطاقة الطائرة قيمتها -55 ف. ف. وأعطاني صديقي -50 ف. ف. وفي مطار بورجيه ودعت صديقي وصديقته بالقبلات. الساعة الثالثة بعد الظهر وأنا اكتب هذه الكلمات في مطار بودابست ستقلع الطائرة في الرابعة والنصف إلى بيروت. وصلنا مطار بيروت في التاسعة والنصف وذهبنا لأخذ محافظنا فإذا بي أفاجأ بفقدان المحفظة السوداء وعندها جن جنوني -مستحيل- وبدأت أصرخ في بهو المطار ولكن بلا فائدة وبعد جدال عنيف قرر المسؤول عن الشركة أن يبرق إلى بودابست -باريس- ليسأل عن المحفظة ووعدني غداً الثلاثاء أن آتي إلى مطار بيروت. نزلت في فندق مروان. وفي الساعة الحادية عشرة والنصف وصلت إليه. وأنا أكتب إليك الآن وأفكر ماذا سأفعل..

غداً سأتصل بـليا _ وغداً لابد يا حبيبتي أن نلتقي!..

الاثنين 23 تشرين الثاني 1970

81- ليا الحبيبة..

وصلت برلين في الحادية عشرة ليلاً من هذا اليوم. وقد سارت الأمور بشكل جيد. أكتب وإلى جانبي زجاجة بييرة في صالون الأوتيل، ليس من قبيل الاطمئنان أن أقول لك: إن الأمور

سارت بشكل جيد بل هي الحقيقة. وكل الكلمات التي قرأتها حتى الآن لا تشكل أي بياض في داخلي. وأنت تعلمين يا قديستي كيف تدخلين البياض إلى قلبي من عينيك، اهتمي بنفسك جيداً.. لا تنسي كافة توصياتي.. سأكتب لك من باريس حال وصولي.

ملاحظة:

ليا قسماً بالحب.. أنت من سأصنع لها مكاناً في التاريخ..

برلين الشرقية، الخميس 1970/11/13
الواحدة بعد منتصف الليل

82- حبيبتي أم الليل...

قسماً بالحب.. دخلت في عينيك القرويتين مع عربات الشمس الأولى. يا زراعة حقول الخصب لن أكل وجهي.. لن أحلم بأكثر من معنك. كبدء قممي في سنابل العطاء.. أكتب من باريس ربما أبدأ العمل بعد أسبوع.. وربما نحقق طموحنا هنا وتأتين إلي..

أم الليل.. سيدتي.. وأمي.. وكل أحلامي.. عناق حتى الأبد..

باريس 1970/11/14

ليا..

لست أدري لم كتبت ما كتبت الآن؟. الحقيقة أمسكت بالقلم
وإذ بالكلمات والأفكار تنهال علي فأسجلها. والآن سأكتب لك عن
هذه الليلة المليئة بالحزن.

في غرفتي الكئيبة أجلس الآن أفكر بصفاء بكل ما يمكن أن
يكون مختبئاً في المستقبل لعل لنا في هذا المستقبل غرفة على
حوافي هذا الخراب. ولعل لنا بيت في دم الثورة هناك حيث
عيون العطاء تطل علينا مخضوبة بالدم الحار. ولعل لنا أيضاً
قبراً على سفوح الأولمب حيث كوكبة العابرين روح المطلق تنام
بسلام. إن لنا شيئاً حتى ولو كان موتاً مريحاً نعيشه. فنحن لا
نعيش من أجل كل ما يعيش من أجله الآخرون. إن لنا شيئاً
خاصاً. جوهر أهداف معبدا.

من أجل ساهرة الذهول

ولأجل أنهار من الرؤيا أقول

ما أنت إلا عالماً من ضوء عينيك همى

صمتاً يغني للعبور..

بعد الدنا

ووراء لحظة حبنا

سقطت بلادة يأسنا

في غيمة ملأى زهور..

الأحد 24 آب 1969

ليا..

اليوم أنت جديدة جداً.. ولقد أخافتني جدتك هذه إلى حد أنني صرت أخشى عليك منها. نحن لم ندخل أروقة الذاهبين إلى معابد السلام لننسى السلام. إنني لم أصدق ولن أصدق ما قلتيه اليوم كيف سمحت لنفسك أن تتهمني عيوني ومشاعري!؟

آه يا ليا ماذا أقول لك؟.. أجدني لا أملك أن أقول أي شيء لأنني أفهمك إلى حد أستطيع معه أن أبرر كل سلوكك.

الجمعة 5 أيلول 1969

ليا..

لابد من طرح كل الأشكال وجواهرها الداخلية والخارجية في حياة الفنان. كل ذلك يساعدنا بعد الاقناع بحد واضح على الالتزام بهذا الحد قبل أن أقول أي شيء أنا مقتنع بأنه من الصعوبة بمكان أن تستطيعي إحداث تغيير جذري في وجودك ضمن الجو الذي تعيشين به. أنا مقتنع بذلك ولكن هذه القناعة لا تمنعني من أن أقول لك إنك لم تبدلي أي جهد لعرفة الوسائل والطرق المؤدية إلى إحداث عملية التغيير، ولا تمنعني من القول أيضاً بأنك تؤكلين أمام عينيك ولا تبدلين أي اعتراض. أرجو أن تفهميني يا ليا كعادتك دائماً كما أرجو أن لا تسيطر عليك

أحاسيس الغضب والألم مني. كما أطلب منك بكل إخلاص وحب أن تفكري ب- (ليا) الفنانة وأن تمنحها قليلاً من وقت -ليا - المحبة. ربما لا تصدقي أنني أشعر بأسى عميق وأنا أنظر إلى ليا الفنانة مهجورة في داخلك. ومهزومة أمام طغيان ليلي المحبة.

سأحاول الآن أن أبين على رأي بك من خلال المشهد الدائم الذي أراك توكلين فيه. نحن نعيش ونموت وأكثرنا لا يعلم هل أتى إلى الحياة واعتاد الآخرون على أشياء كثيرة ولكنهم لم يروا لحظة اسمها الشعور بذواتهم الفردية، لماذا هم دائماً هم غائصون في الآخرين. مئات الأسئلة أستطيع طرحها الآن ولكن ماذا تترين في السؤال المطروح أمامك. إنك بكل بساطة تترين شيئاً واحداً هو هذه الحالة (فعلاً هذا سؤال حقيقي). وتساءلين فوراً ولكن ما هو الجواب عليه، وبسرعة تتصورين نفسك عاجزة عن الجواب عليه. فتغمضين عينيك حائرة لتذهبين بعد ذلك لقضاء بعض الأعمال العادية، ما أوصلك يا ليا إلى هذه الحالة هو إهمالك لليا الفنانة وهجرانك الطويل لها. فأنت لم تحاولي أن ترعيها الرعاية الحقيقية. فأنت تعلمين أن هذه الفنانة القابعة في داخلك تعيش وتكبر على موائد الشعر والموسيقى والفلسفة. ورغم ذلك لم تقدمي لها وجبة طعام كاملة منذ فترة لا أعلم كم ستطول..

حبيتي ليا..

كل ما قلته في الصفحات الأربعة الأخيرة كلام سخي، أين أنت الآن يا ليا.. إنني مريض.. إنني أبكي سامحيني يا حبيتي.. أرجوك أتوسل إليك أن لا تكرهيني يا ليا.. ظلي معي إنني أحب كل شيء فيك. ظلي معي، أرجوك أتوسل إليك لا

تتركيني.. ليا حبيبتي، فهل أنا حقاً حبيبك.. لم أبك في حياتي مثلما بكيت.. وأبكي الآن..

ليا..

بي رغبة قوية أن أحدثك عن الشقاء النفسي الذي أعيشه منذ أن أمنت بأنك أحببتيني.. نعم يا ليا.. إنني شقي وتعييس ولا بد أن يكون ثمة زارع لهذا الشقاء، ولست أدري من عساه يكون ربما أنا.. فلماذا لم أعرفك منذ آلاف السنين؟.. لماذا لم نلتق من قبل. أرجو أن تفهميني يا حبيبتي.. إنني لأستطيع أن أفعل أي شيء لماذا؟ أكاد أجن من فرط التفكير بما يجب أن أفعله، إنني لست أمام اختيار.. إنني لا أومن بالحرية ولا بالاختيار، لذلك أجدني شبيهه بالمحكوم، إن مصيري مرهون بي بالماضي الذي عشته وبالمستقبل الذي أتصور أنني أريده.. أين أستطيع أن أجد الإختيار يكفي أن أكون ابن ماضي الذي يؤكد حاضري ومستقبلي باستمرار. وحيث لتحطمي هذه الجدران التي أعيش ضمنها، ولقد استطعت أن تحطمي كل هذه الجدران بحبك الذي أمنت أنه حقيقي.. أعتقد أنك عرفت شقائي..

ليا إنك قابلت حياتي رأساً على عقب وبالعكس. إن الحديث الطويل الذي كنت تستمعين إليه بحزن قبل أيام والذي عرفت من خلاله كما أعتقد جزءاً كبيراً من نفسي يستطيع الآن أن يقدم إليك نوراً يضيء معنى شقائي أكثر فأكثر.. الحب هو تلك الأحلام الوردية التي تخلق في عالم الإنسان نوعاً من الاطمئنان حيال الوجود، أثناء عيش الحب تضيع الأسئلة الأساسية وتغمر عوالم التشاؤم والسأم والعدمية، ثمة شعور بالاتحاد بالطبيعة.. بالبشر..

بالكون.. كل هذا الفرح الأسطوري الرائع يتوالد في الحب وينمو
بالمشاركة. وكل ذلك عشت عمري معدوماً منه. وكنت مؤمناً قبل
أن أعرفك انني نبي مغمور، لذلك عودت نفسي على أن اعيش
كل شيء وحيداً وكنت دائماً أجد أناس مثلي في التاريخ فمثلاً
أنني معجب جداً -بدستوفسكي- لأنه قال:

ليا..

أواه منك.. أتذكرين؟..

كيف انهمرت بداخلي دمعاً تفتق بالحنين..

أواه منك.. حكاية الزمن المبقع بالشرود..

هل تبسمين؟..

لشموس شيطان تناست خلف جدران الحدود

حيث انحسر.. حيث انصهر.. ما كان بالأمس وجود..

هل تبسمين؟..

لوجوه وجهي..

للعطش.. للشهوة الملقى حراش..

الأربعاء 10 أيلول 1969

يا ليلتي..

الأطيف الندية التي تنترها كلماتك المسحورة بجوهر حبك
النقي تغلغت بعيداً وبترنح سكراناً في عالمي الكلي. في دخيلة أناي

المطلقة. الرعب. والعمان بعيداً عن السلام.. الصمت وقصص
الهجران.. يتدافعون بالخروج، ويتسابقون غرباء عني في شوارع
الماضي.. ثمة جنين اسمه (!؟) ينمو الآن في احشائي، أنت يا محدثة
الخروج المتداخل في.. أنت يا نجمة الأرض والسماء. يا قاتلة القتل
أخرجتني أدخلتني من الحياة الوقوف.. إلى الحياة انفعال.. يا معيدة
حس الحياة إلي شعوري.. أنت يا ليا..

**- إنني لا أستطيع أن أحب أي إنسان لأن ذلك سينقص من
حبي للبشرية**

كنت أجد في هذا القول مبرراً لسلوكي الإنساني. ثقي يا
ليا إنني لم أخلط يوماً بين الحب كما عرفته وبين الجنس، كنت
اعلم أنه لا ارتباط بينهما. بمعنى أن أحدهما لا يلغي الآخر بل في
أعظم الحالات يكمله. وعشت الحب والجنس وحيداً وكما عرفتهما
طوال سني حياتي الماضية. واقتنعت مع العيش في هذه الحالة
التي لم تتغير حتى مجيئك إنني إنسان من طيبة مختلفة.. وطبعاً
شاركت اكتشافاتي الفكرية وثقافتي التي عشتها بصميمية عنيفة
في توكيد الشكل والجوهر الذي عرفته لشخصيتي. وأتيت حاملة
جسد الوجود حباً في وجهك، وشلنتني الدهشة. وغمرني الانبهار.
وبدأت أفقد فقداني الداخلي وأنا مذهول تماماً. واندلق السؤال
الرهييب ماذا!؟.. وبدأت أعيش شقاء هذه ال-لماذا.. أراقب الانهزام
لماضي بدهشة، كما أراقب انغمار مستقبل هذا الماضي تحت
ثلوج كلماتك القلبية.. وأسأل: ماذا يجري!؟..

حبيبتي أنا أعرف مستقبل ماضي.. إن ذهبت إلى فرنسا

سأتعذب كثيراً، ولكني سأستطيع بعد هذا العذاب الذي أراه الآن أمام ناظري بدقائقه الصغيرة أن أخلق عالماً جديداً للإنسان، ولكن كونه جديداً لا يعني أنه سيكون رائعاً.. إنني سأحل معضلات السحر والخوارق وعند ذلك سيرجمني الشعر والشعراء. وكل الفنانين السحرة، وسأتحول في النهاية إلى عالم يعيش في أحد المخابر العلمية يخطط لحركة الإنسان الذرية. وربما انتحر في لحظة فنية أرفض فيها أن أكون أكبر قاتل عرفه التاريخ. وإن لم أذهب فملايين الكؤوس من الخمر المعصور من ثلوجك ستفقدني رشدي وتحولني إلى لحظة فنية مستديمة بين ذراعيك. وإلى أن ينفرز من الخارج ما سيحدث سأظل أراقب ماذا يجري وأنا جالس بهدوء في قاع عينيك اللانهائي..

الثلاثاء 4 تشرين الثاني 1969

صديقتي..

لاشك أنك الآن حزينة تنتظرين قدومي بتلك اللهفة المقدسة التي أعرفها ولاشك أنك أيضاً غاضبة مني، ولتعلمي انني غاضب من نفسي لأن شيئاً واحداً أنا لأستطيع تحديده بدقة حال دون مجيئي..

إنني شعرت أن بي رغبة عنيفة للكتابة وشعرت أنني بحاجة للوحدة للتفكير. للبحث.. عن الزوايا المعتمة في مستقبلنا.. وخرجت من البيت لا أدري ماذا أفعل، جلست في

المقهى قليلاً، مضغت تفاهة الجو بقرف عجيب. وبعد قليل من الوقت خرجت أبحث عن مكان.. أنا الآن على أحد مقاعد الحديقة أفكر وأكتب وأتصور خطواتك النزقة على الأرض.

قبل قليل لفني شعور باليأس، صرت كمن فقد المعنى. لحظات وعدت ولكن لست أدري إلى ماذا؟.. من الصعب جداً، إنني لا أعلم لم قلت من الصعب جداً.. إن موعد الغروب لا يختلف عن موعد الشروق، كما أن النور لا يختلف عن الظلام، والحقيقة لا تختلف عن اللاحقيقة. لأن بعض الصمت معبر أكثر من الكلام.

وجوه الناس المصنوعة من الانتظار أشد حزناً من ينابيع النور المهجورة للسها.. الآن بنظراتي أرى الصفعات بشكل متضخم في نظراتها الضائعة. التاريخ الإنساني هو ذلك البحث المضني عن الألوهة. أنت وأنا أبناء تاريخ مقهور، أبناء لحظات مصروعة من الجنون في دوامات البحث..

صديقتي.. ما أقسى أن تكون الحرية هي -الله- وإن مات الله ماتت الحرية. صديقتي الحبيبة.. إن لم تستطع الحرية أن تخلق شيئاً من العدم فهي ليست حرية. الله هو الكائن الوحيد الذي آمن به الإنسان وأعطاه الحرية. وها هو الإنسان يحاول أن يسترد ما أعطاه في لحظات خوفه الرهيب.

منذ زمن بعيد تعيش هذه الأفكار بداخلي وكلما حاولت تسجيلها تهرب مني وأراني الآن ملكت القدرة على تسجيلها كما أريد..

حبيبي..

والآن وقد توقف النزيف.. وانتهت غيمة النار من حرفي
بلهيبها الثلجي أعود إلى كثافة العفوية المتراكمة في كينونتك
العجيبة، أعود مثقلاً بنضوج الهموم.. مغلفاً بغلالات إرادتك
الوردية لأتابع العيش في حكاية الضباب على وجه مستقبلنا. لينة
هذه الأمسية كعيون القصائد، وكأثناء قصص الحب ترش الحليب
على وجهي لأنني لم أتعلم الرضاعة بعد..

عنباً أحاول الاستمرار بالإمساك بحلمة الضوء.

الخميس 4 كانون الأول 1969

ليا..

أنت الإنسانية الوحيدة التي استطاعت أن تتسرب كالروائح العطرة إلى داخلي، ولكني أحب أن أشير أن بعض الكلمات متعمدة الخطأ -كقولك -إنني أحسست باليأس لكوني لم أفهمك كثقافة وفكر واكتشاف.. يا ليا.. الوقت هو العامل الوحيد الذي يحول دون أن أشرح لك كافة وجهات نظري. وإنني على ثقة مطلقة من أنك ستفهمين كل شيء.. كما أنك تتهميني بشكل غير مباشر بأنني لا أريد أن تكوني، وجاء هذا الاتهام في الصفحة الأخيرة، وإنني مؤمن أنك مؤمنة معي بأنك مخطئة ولست أدري كيف جاء هذا الاتهام؟ ربما ك لحظة دفيئة فيها عمق ذاتي.. سأحبه أكثر إذا تطور..

سأحاول الآن أن أوضح لك وجهة نظري حول فكرة موت الله. وبموت الله من الفكر البشري يشعر الإنسان بضياع كل شيء.. حتى أن دومستوفسكي قال:

- إذا مات الله فكل شيء مباح

أي أن مصدر القيم كلها هو الله. أي أن المحرمات تتحطم..

والله حسب التعريفات أزلي أبدي لم يحيا ولن يموت، والإنسان بالضرورة جزء من هذا الإله.. لذلك فهو في عمق الفهم الديني حراً كالله. والتصوفة حاولوا أن يثبتوا ذلك فتركوا آثاراً فنية وفكرية تتحدث عن اتحادهم بالله.. وما قلته لك من أن التاريخ الإنساني بحث مضني عن الألوهة عنيت به أن الإنسان لا ينفك يحاول الإجابة على كل الأسئلة الأساسية وهي لماذا أنا موجود؟..

ولماذا هذا الوجود موجود؟.. وما البداية وما النهاية؟.. هذه الأسئلة التي قضت مضاجع الإنسان عبر تاريخه الطويل وما تزال..

يا صديقتي الحزينة..

إن الأجوبة التي طرحتها هذه الأسئلة موجودة في الإنسان، ولكن الإنسان بدل أن يذهب باتجاه نفسه في البحث، ذهب خارج ذاته ولذلك حقق بعض الفشل. وقليلين جداً من ذهبوا باتجاه ذواتهم. وهذه القلة من الفلاسفة إما أن تحولوا إلى متصوفين وتركوا أثراً غامضة. وإما أن قالوا في ومضات مبدعة إن الحقيقة في الإنسان كسقراط مثلاً.. وهذا أعمق في الغموض.

ولست أريد هنا أن أتبحر أو أشتط كما قد يخيل للبعض. إنني أريد أن أقول إن أداة البحث لم تبحر.. وأعني بذلك أن الأداة التي يبحث بها الإنسان هي الوعي. وأنهم نسوا أن يبحثوا في الوعي..

ما هو الوعي؟.. سؤال خطير جداً لم يجب عنه أي إنسان، بل أستطيع القول إن هذا السؤال لم يطرح كأى سؤال أساسي في الوجود. إنهم عرفوا مظاهر الوعي وبحثوا بشكل دقيق بعض الأحيان كما فعل -سارتر (في علم النفس الوجودي) وهذه التعريفات والتحليل والتحاليل اختصرت على السلوك الإنساني من الناحية النفسية والعضوية. وهناك فيلسوف واحد بحث مظاهر الوعي بعمق جدير بالانتباه هو (ادمون هوسرك). وكم أحب أن أقرأ كافة مؤلفاته والمؤسف أنني لم أستطع أن أقرأ سوى القليل

عنه كدراسات وكتاب واحد هو (مدخل لفلسفته وعنوانه تأملات ديكارتيه).

إنني يا صديقتي اكتشفت وربما أكون مخطئاً في اكتشافات جوهر وحقيقة الوعي -وأحتاج إلى دراسات الكترونية لإثبات بعض وجهات نظري. وأعتقد أن هناك معهد في الاتحاد السوفياتي بحث في هذا الموضوع ولكن من جذور تختلف عن الجذور التي اكتشفتها أنا..

ليا.. أفكار.. آراء وبعض الاكتشافات الجانبية تدوخي أشعر بعض الأحيان بأنني سأقع على الأرض في أية لحظة. ولي ثقة بأنك طالما أنت بجانبني فلن أقع الوقعة الأخيرة. إنني فقط أريد منك أن تؤمني أنك الإنسانية الوحيدة التي لا أستطيع أن أراها حزينة. إنني لا أملك القدرة ولن أملكها على نسيانك فأنت عالم أجلس فيه بكل الصفات التي أحملها. فحيناً أجلس حبيباً وعاشقاً. وحيناً آخر أجلس مفكراً مهزوماً أمام قساوة الحياة. وكم أني جالساً كطفل مشرد في أحضان أم. أرجو أن تنتبهي إلى لحظاتي النفسية التي تقودني إلى أن أعاملك بخفاف الفعل ومعطفه المحرم في معابد الحب.

ليا.. المساء.. والموسيقا المغلفان بسواد ليلك الناصع. وهذا الحديث الطويل خلوني من جسد الراحة وحيداً.. أنت معي أليس كذلك؟!..
الجمعة 19 كانون الأول 1969

القسم الثالث

رسائلها

زهرة غضب

1- أيها الصديق..

رحلت عبر أفنية الزمن في طرق معتمة، رحلت لأن
الرحيل هاجسك الدائم، وحلمك المزروع بأكف القدر، أتمنى أن
تزرع أمانيك في شمس المستقبل، وأن تلمس نجوم الأمل، وتقاوم
كل ما يعترضك من صعوبات في بلد غريب،.

أحس هنا يا صديق النور الذي أتيت إلى الظلمات، أحس
أن الضباب يلف دروبنا، ويفتق زهور حزن صامت في كل
خطواتنا، الدم المحروق على أصابع غربتنا يسقي الحقول
اليابسة، يحجب الشمس عنا، ويجعل غاباتنا عارية من خضرتها.

الأمل.. الهدف، المستقبل، كلمات تتلوى، تختنق في قلوبنا،
تبحث عن منقذ، تورق عبر تفتقها على شفاها الجافة، وهل
نملك الكلمة التي ترغب أن نقولها، والكلمة صرخة مخنوقة في
أعماقنا.. لم نختر حتى أسماءنا، لم نختر أهدافنا، فكيف نختر
ما نرغب في المستقبل؟..

خلقنا بين تلال مزروعة بشراسة الحرمان.. بين أمانى
تسخر منها الرياح وطيور من السعادة نراها تطلق في أفق غير
مرئية، وغير ملموسة. أمحكوم علينا أن نتعفر بين أتربة
الشقاء؟..

الوحدة وأنا في عتمات متداخلة، ومتراسة حولي، ربما
يؤنسها كتاب أو ينعشها حرف، وترنمها رغبتى إلى إنسان
يفهمنى كما أنا..

لك تحياتي من نفس حزينة تصمت وتصغي لطاقة لهجات
الأم.

1968/7/16

2- صديقي العاتب:

تحدث عن القلق الذي خلفته لك بتأخر رسائلي، وربما
كلمة الاعتذار لا تعطي المعنى الحقيقي لجفاف حالتي حين
هجرني القلم، وغضبت مني الحروف..

العالم حولي مئخن بالضجة، ولسعات الألام في عيني
ترغمني على فقدان التلاؤم مع الحياة وكل ما فيها من أشياء
محببة وجميلة، والكتب ترمقني عاتبة وتضح من صمتها الأخرس
في أعماقي، وأنت تعيش قلقاً وأنا بين تمزقات الأمل وفي رعاية
أطباء يعنمون ما حولي بتجاربههم وآرائهم المختلفة ومهددة بعمة
أبدية تغلق حولي نوافذ العالم، أعيش رعباً حقيقياً، فالتفكير
بالأشياء المحزنة أصعب من الوقوع فيها، رائحة كل ما حولي
أشبه بالحريق والأغصان جافة أتعبها حالة اليأس التي أعيشها،
أرتعش من رجفات الألم وبعض من إرادة القوة تمتد بنسغها
الرطبة ضمن إيماني العميق بإرادة الله، وبدأت أجوب في غابة
نفسى الموحشة، وموسيقى أحزاني كنتشيج المطر تتسرب في
رهبة الصمت تمزق خداع السكون، وحملت عنفي القديم
وانطلقت أحمل أثقالتي وأتابع عملي بصمتي المعتاد فلديّ مسؤولية
ملقاة على عاتقي، وأنا بهذا الوضع الصحي السيئ، فإن استسلمت
لحالتي ستتهار الأسرة، وسأحس بعذاب الضمير لأنني الوحيدة

الفاعلة والمنفذة وليس لدي اختيار آخر.. التضحية أعظم من الحب. وأنبئ قيم الحياة وسر إنسانيتها العطاء.

كنت أحلم أن آتي إلى لبنان وأجري العملية.. ولكن القهر المادي الآن يوقفني، لذلك أرجأت موضوع السفر، و متمسكة بالمقاومة والاحتمال وبسمة أمل قد تتذكرني عبر هذا الزمن المعتم.

ثق تماماً ليس شعوراً بالنقص ما يؤلمني، إنما هو خوفٌ على دراستي وتحقيق طموحاتي حين تهاجمني الألام دفعة واحدة. وكم أكره وضع النظارات، لأنني لا أريد أن تحجب عيني عن المواجهة الحقيقية والواضحة لكافة شؤون الحياة.

هل تريد بمشاعرك وتشجيعك إضفاء النور على حياتي المعتمة، وتعرف أنت أن كل العيون الماضية التي ادعت حبي، كنت أحس أنها توجه لي نظرات الاتهام، وكأنني مسؤولة عما أصابني أو ربما إحساسي المرهف يصور لي هذه الحالة لست أدري. أنت تريدني كما أنا، وتحبني كما أنا.. أما أنا أعذر قلة ثقتي بالآخرين. ولا أحب أن أتعامل معك كطبيب ومريضة يساعدها بأسلوبه المقنع على إمكانية الشفاء.

أرفض وبإصرار العطف والشفقة..

أعذر تأخر رسالتي..

1968/7/30

3- صديقي

تساءلت الليلة إلى متى يقذفنا قطار الحياة على طرقات
الانتظار؟.. لم نحث السير نحو الأمل المتربع على قمم غامضة،
ثم ننحو في طريق العودة، لان وعرة الأيام تحول دون الوصول
إليه (سيزيف سيد الصخرة). يدحرجني دائماً بين صخور
أفكاري فتفتت بين وديان يعوي فيها الصدى..

أنا شاطئ مهجور.. وأنت شارد تحاول أن تصارع الموج
وتأتي، وهل نسيت أن المركب قد ضلّ بين المسافات،
والأشواق احترقت بين الرمال والمشاعر النقية غسلها الدمع
وطهرها الصفاء السرمدي.. ربما يكون العطاء لديّ ثماراً تثقل
الأغصان وتنحني وارفة على كل البائسين حولي، وهكذا أعيش
من سعادة الحرمان.

قف أيها الصديق أمام جنون لحظاتك، فأنا ابنة الصمت
الغارقة في متاهات المعاناة، وبكيت مع كل الغرباء العابرين
ضفاف الانتظار، صليت محبة، وزهرة الغضب أسكرتها أبخرة
شموعي.

والحنان الطافح من وجه السيدة العذراء يغمرنني، فأغفو
مطمئنة لولا بعض الدموع حين تبكي غربتي على نفسي.

لك أجمل تحية

1968/9/20

4- صديقي نور:

الصداقة النقية تكسر عزلة القلب الصامت، وتنعش ذبول الروح في وحشة القفار الممتدة..

كنت صافية في صداقتي معك كدموع الفرح، وكنت لي ضفة أمان حين تثقل علي صرخات الحزن من أفواه البحر، ريح قوية مزقت ستائري البارحة وحين أردت أن اتكئ على غصن يتحملني باخضرار حنانه كانت كل الوجوه حولي حزينة، تريد أن تصرخ.. فاخترت الصمت.

بقيت ليالي تنتشر غدائر الكآبة وتلفها في عناقي، ولكن أنس وحدتي، هرتي الجميلة (كالي). وبينني وبين هذه المخلوقات الأليفة والوديعه صداقة ومودة محببة، وكثيراً ما يخجلني أن تكون معرفتها بي أكبر من معرفتي بها، فأنا لا أعلم بما يثني في خواطرها، ويضطرب في نفسها، ولا أعرف مشاغلها على أنها كل أمسية تدخل غرفتي دخول الظافر الراغب الجريء، وتتخذ مكانها فوق سريري، تجلس على عقيها وتتأملني، ويعجبني بها ثقنها بنفسها.

قد تعجب وتضحك وأنا أحدثك عن عالم الحيوان، ولكن أجد فيه الثقل الدميم اللئيم، وفيه العفيف الطيب الجميل، وفيه المتعجرف الشرس الغاضب من كل شيء، لا تضحك من أمسياتي هذه، لأنني أشعر بعدم الرغبة في التحدث بأي موضوع كان.. اعذرني.

5- نور..

ترسل إلى قلبي كل ما في عينيك من حنان الأرض،
وهذا الحنان يبكي حزناً في سرهما، ويمتزج بندى زهرات حب
لم تزرع بعد، فالأرض مجدبة، إني يا صديقي أعشق المستحيل،
وغير المألوف عند الناس، لذا كان وجهك المضيء الطلعة رمزاً
غامضاً لشيء مقبل، ترى أتبقى بسمته مشعة في ظلمات الأيام،
وخفقات قلب صادق تحول كل شيء إلى جمال وفتنة، وأهداف
وأمني.

ربما أحلم، أو ربما كما تجول قطرات الماء في غصن
الياسمين ثم تتحول في تلك الزهرة العطرة إلى جمال وابتسام،
هكذا تتحول آمالنا وتنبثق في صفحات الزمن، وأليس معاني
الحسن تتحير في خدي الياسمين، والحقيقة الإلهية تطل على
النفوس من وراء الشفق أحس روحاً نقية ترعاني، وأفكاراً
مضطربة تتفتح، عندما يلوح في صفائها حلم من أقبية منسية،
فتستيقظ الأحاسيس حول الحب بما يشبه الحياة والموت وكأنهما
كلمتان إلهيتان ومن خلال همستهما يتحدد القدر، ومن خلال
قوتها يعبر الحب المستحيل إلى حدائق تملأها زهور المحبة
متشابكة عبر عرائش السنين.. والتاريخ..

مع تحياتي..

1969/11/15

6- نور..

من خلال كلماتك وقفت على ضفة مهجورة أومئى بالكلمات إليك، خشيت العبور وأنت تسكن في غممة حرب دائمة مع نفسك ومع الوجود ربما ما عانيته من ماضيك المجهول لديّ جعلك تطبق أجفانك الحاملة كحساء زمت شفيتها كيلا تزعج ملائكة السماء بأنينها الذي يتأجج صراخاً، و احتجاجاً، على ما حدث لها..

وأنت حقيقتك غامضة وترفض البوح، وأعتقد أن هذا ما مد شرحاً بينك وبين العالم، وجعلك تضج بالقهر فلا تحس بمعاني الفرح، ولا بمعاني الأشياء من حولك، وتبقى مراقباً غاضباً مهجوراً في ذاتك لتعود إلى ذاتك.. ربما صوتي المبحوح الحزين يأتي مع هدأة الليل اليتيم، ويبقى مدفوعاً بين تراكم ما حولي من بؤس، ولكنه بين لحظة وأخرى يقوى، ويشد كنبته تنبثق من بين تشققات الصخور، وتمدد ساخرة من فراغ الوادي السحيق، هكذا أحيا وبهذه القوة..

أما صوتك يأتيني بعيداً مفرقاً بين صراخ الحزن وتشعبات التشاؤم، وكأنك دخلت في دهاليز عتمة أبدية..

ويأتيني أحياناً من فم النهار بقسوته الخالية من الحنان يتحطم على أمواج قهر داخلي، أما كفك وأنت تسكب حولي

الصمت المرعب، والنشيج الجنائزي بكلماتك، ألا ترى أن هذه الحياة جميلة عندما نغدق عليها زهوراً من فرحنا تتفتح؟..

هل اختلطت أحلامك وأهدافك عبر لوحات المستقبل التي خططتها بالأفكار الرائعة، ألم تتعب من رحيلك الدائم بين أجفان الليل وبين جنون البحر، وكم وثبت مذعورة لأمسك بزورقك المشرف على الغرق في تيه العدم؟..

أحوم حولك طفلة مرحة شقية تعبت بأيامك، وتغسل بالسلام الهادئ أفكارك، فمتى تسكب خمور الحلم بين شفطيك المزمومتين دائماً في وجوم وصمت؟..

1969/12/2

7- صديقي..

الفن يماثل الحب في كونه غير قابل للتفسير..

أنت تبحث فيّ عن الفنانة أو المبدعة كما تقول، وللأسف لم تحاول أن تلمسها إلا وفق أفكارك وتطلعاتك، لو وسعت آفاقك لوجدتني على مشارف عالم أدبي رومانسي غير عالمك واعذرني، فأعمق معانيك الغامضة والفلسفية المعقدة تلد في أفكارني وتجعلني أوغل فيها، ولا أفهمها، لسبب بسيط أني أحب الحياة، ولا أحب التعمق فيها، فالسحب المبهمة التي تنتثرها حول رحابي أضيع بين طبقاتها المترakمة، وليس بي رغبة أن أتدخل بين ضبابيتها لأكتشفها، هل جُبلت بالوجود، أم حول الوجود، أم ما بعد الوجود؟..

اختلاف معالمنا في تطلعاتنا للحياة ومعانيها، المفروض ألا يخلق بيننا عداوة، وإثبات من الأقوى على حلبة صراع.

يا عزيزي.. أحترم كل آرائك ونظرياتك، ولكن ليست شرطاً لاستمرار صداقتنا أو عدم استمرارها.. أنا من عالم آخر ولا أحب أو بالأحرى أرفض الذوبان في شخصية أي إنسان كان مهماً أعجبت به، لي شخصيتي وعوالمي وأنا كما أنا وكما عرفنتي وأرفض كل تغيير..

لذا أحس أن عينيك تغيب عن عيني، ونسائم غضبك تلوح حولي بغبار هجومك وسخريتك.. أعذرك فأنت هكذا متجهم وغاضب دائماً وهذه عوالم شخصيتك، ابتسم سنبقى أصدقاء.

1969/1/15

8- صديقي..

يبدو لي أن (الأنا) مرض يتداخل في الرجولة وينفسي دائماً واعذرنى لهذا التعبير..

الليلة كنت تتحدث بارتياح غريب، وانسجام مطلق مع.. ونسيت أنني موجودة، وأسهببت بحديثك وكأنك محاضر بارع وأردت أن أصفق لك بإعجاب، طبعاً الحادثة تافهة لا تستحق المناقشة، ولكن أنت غضبت لأنني في إحدى الجلسات زارتني والدة طالبة عندها مشكلة، وكنت أشرح لها وجهة نظري وأنت اتهمتني بأشياء وأشياء، وحللت موقفي من وجهة نظرك وهاجمتني بعبارات قاسية، ونسيت أن عالمي الداخلي ينبض

محببة للجميع، ونسيت أنني عملت معلمة، وأنا في الرابعة عشرة من عمري دون سني القانوني في مدرسة خاصة، وعشقت عملي وعشت مع طالباتي بروح الود والألفة، هل نسيت من أنا؟..

فما معنى موقفك اليوم؟.. ألم نتساو، ثم إنك كما تقول لا تؤمن بالسيد والعبد في العلاقة فما هذا التناقض؟!..

أركز على هذه الحادثة لأنها أصبحت لديك تاريخاً لا ينسى.. ثم إنني أملك طبيعة عفوية في سلوكي، ومرحة ضمن حيوية دائمة أيقظ لك بعد معرفتك بي أن تسأل عن أسباب صمتي معك؟!..

لأنك تريد أن ترفع جداراً بيني وبين البشر - هذه أناية - وتلح دائماً أن لا أتحدث بأمور عادية ومندولة، هل نتحدث من برج عاجي أم ضمن الحياة، ومتى كانت الحياة فقط استمرارية للفكر والفلسفة والثقافية، هل نحمل الكتب ونعيش؟!..

أرجو ألا تفهم من هذه الحادثة أنها من منبع غيرة أو ما شابه ذلك، وأنت تعرف أنني بعيدة كل البعد عن هذه الأحاسيس المرضية، فالصداقة ثقة، خاصة وإنني أعتبر الغيرة مرضاً نفسياً ناشئاً عن الإحساس بالنقص، وضعف في الذات البشرية، وملكية للآخر، وأنا أمقت كل ما يملك وما يؤخذ، لأنني أتعشق الحرية، وخاصة الحرية الذاتية ومن خلال الحرية أشعر بمسؤولية أكبر.

أظن لن تتضايق لأنك تعرف وضوحي وصراحتي..

1969/2/16

9- صديقي..

من أشد الأشياء التي اكتشفتها إبلاماً لي، معرفتي الأكيدة بأن على الإنسان أن يكون وحيداً حينما يحس أنه بحاجة للآخرين، وأنه يجد نفسه محاطاً بالآخرين حينما لا يحس أنه بحاجة إليهم، هكذا أعيش بين هذه التقلبات والصعوبات.

آلاف القيود اللامرئية تقيدني وليست باختيارى.. وليالي متفردة برعب الصمت، ومحكوم عليّ بالقلق بين أشباح الأسئلة التي تنمطى في ذهني وتحاصرني..

التهب عطاء، أحترق من عطائي. ولا أستطيع إلا أن أكون هكذا بين ما أحياه.. وحين أنزوي مع نفسي، أبحث عن أفاقي الخاصة، عن ألواني بين أقواس الطموح الذي يثب من أعماقي، ربما أنطلق حين أجد إنساناً حقيقياً يسكب عليّ شلالاً من الحب الصادق، فأغرق في حنانه العميق، ربما تكون أنت، وربما لا تكون.

قلت لك الثقة والاطمئنان قد تمزق أفكارى المضطربة وتجعلني أفق متحدية كل شيء لأصل إلى من أحب.

1969/2/18

اعذر ضياعي..

10- صديقي..

لم لا تنتزع القسوة المزروعة في ذاتك المغلقة، أما تعبت من الجفاف؟.. حلمت بزنايق الحنان تعطرنى بها ولكن تصرفك

غير المتوقع أذهلني وكأنك جاهل بعالم الأنثى، رغم أنني أعيش بشخصية الرجل القوي نتيجة ظروفى ومسؤولياتى الكثيرة، وهذا لا ينفى أنني ومستعدة أن أفرح وأبكي مع أشقى دمعة طفل وابتسامته.

رغبت اليوم أن أداعبك وأرى أثر تأخيرى عن المنزل فى نفسك عدت متأخرة بعض الوقت عن المنزل، وكنت أنت مع أسرتى ومع صديقك أختى تتحدثان، وفور دخولى أنهيت الحديث وخرجت منذراً بموعد لىك، فهتمت أنها حجة مفتعلة وأنت تعاقبنى بخروجك، وأثرت استفسارات العائلة من تصرفك، وعدم اللباقة بهذا الموقف، أمتنى قسوتك وهل هى بعض من شخصيتك؟..

فى اليوم التالى شرحت لك أنى كنت أعبث كطفلة معك، وكنت فعلاً أضحك من سخافة ما حدث، فكان ردك غريباً لأنك حكمت على تصرفاتى بأنها طفولية، و إنى أتصرف كالحمقى فوجئت بهذا التقييم لى ولم أتوقع أن يمتد غضبك بعد أن وضحت موقفى.. وتركتك وذهبت، وأحسست بىعد عنك، بعد نفسى مؤلم، رغم أنك تفهمنى جيداً، فهل يستحق الموقف كل هذا؟..
1969/2/28

11- صدىقى..

ربما كلماتي تاهت عن النفوذ إلى أذنيك، أو لم تعد تحتل
زاويتها المعهودة في أرجاء نفسك، إنها تسير بنفس الاندفاع
والصدق والوضوح، وأنت غير مهتم بها..

سماؤنا التي كانت مشبعة بالزرقة والصفاء بدأت الغيوم
المشحونة بالغضب تنذرنا بعاصفة، وفي أعيننا يتطاير شرر
التحدي والكبرياء، واتخاذ الموقف..
من بدأ القتال؟..

مشاعرنا كانت ضحايا متناثرة فوق مروج الصفاء والصدق
وسأصافحك لأنك استطعت أن تكشف مشاعري المزيفة أهنيك،
ولكن من يرغمني على تزيفها؟.. وما الدافع إلى هذا، وكيف
تعرفني أنت؟

وصمت لأنني أرفض أن أقرر شيئاً في لحظات الغضب
والانفعال، ولو قررت بلحظتها فربما حطمت كل المغريات
الجميلة التي قدمتها لي، والتي أحسها الآن شرسة تخنق الحلق..
معذرة فشلت في حبك.. وربما اكتشفت بذكائك الخارق
معنى فشلي.. فماذا تريد مني أكثر..

1969/3/5

12- صديقي نور..

لقد فردت شراعي بعد طول هجوع، وأتابع خصل الريح
المنثورة صوت تلاطمها كمزمار بدوي في حقل بعيد منطرح في
زوايا النسيان هكذا عادت حروفك كهمس الندى، وهل يرضى
غير المتألم أن يبقى غافياً بين تكتلات الظلمة والقهر، وهل له
اختيار آخر.. إنك صادق لا أشك بذلك، وأرجو أن تحتفظ بي
كصديقة فقط، وترحل إلى حيث ترغب لتحقيق طموحك الأدبي
ومستقبلك، لأنني أرفض الحب الذي تكون نهايته الزواج أما قالوا
(الزواج مقبرة الحب)؟..

ويجب أن تندفع وراء أفكارك لأنها تحمل أهدافاً عظيمة.
سافر.. وسنبقى أصدقاء دائماً.

أنا لا أريد أن تنقذني من ظروف الصعبة، أحزاني
ومسؤولياتي ملكي وحدي، ولا أريد أن يشاركني فيها مخلوق
لأنني لن أراجع عن واقعي، وسأتابع إلى النهاية لدي رسالة
تضحية، ويجب أن لا أتخاذل و أضعف دون أن أتممها كما
صممت..

شكراً على موقفك النبيل والصادق.. وشكراً على تهنئتك
بعيد ميلادي، وهديتك الناعمة..

ملاحظة:

أرجو أن نفهم موقفي.. ولا تغضب..

1969/3/13

13- صديقي..

ترى من أين يذبح الإنسان..؟ إذا كانت دموعه هي دماء
روحه. المشاكل تتراكم، والمسؤولية تتضخم، وأنا أعاني ألام
الذبح وحيدة.. والبشر لا ترحم.

وقفت أنت عنيداً، شامخاً كالقدر بوجهي خوفاً من أن
يحطمني القهر، واقترحت أن نعيش معاً..

أفهمتك إنني بحاجة لقوة رجل معي وسأستمر في عطائي
وقلت لي، رغم أن روحي شقية، ولكنها لو مست برفق لجعلت
العشب الأخضر يابساً.

أعصابي مرهقة، أدور أدور في دوامة قلق مغلقة هائمة
بين شحوب السنابل قبل الحصاد..

وروحك تصرخ بي.. قفي أيتها المجنونة، لن أسمح لرعب
الأيام أن تخطف الصغار من نفسك الوديعه سألغي كل خطوة في
طريق طموحي.. سأمزق جواز سفري، سأبقى معك، وسأضع لك
تاريخاً.. متمسكاً بك شئت أم أبيت..

1969/4/16

14- أيها الصديق..

سحقاً للضعف البشري الذي نرضخ له أحياناً، لأننا نظن أننا لا نملك قوة المقاومة، أولاً نملك الإرادة للوقوف في وجهه وتحديه.

هل أعيش لفكرة الخلاص انتظاراً دائماً؟..

في الأفق ترتجف الأحلام، وتطفح كالفرشات الملونة حول الزهور المتناثرة والتي تطفح بشوقها لرشفات الحب.

لست أدري سبباً لخوفي وترددي؟..

ربما لأنني تعودت ألا آخذ شيئاً، وأن أفق وحدي دون الاعتماد على أي كائن ما..

اعذر قلة ثقتي وترددي في هذه الأيام فتقرير المستقبل أتخبط بين مجاهيله وبين دروبه التي تضئها أنت بعودك القادمة.

1969/6/10

15- صديقي..

الشك في عيني يتسلق غابات أفكاري المتشابكة، والخوف يتكسر بين أهداب مقرحة بدمع استقر في قبور خدودي الشاحبة.

زهرة الحب أنظر إليها جميلة بنقائها، غامضة باحتجابها خلف آفاق أنفسنا..

وحين أبتسم من خلال الكأبة التي تعتريني، كما تعترني
إنساناً جريحاً في أرض مهجورة..

تبكيني دموع الأيام.. هل خلقت لأتألم؟..

عذراً.. لم أطلب المساعدة من أحد..

أشعة غامضة تخترق غمامات سوداء، أتبعها.. مبهمة في
التكوين الآتي.. فهل أبتسم للمغامرة وأمضي..

1969/7/27

16- نور..

توتر العاصفة المجنونة أقاومه ويشدني إلى ضفاف قلق
مرعبة، وفي غمرة الأجواء المنفصلة تقف لتقول: إن الحب غمرك
وإنك تنقاد له بصورة استسلامية، وإن الوجود والبشر وكل ما
حولك أصبحوا بلحظة شيئاً ما اسمه (أنا).. بعد أن انسحب
الجميع..

وأنا كجنية ساحرة تكورت بين مشاعرك وامتلكتها تقول
هذا ببساطة؟.. غريب أن تعترف بهذه السهولة أين صرامتك،
وحدتك العنيفة، وجفاف روحك أحترم هذا الاعتراف البسيط
والجميل، فربما أضع يدي في يدك لتتسلق غابات عذراء مجهولة
يصنعها الحب بيننا، ربما مشاعري تنبض بالرغبة ولكن فمي
مطبق، وروحي متعطشة للصفاء الأبدي، وقد زاد عطشي شراسة
حبك المدهشة حقاً..

1969/7/29

17- صديقي..

تأملاتك باستغراب ملفوفاً بالحنان الخفي الذي امتد لينظر
إليك مذهولاً ونحن في الحديقة حين مر صغير مشرد أمامنا
نظرت إليه بعمق وحزن طغى على قسماات وجهك المرهق
وقلت: إنك تشعر أنك هو في تشردك المستمر والقلق، أثقلت
نفسي بما تحسه من ضياع نفسي، ولكن ألتست معي في أن العظيم
من ينتصر على نفسه أولاً، ويعرف الحد الذي تقف عنده
أحزانه؟..

متى تنقذ روحك الهائمة بين مراكب الرعب التي تحمل
أعصابك المتوترة دائماً في رحيل مؤلم وقاتل؟.. وهل أستطيع أن
أغير اتجاهك إلى طرقات الخلاص.. ونطل منها على نوافذ
الفرح؟..

1969/8/8

18- صديقي..

سأنادي الليل من عينيك: لا تأت..

والوحدة ظلال بين شهيق الظلمة، وهالات الانتظار ترسم
على نوافذ دوائر الهجرة، و أرجوحة الآمال.. شجرة سرمدية،
نهمت من أغصان أوهاهما.. أرتشف ثمارها اليابسة جرحت
حلقي..

لا تأتِ..

القهر يفح سمومه في ذاتي..

يتلظى وهجاً في قلبي..

لا تأتِ..

والمساحات بيننا مهجورة.. والفراغ يرقص بين غيوم
الحزن، والوقوف.. والتردد..

1969/8/15

-19-

قروية صغيرة تمرح في السهول، تحمل السلال.. تنثر
المنثور.. جدائلها تقبل كتفيها.. تغض طرفها عن كل الأزهار
تبحث عن زهرة المحال..

بقيت من الدروب الملتوية، وسلالها فارغة.. أقترب منها
راع ومزماره السحري يتغلغل إلى مشاعرها الغافية سألته: هل
يعرف رمز زهرتها؟..

ألحانه إيقاع عجزت كل الأنغام عن تفسيره خوف، قلق،
غضب، حنان.

ابتسم لها لحن حب ساحر، تبعته إلى غابات الفرح.

طفحت سلالها، زهرة المحال اخضرت وفاح عبقها في
حلم أخضر لا يفسر..

يا راعي حقول الحب.. أنغامك مروج مغتسلة بالفرح ولا
أجمل.. أقبل إليّ.. نحمل معاً السلال في ضفاف الزمن الآتي هل
لنا موعد مقبل؟..

1969/8/25

20- صديقي..

شددت على يدي بعنف وتصميم قائلاً:

- من أجلك سأتحدى الوجود..

الذي قلته رائع وأكيد ولكني لست أنانية حتى أف في طريق
طموحك كنت لي عنقوداً في دالية مخصباً بالأفكار العميقة، وكنت
لغزاً مزروعاً بين نباتات المعرفة، والفكر الإنساني، وبقي في قلبك
جرحاً وهو مصير طموحك، فهل تواجدنا معاً بورقة الزواج كأبي
إنسانين في المجتمع ضرورية.. رغم أنني أؤمن أن أبداع الأفكار،
وأعظم فلسفات التاريخ كانت تبحث عن لحظة حب صادقة، وبحيرة
سلام دائمة بين جنون الفلق والأسئلة..

هذه اللحظة السحرية هي ميراث الإنسانية وهدية التاريخ
والطرفان المشعان اللذان تلتقي عندهما السماء والأرض ففيهما
حقيقتان أساسيتان: حقيقة الألوهية في الروح.. وحقيقة الإنسانية
في القلب..

فلا تزال تنبعث في كل دمعة من دموع الحب روح من شعاع خفي يبيت فيه أنفاساً من رؤى حالمة لها لذة مؤلمة عندما تنصب بين أجنان مغرورة بالتعب والمعاناة.

قلبي سمح وممتلئ من ابتسام الفجر المنتظر.. والليل يغرقني وهو يذوب في أجران الفجر.. وكان دائماً رحيماً بالبائسين والمتعبين مثلي..

1970/2/15

21- صديقي..

الأجواء كانت مضطربة حولي.. وتمنيت أن أطل من شرفة سلام هادئة وأصنع معجزة المحبة بالعباء والتفاني، كل ذلك على حساب صمتي ومستقبلي وأهدافي، و حين أوصلت الجميع إلى مرحلة الأمان والاستقرار.. ووقفت فارغة في قارعة الطريق.. وابتعدت كثيراً لما كنت أرغب وأطمح وأتمنى.. كان دربي ضيقاً وأنت توسع أمامي كل الطرق.. كنت ألعن أحياناً وأنت تبارك، كنت أقسو وأنت تنسج حنانك حولي.. رفضتك لأجل طموحك وسفرك، حاصررتني في كطل الأماكن في البيت.. في المدرسة.. في الشارع.. أهدأ قليلاً.. كل جدائل وعودك تحاصرني، وأنا محاصرة ضمن ذاتي فهل تظنني مبدعة بأساليب الحب وقد كان قلبي منذوراً لوحده، هل سأعرف كيف أحب وأنا التي عشت المشاعر مع الكتب وأبطال الروايات وكتابتي الدائمة لخواصري وأفكاري.

قد تستطيع أن تحتويني، وتحقق لي ما أرغب وما أتمنى..
حينئذٍ ربما أعري مشاعري، وأحيا روعة الحلم وأستريح أمانة
تحت شجرتك و سأخلق نظرية تقول:

إن القوة تتبع من مواطن الضعف، والخوف، والتزدد.

أتمنى أن تحتلني تلك القوة وأكون معك..

1970/2/20

22- صديقي.. نور..

ربما.. نرى زنايق اللقاء معاً، حين تزهو وثمارها مليئة
بالمعاناة ومع ذلك يعتريني الهلع..

هل تستروح الطبيعة الجميلة إلى الدموع، إذا كانت هذه
الدموع أقوى ما في الطبيعة من جمال؟.. وهل تبكي الطبيعة
النضرة حين ينغرس نسغها في مشاعري، وهل يكون المحب في
اتساع السماء.. أو يكون دمعة في قناديل الطبيعة لم تجف بعد؟..

أترى تكون الطبيعة باكية حين ترسل بعض ضحكها
دموعاً تتغذى بها أجفان العيون المتعبة والتي تجعل حتى القلوب
الحرزينة تمطر قطيرات فرح قليلة.. لتبقى الطبيعة وحدها منفردة
بالعظمة.

منفردة بالدمع الصامت، منفردة بالحب السامي.

وإن الذين لا يعرفون جمال الطبيعة لا يفهمون معنى
دموعها، أو ربما لا يستطيعون أن يتخيلوها باكية.. من لواجج
الهموم صارت الطبيعة أسرع إلى عيني من الابتسام إلى

ثغري، حاولت تفسيراً لمعنى الدمع، والأرجح أن يكون أصل
الدمع أن روح الإنسان تأوه مما يلتصق بها من أدران الحياة حتى
إذا أرادت أن تمحو ذلك اغتسلت في باطنه بنور فيحبس لها من
القلب، ثم ينحدر منها إلى العين فلا يخالط الجفون حتى تنبدر إليه
الدموع فتترسله وكأنه لما فيها من ألم عاطفة قلبية أسرى عليها
الهم في ضغطه فذابت..

الأطفال يحبون فطرة أن يعيثنوا بالماء.. ولا أنكر على
نفسي محبتي أن أعبث بالدموع لأطهر أعماقي، وأغسل روحي..
وصلت إلي متأخراً.. والأزهار مثلي تدبل.. وكل شيء يغط في
نوم عميق..

ربما أبرعم ولكني أشك في أنني سأزهر..

1970/4/8

23- صديقي..

هل أنفصل عن الأرض الخربة؟..

وهل أستطيع أن أجعل من الحلم أفقاً مسترسلاً باسماء في
رحاب الضباب الغاضب.. الأفق يعانق الحلم بابتسامة شاحبة.
التمس منهما لحظات.. ثم أخرج في عتمة الفجر لأعود وكأني
جسم من نور يخفق في جنبه قلب يشع ويترك للأرض بقايا
ظلمات نفسه الحزينة..

تراها السماء جمعت بقايا هذا القلب الإنساني وأدرجته في
شفق الفجر؟.. ربما لتتغذى به الحياة أو لتصبح الحياة روحاً،
تتلقى الحكمة العلوية والمحبة الخالدة..

نظرتك تزرع الاطمئنان.. رغم أن العصافير راحلة..
وابتسامتك ساكنة هادئة مطمئنة.. كغصن مزهر.. وهل أنت سوى
عين ثرة تفيض على زهرة حزينة من أزهار الفجر المرتعشة
والمنفردة في وحدتها..

هل سأنبئ من جديد في حقل صفائك الإنساني.. ومن
يضمن لي عدم تبدل الفصول؟..

أخشى أن تذوب العاطفة يوماً كما تذوب كرة الشمس حين
يغضبها الغروب.. ويقلقها غناء طائر الليل..

1970/5/15

24- أيها الصديق..

الثلوج ما زالت هناك، ولكن الربيع وصل.. أنت شيء سعيد، وأنت شيء حزين في آن واحد.. وعل مائدة الحياة جوع للرغبات يتجدد.. وأنا في الزمن الضائع، أعبّر الجبال، أجتاز الأنهار وكلما التقطت رغبة أحس أن طريقي طويل وما يزال يقودني إلى البعيد..

أتمنى أن أكون رياحاً ربيعية تهب..

وتطرق كل أبواب التعساء والبائسين..

أود أن أكون غيوماً مشكلة أقواساً حول كل المحبين في الأرض..

الليل بارد.. شارد..

وأنت مسرع كمركب.. ولن تمنحني استراحة أخرى، بين الوحدة ولكن نفسي مشتتة وضائعة..

يا صديقي أنت تفكر كثيراً.. وتتكلم قليلاً.

فهل برودتك منعشة؟..

1970/6/17

25- نور..

أنا لا أملك شيئاً.. ومع ذلك أحس بالراحة..

حتى في لحظات الرحيل معك.. أجد نفسي وحيدة في
طقوس صمتي الخاصة وأحس أن الغيوم تبكي.. والمنزل طوفاناً
يشتد أعصاره.. أمضي عبر الحقل المحروق، والريح تتحسر
متألماً.. البعد عن منزلي مؤلم.. ربما الألفة.. ربما السنين
الطويلة.

وأحس أن والدتي ستبكي بهدوء، وزحف الألم يخنق
دمعها.

الحياة كالندى.. إذن لماذا أتألم؟..

يشتعل الطريق بضوء العتمة قنديلاً بلا قوة..

وبين أعشابك الغريبة اخترت مكان إقامتي..

اليوم.. اليوم.. فلنشرب النبيذ حتى النهاية وإذا كان الغد
معك سيحمل لي المتاعب، فستكون المتاعب للغد..

الحصى تئن بهدوء، ونحن نركض للقاء..

لماذا يهاجمني شعور بالوحدة بلا حدود؟..

ولكن سأحوّل هذه الوحدة إلى ألوان جديدة في آفاقي

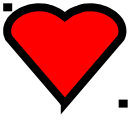
وربما من الكشف والتجلي عبر بحيرة تضطرب بالغموض
وحين يمتد النهار الطويل.. الطويل.. هل تزهو الأشجار؟..

بعض من عتمة الأفكار تقلقني..
واختياري مسؤولية، والمسؤولية فعل حقيقي..

1970/7/25

الفهرس

- 1[ؑ] - القسم الأول: لأننا لم نفترق 4
- 2[ؑ] - القسم الثاني: رسائله - النور الخفي 134
- 3[ؑ] - القسم الثالث: رسائلها - زهرة غضب 235



ويبقى الحب

ليلى مقدسي

من حصل الإهداء

" يا رب ... لا تعلِّمني الحكمة بل
علِّمني المحبة "

حين رحلت طفولة الحب مني ، وجدتها في دروب
الإنسانية المتألّمة وبقي الحب يهرب من دائرة الزمن العكرة

...

وبقي الحب ، وحدة التلاحم بين الكائنات

نخرج منه ... ونعود إليه ...

ومضة إنسانية

ما زالت مغروسة في قعر وحدتها ، وقد ألصقت وجهها بزجاج نافذتها. الباردة منتظرة مجيء أختها البعيدة ، والتي أبرقت إليها منذ أيام أن تأتي . فالمرض ينسل من عروقها المرهقة ، وروحها تنن تحت أسياج الظلام في أزقة ضيقة والسنوات سلخت كل آثار قرابتها ، حتى الشمس من خلال نافذتها. تراها مجعدة في أشعتها، وقد تكدّست فوق ظلالها الباهتة في برك النور المتجمدة ، ظل زوجها الراحل ينتزعها من وحدة الزمن ، وعائلتها الصغيرة اندثرت ، لم يبق لها سوى الأخت الوحيدة المتزوجة في بلد آخر . يتراءى الظل ، يقترب منها ، ووهج حنانه يلفحها ، وذراعه تسكبان الدفء على صدرها ، لقد استطاع زوجها. أن يغني لها كل أغاني الطيور ، وأن يللم غربة روحها ، لأنها حُرمت من الإنجاب وعوّضها عن كل حنان الأرض والأهل والأبناء .

بعد ربع قرن وأكثر ، لحظة مشحونة ابتلعت لها الحنان .

عاصفة غبار نتن هبت على حياتها ، واقتلعت الجذر الحامي . ولقد بعثرت على قبره آخر زهورها ، ومنذ ذلك اليوم ونحيب الذكريات المؤلمة

ويبقى الحب

يلاحقها ، تقفز لتنهش الهدوء من حولها .. دوائر الزمن حولها تتسع وتضيق ، وذكريات تنفرط وتتجمّع . كم تسللت منتظرة مروره ، أحبّته وهماً نائياً ، وجذبتها. أبخرة الوهم . وتفيض الخواطر المؤلمة والفرحة من جوارحها تمرّق صمتها ، في أمسية هاربة من دوائر الزمن النقياء . تأملته بفضول . كان عميق الحزن ، وابتمامه غلالات كبرياء هادئة ، ووجهه كروض تعبت به زهور الربيع . تعددت اللقاءات ، وانبتق الحب شلال صفاء ، حدثها بتعريف حقيقي عن ذاته ، كان صوته مقنعاً وساحراً.. يسقط الصدق تحت وطأة كثافته والدوامة الرهيبية لفحولة الرجولة تؤلمه ، تشده ، تجعله يحسّ بأسف عميق لأنه لا يستطيع الإنجاب لنقص ما في تركيبه الفيزيولوجي .

كنت أتأمل عينيّه ، ولم أكن بحاجة إلى سماع بقية القصة ، ولم أهرب بيدي من أتون يده ، وتعجز الكلمات أحياناً عن استيعاب انفعالاتنا ، ألا يمكن العيش بلا أولاد ؟.. ألا يمكن أن نتجرّد من أناانيتنا ؟.. الوجوه ، الأشياء أبخرة تنطير. في فضاء الطائرة ، وهي عروس له بثوبها الأبيض ، وعيناه لا ترحمان لحظة الانجذاب الخفية

كان شتاءً مدهشاً ، وكنا نظير فراشتين بين ضحكات مطر الأرض . تتراكم السنون ، تبتعد ، بصعوبة تفتح عينيها ، تنهض بتناقل من غيبوبتها . الباب يقرع ، هذا وجه أختها يطلّ من البعد ، وفرحة اللقاء تشعّ تسير إلى جانبها تتحسس الأرض بعصاها ، تغرف الحنان من وجه أختها ، تحدّثها تجلس معها ويغمرها ارتياح مبهم . أنياب الوحدة تشتد

على الجسد المسترخي تحت لسعات المرض والقهر .. لن تكون وحيدة
بعد الآن .

السيارة الضخمة تترجّح في الدرب الطويل ، تمدّ يدها إلى حقيبتها
التي بقيت لها ، تتحسس الأوراق المالية ثمن منزلها ، بعد أن أفنعتها.
أختها ببيعه والسفر معها . وسوف تزدهر أموالها في مشروع تجاري
تقاسمها به . تشتدّ كآبتها كلما أسرع السائق . لقد اقتلعت من جذورها
وتزداد التصاقاً بأختها . لقد وصلتا ، وضّمّها دفاء منزل أختها شهوراً ،
ثم وجدت نفسها من جديد تتحدر تحت الأرض ، وتترلق الأحداث ،
وتتفجر الحروف وغريان الغدر تنهش أعماقها المحزنة وتترسب ليالي
عذابها السوداء ، وتتابع بصوت متهدج : عادت الغربية تضغط على
عنقي ، بتّ عارية من كلّ شيء حتى من صلة القربى ، لقد رمتني أختي
هنا في /دار العجزة/ .. وجوع أختي الجشع إلى ثروتي من منزلي
الصغير. المباع جعلها تقبض على كل شيء ، وتقذفني إلى هذا المصير
..

لماذا ترتعد ؟ ربما يحزنها إعادة الأحداث الأليمة ، فالحرب نفثت
غضبها الأهوج على لبنان واقتلعت منزل أختها ، عرفت ذلك في مساء
اليوم التالي بعد أن توقف القصف . ومن زوايا غرفتها يتراءى لها شقوق
منزل أختها المخرب وآلاف آلاف الليرات . تهذي باكية خائفة .. أصوات
غامضة أشباح تطاردها ، وصوتها ينوح في نهاية الأشياء .. رحمك الله يا

أختي ويغرورق دعاء الكلمات من شفيتها بالدمع .. لكن هل تموت
الومضات الإنسانية؟!..

* * *

دمع الشموع

ما زلت في أعماقي كما كنت منذ عشرين عاماً ، رغم انزلاق الزمن فوق ظلمة فراقنا. التقت نظراتنا بصورة غير اعتيادية يوم جئت لزيارة أخيك صديقي ، تتابعت الزيارات . لا أدري لماذا يرتعش صوتي حين أتحدث معك في جلساتنا ، وحيث يجتمع الزملاء والزميلات من أصدقائنا. ، ونبادل الحوارات ، وقراءة الأشعار . تعلو الأصوات وتنخفض ، ويخيم على الجلسات جوّ من الألفة والموّدة والضحكات الرنانة ويترسب صوتك في كياني والشعر والموسيقا. وكنت أحمل قصائدك ، أنشر حروفها بين " آلة الكاتبة " أنمّقها ، أرّبّها بدقّة متناهية ، وأنا شبه حالم في رومانسية حروفك ، وأحسّ أن أنملك تسطّر الكلمات لتخزن في ذاكرتي وكأنّ كل حرف يهتف باسمي ملهوفاً .

كنت منهمكاً ببعض الأعمال ، وفوجئت بزيارتك لمكتبي . قلت لك ضاحكاً :

- أجمل ما فيك جرأتك التي اخترقت وحدتي . أزيارة أم تجسس سرّي ؟..

ابتسمت وفوح الفرحة فوق الصفحات التي تضمّ قصائدك . أقترّب منك وأنا شبه حالم. تتجاهلين التصاق وجهي بوجهك ، ويطلّ سؤالك حاجزاً تماس وجهينا :

- هل أنهيت نسخ القصائد ؟..

سؤالك تبرير ذكي لسبب زيارتك ، فأشرب من ملامح وجهك ، وأعبّ من ورد خديك ، وترتعش شفاهنا ..

مازلت في أعماقي ، رغم دورة الزمن العكسية ، ومازالت الشوارع
مزروعة بخطواتنا. ، ترعبني الأفكار لأنني لم أكن أتصوّر أنني سأفقدك لأي
سبب كان في العالم . أرتعب حين أسطرّ تاريخ ابتعادك ، لم أحسب
عمق حساسيتك ولم أتوغلّ في طغيان عنادك ، يوم زيارتك لنا . وقد
لمّحت والدتي معلنة عن عدم رغبتها في زواجنا ، فاتفضت مذعورة وكأنّ
مساً لدغ كرامتك. تشاجرنا واتهمتني بأني ضعيف أمام جبروت والدتي ،
وإنني راضخ لآرائها ، و.. و.. وأهنت رجولتي ، وجروح اتهاماتك تنغرس
في صدري ، في تكويني . حاولت أن أثبت لك مدى قوّة تمسّكي بك ،
ولكن فوران عصبيتك حرق كل شيء ، وحين عثرت عليك بعد زمن ،
تألّق في بنصر. يدك اليسرى خاتمك الذهبي ..

- متى تزوجت ؟ ..

- .. منذ عام ..

- إذن حين كنت مسافراً لخارج الوطن .

لم تنصتي لبقية الكلام ، مضيت غير مبالية. وبقيت رائحة
المفاجأة تسيح من جدران المرعبة .. عاودني أخوك حين خرجت من
المشفى إثر عملية جراحية أُجريت لي ، وفوجئت بمجيئك معه لزيارتي ،
نظرت في وجهك ، واستيقظت في أعماقي ببساطة وقوّة ، ومزّقت
الذكريات المؤلمة ، وتذكرت أنه الأسبوع الثاني من آذار. ذكرى ما نسبتها
قط - ذكرى عيد ميلادك - وتزامنت مع يوم زيارتك لي للاطمئنان على
صحتي، وتقلب الفرح والحزن، وانتفضت سعادة مبهمة بداخلي لمراك بعد

ويبقى الحب

عشرين عاماً، وتبادلنا الأحاديث بعفوية كصديقين قديمين. خرجت
للحظات وعدت أحمل زهوراً ، وأشعل حولها شموع ميلادك ، ونظرات
زوجتي. تنتقل بالبحث منقّبة عن سرّ نشوتي ومعنى فرحتي. ركّزت
نظراتك الخافتة بين توهّج ضوء شموعك ، وقطرات دمع صامتة تتكاثف
في مقلتيك وتحاول أن تصدق أن ذكرى ميلادك ما زالت عالقة بأهدابي .
منحني الزمن غيبنا يا لى عشرين عاماً ، وعدت ألملم بقايا الحنين التي
تهوي بين انطفاء الشموع في عناق خفي وديع من نظراتنا ، والشموع
تسكب دموعها البيضاء بمسحة حزن مستكين ..

لماذا أستعيد هذا كلّه الليلة ما دامت قد مضت حلماً عابراً ، وبقي
صوتك يأتيني ، مبجوحاً. متعباً ، ووجهك حزيناً صامتاً ، ورفرفة جفنيك
تضغط من جديد على جدران غرفتي .

* * *

ولهى

ب

يدور من مكان إلى آخر على غير هدى ، ثم ترقد هذه الشوارع تحت عجلات السيارة التي تقلّه إلى ريفه الجميل . يصل والليل الصامت يحدّق بوجهه ، سوف يصرخ طويلاً ولن يسمعه أحد ، يخاف صوتها الذي يلاحقه . لن يستقرّ أبداً ...

ما دام بقي وحيداً أيّة روابط تشدّه إلى أهله ، إلى ريفه ، ودفء ولهى اللذيذ يسري في عروقه . وجهه أشبه بلوحة تجريدية فيها أثلام الحزن ، وعينان غرق فيهما سواد الألم . صوتها يلاحقه وهو واثق أنها ستعود .. يرنّ الهاتف ، ينتفض ويحسّ إحساساً أكيداً أنها هي ، لقد اعتادت أن تتصل به إلى بيت الصديقة الذي يتردد عليه بين فترة وأخرى . وأيضاً ، تتصل به من البلد البعيد الذي رحلت إليه مع أسرتها ووعدته أنها ستعود . ويقف أمام حالة قلق يائسة .. اليوم الاثنين ، الساعة الثانية عشرة ظهراً ، يرنّ الهاتف ، يقفز صوتها يقرع ذاكرته ، بحزن يهمس : -

ولهى - ويخيّل إليه أن وجهها ذابلٌ من البعد كنجم انطفأ - مجد .. أنت
بخير؟ ..

هذيان أفكاره يغوص في دوامات الأوهام ... لِمَ تعذب نفسك؟ ..
الأجدر أن تكون أكثر قوة - أطفأ السجارة في منفضة تأوّه التهابها حريقاً ،
إنه لا يصدّق أن أشهراً طويلة تمرّ وروحه تسترخي على ضفاف الغياب
. ضيق في صدره ، كم هو بحاجة إلى دفن وجهه المرهق في حنايا
صدرها .. - ولهى - قارة بعيدة في آفاق الغياب . لقد كتب لها قصيدة "
حورية الموت الأخضر " . وتهدر كلمات قصيدته في بحار شاسعة .
وتتشابك أحاسيسه مع خيطان الحزن .

يجب ألا يضيّعك الحب ، هل تضيع في - ولهى - وحدها ؟ لا
أحد في الغرفة سوى أنفاس الذكرى اللاهثة ، ويغرق أفكاره في كؤوس .
أليست الخمرة وسيلة للنسيان ؟ .. ولهى تتأوّه في أعماقه ، وتلوح من
جديد شاحبة متعبة من المدن الأخرى .. دقائق وينتقل زمن الانتظار . ،
ويدفق صوتها في حنايا غرفته المعنمة الفارغة .

يلدّ لي جوعي إليك ، أنتظرك .. والقرية سقطت في حضن الليل
الصامت . تعالي انسكبي فيّ ، فأنا أنسكب في غوغاء ضياعي ، سوف
أكرهك يا أميرة الندى والحب . وسأتلذذ بعذابي لأنني سأكرهك .. أين أنت
؟ .. مباحي المرعبة انطفأت .. وسأبقى أبحث عنك ..

في اليوم التالي رنّ الهاتف .. صوتها يشعّ بالفرح .. ولهى ..

رجعت .

ويبقى الحب

رؤى

4

كل خلايا الغرفة مشبعة بصمت البياض ، تنكمش خطواتها المترددة ، تنزع نفسها من عيون الآخرين . فاجأها صوته المضطرب .. رؤى - وتردد في وديان قلبها العائمة بالقلق ، جسد سامح مسجى مذهولة تنظر إليه . ولا مجال لإقفال نزع الذاكرة ، فكل الحب انطفأ بعد رحيل سامح ، وانتظاره لها كان يترنح بين دهاليز الغربية رغم زحف السنين التي تنزلق بين أحلام فتاة ريفية مغروسة في تربة العادات والتقاليد .. وبقيت عين الماء تحكي بخبرها لرعشات الأرض حكاياتهما ، وما زالت أعراس القرية ، ودبكة عذارى الفرح تشدو أغانيهما . سامح لرؤى ، ورؤى لسامح ، إلا صرخة الأهل . فالعداوة المتوارثة بين العائلتين تنتشعب وتكبر ، وعليهما أن يدفعوا ثمن أحقاد لا ذنب لهما فيها .

رفضت رؤى كل شباب القرية .. - هربت إلى ذاتي المغلقة وبقيت أحبك في سرية الشفق ليلة عرس ابنة خالتي ، لمحته من .. المرأة من النافذة متسللاً إلى السطح بين ضجيج الأفراح . وقرع الطبول ،

تملّكني رعب مفاجئ ، وأضاء وجهه كوجه قديس ، انسحبت من بين الصبايا وكنّ يزيّن العروس . اتجهت نحوك رفعت وجهي إلى عينيك بوداعة طفل ، ونظراتك الغامضة تحنو على اضطرابي وخوفي - .
شدني من يدي إلى حيث حلقات الدبكة ، وشعرت أنني عاجزة عن الرفض ، وتكوّرت معه في حلقة الشجاعة ، ونتلاشى بين زحمة الرامقين ، وأمام نظرات أبي الحادّة أنفرط من بين يديك وأتواري ، ولن أساهم بطلقة بندقية من أحقادهم سوف أحميك بهروبي منك ، وهذا التحدي أوقعنا في متاعب طويلة وأرغم سامح على الهجرة خلف أسوار البحر ، وبقيت عارية من الوعد وحرقة البعد تزحف فوق عظامي المتعبة ، وأحلامي المرعبة والعقل يبدي مقاومة شرسة ، وبقي كلانا يزداد عناداً في الإخلاص ، والسنوات تقطر انتظاراً - .

عشرون عاماً وكبرت رؤى ، عشرون عاماً قاومت ضغط الأهل وانتظرت سامح ، وحياته تتبعثر. بين الدروب والمنعطفات ، وقد شدّ حبل المرض عنقه ، فنصحته الطبيب بالعودة إلى وطنه ، وقد استعصى عليه نسيان رؤى بغربته المضنية .

جسده مسجى في غرفة المشفى ، ينظر إلى السقف الضائع في بياض مغلق ، وتتدرج قطرات الذكرى مغسولة بالعرق البارد على جبهته الواسعة ، تتراءى لعينيه صور من أشباح الماضي .

- ابتعد عن قريته تحت إلحاح الأهل وقسوة مفاهيمهم ، ظناً منهم أن الغربة تبدد الحب ، وتصفر ألوانه في خريف البعد .

لكن رؤى قوة خفية تتمدد حوله ومعه ، تلك التي صمدت
وقاومت في شراسة غابة القرية سنوات طويلة بين السهر
والمرارة والرفض لكل راغب فيها . أصبح إخلاصهما جنوناً
ضمن عقلية الأهل والقرية وامتدّ هذا الإخلاص وطوّق مدن
غربته .

الزمن ، والبعد . جمد خطوات الثأر بين العائلتين ، وحين انفرج
الصبر كان لون مرض سامح قد طفح على كل تضاريس القرية ، والجسد
يذبل ، والعيون تنتظر إليه الآن بشفقة والطبيب يمزق خيط الأمل لأن
أنفاس الخيبة تعم الأرجاء .

- أريد رؤى .. رؤى .. ر .. و .. و .. ي .

في سريريه ينتظرها ، والوجع الصامت يغطي الوجه المنتظر. الشاحب -
رؤى - أمامه والعشرون عاماً غامت غير مرئية .. فراشة الروح العابرة
غطت يؤججها. التذكر والحنين ، ، وليس هناك أمل ثابت يخفف عنه نار
الوهن المقهورة . وكل النساء ، وكل الوجوه انطفأت - رؤى - وحدها
تفيض في روحه إلى منتهاها

- رؤى .. ر .. و .. و .. ي .. أريد كأس ماء

الرشفة الأخيرة تبلل الشفاه من كأس نضب ، تجمد بين أصابع
مرتعشة ثم هوى إلى الأرض فائضاً بمائه ، لم يتحطم فهو باقٍ وجعاً وأنيباً
بين أصابع رؤى المذبوحة ، للرشفة الأخيرة يرتسم الرقم العشرون على
جبهة الانتظار. ، وتبرق شرارة الموت وينهار الجسد ..

ويبقى الحب

تجمدت - رؤى - والكلمات مخنوقة في حلق جفّ فيه الصراخ ،
وتلظى فقدان في تل العدم .. وبقيت - رؤى - حكاية لشوارع القرية
ملتاعة .. ملسوعة ..
أكانا يلهثان وراء السراب عشرين عاما ؟!.

* * *

ذبول وردة الحلم

أشعة الشمس تقبع شاردة وقد بهت لونها . نزقها يستيقظ في ذاتي
يمنحني إشراقاً وتفاؤلاً . أسرع لأنتقي زهوراً ، لأنني سألتقي بعد لحظات ..
سهيمة .. الحبيبة العائدة من رحلتها .. حاورني اللون الأبيض مخططاً
لي أفق الوفاء . ابتسم لي اللون الأصفر يذكرني بغيرة المحب . يقفز
الشارع يسبقني إليها .. تستقبلي والدتها مرحبة، تضمّني بحنان ويدها
تحمل مظروفاً تقدمه لي :

- لا تتعب نفسك بالعمل . هذا المبلغ لتتابع دراستك ، مستقبلك
يهمني يا ولدي - سخريتها المبطنة باللطف تغيظني ..
يدها على كتفي ، في صدرها أدفن وجهي ، أنشج فقري الممزق ،
أقاطعها. بتحدٍ .. لا .. ومواقد الغضب تفجّر كياني ، أنا عامل فندق. ليلي
، وطالب جامعي في النهار ، يتوغل وجهي في أعماق البؤس والوحدة
الراعنة ، أعتصر الورود بحقدي بين يديّ المرتعشتين . أسرع بالخروج ،
وصوت الأم يقرع رأسي ..

- مستقبلك يهمني .. من أجل ابنتي سهيمة ..
أهرب إلى غرفتي .. لا ضجيج ، لا إنسان ، لا أحد يحسّ معي .
أغرق في عالم الصمت والكبرياء المجروحة ، أدير رقم سهيمة ، يرد عليّ
صوت يعبث بضحكة ساخرة ..

- أين سهيمة؟..

- سهيمة نائمة ..

- أريد التحدّث معها ..

بل أنا التي ستتحدث إليك ، سهيمة لا تحبها .. بل تطمع في ثروتها .. لن ترى سهيمة بعد الآن ..

إذن والدتها تسخر مني ، تعاقبني ، لذلك قدمت لي هدية مالية لم لم تفهم أنني أريد سهيمة فقط ، ومستعد أن أجعلها توقع على تنازلها عن كل ما تملك . إنني أريدها جنيّة لأشعاري ، وملهمة لكل التاريخ الندي سأجعله لها ومنها ..

في اليوم التالي ، الهاتف يرن ، صوت سهيمة الغارق في أحلامه يهتف باسمي .. تنهدت بارتياح ، وقد مسح صوتها كل آثار التعب والألم ، أسرع في مشيتي ، أتخطى الأرصفة .. ما بالها صامتة وحول وجهها كآبة مبهمة ، انقضت فترة ثقيلة من الصمت ونظراتي تنتشبت بوجهها. في تمزق بأئس ، صوتها عميق الأسى ، عميق الحزن يردد باضطراب :

- اعذرنى لا أستطيع مقاومة الأهل .. ضمن الظروف الموضوعية فيها . لذا تراني حتى تتخرج وتحصل على شهادتك ..

وجهي يغطي العالم المتناقض بالقلق والرغبة وحبل التهديم يشدّ عنقي . هل تجرّني إلى امتحان وتجربة ؟ هل هي صادقة؟ .. أم هذا تخدير لأعصابي المرهقة بوعد وآهٍ؟ ..

من يضمن الزمن ؟ من يلغي الفوارق الطبقيّة الشهادة أم الحب
الصادق. ؟ إذن الشهادة ورقة مزخرفة ستخلق مني رجلاً كفوّاً ،
الشهادة فقط ؟ لماذا خُلِقْتُ فقيراً يا أمي ؟ .. لماذا يا أبي ؟
صوت يصرخ يزمجر بقسوة : كدت أدهسك ، هل أنت مجنون
؟ .. لن أهوي مرة أخرى ، الضجيج المتلاطم ينخر دماغي . سهيمة
سكين تمزّق أعماقي . أحمل لها زهوراً ، تحمل لي والدتها نقوداً
لتسخر مني .. أمنحها حباً صادقاً. تطالبنني بشهادة لتتفاخر بي ..
سهيمة .. يا وجع النزف في جراحي ، كم تقانيت في الصدق
حتى كدت أصدق أوهامي .. ستدبل سهيمة في ذاتي كورقة خريفية .

* * *

لا أنا لحبيبي ... ولا حبيبي إلي

6

في سفر الأناشيد تقول الحبيبة : " أنا لحبيبي وحبيبي إلي " في
سفر نشيدنا أقول : " لا أنا لحبيبي ... وحبيبي ليس إلي " . هذه
ويبقى الحب
17

الخواطر المتلاحقة التي تجتاح الروح من كلمات " نشيد الأنشاد " تحسني أن معناه وفق مقولتي تجرّده من الأنانية ، والملكية التي تنفّس أغلب النفوس المحبّة . لذلك نشيدنا يصبح لامتناهياً . فهل نستطيع أن نعيشه بهذا النقاء الشفاف ؟

كانت هممة الرمال تحنو على ريح عابرة تغمر الموج المتائب على الرمال وشجرة الصنصاف تظللنا بعطر أوراقها ، ويقفز سؤالي من واحة الصمت ملتقاً بضحكتي :

- لماذا قدّر لي أن أحبّ فيلسوفاً متأملاً مثلك ؟..

نظر إليّ بصفاء طفل مبتسماً :

- غريب أمرنا نحن البشر ، دائماً نتعرّف إلى أدوية أمراضنا. ونحجم عن اختراعها لنصل إلى السلامة ، والخروج من حالة المرض التي تتخر النفوس . أنت مثلاً أراك بين غابات الشجر طيفاً عابراً ثم ترحلين إلى آفاق بعيدة ، ويتلاشى صوتك في أنفاس كلمات الشعر وبوح حرفه يرسم الحنين ، فأتمشّى مع حروفك على دروب الحب المغمورة بالياسمين ، فأحيا حالة الطيف معك لأنها خالية من التكرار والروتين الذي يخدش حياة الأغلبية من البشر .

- ما هذه الصور التي تغلّف أحلام يقظتك ، أليس من السخف أن يضع المحبون للزمن حدوداً ، أليس الأجدر بالمحب أن يعيش حراً من عبودية الزمن ؟..

كانت في عينيه نظرة غريبة وبعيدة ، سارحاً بأفكاره عبر المدى وكأنه يعيش اللحظة الحاملة بحدوثها الخاطف .

- بماذا تفكر ؟..

تتمدد أمامي قسوة وغرابة أن يكون مصدر قهرنا ، وكتبنا هو أنانا وذاتنا ، مارذ خرج من قمقمه الذي كان يسكنه منذ غابر السنين خرج ليصادر. إرادتنا وحريرتنا ، خرج ليصادر. الأشياء الجميلة من ذواتنا لأننا لا نرتوي حتى آخر الحياة . وهذا المارد نحمله فوق ظهورنا ، ونبقى على حالنا ، وبذلك نكرس عدمية وجودنا .

- تتحدث وكأن هذه الحالة " تشبه إلى حدٍ بعيد حالة السلحفاة التي تخلق سجنها أو يخلق معها ، بل هو يصبح عضواً أصيلاً يرافقها إلى الأبد " .

- ألا تلاحظين أن الفرق الوحيد والجوهرى بين الحالتين ، أننا نملك الاختيار والإرادة في أن نبقى على حالنا ، ونكس أحزاننا في قلوبنا ، ونفوسنا تزداد بؤساً وكآبة ، فنستكين مسلمين أمرنا كأجدادنا. إلى الله ونقول معهم : " ما يصيبكم إلا ما كتب الله لكم " . حالة استسلام إرادي .

- الأسئلة الكثيرة تلحّ دائماً على أذهاننا ، وغالباً ما نقف عاجزين عن إيجاد الإجابة ، ربما يخطر على أذهاننا أجوبة منقوصة ، وتبقى في حدود الرأي الشخصي . لأن الحياة تحتاج إلى إشباع غرائزنا . والتي هي قاسمنا. المشترك مع

باقي المخلوقات إلى غذاء أرقى ، وأكثر سمواً وتناسباً مع طبيعتنا .

- تعني منزلتنا بين المخلوقات ومن خلالها نستمد قوتنا ،
- لنستمر. في الحياة فاعلين منفعلين بها ، وليس منفعلين فقط .
- أتملك غير هذا الخيار ، ومن خلاله نحافظ على جنسنا البشري الحق ، نحن بحاجة إلى غذاء لا يؤكل ، ولا يشرب ، ولا يتعرّض للهضم والطرح .
- تبحث عن غذاء الروح ، ذلك الذي له خفة القدسية ، ويشبه في ماهيته كمال النور ، ولكنه نور داخلي لا يرى ، ولا يمكن إدراكه عن طريق الحواس الخمس ، والتي هي أيضاً قاسم مشترك مع باقي المخلوقات الدنيا كما هي الغرائز ..
- أجل .. إنه زاد يشبه العبير السري ، ونسيم الصباح الندي ، وعذوبة الطبيعة الأم التي تحيا في ذواتنا ، لتغسل أدرانها ، وتطهرها من دنس المادة وبها تلتئم الجروح وترجم إنسانيتنا . وبذلك لا نسقط في هذا الزمن الموحش، زمن الاغتراب داخل الوطن . وبين من تحب .
- الزاد الذي ترغبه - زاد المحبة - وهو ليس زاداً تقليدياً ، بل هو زاد يكمن في جوهره دواء لكل أمراضنا . وعلاج لكل متاعبنا وأحزاننا وشعورنا بالاغتراب .

المحبة ، هي التي تعيد ذلك المارد المتسلط الطاغية إلى قمقمه ،
وإلى حجمه الحقيقي . وبالمحبة نتحرر ونصبح فاعلين وأصحاب قرار
في حياتنا

- تعني أن المحبة تجعلنا نولد من جديد ، فترتسم الحياة
بألوانها الحقيقية وبذلك تصبح الغرائز وإشباعها طعماً لا
يتذوقه إلا من يملك هذا الفهم . كانت هذه الأيام التي
أضيناها . ممتعة ، وتنضح بنشوتها حولنا ، ونحن مندفعان في
اللقاءات ، في الطرقات ، في الحدائق ، على شاطئ البحر ،
نعيش ونتأمل ونحلل الأشياء بدقة .

أول مرة زارني فيها - شهاب - عن طريق معرفته بأخي ، وقرأته
لبعض كتبي ، حين رأيتَه جفلت من جمال عينيه ، ونظراته الواثقة الهادئة
والتي يكمن فيها البعد العميق والإحساس الدقيق . في أدقّ الأشياء .
اضطربت في تلك الزيارة ، وقد ارتسمت سعادة مفاجئة حولي كأنني لم
أعرف يوماً ألماً ، ولم أقر يوماً بوجود معاناة ما في حياتي ، الوقت ينساب
مسرعاً ، ويحمل حديثنا ، وينحسر الكلام أحياناً بين نظرات تتوغل
لا شعورياً في أعماقنا ، وعرفت منه أنه متزوج له ولدان ولكنه يعيش بعيداً
عن زوجته بحكم طبيعة عمله وسفره الدائم ، وهناك شروخ في الانسجام
معاً ، مما أدى إلى فصم العلاقة بينهما ، ولكن استمرّاً لأجل رسالة
يؤديانها لطفليهما . ويتلاقيان في فترات متباعدة ، ويقوم بكافة واجباته
تجاه أسرته ... أحسست بعد أن صمت أن الهواء يخترق النافذة ويلفح

وجهي ، ويحاول أن يحمل له قصتي المتشابه مع ظروف قصته . وحين ودعته كان نداء عيني ملحاً بالأ يذهب وتساءلت بعد ذهابه ترى هل لاحظني؟ .. وبقي صوته يأتيني من الهاتف بين فترة وأخرى ، رخيماً هادئاً يؤنس وحدتي، وحين يأتي إلى المدينة لبعض أعماله يفاجئني بزيارته . وكنا نتحدث ونحن نصغي إلى رياح الزمن التي فيه صقيع الأسي . ونفحة الألم ، ذلك الألم الذي قال لي عنه :

- الألم الذي نحياه ليس ألماً ، " إنه لهاث فرح بين شفاه آلهة جمعتنا " .
- لكن هذا الفرح المرفرف قد يئن يوماً ويتحول إلى حزن ولقاء اتنا قصيرة وخاطفة .
- لا زمن ولا حزن ، فاللحظة هي اللحظة آنية ، والحب الهادئ جعل الرياح عاشقة ، والأمطار جعلت التراب كله نشوة ، والأشجار. تنن شهوة أليس في الطبيعة سرنا أنا وأنت ؟ ..
- حين أغيب عنك يبقى في صدري أسي يمزق كياني المتعب . أنعم بالحياة معك لا لشروط وقيود ، إنما لأجد لنفسي المرهقة صدرًا حنوناً، لا أبغي رعشة الجسد إنما أريد أن أنساب على مياه الحياة الخضراء وتبقين الثرى العطر حولي . وتبقى شجرة الصفصاف تحتضننا . ونحن نتحسس الزهور التي لا ترى في الظلام الزمن ينساب، ويد البعد لن تستطيع أن تعكّر هذا الصفاء الجميل ، رغم أننا نخشى على

الأشياء الجميلة ، ونخاف عليها حتى من ظلنا ربما لأنها
متضمنة معنى فقدان. وكانت لغتنا الخاصة موسيقى هادئة
في أرواحنا ، وحوارات تحرر ذواتنا بشتى الأحاسيس ،
وجلساتنا. كأنها جو صوفي نتواصل فيها بالقوى السماوية .
وحين تمتد وتطول خطوات البعد كنت أدور في دوامة القلق
، ويأتيني بين الحين والحين الصوت الهامس من أسلاك
تحمل الفرح لهاتفي وأجعله حضوراً دائماً بين صفحاتي في
أحيان أخرى ...

بعد فترة كان لديّ رحلة إلى - باريس - تحدثت إليه عبر الهاتف ،
أحسست بوميض عينيه دون أن أراه وبأنه ربما سيسافر. أيضاً إلى هناك .
سافرت ولم يأتِ ، ولكن صوته يأتيني في غربة باريس وأنا أتنقل بين
حدائقها ومتاحفها . أما حين أتمشى قرب نهر السين - أحسّه يتدفق في
خزير المياه ، وهذه المياه الدافقة هل تطفئ الحب ؟ .. هل المسافات
الطويلة تلغيه ؟ ..

" في كل شيء أؤثر الناس على نفسي إلا فيك - فأنا فيك أشدّ الناس
أنانية " وهل أحبّ أحد بطريقتنا ؟ .. هذا الحب الصامت المعجون
بالحضور والغياب = على ضفاف السين الجميل في إحدى الأمسيات
انفجر " الجاز " بلحن عنيف الإيقاع . كان شاباً هندياً يرقص بحماس
شديد ، والناس حوله تصفق ، تأملته ، الويل له إن كان محباً ، هذا
المخلوق أشقى المخلوقات ، لأن رقصه كان ضرباً من ضروب الحب ،

وفتاته الشقراء تنظر إليه وتتبع خطواته. هذا الحب بين جنسين مختلفين هو أكثرها بؤساً. ربما سمرة الهنود الشديدة هي العائق في هذا الحب = وحبنا أيضاً ليس بالأمر السهل . أليس يحرم الحب بين إنسانين متزوجين لم يكن للاختيار دوره الفعال في تلك الظروف ، هذه مشكلة صعب حلها على مدى العصور ، ولذلك تبقى العلاقة بمنتهى السرية والحذر ، هذه الأفكار. ليست أوهاماً ، إنها حقيقة نرفض مناقشتها ...

صحوت من تداعي الأفكار ، هل أبتدع نظرية جديدة لهذا المجتمع المبني على الظواهر الخارجية فقط .. أناقشك في أفكارى وأنت صامت ، وأنا في الطائرة أجوب الآفاق ، وبين الغيوم تتراءى لي مبتسماً ، وبين وجوه الركاب المغادرين معي .. والفضاء جعلني أحلم بمجتمع حر ، وهل في الحياة متسع كثير للتغيير والنمو؟ صوتك يجيبني بهدوئه المؤلف :

- مجتمعنا لا يشيخ ، يحرق نفسه ثم ينفذ رماده ويعود قوياً ويحلّق بالطريقة ذاتها .

- والأجيال القادمة ، ما دورها ؟

صوت المضيفة ينبّهني ، الطائرة تهبط. عدنا للأرض ، عيناى

تجوبان أرجاء المطار ربما أراك ..

أمواج السكون تغمرني بعد عودتي، يدي تحترق إلى القلم ، وأعيد

قراءة القصائد التي كتبتها في باريس ، طويتها بأمل أن نلتقي ونقرأها معاً

اختلطت حولي الأحلام والذكريات والمسافات تتلوى بيننا ، أليس
الحلم والذكرى هما ما ندعوه الحياة ؟

ربما الحب نظامه السري من أنظمة المتصوّفة يجب أن يرافقه
الألم في مدرجات الوصول . ألم ننشد يوماً نشيد الأُنشاد الخاص بنا .
- لا أنا لحبيبي ... ولا حبيبي إلي ...

* * *

عرس ليلة



جروح ألحان خافتة تتسلل إلى غرفتنا ، تنزلق نظراتي عبر زجاج النافذة ، ألتفت إلى سريري ، الليلة ليلة فتاة فقيرة مذعورة خائفة ، أحس برغبة في الهرب ، والنظرات النهممة تهدر في كياني ، وغابت يداه في بيادر شعري . أزيح شفتي قليلاً ورائحة خمرته تحسني بالاختناق . وأبقى تمثالاً بلا انفعال ، وظلال الخوف تغمرني ، ألتفت باحثة عنك يا أمي .

يرجمني الحبيب النائي لأنني قتلته ، وأخفتني أمي بين أعشاب موحلة . أبحث عن وجه الحبيب في وجهه ، ويسخر هذا الرجل الغريب من اضطرابي دون أن يفهم ما أعاني وصوته يخور ويهدأ ، تنتحب الأمواج لأن زرققتها. قد اغتصبت وابتلع الرمل كل قطرات دماؤها بصمت أخرس .

بعد أسبوع تركنا الفندق لأجوب معه مسالك مجهولة ، أنكمش في مقعدي ، وحديثه المطمئن يتغلغل إلى أعوامي الخمسة والعشرين ، تراءى لي وجه أمي ، ما بالها الآن صامته ؟ وقد كانت طول الشهر الماضي تثبت لي أحلام المستقبل في الغربة التي قررتها. لمصيري ، أهدق في

وجهها ، لماذا يلتفت اليوم بكآبة مبهمة ، أهي قد عزّ عليها فراقني ؟ وأخيراً وصلت إلى هذه المدينة الغربية ، اللغة غير لغتي والشعب غير البشر الذين ألفتهم ، أنزوي في منزله ببطء ذليل والأسى مرتسم على وجهي . لن تري وجهي أبداً يا أمي ، لن أغفر لك استغلالك لجمالي وما زلت أسمع صرختك :

- هل تتركين أخوتك يموتون جوعاً ؟ وفرحة إنقاذهم بين يديك ، وهذا الرجل يقدم ثروته أمام كلمة منك ...
أنظر إليك بعينين دامعتين ، هذا الرجل منافق يا أمي ، في عينيه يطوي خداعاً أحسّ به يعود صوتك القاسي :

- أنت تتفرين منه ، فكيف تطلقين أحكامك دون معرفته ؟
- لا فائدة من الجدل معك يا أمي ..
- إذن تحملي إن مات أخوتك ، كما مات والدك من فقره

ومرضه .

لم أكن أتصوّر أنني سأدفع الثمن غالياً يا أمي لأنني طيبة وحنونة ، أغمض عيني ، أهدق في النور الأصفر الذي يبدو متعباً ، سأرفض ، تسع سنوات وأنا أعمل وأعطي وأقوم بدور الأب الذي مات . تسع سنوات ، ألا تكفي يا أمي ؟ لن أباع كسلعة على يديك يا أمي ، أنت لا تسمعين نرّ الجرح في أعماقي ، بينما تصفحك موجة حنان عاصفة تجاه أي دمة من أخوتي الذكور .. خطوات زوجتي تتجه نحو غرفة أطفاله في الجناح الآخر من منزله الفخم .. أصحو من تشتت أفكاري ، تتركز نظراتي على

النافذة ، ثم يتوارى للعريضة مع ضيوفه في صالونه ، ونقاط الدمع ترقص في سجن غرفتي .. يأتي إليّ وعيونه الماكرة تسخر مني ، أحسّ أن أقدام ضيوفه تتحرّك فوق رأسي بقسوة ، أرفض أرفض وتشتعل النيران في أعماقي مذعورة. يغمغم بأسى مصطنع : - لا فائدة من عنادك وإصرارك الرفض .

سخريته لن تلوّثني ، لن أكون السلعة الجديدة التي يجردّها من إنسانيتها. وعواطفها ويقدمها لضيوفه .. وعينا أمجد تنظران إليّ بيأس خلال الظلمة هكذا خيل إليّ.. أمجد مراقبتي وحيي . أمجد رمز الوفاء لي .. أنتفض مذعورة ويهرب وجه - أمجد - من ذاكرتي . ينفث دخانه في وجهي المعربد ، وتفوح خمرته وهو يمارس نزوة غروره كرجل ويقهقهه .. - أنا أقوم بواجبي معك - تهوي سخريته ويخور في الفقار حولي ، ثم يهدأ كل شيء . إلا وجهك يا أمي ، ويدك التي تسترخي عليها أوراقه النقدية. كانت سلعة رابحة أليس كذلك يا أمي ؟.. لماذا أنكّر أنه متزوج وله ثلاثة أطفال ؟ ألم أقل لك أنه يخدعنا يا أمي ؟.. لقد أردني تجارة جديدة ، وسلعة عزيزة الثمن ، سماعة الهاتف تهتز في يده وهو يطمئنك عني فرحاً ، وصوت ضحكائك تضج في فراغي ، أنا لا أبكي يا أمي ، بل أرسم الذل الصامت على وجهي ، ومع ذلك أرفض بإصرار. عنيد دور المومس لضيوفه ، ولكن لا أستطيع رفضه كزوج صفقة جعل الليرات تتدفق بين يديك ، أنسلّ من ظلام حقدني متمردة ، أرسم على جدران

نذكرك يا أمجد ، بحار النبل في عينيك ، لا تنتظر إلى رعيي ، إني متعبة
يا أمجد لا تتألمني بوجه جمّدت الصدمة ملامحه .. أهتف لوجهك :

- قل أي شيء .. قل إنني خدعتك ..

لقد علمتني يا أمجد أن الشجاعة والإخلاص تتجسدان في مواجهة

المواقف ، لذلك ما زلت قوية ..

يتألمني أمجد والعرق البارد يتصبب منه ، يداه تحيطان وجهي بحنان

حقيقي .

- لقد جعلتني أمة سلعة وقبضت الثمن .. ورفضت أنك أنت لأنك

عامل فقير ، والحب بمفهومها لا ينتعش بثوب عامل ملطخ

بالتعب . خمس سنوات يا أمجد .. وأنا في ذلك المنزل

المحموم . ولأني تشبثت بالرفض طردت كحشرة ، وتقلني

سيارته إلى المطار مع ورقة حرיתי إلى مدينتي .

- إلى أين يا أمجد تنطلق بي ؟ ..

يرمقني صامتاً ، أرفع عينيّ الواكفتين بالدمع ولا أقوى على النظر إلى

براءةوجهه .. صوته ينبت الفرحة :

- إني أحترم تضحيتك .. وكنت أنتظرك دائماً .

أخاف أن أغمض عيني ولا أراه ثانية .

لقد زرعته دائماً بين أنفاس زهر البرتقال ، وموج الحب لا يهدأ ..

طالما أن البحر وليمة الخلود .

زوجان الحب

ب

عشت الحياة دون أن أختبرها ، لأنني كنت أتعامل معها من خلال عالمي الداخلي الموشى ببياض الطيب والصدق والصفاء . هذا العالم الصمتي تمدد وكبر بين رعشات الصبا ، وبين امتداد حروفي . أتوغل بين الأمنية والحلم واحترق بينهما ، وطاقه الحلم لا تحترق ولا تهدم . أهيم في بحار المعرفة ، وأتمشى بين مساحات الكبت ، وأنتشي بفعل التضحية والخير والإنسانية ، وكظلال قريتي المغسولة بالصفاء ، يخفق دخان تبغك المتأوه بصمت وفنجان قهوتك كأنفاس الياسمين ..

لماذا أعود بعد رحلة معاناة ، وكفاح طويل في السنوات المتثاقلة حولي . لماذا أعود كابنة الخامسة عشرة أو العشرين لأحيا معك ؟ زمن مكثف تحمله سنواتي ، وسنواتك الأقل مشرقة في صحراء عمري .

- أحبك يا رجل ..

هديل قصائدك في قلبي يتدفق ، يغمرنني . يتوجني عصفورة للشعر .. وبيعثني طفلة فأنسكب فيك ، ثم أتهادى في بحيرة داكنة ، أدوب من خوف حقيقي لأنني أحببتك .. وأغيب على أرصفة تهرب بي منك من أنا ومن أنت ؟ ..

ابتدعنا عالماً لنا في لحظات خارقة ، وسر غامض جذبنا ، فكانت
ومضة الحب تغيب وتشرق ، وتشرق وتغيب ...

أتريد أن تعرف من أنا ومن أكون ؟ ..

انبتقت من الطبيعة في ريف جميل ، سكنت المدينة ، لظروف
اضطرارية باشرت العمل صغيرة ، كبرت مع المسؤولية ، تمردت على
المرأة الضعيفة المترددة في داخلي . القوة تنمو بأعمالي ، فأتخطى كل
معاناة وكل مستحيل أتبع سواه ، وأعبر ممرات الحرية ، وحين أصطدم
بالواقع بالمجتمع كأني فتاة شرقية أعبر بحروفي ، بموقفي ، على كل ما
يحدّ من انطلاقاتي وأمنت بالقول

" الفن يزدهر في ظل روح المغامرة "

تزوجت لمعايير. اجتماعية فرضتها ظروف الحياة ، أدركت أنني
قد أخطأت الاختيار وتحملت مسؤولية اختياري بصمت ، ..

للجسد طقوسه قدسيته سريته ، ويمتعي دغدغات البراءة ،
وعفوية اللمسة وكلمات الحب الحالمة ، هجرني زوجي لأنه يرغبني لعباً
أفعى تتلّون وتتغنج بأساليب الإغراء المفتعلة ، ولأني أجهل لغتها .
أهملني كغرسة في أرجاء منزله القاتم ... وماذا تستطيع أن تفعل المرأة
الشرقية التي لم تُرضِ رغبات الزوج وترضخ لأهوائه؟ .. أهدق في وجهه
الغامض القاسي بشيء من الرعب ، وكثير من الدهشة وهو يضم امرأة
أخرى توقظ فيه الحنين والشهوة . أحسّ أنني أخرج من كهوف مخيفة ،
أسمع صوتهما ، همساتهما . أنتفض مذعورة أدفع ضريبة الإخلاص

ويبقى الحب

لأنني امرأة؟ .. وعار على المرأة أن تخرج عن طاعة الزوج لأنه ألغى أحاسيسها. ومشاعرها، إذن لم منحني لقب زوجة وأم؟ .. خدعة بارعة وأنا أستسلم لأصابع القدر والأخلاق والشرف المتعارف عليها. وهذه المعاني تطبق على الأنثى فقط بقرار ذكوري لا يقبل المناقشة أبداً. هل بدأت أحبك يا رجل؟ .. وهل يحق لي أن أحب وأنا متزوجة؟ ويبقى القلب المتمرد يتخبط في براكين الحيرة . ألسنت إنسانة مثله؟ ونحن متعادلان في الإنسانية سواء كنت أنثى وكان رجلاً ، كيف يفهمني العالم أنني أحب بلا فعل إرادي ومات الوعي ، وانزاح المنطق ولكنه يرمقني غاضباً، أنت أنثى أنت متزوجة. أهرب من الصوت الجارح ، وكلمات قصائدك حولي . أريد أن أهرب منه ومنك ، أتحسس الأسي الذي يسري منسلاً على وجهي وعروقي . ولكني أحبك يا رجل ..

أرتعد ، وملايين العيون تنبهني .. أنت مجنونة .. إنها خيانة، ولكن هل فعل الخيانة طعنة المرأة وحدها؟ .. والرجل خيانتها مبررة ومعترف بها .. تهدهدي أفكارني المحزنة ، وكأنها أنشودة بحارة استسلموا إلى ضياعهم في البحر ، يغمرنني النسيان، أختلس النظر إلى وجهك لأرى إذا كنت تنظر إليّ بصدق أم لا ؟ إذا كنت تستطيع أن تفهم معنى معاناتي ، وهل تستطيع أن تعيدني إلى إنسانيتي الحقّة؟ .. أليست العاطفة هي الرمز لصفاء وإنسانية الإنسان؟ ..

كل ذلك تستطيع أن تحس به معي .. - لو لم تكن رجلاً - وهل تستطيع أن تتجرّد من ذكورية الشرق؟ لكنك من الشرق البائس الذي يدين

المرأة بلا رحمة وحين يهدم الحب ، وتذبل العاطفة ، ستصرخ بي - أنت خائنة .. أنت التي أحببت .. هذا الأرق الممزق من التفكير أبعدي عنك ، ووجهي الحقيقي الذي يذوب حباً بك لن تراه .. لأنني هزمت أمام نفسي ، والجحيم الحقيقي الذي أحياه الآن هو أنني - عرفت نفسي وعرفتك - .
ليتني ما وجدتك .. حتى لا أسطر كل يوم سطوراً من تعاستي.

اعذرنني

" في هذا الشرق الحزين يفقد الإنسان قدرته أمام من يجب "

* * *

نشوة الصنوبر

ما زلت ألصق جبيني المتعب بزجاج نافذة السيارة البارد،
والصيف ينسل لهباً من عروق نفسي المنعزلة بين لفح الذكريات المحترقة
ويبقى الحب

كشقائق النعمان ، وأرجوانها يسفح خديه في نبیذ روعي ، ووجهك يطلّ
خلف النافذة ، يوهج توتر السيارة ، فألتفت إلى ثناياه المعتقة وأغرق نفسي
في معالمه ، فأحسّ بك ، بكيانك ، بأشيانك المحببة تلمم خيبة عمري ،
الحزن ينهمر مطراً على الطريق الجبلي الملتوي بتعرجاته بين - صافيتا.
ومصياف - والدموع ترفرف من عيني كالعصافير. الشاردة، والحزن
العميق الآسن يبتلعني. والأشجار تنوح . صوت الماضي يعلو ويهبط
كخرخرة عنق يذبح ، والريح مبحوحة من الشجن تغني ، والحب المسكون
برهبته في رماد محترق، ومع ذلك يشعّ دفئاً وعذوبة .
أحب رماد دخانك أيها القابع معي ، يدك تتسلل لتغرق في شعري
، تتعشني همساتك ، والأنامل ترتعش وهي تحطم جدار العجز وتتمدد
منتشية بدغدغة ما كان بيننا ، هل تبقى الأشياء هي ذاتها منذ ربع قرن ،
وهل يبقى صوتك أغنية للرياح العاتية ، يلذني بطعم الصدى في صدري
إلى لا مكان ولا زمان إلى حيث أكشط تعب السنوات الراسخة ، وأرسل
أفاساً طوال الرحلة ، أسمع خطواتك المتسارعة قرب القلعة الشامخة التي
كتبنا حول آثارها رسائلنا المحزنة والمفرحة . أما الآن أكتب حروفنا في
ذاكرتي ولا أراك ولا تقرأها ، تتأوه كلماتي على مدار غيابك البعيد عني
كالنجوم ، أبتسم وروحي تشتعل ، أنظر إلى وجه ابنتي الطفولي البريء ،
والحزن يملأ قلبي ، لم أرجعت لي عجلات الزمن لتأكل من ذكرياتي ؟
إلى أين قذفت بي ؟ إلى مدينة السهول المحترقة في الليالي ، إلى ما وراء

الحب وما وراء الألوان المترقصة حولي ، وحقبتي العتيقة مليئة بالجراح

..

تسترخي ابنتي في مقعدها ولا تحسّ بي ، أحاول أن أصرخ فرحاً

ومدينة - مصياف - تطلّ أمامي ، من يفهم صرختي المخنوقة في كهوف الزمن ، من يصدّق أن الوجود انصهر. ليستحيل إلى أنت ، وأنت تودعني عند شجرة ساحقة تحت قلعة مصياف . - لماذا لا أرحل معك ..؟

لم تنتظر لحظتها إلى وجهي وافترقنا. .. وجهك مغطى بدموع

تتفرط كحبات التوت الساقطة بين أحزان ذبولها ..

سرير من دمع مطر الذكرى تسكبه غيمة الماضي ، وتشتد لذعة

المرارة في حلقي ومع ذلك أتلدذ بطعم الصدى ، من مدينة شهدت قصة حبنا ، أتوغل بنظراتي شوارع المدينة - القلعة ، منزلك ، منزلنا - ونظراتي

الواكفة بالدمع تنهش بنهم الآثار الباقية والسيارة تعبر ، وأنا سندیانة

عجوز في غابات السأم والغربة. كل ذلك يحدث الآن . وقد استيقظت

بعد ربع قرن ، ومررت بمدينة الحب ولم أجد من أحببته . فألوح لك من

أطراف الأيام المتصدّعة ، أنظر إلى عينيك الآن ينشق خريفي عن برعم

ذبل ولم يشخ ، رغم العزلة الطويلة بيننا . كان حبنا خائفاً وحنوناً وصادقاً

كقبلات المحبين . ولكن جدار الانتظار. فرض انفصالنا ، وبلا وعي

أضغط على يدك ، وخاتمك الذهبي ترمي به من النافذة ونحن في المقهى

وتهمس متعباً.. إلى متى أنتظر .. أنت المسؤولة؟.. أودّ أن أقول لك ..
انتظار. المحب إلى لا مكان محدد ، ولا زمان ..

- لقد وعدتك .. ووعد المحب قسم .. ولكنك مسرع ..

تحقق في وجهي وفي عينيك أرى صورة الفتاة الأخرى وملامحك
معها ترعبني . أبعد .. أهرب .. وأنا أشع كرامة على مروج الإخلاص .
وصرخاتي تتمزق في مدى الفقدان ولن أستغيث ..

تجمد قلبي ، وأحسّ بنشوة الصنوبر بعد أن تكدس في مخازن الحطب
والنار تطفئه . وبين طرقات كنا نجتازها معاً تشنت الذاكرة والسيارة تنزلق
إلى أحضان مدينتي ، ألعن ابنتي المسببة في رحلتي هذه .. رغم أنها تنام
وادعة فرحة ، أرمقها بقهر وأنسل إلى أوراقها .. وكلمتك الأخيرة تومض
بعد سبع سنوات آخر لقاء لنا في المقهى ..

- لقد هجرت زوجتي ، ألا تعودين إليّ ؟

هل أخدع نفسي ورنّة ندمك كتوتر سرّ خفي ، ووجهك في كل مكان
وزمان حنون وقاسٍ . ولكنني قوية حتى في انهيارني .. ولن أعود ..
وسأبقى نجمة عائمة حول عصافير الذكرى .. والفجر يسيل دماءً في
احتراق آخر ليل .. وأتذكر قول - فاليري :

" ألسنت أنت مستقبل الذكريات المختزنة في أعماقك ؟

أليس المستقبل هو الماضي ؟ "

* * *

موعد حب

16

رن الهاتف ، وصوت أخي يخبرني أن قريبتنا قد ماتت ، وسوف نسافر. إلى منطقتنا الساحلية لنقوم بواجب التعزية . أخرجني صوته إلى نقطة صمت الموت ، وأيقظ الحزن في أعماقي ، كانت إنسانة محببة إلى نفسي ، وكم تدرجت على مروج الفرح الطفولي في ممرات حديقتها ، للذكرى طعم الحزن وقد اختلط بطعم الرماد المبلل بدمعي وفي طريق السفر كنا نتحدث عنها . ثم نغرق في صمتنا ، صحت وقد أشرفنا على

ويبقى الحب

المنطقة وغرقت في خشوع الحداد ، والحوانيت مغلقة ، والهدوء مستتب ... الوجوه المتشحة بالسواد تحق بنا ، وارتعشت لأنني سأرى ميتاً لأول مرة . حين توفي والدي أُغمي عليّ ورحت في غيبوبة ولم أَرَ .. جسدها مسجى ، ووجه غافٍ في صفرة الزعفران يستسلم لملاك الموت الهادئ . والورود الجميلة تمتص نتقاً من هذا الشحوب وقد زينت جبينها الناصع ، والأصوات تندب حول النعش بيحةٍ مجرحة بالدمع .. وأمام رهبة الموت احتلني الصمت الموجه . والمطر المداري يغسل وجهي المرهق . وتمت مراسم الدفن ، وهدأ كل شيء .. مشيت مع أخي ، وأحسست أن الشوارع تتعري للغموض الكوني . والطرقات تعجن بأكداس التراب المنزلق إلى كهوف ضائعة .. مبعثرة في العدم المجهول . ما أتعس مصير الإنسان " إنه من التراب وإلى التراب يعود "

اللحظات تمرّ بطيئة ومملّة والإنسانة التي جئت لأجلها ما عادت تحسّ بي . قطفت زهرة من أصص زهورها المتناثرة في الغرف ، فانحنت ذابلة وأنا أضعها فوق سريرها الفارغ .. خرجت وكأني أهرب لأنني ما عدت أحتمل قسوة فقدان .

في طريق العودة مررنا بالشارع الذي يؤدي بنا خارج المنطقة للسفر . فوجئنا بأن شرطة المرور تمنع العبور من هذا الشارع والساعة تقارب التاسعة مساءً . سأل أخي قريباً لنا يرافقنا إلى مشارف المنطقة عن سبب هذا المنع ؟.. ابتسم قائلاً :

- هنا في المنطقة طقس جميل للحب . ففي مثل هذه الساعة يخرج صبايا وشباب المنطقة للنزهة على " الكورنيش " حتى العاشرة والنصف ليلاً ، وبعض الشباب من القرى المجاورة اختلطوا بهم وضجيج سياراتهم يقلقهم ويسبب بعض المشاكل . فذهب وفد منهم إلى مدير المنطقة وشرحوا له هذا التقليد المتبع ، فتجاوب مع طقس الحب البريء الجميل ، ومنع مرور السيارات على " الكورنيش " في هذا التوقيت حتى يتيح لهم حرية التنزه بهدوء . أخرجتني هذه الحكاية الجميلة من أحزاني ، وأعجبتني تجاوب مدير المنطقة مع رغبات الشباب والصبايا ، فاشتعل على وجهي وهج الفرح . وبعد أن شرح أخي - للشرطة - أننا غرباء ومضطربون للسفر سمحوا بعبور الشارع بهدوء وتأنٍ ..

بعد أن خرجنا من المنطقة تعرجّ الدرب بنا ، واكتشفت أنه درب آخر غير الذي أتينا منه ، ونحن نجتاز طريقاً بين الجبال وعرائش الأشجار تخيم حول السيارة ، والقرى المتلائة تتناثر هنا وهناك . سألت أخي إلى أين ؟! .. ولكنه لم يبالي بسؤالي وأنا أعرف طبيعته المحبّة للحياة والتمتع .. وانحدرت السيارة إلى تشعبات وديان وطرق متعرجة كالدوائر ، وأنا أرتعد رعباً . وكم أعاني من خوفاً في طرقات السفر ، وأخذ أخي يداعبني : قبل أن نعود أدفنك معها .. وكان الله رحيماً لأن الظلمة تخفف من رؤيتي لمخاطر الطريق الضيق والمنحدر . وتلاّأت الأنوار ، وصدح صوت

الموسيقى، وخرير النبع يرقص في صمت الليل الساجي . تنفست
الصعداء فقد وصلنا بخير ... ولكن مشكلة العودة .. وألغيت تشتت
الفكر ، طالما أن ظلال الفرح تخيم حولنا فلا بدّ من الابتسام والمشاركة.
جلسنا على طاولة ، وعلى الجهة المقابلة كان جمع من الشباب والصبايا
، فانتعشت لمرأهم، وما هي إلا لحظات حتى بدأت الأهازيج والرقص
على صوت الموسيقى الصاخبة ، ثم أطفأت الأنوار ، وصوت عبد الحليم
- بعذوبته يغني :- عقبالك يوم ميلادك - وكل شاب أمسك بظهر صبية
في حلقة دبكة ريفية وتوسطت دائرة الرقص فتاة على رأسها صينية فيها
قالب - كاتو - تضيئه الشموع ، وتقدمت الفتاة وقطعته قطعاً. وفتحت
زجاجة - الشمبانيا. - ووزعت للجميع ، وكان نصيب أخي منها أيضاً .
والنوع النشوان يسألها : - وأنا ؟.. تبتسم الفتاة والقبلات تنهال على
وجهها بحب مضمخ بأجمل الأمانى والتمنيات بعيد ميلادها .
طالما قرأت عن التناقض والمتناقضات ، عن التبدلات والتحوّلات ،
هنا تكمن الدهشة وفق هذه التقلبات السريعة .. حما أضعف ذاكرة القلب
البشري < . أما الخاتمة في طريق العودة ، قال قريتنا والسيارة تعبر
المنعطفات الوعرة :

- رأيت هذه الطريق التي ترعبك ، منذ سنوات طويلة قد
اجترتها مع صديق لي سيراً على الأقدام حتى منطقتنا .
استغربت وطننته يمزح لكنه قال :

- كنا نسهر أنا وصديقي مع هذا النبع في ليلة صيف ، ولعبت
الخمرة برأسه في ساعة متأخرة من الليل ، تعطلت السيارة
وتذكر أن حبيبته ستنتظره صباحاً ولا بدّ من متابعة السير
على الأقدام . فاجتزنا الغابات والكروم . وتناهى إلى سماعنا
أصوات حيوانات . داهمنا الرعب ونحن نسرع ، واقترح
صديقي خطة لنضلل الحيوانات وهي أن نغني معاً بصوت
عالٍ ، فالصوت يهرب الحيوانات ، وبدأنا نرندح بالأغاني
ونتابع المسير . وعند ساعات الفجر الأولى أشرفنا على
المنطقة والإعياء قد شلّ حركتنا ، ودّعته مسرعاً وذهبت .
وفوجئت في اليوم التالي أنه غفا لبعض الوقت في منزله
ريثما يلتقي الحبيبة، ولكنه لم يستيقظ إلا في المساء ..
وأغضب الحبيبة المنتظرة .

* * *

الكابوس



ينتفض مذعوراً ، يستند إلى النافذة متأملاً المدينة التي بدأت ملامحها تنتدى في النور الشاحب ، هذه المدينة يحس بطعنة القسوة منها تنطفئ أحاسيسه ثم تغلي في أتون حقد يتفجر من عينيه ، ويحس بحاجة ملحة أن يحطم كل الأشياء ، فربما استطاع أن يفجر القهر المتراكم على صدره ، يراها خلف أبعاد النسيان كما كان يراها بوداعة واطمئنان - أنسام - وجهك خضرة الربيع ..

ابتسمت له ، فاض شلال حنانه ، ضمّها إلى صدره كما يضم المطر حزن الأرض العطشى ، يسمع ضحكة يفوح منها صوت أخيه أيهم وهو يلقي التحية ، ويختلس النظرات إلى - أنسام - ويداعبها قائلاً : قررت من أجل ابتسامتك أن أرسم لوحة فنية . رمقه أخوه فؤاد بغضب ، ولكنه استمرّ في لامبالاته الفوضوية .

تململت - أنسام - والأفكار تزحف في رأسها المتعب ..

- تراني أقوى على الاستمرار؟ .. وجه - أيهم - وقامته
الممشوقة التي تتضح رجولة تثيرني ، تجذبني إليه ، هذا
العذاب أحترق فيه كلما رأيته. وحين أدسّ وجهي في وسادتي
أراه قريباً نائياً ، ونظرات فؤاد الثاقبة قادرة أن تمزّق قناعي
بسهولة ، حتماً ستحدث مأساة ولن تسمح لها أن تحدث ، لن
تضعف ستقاوم إغراء أيهم ...

فؤاد يحبها منذ أيام الدراسة وبادلته مشاعره ، ولكن أيهم خلخل كيائها
وتراعى لها كالظل حيثما كانت ... ترسم ابتسامه شاحبة والأفكار تدور
وتدور بها ..

فؤاد هادئ ، رصين ، حنون ، لكنه ذو عاهة في رجله ، وهذه العاهة
جعلته أقوى ، وغرست فيه الكثير من الحكمة والصبر ..
أيهم الأصغر ، متهور حيوي ، جذاب بروحه المرححة ومداعبته
اللطيفة. ويملك منه الخاص في سحر الأنثى .. تنتفض ملسوعة ..
وتطرد هذه الأفكار . فؤاد طيب لن أخدعه وسأبقى له .. ليذهب أيهم
واستهتاره إلى الجحيم .

في حفلة أحد الأصدقاء. كانت مع فؤاد ، فوجئت بقدم أيهم ، ارتبكت
ونظرات فؤاد غامضة الحزن ، كأنه أشقى الناس . وانسابت الموسيقى
كحفيف ثوب عجري ، استأذنه أيهم ليرقص مع أنسام ، وبقي يتابعها من
خلال أمواج دخانه المكثف ، وهي تهتز وتتماوج وشعرها يتماوت على
كتفها بين ذراعي أيهم ، فيزداد تعاسة لأنه رفيف عاهته التي تعوقه عن

الرقص معها . سكب ما تبقى من كأسه في جوفه المتخم بالحزن والرعب .
جالسه أحد أصدقائه وكان يراقب المشهد بدقة واستغراب :

- فؤاد - هذه كأسك الرابعة ...

- الخمرة يا صديقي تنسيني الواقع الموجه .

كلماته تمتصّ ضجيج الخطر المحدق به ، ويغرق في هوة صمته، ثم
أطبق شفثيه بحزم على سرّ خطير .. وقد عادت أنسام لتجلس معه ..

- هل نذهب .. إنني مرهق جداً .

- سأبقى مع أيهم ثم يوصلني ...

خرج كالمسوع متكئاً على عصاه ، والألوان الملونة تعربد على

ملامحه. لماذا هذا الأصفر الممتد يربعه أكثر من كل الألوان ويمتص

شحوبه النازف؟ يعتذر . ثم يعود في أول سيارة ..

الإشاعات تكبر ، وثرثرة الأهل والأصدقاء ترزع الشك باليقين حول

علاقة أيهم وأنسام ، وتناثرت فقاعات الخيانة والغدر وهي تنفجر في رأسه

.. وهو يصرخ : لا أصدق ما يحصل .. مستحيل .. في آخر لقاء

تفاجئه أنسام بقرارها الصارم : ولن أخدعك .. إنني بدأت أحبه أكثر منك

.-

- وهذا قرارك الأخير ؟

ينفض كالمسوم ، يتلوى في الشوارع . المدينة تضج لوقوع عصاه

الغاضبة على الأرض . يحاول أن يحطم هذه العصا رغم أنها تتحمل

معاناته دون اعتراض مطواعة حنونة - هل أنا اخترت عاهتي ؟ - وقد

ويبقى الحب

أحببتني كما أنا ويعاتب والديه – لم أنا مشوّه؟ .. يمعن في أرجل المازة
يحسدهم ليته مثلهم بلا عكازة ولكن من يعيد النبض لرجل مشلولة؟ ..
تتراقص أمامه صور طفولته . إنه حركة من الحيوية الدائمة قبل
أن يصاب بهذا المرض . يغرق وجهه في وسادته ويجهش بالبكاء ..
في مدرسته كان متفوقاً ، ولكن العيون الصغيرة المرصوفة
تراقبه وهو يمشي ، يرتبك وكثير من الأحيان يقع على الأرض محتملاً
نظرات العطف والشفقة بقهر ، وبقي أميناً على تفوقه ، ثم اجتاز مسابقة
بنجاح أيضاً وعيّن من قبل الوزارة بعمل إداري وكان قدوة للموظفين
بنشاطه والتزامه بمواعيد العمل . يثور الدم في وجهه وأنسام امرأة القسوة
والهجر ، كم خدعته بكلمات الحب وابتسامات الوعد...

يتراءى له أيهم ، يعاتبه وفوران الغضب يغلي في دمه ، ودخان
لفافته يرسم ألف لون للأفعى الأنثى على الجدران ، يخنقه بؤس مرير ،
سيبقى وحيداً أخرجته من دائرة الأسئلة والأجوبة صديقة قديمة كانت قد
تزوجت وابتعدت ثم عادت لزيارتهم . فوجئ بأنها طلقت وابنها الوحيد في
رعاية جدته . أحسّ بها أكثر في هذه الزيارة ، أحسّ بطعنة الزوج الغادر
الذي هرب مع أخرى ، والحزن يوحد بين أحاسيس البشر ويجعلهم أكثر
ألفة ومودّة . وحدثته عن طبيب مختص في القاهرة ، قد يجد لديه العلاج
، وانبتقت شرارة الأمل . وحين عاد من القاهرة بعد أشهر وقد انتصبت
قامته وبدأ يمشي بعرج بسيط ، وتراءى له وجه – ناديا – فياضاً بحنائه
وهي تستقبله فرحة مهنئة بسلامة العودة ونجاح العملية ، صوتها يترنح

بكلمات ناعمة ، وملامح وجهها الهادئ تدخله غيبوبة حالمة ونبض قلبه يشتد ، يحس أنه معها يقبض على أمتن الصلات الإنسانية في الأمل المفرح ، وأحلامه الهادئة تتسربل بحكاية حب يصنعها خياله . وجهها معجون بالمعاناة ومتشرب سموم الغدر . ألا يشبه وجهه ؟..

إنه بحاجة إليها وهي الوحيدة التي تعيد الثقة إلى ذاته المحطمة.

كل ذلك حدث ودمعة من الماضي تهطل على قلبه وأنسام أصبحت زوجته وهما معاً على مراكب الأحلام الفضية. وتزحف أغنية حنانها إلى الغائب ما وراء المسافات .. تسافر إليه ، تتعشها أنامله التي تحيط وجهها - عام مضى يا أمي أين أنتِ؟.. وينحبس الدمع مدراراً تخرق أربطة أفكارها. المرتبكة ، تجر مع الحاضر. ، تخبره أنها تزوجت واستقرت ، ويطلّ وجه زوجها. وديعاً طيباً وهو يحملها على أكفّ إنسانيته ، وعن رغبته في عيش - مازن - معهما.. ولكن القوانين قاسية. لم لا ترحم المشاعر الإنسانية .. وتتابع حياتها على زمن الهدوء والسعادة . وبقي فؤاد يلحّ بزيارتها إلى مازن كل صيف ، وتجد في نظراته كل لحظات التوهج لإنسانية مذهلة بعد أشهر . أفاعي الزمن تزحف لتلدغ بألم حاد - خاصرتها اليمنى - تمسح التعب بقوة لن تغلق - فؤاد - ولن تسمح للمرض أن يتغلب عليها ، تتلفت في الغرفة وكأنها تصحو. من كابوس قد ابتلع أنفاسها ومشط الطيب ينغرس في جسدها ويققات بحذر من عروقها وجلدها ، ويتراخي الجسد المسكون بالموت ...

عينا فؤاد جمرتان من الغضب والخوف وتفوح منهما رائحة دمه
الصامت ، ويضفي على وجهه شبه ابتسامة مطمئنة ، وانقضى نهار
وتبعه أسبوع . ضيق في صدره ، ازدياد في خفقات قلبه .. والتحليل لا
تطمئن .. حاول أن يصلي ولكنه فقد قدرته على الصلاة ، وتمتم بعض
الأدعية ، وتسخر الساعات من أنين الزمن ، والغريان السود بصوتها تنوح
وعويل العجائز يمزق جنبات الحزن المخيم على أرجاء الغرفة . بعد
مراسيم الدفن انسلّ إلى منزله ، وفي عينيه بريق مجنون كيف استباحها.
الموت الفج ، ومازن سيقى وحيداً ، إنها مأساة متشعبة . رمى نفسه على
سريرها المنطفئ كنجم ، وغاص في مدار طوفان دمع لا يجف .. وتراءى
له وجهها أطلالاً حزينة . أجفانه تحترق من الوجد الأخرس ، وجسده
يهوي إلى أودية فقدان المرعبة ..

* * *

ويبقى الحب

1
2

لماذا رحلت يا سهيل ؟.. لماذا طُعنا بمدية القسوة يوم تقرر أن يكون اللقاء بيننا أبدياً ؟.. أدهشتني أنك مضيت .. ما زالت خطواتنا المبعثرة تحت إغفاءة الغروب الريفي بين الحقول والتلال . ما زلنا نغزل الأمانى ، ونضع أحلامنا على صدر الآتي الدافئ ، وطريقنا المعتاد إلى تلك (العين الثرة) . ما زاح على ضفافها هديل الصفصاف المسترخي وخرير الماء يَلَوّن مفرداتنا بألوان الشمس ، وأيدينا متشابكة في الدبكة الريفية. وهل هناك نشوة تعادل نشوة التصاقي بك؟ كنا نركض بين غابات العشق العذراء ، ونخاف عقوبة الأهل ، ووشايات الجيران ونحن نحب ونلتهب ونحلم ونكبر ونصغر ..

أركض ملتاعة وحولي حقائب السفر هجرة والذي إلى المدينة جعلت الأحلام تتساقط من أعماق الخيوط اللامرئية . والرياح تنثر دموعنا الشاحبة .. وصار الصيف طقسي الجميل لحلم لقياك وقد زرعت بإخلاصك اللانهائي حين اخترت ذات المدينة لتتابع تحصيلك الجامعي ، وأصبح العالم متجسداً في وجهك الأسمر حين عانقتي مداعباً : أهلاً ابنة العم .. لن تهربي مني .. أما الوالدة فقد كانت ترسم جدارها الفاسي حول علاقتنا ، ولكن لحظات الوجد بيننا تمر صامتة .. هادئة .. متألفة ، إلى أن تخرّج سهيل مهندساً والتحق بالخدمة الإلزامية للجيش في بلد آخر . وعادت قسوة المسافة تقف بيننا . وفي آخر إجازة له قبل أن تنتهي خدمته بقليل ، كان وعد الأهل بزواجنا حضوراً يبيّن الفرحة المنتظرة . وكان

ويبقى الحب

احتفالاً بسيطاً. بهذه اللحظة الجميلة ، وبيتسم أخي مداعباً - اشرب -
كأس المحبة - وكما يقول الشيرازي :

" أعطني الكأس في مرآته نبصر. أحبابنا الغائبين "

أداعبه - إذن خذ كأسي معك ، حتى تراني دائماً .

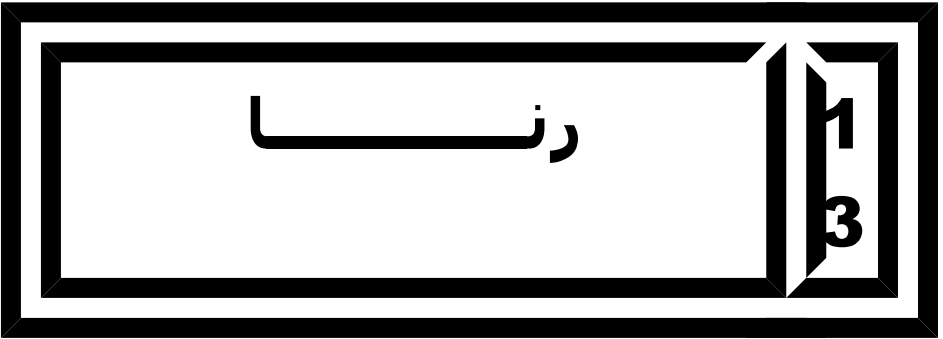
ذبلت الشمس حين سافر. سهيل ، وبقي صوت الفرح والموسيقى
ونخب الوعد ... كل ذلك رمى كآبة الحزن في فراغ الانتظار . بدأ موعد
فرحنا يقترب والخوف يكمن في أعماقي ، دخل والدي صامتاً واجماً كأن
هموم العالم تتقل صدره ، استلقى على سريريه وأجهش بالبكاء ، ما أقسى
دمع الرجل . وبقي في حالة ذهوله إلى أن وصلنا القرية الخاشعة على
جدران الحزن . لقد حملوا سهيلاً وأخته في نعش واحد . ونبع الجنون
الهستيري يجعلني أستسلم إلى الطبيب المخدر . وأغيب وأصحو على
بوابات تشردي النفسي حول هياكل السوار وتختنق كل الكلمات في حلقي
كصوت قط يذبح ..

يضمني - عمي - إلى صدره المفجوع ، بولديه ، وأزيز السيارة التي
اصطدمت بأخرى يجدد النزف . ويعلو النشيج ويصنع خلال أيام مساحة
بين الموت والحب ويحتضر الزمن مع ريح رعدة الخوف ثم توصل كل
الأشياء بمزلاج العتمة السواد ... هذا الحاضر. كان لصاً اعتقل كل شيء
... والروح القلقة تعوم بين أمواج رهبة الحدث ، وتوتر الأيام اللادع ..
ألم يقل - ماكبث - :

" حياة الإنسان في العالم حكاية

يرويهأ أبله ملئة بالصخب والعنف "
وأقول أقسى ما في الحياة .. تعب الفقدان ، وتراكم القهر حول
بوابتنا المغلقة .

* * *



أسأل الطبيب المختص ما السر ؟.. إنها إرادة الله فأنت عاقر .
مضيت من رصيف إلى آخر ، تيه وراء تيه الأفكار المبعثرة ،
والذات المبعثرة تتخاذل من عنفوانها ، إنها الأرض الجافة الجداء ، ليبتني
ويبقى الحب
50

كنت أستطيع أن أكتشف غضب مطر الخصب في أرضي قبل زواجي
من - باسم - إذن لمن المستقبل؟ لمن هذه الممتلكات والأراضي وأين
البراعم التي ستمرح وتنمو وتكبر؟.. ألم تتحدث الأساطير. الإغريقية عن
جمال الطفولة المليء بالحكمة والمشاعر الإنسانية ، وقد قال القائد
الإغريقي الشهير - بركليس - لزوجته :

- إن ابنك يحكم معي .

فقال له كيف ؟ أجابها :

- أنا أحكم أثينا وأنتِ تحكمني .. وابنك يحكمك

أعبر بوابات الهديان ، ويهتز المنزل حول ثقل أفكاره ، الكلمات
تيسس والدموع ترسم قرار الطبيب كحكم قاطع . مسح دمعي وابتم
بحنوه المعتاد مداعباً : - أنتِ أجمل أطفال الأرض ، حاولي أن
تنسي هذا الموضوع . وتسترخي الأحداث المؤلمة في الذاكرة و - رنا
- تباغتني بقبالاتها وهي تحمل شهادة تخرجها من الجامعة ، وتعيدني
إلى حالة الصحو :

- رنا الدكتورة .. يا أحلى أم .

ترميني كلمة - أم - في أروقة الحزن ، وترتجف كلمات التهئة مغسولة
بالدمع على وجه - رنا - الوديع وتظن أنها دموع الفرح ..

حرارة الشمس الغاضبة تلهب الصيف ، والسيارة تعبر الدرب

المشجر بين حمص واللاذقية ، تأمل الخضرة واليباس والسنوات تتساقط
أمامي ، كم كانت تضحية - زوجة أخي - نادرة في لحظة دفء إنسانية

ويبقى الحب

. حين ذهبت لزيارتها والاستجمام معها على شاطئ البحر وحدثت المعجزة التي لا يمكن أن تحدث إلا بقوى خارقة تملكها هذه المخلوقة وكأنها من سلالة الآلهة وقد أحسّت بصدمتي ، وتغلغلت إلى أحاسيسي المصطخبة وأنا أشكو لها معنى يأسى بكوني عاقراً ... فابتسمت بهدوء وقالت : ما رأيك لو منحتك طفلاً ؟ حدّقت في وجهها غير مصدّقة ما تقوله ، ولكنها تابعت : أنا حامل منذ أشهر ، ولديّ أولاد ، وشجرتي تعطي الخصب باستمرار .. وقف العقل على مشارف الجنون ، والمنطق في دوامة الذهول .. والعاطفة الإنسانية قامت بفعل التضحية بحواسها كلها . وفي اليوم الخامس لولادتها حملنا رنا أنا وزوجي - وسافرنا إلى مدينتنا ..

قفز عصفور شارد من النافذة ، ورنا تبكي مذعورة وروحها القلقة تعوم في حيرة الأمومة غير الحقيقية .. حملتها على أهداب الحنان واللحظات ترتعش ، إنها حالة ستتكفل الأيام بإخمادها .. وستحلّ الرموز والخطوط للوجه الطيب البريء . صحوت ، وتقجر الفرح على ثنايا خدودها .. ماما .. لقد وصلنا ..

قفزت من السيارة وتضم - امرأة أخي - بحنان الابنة الضائعة ، ويفيض الندى على وجهها الطيب مذوباً حنين الانتظار. والفرح . وأحاسيسي تتشابك خيطاناً للفرح والحزن ، وسقط الموج في حضن الليل الصامت ، بينما البحر يواصل أغانيه الرجراجة لثوب السماء السماوي ..

* * *

الشجرة اليابسة

14

مع مرور الشهر الأول من الصيف سقطت جدران انتظاري وأنا

أقرأ رسالة حازم :

- سأتأخر. يا أمي ريثما أنهى إجراءات شهادة اختصاصي

بطب الأطفال " فأنتِ والوطن محطتا أمان "

سبع سنوات وحازم يلتف بالغرابة ، والانتظار يحترق ويتشظى على أرجاء المدينة ، سأهرب من انتظاري لتمضية الوقت عند قريبتي في - باريس - وقد دعنتي كثيراً لزيارتها ، مررت على /عيادة/ حازم لأطمئن أن كل شيء فيها قد تم وسيفاجئ بهذه الهدية ، ألمحه يختال متنقلاً بغرفها وقبلاته تزرع على وجهي فرح الشكر ، وصدرته البيضاء تذكرني ببراعم الطفولة التي تفتق قلبي على شلال حنان ينهمر فوق قلق انتظاري الطويل له ..

كطفلة تتوجع وتحلم ، وصوت المضيضة وصولنا إلى باريس ..
ضممت قريبتي بشوق وعبرت سيارتها الشوارع المزروعة بالخضرة والمتشربة أنفاس الجمال والفن ، سرحت مع هذه الومضات الجذابة ، وأنا أتابع الثرثرة مع قريبتي عن شؤون العائلة ، وأخبار الأهل والوطن وعودة - حازم - بعد أشهر إلى الوطن .

دخلنا منزلها الهادئ المنسق ببساطته الجميلة . وأمضيت شهراً وأنا أنتقل معها بين قصور وحدائق ومتاحف باريس الرائعة . وما تبقى من مقاهي فلاسفتها وشعرائها ، والأجمل من كل ذلك أن الزهور تبدل كل فصل لخلق حالة من التجدد قبل أن ينتهي الشهر بأيام قليلة ، ظهر تبدل على وجه قريبتي واعتراها قلقٌ غامضٌ وكأنها تريد أن تقول شيئاً ويحتق الكلام بالصمت ، ثم فاجأنتني بقولها: يجب أن تعودني لأن حازم سيصل قريباً وسأرافك بالرحلة .

وعتمت حول كل سؤال من أسئلتى الملحة عبر هذه الرواية من
الحيرة. وفي المطار كنت أنتقي بعض - العطور الفرنسية - وتدخلت
بالأمر بأن يكفي ما حملته معي له . وصلنا أرض الوطن . فوجئت بزوج
ابنتي في المطار ، لماذا أخفيت عني أنها تحدثت معهم في غيابي ،
دخلنا منزلي ، وجه ابنتي يطفح بكل معاني الحزن والدموع تنسلّ من
عينها ، أهي دموع فرح عودتي ؟..

يخيم على المنزل طقسٌ من الكآبة ودارت الظنون برأسي ، ربما
زوجي قد سبب لهما مضايقات فمنذ طلاقه منه وهو يخلق المشاكل
المادية لنا ، لقد هرب مع سكرتيرته الصغيرة وأرسل لي ورقة الطلاق . لم
أثر ضجة اجتماعية ، تقلبت الأمر بمنتهى الصبر والهدوء وانهارت
السنوات الثلاثون تتهاوى أمامي . تحصنت بالصبر. وعشت على أمل
عودة - حازم - من الغربة ، صحت من شرودي بين ضبابية الماضي
المؤلم وأزحت الصور من الذاكرة ووجه ابنتي يتألمني صامتاً، ثم شهقت
ودفنت وجهها في صدري ، الدكتور حازم عاد.. الدكتور .. ولم أستفق
إلا بعد ساعات والطبيب يجسّ النبض الغاضب . واختلطت عيوني
بالوجوه المعتمة بالسواد .

استندت على إفريز السرير ، رسالته الأخيرة أهذي مع حروفها ..
- أمي - لقد أعطيتي كثيراً من المزايا والخصائص والمفاهيم الحكيمة
والتي لا يحوها الزمان أهدي يا والدتي نجاحي إلى ذكراك . وعظمة
خلودك وحنائك .. أهدي قمة ما وصلت إليه إليك ، فأنت من منحني هذا

الشرف للوصول إلى ما أبتغيه ، لقد قدمت أطروحتي منذ يومين ، وكذلك امتحاني الأخير لنيل شرف الاختصاص . ولقد حزت عليه وبمعدل جيد . وبإمكانك يا والدتي القول أن ابنك - حازم - هو طبيب أخصائي في الأطفال ، ولقد نلت معدل (90/100) في المعدل الأخير . وهذا المعدل أهديه إلى شرفك وذكرك العظيم ..

بقية الرسائل تتناثر. في أرجاء الغرفة ، وزجاجات العطر الفرنسي وشهادة الاختصاص تلوح حول - النعش الأنيق - وصوته الهادئ .. هذا قضاء الله يا أمي .. لا تحزني تكمل زوجة حازم .. تراخي حازم وهو يقود السيارة ، نقلته إلى المستشفى .. أصيب بهبوط ضغط مفاجئ .. وحمل جثمانه إلى الوطن إلى منزل والده ..

- خذ مفاتيح عيادتك - يا حازم - والنعش يمر من أمام منزلي ، فانتفضت شرايين الأمومة ، وقطعت حبال التقاليد وفقدت المقاومة وقفزت إلى قرب النعش بيديّ ألوّح بمفاتيح العيادة ورسالته الأخيرة .. أكانت رسالة الوداع ؟ .. أحاطت بي بنات الظلام ، ومُرغت بالتراب الذي يبس أغصان أمومتي ، والقطرات الساخنة تغرق في سواد الحزن المدلهم .. وتترسب ليالي العذاب فاحمة على جمرات الألم المتّقدة ... وشجرة العمر اليابسة تزرع الذكريات حول ترابه الحزين .

* * *

دوار الحيرة

1
5

صوت الهاتف يرن ، يبدأ زوغان القلق في رأسه ، يلهث متعباً ،
يشد قبضة الزمن . تقاومه وتنزلق كحبة رمل . خمسة وعشرون عاماً
تتدحرج في تتابع الأحداث تحرق به آلاف العيون بين ثقب فيالق القلق
الشرس . يعاوده صوت الهاتف تدمع الأهداب مع رقة صوت ناعم بعيد
.. بابا .. أنا جميلة ..

يحدق في سماعه الهاتف ، يبتعد ، تسقط سماعه الهاتف من يده
المرتعشة .. مستحيل .. جميلة .. وبكثير من حركة الدهشة تترامى

حروف اسمها بين شفاهه جميلة .. يا لزمنا امتد في ظلمة الغربة . وهو
يصارع متاهات الحيرة ، والضياح ، واللهفة .. ربما يحلم . يلتصق أكثر
بالمرأة التي أحبها وشاخ الحب على جبهة التعرب. وأشباح الماضي
تتراكض توهجاً تشعل الصوت الحنون البعيد القريب - بابا .. أنا جميلة
.. يهز جدار الزمن بعنف، يتخاذل، يسقط في مقعد مجاور . يضع رأسه
بين كفيه .. يا إلهي .. إذن ابنتي .. تتذكرني . أحس أنه في مقبرة اللحم
. لقد رفضت زوجته المجيء معه إلى بلاده بعد أن أنهى دراسته .. أنينه
المدفون في وجهها الصارم - لا بدّ من عودتي أنا موفداً وانتهت فترة
إيفادي .. ودفن توسلاته لها بين نشيج أعصابه النازفة .. وأصرت على
الرفض .. وصوتها كصرير باب مقبرة صدى : سأبقى مع ابنتي .. وهذا
حقي الطبيعي .. بيده شهادة الدكتوراة. ومن اليد الأخرى هربت زوجته
وتوارت مع جميلة .. في الطائفة كانت فضاءات ذاته مخنوقة بالكآبة
ويئن الألم في صدره . وصوتها القاسي يلاحقه بالرفض العنيد..
الهاتف يعاود الرنين من - تشيلي -
- بحثت عنك طويلاً يا جميلة .. كتبت لك رسائل كثيرة ..
- لم يصلني شيء ..
ينفجر الغضب على محرقة السنوات ، يتسكع في الشوارع تائهاً
.. يخبر أهله أصدقاءه .. أنه وجد جميلة .. سوف ينتقم منها .. وتراءى
وجه جميلة البريء له .. القوي يسامح - الضعيف ينتقم .

حين كان يتردد على منزل عمه.. ترحب به ابنة عمه سلمى..
سلمى وعيناها العذبتان . هذه الفتاة كانت تشعّ حباً كلما رأته، وعذبتة
أكثر لأنها لم تتزوج في فترة غيابه عن الوطن .. إنه الآن يحبها ويكرهها
بطريقة ما فتزوجها. . وطوت صفحة ماضيه ، متجاوزة كل ما حصل ..
يعود إلى منزله ، يتحسس الأرقام بأصابعه ، يعاوده صوت جميلة :
- بابا أريدك .. قبل أن تهرب الشمس مرة ثانية خلف مسافات لامتناهية
- .

آه يا امرأة العذاب المظني ، لماذا أخفيت رسائلي عن جميلة ؟ ..
ولكنها بقيت وفية لإخلاصها ، عاشت لأجل جميلة فقط ، يفرش
الماضي أمامه ، وبساط الحاضر. متعباً ينتفض أمامه ، كانت علائم
الخدلان متكسرة على وجهها الشاحب وهي تودعه بدمع نظراتها. الأخيرة ،
تضم جميلة إلى صدرها بقوة ، إنها القارة الظليلة لأمومتها لن تتخلى عنها
.. وحين هجرها إلى وطنه ، وجدت في جميلة لهب حبها له شعلة دائمة
في معبد مهجور ، وبقيت جميلة تحبو على مروج حنانها ومدار الزمن
يدخل بها إلى مملكة الصمت .. تنتظر إليها ولا تجرؤ. أن تقول لها شيئاً.
الماضي يحسبها. بألم عميق ويرضع الفقدان من أحزانها المتشعبة. وكم
كان يلوح لها كشيخ من خلال رسائله الكثيرة ، وكم فرققتها. أوهام عودته في
زمن ما .. وكم دحرتها ظلمة قسوته على معابر الهجر المريع يجب أن
يفهمها ، يجب أن يحس بموقفها . لن تقسر له شيئاً .. والسور المترفع
يقف حاجزاً ويفصل بينهما ، وجميلة صبية الفرح الباقية منه لها ..

يأتيه صوتها الغائب العاتب .. كبرت جميلة .. إنه لا يستطيع
أن يفعل شيئاً . وأحست أن قسوته تشوّه إنسانيته ، تشوّه عاطفته ، وبقي
صوتها المهجور بعتابها .. جميلة تريد أن تراك ..
- يخنق الصوت المرتجف يهز مشاعره المحترقة ، وصوت ابنه -
نور - يوقظه من التعثر بين فجوات الماضي ..
بابا ... بابا ... يضم نور إلى صدره ، ويتزلق الزمن الضائع
من بين أصابعه ، ويمضي حافي القدمين في دروب على حيطانها. ترتسم
شبيكات عنكبوتية .. والدمع يبكي بمسام حواسه كلها نظراته تتشبهت بوجه
- نور - وصوتها يردد باضطراب ..
- جميلة تريد أن تراك - ويتذكر قول - فاليري - :
" ألسنت أنت مستقبل الذكريات المخترنة في أعماقك ؟ أليس
المستقبل هو الماضي "

* * *

الفهرس

الصفحة

1	من خصل الإهداء	
2	ومضة إنسانية	-1
6	دمع الشموع	-2
9	ولهى	-3
11	رؤى	-4
15	ذبول وردة اللحم	-5
18	لا أنا لحبيبي.. ولا حبيبي إلي	-6
27	عرس ليلة	-7
31	زوغان الحب	-8
35	نشوة الصنوبر	-9
39	موعد حب	-10
44	الكابوس	-11
50	ويبقى الحب	-12
53	رنا	-13
56	الشجرة اليابسة	-14
60	دوار الحيرة	-15



Komcivîna Zanyarên Azad

تجمع المعرفيين الأحرار

bo gelên yên diaxivin bi herdû zimana Kurdî û Erebi

للشعوب الناطقة باللغتين الكوردية والعربية